البحر المورود

في

المواثيق والعهود

(العهود الصغرى)





تأليف

الإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

المتوفى ٩٧٣ هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

منشورات

محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

البحر المورود

في

المواثيق والعهود

(العهود الصغرى)

البحر المورود
في
المواثيق والعهود
(العهود الصغرى)

تأليف

الإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني
المتوفى ٩٧٣ هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٣ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4219-4

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم
على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

مقدمة التحقيق:

ما كاد القرن العاشر الهجري يطل، حتى طلت جملة من المتغيرات، فهاهو حكم المماليك يؤذن بالمغيب، وجلُّ العالم الإسلامي يتأهب لاستقبال الحكم العثماني، هاهو عصر يؤذن بمغيب اللغة العربية عن لغة الخلافة، وتربع اللغة التركية مكانها؛ بل هو عصر شهد خروج عاصمة الخلافة من المنطقة العربية، وعاش العرب في دائرة ظلٍّ، عصر عج بالمتغيرات الدولية، فقد انتهت العصور الوسطى، وبدأ عصر النهضة، مغيب شمس حضارة، وشروق شمس. يساعده في ذلك كشوف جغرافية – رأس الرجاء الصالح – وثروات أمم استبيحت.

تأثرت الدولة الإسلامية عامة بهذه التغيرات، ومصر بشكل خاص. لقد فقدت زعامتها بزوال دولة المماليك، واضطرابُ شتى مناحي الحياة زاد الفساد فساداً من مظالم واضطهاد وإفقار، وإهمال للعلم، فازدادت الظلمات، وانتشر الفساد، وعاشت البلاد بصمت؛ بل بسُبات ثقافي اجتماعي واقتصادي سياسي، ولا أقول كان هذا وليد الحكم العثماني بل أن السِّنة التي أخذت الأمة آتت أكلها، ومازالت تثمر تخلفاً وجهلاً، وتزهر ضَعةً وهواناً وصغاراً، حتى بلغت الأمور غايتها، فكان يجلس الشيخ شعبان المجذوب في المسجد، ويقرأ في الجمع ما يزعم أنَّه قرآن كريم: "وما أنتم في تصديق هودٍ بصادقين، ولقد أرسل الله لنا بالمؤتفكات يضربونا، ويأخذون أموالنا، وما لنا من ناصرين" ثم يعقب: اللهم اجعل ثواب ما قرأناه من الكلام العزيز في صحائف

فلان وفلان.. ويعلق الشعراني على هذا قائلاً: و لم أسمع قط أحداً ينكر عليه شيئاً من حاله، بل يعدون رؤيته عيداً عندهم.

وكان إبراهيم العريان يصعدُ المنبرَ عارياً، ويخطب في الناس قائلاً: السلطان ودمياط، وباب اللوق، وبين الصورين، وجامع طولون، والحمد لله رب العالمين، فيحصل للناس بسط عظيم.

ويتعقّبُ أبو خوذة وغيرُه من أدعياء التصوف حسان الغلمان والنساء آمنين شر الإنكار من سوء ما يفعلون.

ويحاور شيخنا الشعراوي بعض مشايخ الأحمدية والبرهامية في عصره، ويسأله عن قواعد الإيمان، وعن فروض الوضوء، وعن شروط الصلاة، وأركانها. وفي كل مرة يقول: لا أدري. ويقول الشعراني معلقاً: مع أنه شيخ في زاوية يأخذ العهد.

عبد الوهاب الشعراني:

ينحدر الشعراني من قبيلة بني زُغْلة من عرب المغرب، يتصل نسبها بالإمام علي بن أبي طالب، وكان جده أبو عبد الله أحمد سلطان تلمسان المنتسب إلى ابن الحنفية ابن الإمام علي كرم الله وجهه. تصوف موسى أبو العمران ابن السلطان أحمد، وآثر طريق الله على السلطنة ومجدها، وسلك على يد الإمام أبي مدين، فأرسله إلى تربية المريدين في الصعيد، ومات هناك سنة ٧٠٧هـ، ثم هاجر حفيد السلطان أحمد إلى ساقية أبي شعرة وهي قرية بالمنوفية تجاه النيل، وشاعت عنه الولاية رغم أميته، ومات سنة ٨٢٨هـ.

كان أحمد والد عبد الوهاب على حظٍّ من العلم، وقد رحل إلى مصر، وطلب من جلال الدين السيوطي أن يجيز ابنه، فأجازه بكافة مروياته، وهو في العاشرة من العمر، وألبسه خرقة التصوف في روضة المقياس بالقاهرة، ومات أحمد سنة ٩٠٧هـ. وكان عبد الوهاب لا يزال صغيراً، فكفله أخوه عبد القادر المتصوف الورع.

ولد الشعراني سنة ٨٩٨هـ في قلقشندة (قرية جدِّه لأمه) ثم انتقل بعد أربعين يوماً إلى قرية أبيه، وإليها انتسب فسُمي بالشعراني أو الشعراوي.

غادر قريته إلى القاهرة في مطلع عام ٩١١هـ، وفيها أصاب جملة من العلم، على عدد كثير من شيوخ القاهرة في صدر شبابه، وأقام بالجامع الأزهر ملازماً شيخه علي الشوني نحو خمس سنين، ثم غادر الأزهر بمشورة شيخه إلى الجامع الغمري عام ٩١٩هـ، ولبث به ١٧ عاماً تحول بعدها إلى مدرسة أم خَوَنْد بخط كافور الإخشيدي، وفيها استطارت شهرته، وزكت سمعته، فثار وثار حقد خصومه عليه.

اتصل خلال هذه المدة بأساتذة العلم في القاهرة، منهم جلال الدين السيوطي، وزكريا الأنصاري، وناصر الدين اللقاني، والسمنودي، والرملي.

وقد روى عن نفسه أنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، والتزم القيام بالصلاة وهو ابن ثمانٍ، وأنه كان يتلو القرآن كله في الركعة الواحدة قبل أن يبلغ سن الرشد.

كان الشعراني واسع الإلمام بثقافة عصره، محيطاً بما وقع له من كتب العلماء البارزين، وقد عرض لذكر ما درسه على أيدي شيوخه من مختلف المصنفات في شتى العلوم، وأبان عن الكتب التي درسها بنفسه، وراجع العلماء فيما أشكل عليه منها؛ في التصوف والفقه والتفسير والحديث والسِّير واللغة والقواعد والأصول.

وقد استقى الشعراني التصوف على خيرة من عرف في هذا العهد من أربابه، ونزع إلى مزاولته قبل أن يسلك على أصحاب الطريق، فراض جسمه على احتمال المكاره، وعانى في كبح شهواته، وأكثر من ذكر الله، ودأب في طلب العلم حتى علق في سقف خلوته حبلاً يطوّق به عنقه متى جلس من العشاء حتى الفجر بضع سنين ليأمن سنات النوم وغفلاته، فإن غلبه النعاس نزل الماء البارد بثيابه، أو ضرب بالسياط أفخاذه.

لزم مظاهر الزهد في مأكله وملبسه، وتحامى الاقتراب من أملاك الظلمة من الولاة والأمراء، وألف المهجور من المساجد والترب، يمكث فيها مطيلاً صلاته، مكثراً ذكره، صائماً نهاره، ويتوخّى مجاهدة النفس وقمع شهواتها.

راض الشعراني نفسه بالتزكية وأخلاقه بالتصفية، وهو يقيم في جامع الغمري،

فطاب ذكره، وذاع في الناس اسمه، وكان شيخه علي الشوني قد أذن له في أن يرتب بهذا المسجد مجلساً للصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

شيء ما حاك في صدر أولاد الغمري تجاه الشعراني، ثم أبدوا له ما يكنُّون من سوء، ولا أحد يعرف ما الذي جرى، ولم يذكر الشعراني نفسه ما وقع له منهم، فإنه سكت سكوتاً تاماً عن مضايقتهم له، حتى عندما عظم شأنه، لم يذكرهم بسوء قط، وإنما فعل ذلك لأنه راعى ما قدموا إليه في صباه من حسن الصنيع.

ولا نستغرب هذا منه، إذا قرأنا رأيه في الطبيعة الإنسانية: فهي طينة آدمية واحدة. وأن الجائز وقوعه من أفسق الفاسقين جائز وقوعه من أصلح الصالحين، فالإنسان صالح للخير وهو أصل، وصالح للشر وهو عارض، وأنه حين يصلح لا يصلح أبداً، وحين يفسد لا يفسد أبداً. ومعنى هذا أن التسامي إلى الهداية ليس له زمان.

فالإنسان صنعة الله، وصنعته كلها حسنة والقبح إنما هو عارض عرض من حيث الصفات لا الذوات. وكرهنا للكافر كره صفة الكفر لا الذات.

كان من نوادر الرجال في كرم الأخلاق: فهو يزجر عن التجسس، يتكلف ستر عورات المسلمين، ويدعو لهذا، بل يذكر أن من نعم الله عليه انشراح صدره في محبة ستر عدوه، بل يتغاضى عن عيوب الأعداء.

رحل الشعراني بصمتٍ عن جامع الغمري، وحط رحاله بمدرسة أم خَوَنْد. وفي أثناء مقامه بالمدرسة، غضب الوالي على القاضي محيي الدين عبد القادر الأرزيكي، ولم يستطع أحد الشفاعة له، واختفى عن الأنظار أشهراً خوفاً من الوالي، ثم التجأ للشعراني، فأعطاه عوداً صغيراً، وقال له أن يذهب إلى الحاكم، ويُلقي بين يديه هذا العود، استجاب للمشورة، ومضى للقاء الباشا، حتى إذا دنا منه ألقى العود، فخفَّ الباشا للقائه، وأعاده إلى منصبه، وأقام الأرزيكي مسجداً شكراً لله يخصص للشعراني ولمجالسه العلمية والتعبدية في أطراف حي باب الشعرية.

حفرت الكثير من الآبار لمطهرة هذه الزاوية على غير جدوى، فطلب الشعراني

من شيخه نور الدين الشوني حلاً لهذا الأمر، وكان يُتحدَّثُ عن الشوني أنه يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومناماً. فأشار عليه أن يحفرها بمكانٍ معين بإذنٍ من رسول الله ﷺ. فكان ماؤها عذباً سلسبيلاً حتى أشيع أن ماءها يتصل ببئر زمزم. فتهافت إليها الناس بركةً واستشفاءً.

تخلّى الأمير حسن بك صنجق عن منصبه، وأعتق عبيدَهُ، وحبس أملاكه وقفاً على وجوه الخير حبًّا لله ثم للشعراني إيثاراً لصحبته، واستبقى من أملاكه رخام بيت من بيوته، ومبلغاً من المال لإقامة ضريحٍ ومزارٍ لشيخه الشعراني، وأقبل عليه فقيراً متجرِّداً سالكاً. وتزامن انتصاب القبر والمزار مع وفاة الشعراني في ١٢ جمادى الأولى سنة ٩٧٣هـ. ودفن بجوار زاويته بعد أن صلى عليه في جامع الأزهر العلماء والأمراء ومشايخ العرب والقضاة والتجار.

كان الشعراني سعيداً في حياته المنزلية قرب زوجته فاطمة أم عبد الرحمن. إلى جانب آخر من الطمأنينة هو الأنس بمودَّة أخيه أفضل الدين، فقد كان أخوه من أهل الصلاح والتقى، وتظهر سعادته من حديثه أنه كان راضياً عن أصدقائه، يضاف إلى ذلك كله رضاه عن نفسه، كيف لا وهو يسلك في دنياه أشرف المسالك، وهذا الرضا المطلق عن النفس والأهل والمسلك يفسر لنا جانباً مهماً من شخصية الشعراني، فهو سر ما اتصف به من الجرأة في نقد ما رآه من الزيغ والانحراف في أخلاق معاصريه.

زاوية الشعراني:

حوَّل الشعراني الزاوية - التي بناها محيي الدين الأرزيكي وأوقف عليها أوقافاً وأرزاقاً كفلت الحياة لموظفيها من مؤذنين وأئمة وخطباء - إلى رباط للعبادة، ومدرسة للعلم والتعليم، وزاوية للصوفيين، ومسجد للصلاة وإقامة الشعائر، وتكية للفقراء والمحتاجين، وكان الشيخ عبد الوهاب قطب الرحى لتلك الحركة الدائبة.

اتسعت الحياة داخل الزاوية، فأقبل عليها آلاف المريدين وطلبة العلم، فكفل لهم الشعراني العلم بشقّيه السلوكي والمعرفي، كما كفل لهم الحياة الكريمة، أعانه على هذا

ما أوقفه الموسرون من أحباس وعطايا وهدايا.

استقرَّ في الزاوية مئتا طالب علم بينهم تسعة وعشرون كفيفاً طاعمين كاسين، بل قد نهض الشيخ بتزويج أربعين مجاوراً من مُريديه، قام عنهم بسداد المهر ونفقات الزواج وزوّد زوجاتهم حتى باللبان الشامي والشمع والخضاب.

أرسل الشعراني أفواجاً من تلامذته حجاجاً إلى مكة والمدينة على نفقته.

و لم تقف مكارمه عند هذا بل كان يقوم بتزويد العلماء والفقهاء والمشايخ بالغذاء والكساء.

هذه هي الحياة المادية في الزاوية؛ أما الحياة الروحية فيحدثنا المؤرخون بأن زاويته كانت من أعظم المنارات العلمية والتعبدية في العالم الإسلامي خلال القرن العاشر.

كان الشعراني من أوسع أهل عصره علماً، وأعلاهم كعباً في التصوف، وأرشدهم في التعبد والخلق، وبهذه الصفات الطيبة طبع الشعراني مرتادي زاويته، وربّى مريديه عليها، فدرسوا على يديه العلوم الشرعية على اختلاف أنواعها، وتلقوا المعارف الصوفية على اتساع آفاقها وشمولها ودقائق أسرارها.

كان القراء يواصلون قراءة القرآن ليل نهار، والمجالس العلمية لا تكاد تهدأ فلا يفرغ طالب علم الحديث حتى يبدأ طالب علم التفسير، ولا ينتهي قارئ لكتب التصوف حتى يليه قارئ في الفقه بلا انقطاع. كان لزاويته دويٌّ كدوي النحل.

الشعراني والطريق:

بعدما ألم الشعراني بعلوم الظاهر أشار عليه أحمد البهلول أحد أولياء عصره بأن يقنع بما جمع من علم، وأن يلتمس السلوك عند صاحب التصريف في مصر الشيخ علي الخواص وارث مقام شيخه إبراهيم المتبولي، الشيخ الأمي الذي لا يميز بين الألف والباء، الذي ذكر عنه أنه يجتمع برسول الله ﷺ يقظة، وينقل عن اللوح المحفوظ من غير واسطة.

أمره علي الخواص في أول اجتماع معه أن يبيع كتبه، وينفق ثمنها في سبيل الله، فاستجاب لمطلبه، وباع كتبه التي دوّن على هوامشها الكثير من تعليقاته وحواشيه، ثم

طلب منه شيخه أن ينصرف عن طلب العلم وحضور حِلَقِه عاماً كاملاً، يعتزل الناس ويتحامى مجالسهم، وينقطع لذكر الله سرًّا وجهراً، ثم أمره بالزهد في لذاذات الطعام.

ولّما ظن أنه وصل، شرع يفيض في تفسير القرآن والحديث النبوي، ويستنبط الأحكام، ومن ثم عرض هذا على شيخه، وكان مئة كراسة، فأمره شيخُه علي الخواص بمحوها، والعملِ على تصفية القلب من شوائب النظر العقلي، لأن بينه وبين العلم اللدني ألف مقام. فمحا ما دوَّنه، ثم كتب، ثم محا، ثم كتب بعلم آداب العبودية، فاعترف له شيخه بأنه وصل، وفتح الله عليه، وقال له: تمَّ أمرك، وعلا قدرك، وروي قلبك، فأبق على ما تكتب، فسمى الشعراني هذا الكتاب: «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية».

سلك الشعراني الطريق على عدد من الشيوخ، فقد تلقّى الذكر من الشيخ علي المرصفي بعد لَأْيٍ طويلٍ، وأخذ العهد ولبس الخرقة على يد الشيخ محمد الشناوي، وألبسه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الخرقة، واتصل الشعراني بشيوخ عصره، وأخذ عنهم كافة الطرق الصوفية المعروفة في أيامه من: رفاعية، وقادرية، وأحمدية، وشاذلية وغيرها كثير.

لقد عرف الطريق، واستبان الهدى لديه، وهاله ما رآه ممن انتسب زوراً إليه، فشدَّ مئزره، وكشف عن ساقه يبين أُسَّ الانحراف ويهدم بنيان الضلال. هاجم المتصوفة الطاعمين الكاسين الذين يقيمون في الزوايا، الذين جمعوا المال وكنزوا الذهب والفضة؛ بل أوجب طرد هؤلاء من الزوايا عظة لغيرهم من الأدعياء. وأفتى الشعراني فيما أفتى بأن الأتباع ممن ينتسب إلى الأحمدية والرفاعية والبسطامية والأدهمية والدسوقية في عهده خارجون على شريعة الله؛ لأن أفعالهم يكذبها طريق شيوخهم السابقين، كما يكذبها الكتاب والسنة. فالزهد كما يراه لا يكون عن خلو اليد من متاع الدنيا؛ وإنما يكون بخلوِّ القلب من امتلاء اليد.

ولا يُفهم أن أدعياء التصوف وهم القوة قد استكانوا لحملة الشعراني، وألقوا سلاحهم، بل هاجموه بكل سلاح استطاعوا إليه سبيلاً، وملؤوا الدُّنيا عليه تشهيراً، بل

أرصدوا له من يقتله غيلة وغدراً.

لقد تحالفوا مع الفقهاء ضده، وأثاروا عليه الأزهر. ووضع الشعراني رسالته «ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرى» فكانت السهم الأكبر، هاجم بها مدعي الولاية زوراً وبهتاناً، ومحترفي التصوف كذباً ونفاقاً، فهم قد قنعوا بالزي، لا يعرفون قواعد الإيمان، حتى ولا فرائض الوضوء.

دعا الشعراني إلى الجمع بين العبادة والعمل؛ بل قد فضل الصناع على العباد، لأن الصُّناع يساهمون في نفع الناس، بينما العبادة يقتصر نفعها على صاحبها، وكان يقول: ما أجمل أن يجعل الخياط إبرته سبحته، والنجار منشاره سبحته. وصرح أن ترك الكسب غير المشروع والتماس الرزق عند المحسنين كمتصوفة عصره جهل بمقام التوكل الصحيح.

«العاقل من عرف زمانه». شعار اتخذه الشعراني، وجعله هادياً إلى قلوب الناس، وهو يقول: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ [هود: ٨٨].

العلم الظاهر:

لم يُسلِّم الشعراني بأن العلم اللدني يأتي دون مكابدة العلم الشرعي وأن الله ما اتخذ عالماً جاهلاً وأن الأدلة الشرعية تؤيد صحة مقولته: إن علم الباطن لا يخالف علم الظاهر، وإنَّ أهل الحقيقة هم أهل الشريعة، وإن كل صوفي فقيه، وحاول التوفيق بينهما حتى وقف على هذه الغاية مؤلفه «اليواقيت والدرر».

عدَّ الشعراني نفسه مثلاً للصوفي الصادق الداعي للعلم، وهاجم أدعياء التصوف الداعين للجهل، وزاد على هذا إعلان ولائه للعلماء والفقهاء، ووضع آداباً للمريد إذا أراد طلبَ العلم على أهله من الفقهاء أن يتَّبعها، فكفل بهذا توفيرَ الاحترام والتوقير لهم. لكنَّه لم يتوانَ عن إيثاره لعلم الباطن على الظاهر فضاق العلماءُ به، ونشأت بينهما خصومة، ردَّ أسبابها الشعراني إلى الحسد والغيرة حتَّى اتّهمهم أنهم زيَّفوا مُقدّمة كتاب «كشف الغمة» وأنهم استعاروا نسخةً من كتاب «البحر المورود»

الذي هاجمهم فيه، ودسُّوا فيه تعاليم تخالف ظاهر الشريعة، ونحلوا وجوهاً من العبث لا تتفق مع وقاره وصلاحه، وضروباً من الأعمال الماجنة الساذجة التي لا تليق بعلمه ووقاره، وأذاعوا هذا في مصر ومكة، وحرصوا على التَّشهير به بين رجال الأزهر.

ولبثت الفتنة ثلاث سنوات، تولّى كبرها في الأزهر حسين العبادي، وأذكى نارها، ورغم تصدّي حزب الشعراني لهم، وعلى رأسهم: ناصر الدين اللقاني وشهاب الدين الرملي، لبثت الفتنة قائمة، وخصومه ينالون من عرضه ودينه، حتى اتصل بهم، وأرسل إليهم نسخته الأصلية من كتابه «البحر المورود»، وعليها إجازاتُ أربعة من أعلام عصره (انظرها في أواخر الكتاب). أحدهم حنبلي (الفتوحي) والثاني حنفي (الشهاب أحمد بن يونس) والثالث مالكي (اللقاني) والرابع شافعي (الشهاب الرملي) وعندئذ انكشف دسُّ خصومه وحساده، وبرئت ساحته.

اعتبر الشعراني حملته على الفقهاء الجامدين المنتفعين جانباً كبيراً من جهاده في سبيل بناء الفكر الإسلامي من جديد.

لجأ بعض علماء عصره بدافع الحسد والغيرة المعهودة بين العلماء إلى سلاح برعوا فيه وهو الدَّسُّ وتحريض الولاة والحكام على المتصوفة، فأوغروا صدر سلطان مصر والخليفة على الشعراني بدعوى خطورته على الأمن والنظام والدولة والسلطان والخليفة. ولن ندرك خطورة ما رموه به ما لم نعلم القانون الذي أصدرته الدولة العثمانية، وطبقته تطبيقاً حازماً بعقاب كل من عارض أركان الدولة فيما يفعلون، وتظاهر بصفات الملوك - من أبهة، وكثرةِ أتباع ومريدين قد يشكلون خطورة - بالحبس أو النفي أو الإعدام.

لكن الله سلّم، وردّ كيد الذين أرادوا أذاه إلى صدورهم.

لغة الشعراني:

انطلقت الصوفية — المتأخرين — من فكرة الدعوة والتبليغ، فلم يتخيروا الفصيح، ولم يدققوا في صقل الأساليب، لذا تجد عندهم ما لا تجد عند غيرهم من الألفاظ والتعابير العامية المحلية التي يَعسرُ الرجوع إليها حتى في المعجمات، ويحدثُ كذلك أن يغلب

عليهم إغفالُ الإعراب، وذلك مما يدل على أن البلاغة عندهم تقوم على أساس أصيل هو تبليغ الدعوة الأخلاقية إلى سواد الناس.

فهي لغة سهلة بسيطة مأنوسة لأهل قطرهم الذي كتبت فيه، ولأهل زمانهم الذي خوطبوا به، وهي في الوقت نفسه تحوي مفردات غريبة مبهمة لا يفهمها من ابتعد عن أرض ولادتها مكاناً أو زماناً.

وحتّى الفصحاء منهم تختلف ألفاظهم وأساليبهم باختلاف القطر الذي يعيشون فيه. وأكثر الألفاظ المحلية التي يعبرون بها هي الألفاظ المدنية المتصلة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية، أما الألفاظ الفكرية التي تعيّن أحوال النفوس، فقد بقيت في الأغلب على صورتها الأصيلة لأن المتصوفة حرصوا عليها أشد الحرص.

والشعراني خير مثال عما قلناه فألفاظه بقيت ألفاظاً منوفية قد يصعب بعضها على ابن القاهرة، فما بالك فيمن سواه؟

وترى في الكتاب جملةً عظيمة منها، فسَّرت ما استطعت تفسيره من المعجمات، وما بقي تركت صورته كما هي، يفهم معناها من خلال النص.

مؤلفات الشعراني:

قيل: إنه خلّف ثلاث مئة كتاب تناولت الطب والنحو والحديث والفقه والتفسير وقد استغرق بعضها مجلدات. أحصى له (بروكلمان) (٦٧) كتاباً منثوراً في دور الكتب في أرجاء العالم، وقد أحصيتُ له ما سأسرده عليك، أما ما وجدته في مكتبة الأسد الوطنية فقد ذكرت إتماماً للفائدة رقم المخطوط، وعدد أوراقه.

١- إجازة الشعراني لبعض العلماء، ٣ ورقات رقمها في مكتبة الأسد: ١٣٤٨٥.

٢- الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية (بروكلمان).

٣- الأخلاق الزكية والعلوم اللدنية (هدية العارفين).

٤- الأخلاق المتبولية والمفادة من الحضرة المحمدية على سيدنا المتبولي. كتبه

نقلاً عن إبراهيم المحمدي، المعلم بالزاوية في بركة الحاج في القاهرة. (بروكلمان) (ط).

٥- آداب الصحبة: رقمه في مكتبة الأسد: ١٤١١٦ ويقع في ٤٦ ورقة.

٦- آداب الفقراء. (بروكلمان).

٧- أدب المريد الصادق مع من يريد الخالق = سبيل المريد. (بروكلمان).

٨- إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين. مقدمة في مراتب الصوفية. (بروكلمان) رقمها في مكتبة الأسد: ١٧٣٢٥.

٩- إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى شروط صحبة الأمراء، جعله في قسمين: الأول في صحبة العلماء مع الأمير، والثاني في صحبته معهم. (كشف الظنون:٦٧)

١٠- الأسئلة. (بروكلمان)، رقمها في مكتبة الأسد ١٥٤١٠ وتقع في ١٣٢ ورقة.

١١- أسرار أركان الإسلام: (ط) تحقيق عبد القادر أحمد عطا.

١٢- أسرار العبادات. وتقع في خمس ورقات، ورقمها في مكتبة الأسد: ١٩٧٥٨.

١٣- الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية. (هدية العارفين) (كشف الظنون ١٩٤) (مطبوع)

١٤- الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية. مطبوع تحقيق: طه سرور ومحمد الشافعي.

١٥- البحر المورود في المواثيق والعهود (العهود الصغرى) وسنفرد له قولاً مبسوطاً.

١٦- البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير. قال الشعراني: فهذه أحاديث غريبة قل أن يطلع على تخريجها عالم من أهل عصرنا، عدها

نحو ٢٣٠٠ حديث، طبع سنة ١٢٧٧هـ-١٨٦١م.

١٧- البروق الخواطف (هدية العارفين).

١٨- بهجة النفوس والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق. (بروكلمان).

١٩- تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا. (بروكلمان).

٢٠- تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء (هدية العارفين).

٢١- التنبه من النوم. (بروكلمان).

٢٢- تنبيه المغترين[١] في القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهرين. قدّم لمعاصريه نموذجاً يحتذى على نحو ما كان عليه الصوفية الأوائل. (بروكلمان). طبع أكثر من طبعة أولها سنة ١٢٧٨هـ-١٨٦١م.

٢٣- التنفير عن المغترين: تحقيق أحمد قوماندار الحسن، طبع في دمشق دار ابن هانئ.

٢٤- الجواهر والدرر الكبرى. جمع أقوال شيخه علي الخواص، وله ثلاث روايات:

(أ) الكبرى جمعها سنة ٩٤٠هـ (ط) يواقيت من كلام سيدي علي الخواص.

(ب) الوسطى: جمعها سنة ٩٤٢هـ. مطبوع، له نسخة خطية في مكتبة الأسد رقمها ٦٢٣٩ ت٣.

(ج) الصغرى: له نسخة خطية في مكتبة الأسد رقمها ١٤٠٨١ وتقع في ١٠٤ ورقات.

قال صاحب كشف الظنون ٦١٨: التمس من الشعراني بعضُ

---

(١) ورد اسم الكتاب في الأعلام للزركلي ومعجم المطبوعات العربية: المفترين، وعند بروكلمان: المغتربين.

الناس أن يذكر لهم ما تلقفه عن شيخه سيدي علي الخواص، مما فاوضه أو سمعه حال مجالسته له مدة عشر سنين، فأجاب، ووسم كل قول منه باسم شيء من الجواهر، إشارة إلى عزة الجواب عنها، ثم اعتذر من الخطأ والتحريف لأن شيخه المذكور كان أميًّا. طبع الجواهر والدرر الكبرى على هامش كتاب الإبريز سنة ١٢٧٦هـ-١٨٥٩م، وكذلك طبع الجواهر والدرر الصغرى في مطابع شاهين سنة ١٢٧٦م.

٢٥- الجوهر المصون في علم كتاب الله المكنون = سر المسير والتزود ليوم الدين. (بروكلمان). ادعى أنه ذكر فيه من علوم القرآن نحو ثلاثة آلاف علم، ألفه فرقاً بين علامات المحققين والمتشبهين. فرغ منه سنة ٩٣٢هـ. (كشف الظنون).

٢٦- الجوهر المصون (المكنون) والسر المرقوم فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم. (بروكلمان).

٢٧- حزب الشعراني، ويقع في أربع ورقات، وهو في مكتبة الأسد برقم: ١١٨٣٢.

٢٨- حقوق إخوة الإسلام بتناول واجبات المسلمين تجاه بعضهم البعض. (بروكلمان).

٢٩- خاتمة في جملة صالحة من البلايا. وانظر مستأنساً بكتاب: تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا. (بروكلمان).

٣٠- الدر المنظوم في زهد العلوم. (بروكلمان).

٣١- درر الغواص على فتاوى (مناقب) سيدي علي الخواص. جمعها من أقوال شيخه سنة ٩٥٥هـ. طبع سنة ١٢٧٧.

٣٢- الدرر المنثورة في بيان العلوم المشهورة. وهي موسوعة صغيرة في تفسير

القرآن والقراءات القرآنية، والفقه، وأصول الفقه، وأصول الدين، والنحو، والبلاغة، والتصوف. (بروكلمان) طبع عدَّة طبعات أولها في بطرسبرغ سنة ١٩١٤هـ.

٣٣- الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع (بروكلمان).

٣٤- ديوان شعر. (بروكلمان).

٣٥- ردع الفقرا عن دعوى الولاية الكبرى. (بروكلمان).

- رسالة الفتح في تأويل ما صدر عن الكُمَّل من الشطح = الفتح في تأويل.

٣٦- رسالة في اثني عشر إماماً شيعياً. (بروكلمان).

٣٧- رسالة في أهل العقائد الزائغة. وأمور تنفع من يريد الخوض في علم الكلام. (بروكلمان).

- رسالة في بيان جماعة سموا أنفسهم بالصوفية = موازين القاصرين.

٣٨- رسالة في التسليك. (بروكلمان).

٣٩- رسالة في التصوف. وتقع في ورقتين، رقمها في مكتبة الأسد ٥١٠٣ ت٩.

٤٠- رسالة في التوحيد: وتقع في ٣ ورقات، رقمها في مكتبة الأسد ١٦٧٥٨.

٤١- رسالة في القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية. أتمها سنة ٩٦١هـ. (بروكلمان).

٤٢- رسالة المريد الصادق مع مريد[1] الخالق. (بروكلمان).

- سبيل المريد الصادق مع من يريد الخالق = أدب المريد.

٤٣- السر المرقوم فيما اختص به أهل الله من العلوم. (هدية العارفين).

---

(١) وردت عند بروكلمان: مع فريد. ولعل الصواب ما أثبتناه، وانظر ما بعدها: سبيل المريد الصادق مع من يريد الخالق.

- سر المسير والتزود ليوم المصير = الجوهر المصون.
٤٤- السراج المنير في غرائب أحاديث البشير النذير (هدية العارفين).
٤٥- سواطع الأنوار القدسية فيما صدَّرت به الفتوحات المكية. تفسير للآيات القرآنية الواردة في هذا الكتاب اعتماداً على رؤيا في سنة ٩٣٧هـ. (بروكلمان).
٤٦- شرح جمع الجوامع للسبكي. في الفروع (هدية العارفين).
٤٧- شرح دائرة أبي الحسن الشاذلي. (بروكلمان).
٤٨- شرح ورد الأقطاب. ويقع في تسع ورقات، ورقمه في مكتبة الأسد ١٤١٣٣.
٤٩- الطبقات الصغرى. طبع سنة ١٩٩٠، تحقيق:عبد القادر عطا.
- الطبقات الكبرى = لواقح (لوامع) الأنوار في طبقات.
- الطبقات الوسطى = لواقح الأنوار القدسية.
٥٠- الطراز الأبهج على خطبة المنهج. ويقع في ١٦ ورقة. رقمه في مكتبة الأسد ١٠٢١٥.
٥١- طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى والعباد (هدية العارفين).
٥٢- العقيدة الشعرانية. وتقع في ثلاث ورقات. رقمها في مكتبة الأسد برقم ١٦٧٥٨.
٥٣- فتاوى الشعراني. كشف الظنون ١٢٢٤.
- الفتح في تأويل ما صدر عن الكُمَّل من الشطح = رسالة الفتح، (بروكلمان) (كشف الظنون ١٢٣٣).
٥٤- الفتح المبين في ذكر جملةٍ (شيء) من أسرار الدين. يتناول أركان الإسلام الخمسة. (بروكلمان).
٥٥- فتح الوهاب في فضائل الآل والأصحاب. أثبت فيه الخلافة للخلفاء الأربعة،

وذكر في أوله مقدمةً جامعةً لبيان الطريقة النافعة، وختم بذكر بعض فضائل أهل البيت تاركاً في الكل التعصب الباطل. (كشف الظنون ١٢٣٦).

٥٦- فرائد القلائد في بيان عقائد الأكابر (في علم العقائد). (بروكلمان).

٥٧- قنية الأغنياء على قطرة من بحر علوم الأولياء. (كشف الظنون ١٣٥٦).

٥٨- القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية: أجاب فيها عن الأسئلة الواردة عن الملحدين في الكلام على طريقة أهل التصوف، وأتمها سنة ٩٦١هـ. قال السيوطي في أول الأشباه والنظائر: وهو أول من فتح هذا الباب (أي جمع القواعد). كشف الظنون ١٣٦٠.

٥٩- القول المبين في بيان آداب الطالبين. (هدية العارفين).

٦٠- القول المبين في الرد عن محيي الدين. (بروكلمان).

٦١- الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر. أتمه سنة ٩٤٢هـ. (بروكلمان) طبع سنة ١٢٧٧-١٨٦٠[1].

٦٢- كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان: استفسارات فلسفية دينية عن الجان. (بروكلمان): له نسختان خطيتان في مكتبة الأسد رقمها: ١٧٤٠٤ و١٨٧٥٦.

٦٣- كشف الغمة عن جمع الأمة. (بروكلمان). ذكر أنه جمعه من كتب الحفاظ المعتمدة؛ كالكتب الستة ومعاجم الطبراني، ومجاميع السيوطي، مرتباً على أبواب الفقه، ولم يعزُ فيه الأحاديث إلى مخرجيها، ولا يذكر فيه إلاّ

---

(١) اختصر الشعراني الفتوحات المكية وسماه: لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية. فرغ منه سنة ٩٦٠هـ. ثم لخص تلخيصه هذا وسماه: الكبريت الأحمر من علوم الشيخ الأكبر: ذكر فيه أن جماعة من مشايخ عصره بمصر سألوه اختصاره. بمعنى أنه حذف لهم منه كل ما لا تعم (تمس) الحاجة إليه من المسائل، لا بمعنى تقليل اللفظ وتكثير المعنى. ولم يخرج عن ترتيب الشيخ محيي الدين على ٥٦٠ باباً.

محل الاستدلال. قال في آخره: اجتهدت في تحريره، وراعيت فيه أدلة المذاهب الأربعة وغيرهم. بيضه سنة ٩٣٦هـ. طبع أكثر من مرة. (كشف الظنون ١٤٩٢).

٦٤- الكشف والتبيين (بروكلمان).

٦٥- لباب الإعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب. (بروكلمان).

٦٦- لطائف المنن والأخلاق في بيان وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق. ترجمة ذاتية للمؤلف. (بروكلمان). ألفه في مناقب نفسه، وأورد فيه من أخلاق أشياخه الثلاثة: الشيخ إبراهيم المتبولي، وتلميذه علي الخواص، والشيخ أحمد الأفضلي أخي الشعراني. وفصّل الأخلاق والنعم تفصيلاً. له أكثر من طبعة، أولها سنة ١٢٨٨هـ-١٨٧١م. (كشف الظنون ١٥٥٥).

٦٧- لواقح (لوامع) الأنوار في طبقات السادات الأخيار = الطبقات الكبرى. أتمه بالقاهرة سنة ٩٥٢هـ (بروكلمان) له أكثر من عشر طبعات، ذكر فيه ٤٢٢ ولياً. (كشف الظنون ١٥٦٧).

٦٨- لواقح الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية: مختصر من الفتوحات المكية انظر حاشية كتاب «الكبريت الأحمر».

- لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية = مشارق الأنوار.

٦٩- لواقح الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية = الطبقات الوسطى. ألفه سنة ٩٦٦هـ. (بروكلمان).

٧٠- المآثر والمفاخر في علماء القرن العاشر (هدية العارفين).

٧١- المختار من الأنوار في صحبة الأخيار. طبع في القاهرة ١٩٧٣. الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. تحقيق عبد الرحمن عميرة — طلعت غنام..

٧٢- مختصر الألفية لابن مالك في النحو (هدية العارفين).

٧٣- مختصر تذكرة السويدي. وطبع أكثر من ثماني طبعات، أولها سنة

١٢٧٥هـ - ١٨٥٨م.

٧٤- مختصر تذكرة القرطبي (ط). جمع مؤلفه كل ما يتعلق بذكر الموت والحشر والجنة والنار والفتن، انظر كشف الظنون ٣٩٠. له عدّة طبعات أولها سنة ١٣٠٠هـ-١٨٨٢. وطبع سنة ١٣٤٩هـ-١٩٣٠م تحت عنوان مختصر التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة.

٧٥- مختصر الخصائص النبوية للإمام السيوطي. (كشف الظنون ٧٠٥).

٧٦- مختصر السنن الكبير والصغير للبيهقي. (كشف الظنون ١٠٠٧).

٧٧- مختصر القواعد في الفروع للزركشي (كشف الظنون ١٣٥٩).

٧٨- مختصر المدونة في الفروع المالكية. (هدية العارفين).

٧٩- مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين، في سلوك الصوفية. (بروكلمان) طبع في مصر طبعة حجرية دون تاريخ.

٨٠- المرويات: جملة من مروياته عن الشيخ جلال الدين السيوطي، ذكره في نهاية كتابه «البحر المورود» صفحة ٣٧٦ طبعة المطبعة الميمنية.

٨١- مشارق الأنوار القدسية في بيان العقود (العهود) المحمدية = لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية: يوجّه نظر المقبلين على الدنيا إلى أنهم أهملوا القيام بالواجبات الدينية، ويعطيهم الفرصةَ كي يعملوا على السمو بذواتهم. (بروكلمان). كشف الظنون ١٦٨٧: ضمن فيه جميع العهود التي بلغت إليه عن رسول الله ﷺ من فعل المأمورات وترك المنهيات، ورتبه ترتيب أبواب العبادات، وفرغ منه سنة ٩٥٨هـ. طبع عدّة طبعات أولها سنة ١٣٢١.

٨٢- مفتاح السر القدسي في تفسير آية الكرسي. (بروكلمان).

٨٣- مقاصد العارفين = منهاج العابدين. (بروكلمان).

٨٤- مقتحم الأكباد في مواد الاجتهاد. (هدية العارفين).

- المقدمة الشعرانية = المقدمة النحوية.

٨٥- مقدمة في ذم الرأي. تقع في ١٨ ورقة، رقمها في مكتبة الأسد ٧٦٦٤ت.

٨٦- المقدمة النحوية في علم العربية = المقدمة الشعرانية. (بروكلمان).

٨٧- الملتقطات من حاشية ابن أبي شريف على شرح جمع الجوامع للسبكي. تقع في ٢٥ ورقة، رقمها في مكتبة الأسد ٧٦٦٤ت١.

٨٨- المنح السنية على الوصية المتبولية. (بروكلمان). وهي شرح على وصية العارف بالله المتبولي طبعت طبعة حجرية سنة ١٢٧٦هـ.

٨٩- منح المنة في التلبس (التمسك) بالسنة. (بروكلمان). فقه شافعي، طبع في مصر أولاً سنة ١٢٧٩هـ.

٩٠- منع الموانع. (هدية العارفين).

- المنن الكبرى = لطائف المنن.

- منهاج العابدين = مقاصد العارفين.

٩١- منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب المدعين للطريق. (هدية العارفين).

٩٢- المنهج المبين في أخلاق العارفين (هدية العارفين). (بروكلمان).

٩٣- المنهج المبين في بيان أدلة أئمة المجتهدين. (هدية العارفين).

٩٤- الموازين الدرية (الذهبية) المبينة لعقائد الفرق العلية. يجمع أقوال مشاهير الصوفية. (بروكلمان).

٩٥- موازين القاصرين من الرجال. أحد مؤلفاته الأخيرة في الرد على أدعياء الصوفية. طبع في مطابع شرف ١٢٩٧هـ بعنوان: رسالة في بيان جماعة سموا أنفسهم بالصوفية. (بروكلمان).

- الميزان الخضرية = الميزان الشعرانية المدخلة.

٩٦- الميزان الشعرانية الكبرى (مطبوع). (بروكلمان).

٩٧- الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم في الشريعة المحمدية أو الخضرية = الميزان الصغرى. فيه توحيد لطرق الأئمة

الأربعة اعتماداً على طريقة شيخه الصوفي الخضر الذي ظهر له في رؤيا سنة ٩٣٣ه. طبع عدة طبعات أولها سنة ١٢٧٥ه-١٨٥٨م.

- الميزان الصغرى = الميزان الشعرانية المدخلة.

٩٨- ميزان القاصرين. رسالة في حال بعض المتصوفة ممن يدعي الولاية. (بروكلمان).

٩٩- النور الفارق بين المريد الصادق وغير الصادق. (هدية العارفين).

١٠٠- هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين. (هدية العارفين)، (بروكلمان).

١٠١- ورد الأقطاب والمكملين من أصحاب الدوائر الكبرى. تقع في أربع ورقات، رقمها في مكتبة الأسد ١٧٣٥٧.

١٠٢- ورد الرسول ﷺ. يتناول سبعةَ أوراد قصيرة لأيام الأسبوع، مع شرحٍ مفصل. (بروكلمان).

١٠٣- وصايا العارفين. (بروكلمان).

- يواقيت من كلام سيدي علي الخواص = الجواهر والدرر.

١٠٤- اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر. في العقائد الصوفية. أتمّه سنة ٩٥٥ه. (بروكلمان)، حاول فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر. لم يسبقه إليه أحد. طبع عدة طبعات أولها سنة ١٢٧٧ه-١٨٦٠م.

البحر المورود في المواثيق والعهود:

كثيرة هي الكتب التي ألفها الشعراني؛ لكن كتابه «البحر المورود» كان منارة متلألئة من بين عشرات كتبه؛ بل أجزم أنه أحد الكتب التي تعتز بها مكتبتنا العربية ليس في القرن العاشر فحسب بل هو نبراس شامخ في طريق حضارتنا الفكرية، فلما تجد في مكتبتنا كتاباً يدعو إلى الإصلاح الفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، كتاباً ترك أثراً على تفكير أمتنا بكل مناحي الحياة.

لقد أثير حوله الكثير، وسلخ الشعراني من عمره ثلاث سنين لرد الإفك الذي

دار حوله، ودرء الطعن الذي سرى إليه من خلاله، لم يحظ كتاب من مؤلفات الشعراني بمثل ما حظي كتابنا هذا، فقد دُسَّ عليه فيه ما يخرجه عن الملة، ويبيح دمه، و لم يرض عنه المتصوفة، وقدح به الفقهاء، وسبب ذلك أمران:

١- شخصية الشعراني العلمية والفقهية والصوفية، وتفرُّدها بالسؤدد والمنزلة، وما حظي به من محبة وقربٍ لدى العامة والخاصة، فكان لزاماً عليه أن ينال ما يناله المبدعون المتفردون، فلا مدعو التصوف رضوا عنه، ولا الفقهاء أقرُّوا له.

٢- موضوع الكتاب: لقد خصص الشعراني الفصول الطوال في كتبه للحملة على الفقهاء الجامدين، بل خصص كتباً كاملة لهذا الغرض، مركزاً حملته الكبرى على الجانب الأخلاقي الإيماني الذي فقد في الأزهر؛ لكنَّ الأَسَدَّ إصابةً، والأكثر تفنناً وإيلاماً، والأقرب للعامة لغةً وبياناً كان «البحر المورود».

يقول المستشرق فولرز في دائرة معارف الدين والأخلاق: إن الشعراني في كتابه «البحر المورود» كان جريئاً في مهاجمة الفقهاء والتنديد بطمعهم وزهوهم، والتشهير بجشعهم وتهافتهم على الوظائف.

ويقول نيكلسون: إن الشعراني كان لسعة علمه بالدين يحارب الفقهاء بسلاحهم، ولذلك نجح في حملته التي تركت أكبر الآثار.

كتب الشعراني الكتاب أكثر من مرة، الكتاب طبع أولاً بمصر سنة ١٣٠٨ في المطبعة الميمنية. على هامش كتاب «لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية»، وظن الطابع أن هذه هي النسخة المعتمدة الوحيدة، فقال في صفحة العنوان: لداعي ما دسَّ بعضُ الحسدة على المؤلف في كتابه «البحر المورود» من الأمور المخالفة للشريعة التزم بتغييره إلى وضع آخر، فتعددت لذلك نسخه، ولا توجد واحدة تُوافق الأخرى، وعند الشروع في الطبع وجدت نسخة مقابلةً على خطِّ المؤلف بنسخته التي اعتمدها أخيراً، فجرى الطبع عليها، فليكن ذلك معلوماً.

وغاب عنه ما قاله المؤلف نفسه في آخر طبعته هذه صفحة ٣٨٩: إنني بيضت

هذا الكتاب، وقدّمت بعض العهود وأخرت بعضها لمناسبة، فمن شاء فليكتب له نسخة من هذه، ومن شاء فليكتب من تلك، فإن كلاً منهما كتب عليه العلماء وأجازوه، والحمد لله رب العالمين. وكتبه عبد الوهاب بن أحمد عفا الله عنه مصلياً مسلماً.

فالكتاب قد كتبه الشعراني أكثر من مرة، وأجازه العلماء الأربعة أكثر من مرة أيضاً.

في الطبعة الميمنية نص الشعراني أنه ألفه وكتبه في ثاني شوال سنة ٩٤١هـ. ونسختنا هذه لم يذكر الشعراني تاريخ فراغه منها، لكنه ذكر فيها أحداثاً جرت له مع شيخه سنة ٩٤١ كما في العهدين (١٠٣) وبنهاية العهد (٢٤٣).

ولكن أيتهما الأسبق؟ وأي النسختين التي توفي الشعراني وهو عنها أقرُّ عيناً وأرضى؟

لعلَّ نسختنا التي اعتمدناها في إخراج الكتاب هي الأخيرة، وذلك لأمور:

أ- في كتابه «الجواهر والدرر» الذي انتهى من تأليفه سنة ٩٤٢هـ أشار إلى النسخة الأولى من «البحر المورود» وذلك حسب تاريخ تأليف كلٍّ منهما والتي اعتمدها المطبعة الميمنية وذلك في الصفحة ٦٢.

ب- في النسخة التي اعتمدناها ذكر كتابه «الجواهر والدرر» في العهدين (٨٣) و(٩٥). ولا يعقل إلاّ أن تكون هذه النسخة قد كتبت بعد عام ٩٤٢هـ أي بعد النسخة الأولى التي فرغ منها في شوال سنة ٩٤١هـ. أما ما هو تاريخ الفراغ منها؟ فعلينا الانتظار حتى ظهور دليل يشير إلى هذا.

المخطوطات المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت بعملي في الكتاب على ثلاث نسخ خطية أولها:

(أ) نسخة مجمع اللغة العربية بدمشق ذات الرقم (٦٧) وهي مما وقفة المحدث الأكبر السيد محمد بدر الدين الحسني، ولم يُذكر تاريخ نسخها، ولكن عليها تاريخ تملكها محمد فتح الله بن محمود البيلوني سنة ١٠٠٩ وتقع في ١٥٦ ورقة، في كل صفحة (١٩) سطراً، خطها نسخي مقروء،

نفيسة تامة قليلة التصحيف والتحريف. عليها كان الاعتماد، ورمزت لها بـــ(م)[1].

(ب) نسخة مكتبة الأسد ذات الرقم (١٤٤٨) تقع في (١١٣) ورقة، خطها نسخي مقروء، قد بترت من آخرها إجازات العلماء، فيها خرم ما بين العهدين (٢٤٤) إلى نهاية العهد (٢٤٨) ورمزت لها بحرف (ب).

(ج) نسخة مكتبة الأسد ذات الرقم (١٥١٧) تقع في (١٣٣) ورقة، خطها نسخي مقروء، تامة. ناقصة إجازات العلماء في آخرها، ورمزت لها بحرف (أ).

(د) وقد استأنست بنسخة الكتاب المطبوعة في المطبعة الميمنية سنة ١٣٠٨ بعض الاستئناس، وذلك للبعد ما بين النسختين حتى كادت تغدو كلٌّ من النسختين كتاباً قائماً بذاته، وأُثبتُ أمرين تدليلاً لقولي:

١- عدد العهود في النسخة الميمنية ما يقرب من (٣٧٥) عهداً. بينما عدد عهود نسختنا (٢٥١) عهداً.

٢- انظر قول الشعراني في العهد (٦١) من الطبعة الميمنية صفحة ٨٩ والذي يقول فيه: أخذ علينا العهود أن لا ننام كلَّ ليلةٍ ولا نصبح حتَّى نُساعدَ أصحاب النوبة في حفظِ إدراكهم في سائر أقطار الأرض، وذلك أن نمرَّ ببصرنا القلبي على جميع أقاليم الدنيا العامرة، والبحار المحيطة، ونحن نذكرُ اسمَ الله الأعظم حتى نفرغ. وصورة رؤيتنا صورة الناظر في مرآة جميع ما قابلها من بلاد وبحار وجبال وغيرها، فإنَّ الرائي ينظرُ جميع ما قابلها مُرتسماً فيها، وقد أوضحنا ذلك في رسالة الآداب.`اهـ.

وقارنه بالعهد رقم (٨٦) من نسختنا هذه تجد مصداق ما قلنا. ولو رحنا نعدد الفروق لخرجنا بكتاب ثالث.

---

(١) تفضل الأخ الأستاذ عدنان ريحاوي أبو سليم بإهدائي صورة هذه المخطوطة.

منهج التحقيق:

اتبعت في تحقيق هذا الكتاب خطا أهل التحقيق ما استطعت من تخريج الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة، وبعض الأقوال والأشعار، والتعريف بالأعلام والأماكن والكتب ما وجدت إلى هذا سبيلاً.

وقد صنعت للكتاب فهارس فنية اعتمدت فيها على رقم العهد لا الصفحة.

ولكن العقبة الكؤود كانت في لغة الشعراني العامية التي أشرت إليها قبل صفحات، فقد عدت إلى المعاجم العامية المصرية وأخص «معجم تيمور الكبير»، و«تكملة المعاجم العربية» لدوزي و«معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» لمحمد دهمان. فأسعفتني أحياناً، وخذلتني أكثر. هذا بالنسبة للألفاظ؛ أما التراكيب العامية فقد كانت أكثر تأبِّياً وأبعد منالاً.

ولا يفوتني وأنا أنهي كلامي أن أتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ الصديق **عمَّار البخاري** الذي قام بتنضيد الكتاب وإخراجه صابراً على مراجعاتي للمادة محتسباً إعادة العمل مرات ومرات.

وبعد هذا جنايَ، فإن أصبت فلله الحمد والمنة، وإن كانت الأخرى فلا تشدد على أخيك؛ فقد بذل ما بوسعه، والتمس له عذراً وقل حسبنا الله ونعم الوكيل.

دمشق: محرم ١٤٢٤هـ

آذار ٢٠٠٣م

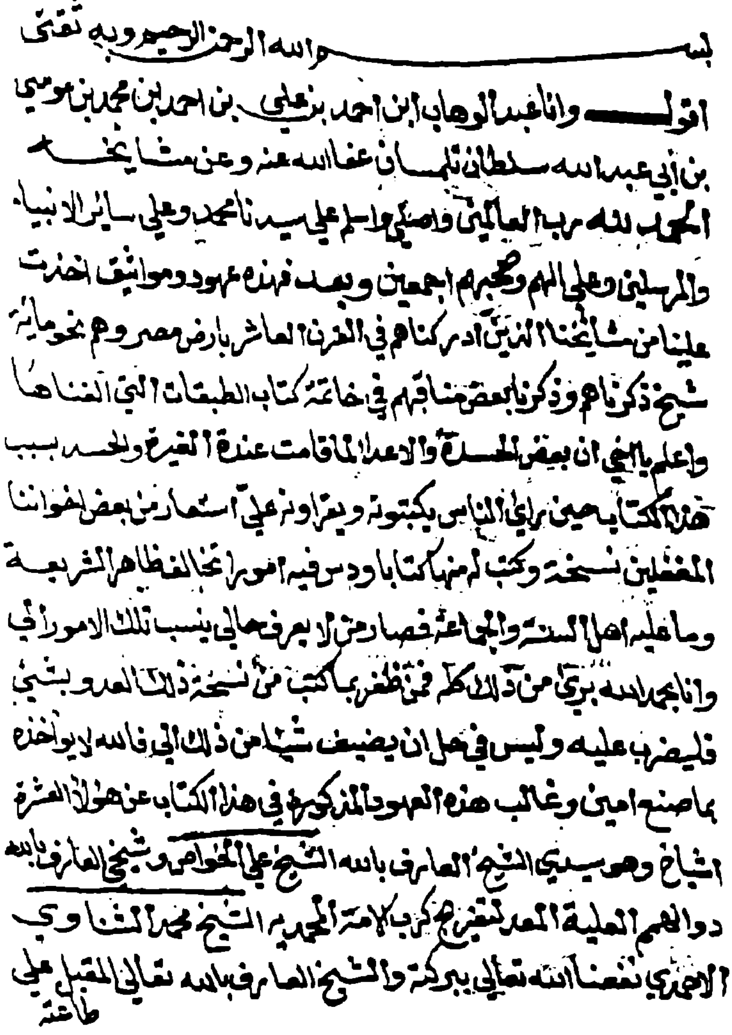
محمد أديب الجادر

بسم

اقول ــــــــــــــــــــ وانا عبد الوهاب
ابن احمد بن علي بن احمد بن محمد بن موسى ابن ابي عبد الله سلطان
تلمسان عفا الله عنه وعن مشايخه الحمد لله رب العالمين واصلي
واسلم علي سيدنا محمد وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعلى آلهم
وصحبهم اجمعين وبعد فهذه عهود ومواثيق اخذت علينا من
مشايخنا الذين ادركناهم في القرن العاشر بارض مصر وهم
نحو مائة شيخ ذكرناهم وذكرنا بعض مناقبهم في خاتمة كتاب الطبقات
التي الفناها واعلم يا اخي ان بعض الحسدة والاعداء لما قام
عنده الغيرة والحسد بسبب هذا الكتاب حين راى الناس يكتبونه
ويقرؤونه على استعار من بعض اخواننا المغفلين نسخة وكتب له منها
كتابا ودس فيه امورا تخالف ظاهر الشريعة وما عليه اهل السنة
والجماعة فصار من لا يعرف حالي ينسب تلك الامور الي وانا
بحمد الله بريء من ذلك كله فمن ظفر مما كتب من نسخة ذلك العدو بشيء
فليضرب عليه وليس في حل ان يضيف شيئا من ذلك الي فالله
لا يؤاخذه آمين وغالب هذه العهود المذكورة في هذا الكتاب
عن هولاء العشرة اشياخ وهم سيدي الشيخ العارف بالله
الشيخ علي الخواص وشيخي العارف بالله ذو الهمم العلية المعد

بلغ مقابلة على نسخة صحيحة

– الصفحة الأولى من نسخة مجمع اللغة العربية (م) –


بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي
أقول وأنا عبد الوهاب ابن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى
بن أبي عبد الله سلطان تلمسان عفا الله عنه وعن مشايخه
الحمد لله رب العالمين وصلى وسلم على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء
والمرسلين وعلى آلهم وصحبهم أجمعين وبعد فهذه عهود ومواثيق أخذت
علينا من مشايخنا الذين أدركناهم في القرن العاشر بأرض مصر وهم نحو مائة
شيخ ذكرناهم وذكرنا بعض مناقبهم في خاتمة كتاب الطبقات التي ألفناها
واعلم يا أخي أن بعض الحسدة والأعداء لما قامت عنده الغيرة والحسد بسبب
هذا الكتاب حين رأى الناس يكتبونه ويقرأونه علي استعار من بعض إخواننا
المغفلين نسخة وكتب له منها كتابا ودس فيه أمورا تخالف ظاهر الشريعة
وما عليه أهل السنة والجماعة فصار من لا يعرف حالي ينسب تلك الأمور إلي
وأنا بحمد الله بريء من ذلك الكلام فمن ظفر بما كتب من نسخة ذلك العدو بشيء
فليضرب عليه وليس في حل أن يضيف شيئا من ذلك إلي فالله لا يؤاخذه
بما صنع آمين وغالب هذه العهود المذكورة في هذا الكتاب عن هؤلاء العشرة
أشياخ وهو سيدي الشيخ العارف بالله الشيخ علي الخواص وشيخي العارف بالله
ذو الهمم العلية المعد لتفريج كرب الأمة المحمدية الشيخ محمد الشناوي
الأحمدي نفعنا الله تعالى ببركته والشيخ العارف بالله تعالى المقبل على
طاعته

- الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الأسد (أ) -

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

يقول ونا عبد الوهاب بن احمد بن محمد بن موسى بن ابي عبد الله سلطان تلمسان
عفى الله عنه وعن مشايخه الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وعلى سائر الانبيا والمرسلين وعلى آلهم وصحبه وسلم اجمعين وبعد فهذه عهود
وثيق تحدث عن مشايخنا الذين ادركناهم في القرن العاشر ما بين مصر وغيرها
ممن لم نذكرهم وذكرنا بعض مناقبهم في خاتمة كتاب الطبقات التي
الفناها واعلم يا اخي ان بعض الحسدة للاعدا لما قام عنده الغيرة والحسد
بسبب هذا الكتاب حين رآه الناس يكتبونه ويقرونه فاستعار من بعض اخواننا
المغفلين نسخة وكتب له منها كتابا ودس فيه امورا تخالف ظاهر الشريعة
وما عليه اهل السنة والجماعة فصار من لا يعرف حالي ينسب تلك الامور الي
والحمد لله بريء من ذلك كله فمن ظفر بما كتب ذلك على نسخة فليضرب
عليه وليس يحل ان يضيف شيا من ذلك الي فانه لا يواخذ بما صح امن
وقال عنه العهود المذكورة في هذا الكتاب عن هاولا العشرة اشياخ
وهم سيدي العارف بالله الشيخ علي الخواص وشيخي العارف بالله ذو
الهمم العليه المعد لتفريج الكروب المحمدية الشيخ محمد الشناوي الاحمدي
نفعنا الله تعالى والشيخ العارف بالله تعالى ابي المفضل على طاعة الله
ليلا ونهارا صيفا وشتا الامام الشيخ محمد بن عنان وشيخ العارف
بالله الشيخ ابراهيم نفعنا الله تعالى به في الدنيا والآخرة المتبولي

– الصفحة الأولى من نسخة مكتبة الأسد (ب) –

البحر المورود

في

المواثيق والعهود

(العهود الصغرى)

تأليف

الإمام أبي المواهب عبد الوهاب الشعراني

المتوفى ٩٧٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أقولُ وأنا عبدُ الوهابِ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ بن أحمد بن محمد بنِ موسى بنِ أبي عبدِ الله سُلطان تلمْسانَ عفا الله عنه، وعن مشايخه:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، وأُصلّي وأسلّم على سيّدنا محمدٍ، وعلى سائر الأنبياءِ والمرسلين، وعلى آلِهم، وصحبهم أجمعين.

وبعد: فهذهِ عهودٌ ومواثيقُ، أُخِذَتْ علينا من مشايَخنا، الذين أدركناهُم في القرنِ العاشرِ بأرضِ مصرَ، وهُم نحو مئةِ شيخٍ، ذكرناهُم، وذكرنا بعضَ مناقبِهم في خاتمةِ كتابِ «الطبقات»[1]؛ التي ألّفناها.

واعلم يا أخي، أنَّ بعضَ الحَسَدَةِ والأعداءِ، لَمّا قام عنده الغيرةُ والحسدُ بسببِ هذا الكتاب، حين رأى الناسَ يكتبونَه ويقرؤنه عليَّ، استعارَ من بعضِ إخواننا المغفّلين نسخةً، وكتَبَ له منها كتاباً، ودسَّ فيه أموراً، تُخالفُ ظاهرَ الشريعة، وما عليه أهلُ السنّة والجماعة، فصارَ من لا يعرفُ حالي، ينسبُ تلكَ الأمورَ إليَّ، وأنا بحمد الله بريءٌ من ذلكَ كلّه، فَمَنْ ظَفرَ ممّا كتبَ من نسخة ذلك العدوِّ بشيءٍ، فليضربْ عليه، وليس في حلٍّ أن يضيْفَ شيئاً من ذلك إليّ، فالله لا يواخذُهُ بما صَنَعَ. آمين.

وغالبُ هذه العهودِ المذكورةِ في هذا الكتابِ عن هؤلاءِ العشرةِ أشياخ وهم:

سيدي الشيخُ العارف بالله، الشيخُ **علي الخوّاص**[2].

---

(١) انظر نهاية كتابه: الطبقات الكبرى، المسمى: لواقح الأنوار في طبقات الأخيار.

(٢) علي الخواص: البُرُلّسي الأميُّ، من أكابر أهل الاختصاص، ومن ذوي الكشف الذي لا يُخطئ، والاطلاع على الخواطر، رباه الشيخ إبراهيم المتبولي، ثم إذن له أن يفتح دكان زيّات، فمكث بها نحو أربعين سنة، ثم ترك وصار يضفر الخوص حتى مات. وكان يُسمى النسابة لكونه أمياً ويعرف أنساب بني آدم وجميع الحيوانات، كان مؤدباً كريماً عفيفاً توفي سنة ٩٣٩، ودفن قرب باب الفتوح في القاهرة. الكواكب الدرية ٣/٤١٧.

وشيخي العارفُ باللهِ، ذو الهِمَمِ العليّة، المعدُّ لتفريجِ كربِ الأمّةِ المحمديّة، الشيخُ **محمدُ الشناويُّ الأحمديُّ**(١)، نفعنا الله تعالى ببركاته.

والشيخُ العارفُ باللهِ تعالى، المقبلُ على طاعتِه ليلاً ونهاراً، صيفاً وشتاءً، لا يملّ، الشيخُ **محمَّدُ بنُ عنان**(٢)، وارثُ مقامِ سيِّدي الشيخِ العارفِ باللهِ تعالى سيّدي إبراهيم المتبولي، في خدامَةِ الحُجْرَةِ النبويّة وغيرها.

والشيخُ الإمامُ، العارفُ باللهِ تعالى، ذو الكرامات الظاهرة، والأحوالِ الخارقة، والكشوفاتِ الصحيحة، سيّدي **عبد القادر الدَّشطوطيُّ**(٣).

والشيخُ الكاملُ، الصالحُ، المُتمكِّنُ في طريقِ الله، الحاجُّ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ ستّين مرَّةً، بإخبارِه لي من لفظه سيِّدي **محمَّدُ المنيّرُ**(٤).

والشيخُ الصالحُ، السُّــنِّيُّ المحمَّديّ، كافلُ اليتامى والمساكين، سيدي **محمّدُ بن داودَ**(٥).

والشيخُ الصالحُ الصامتُ، القائمُ في نفعِ العبادِ، سيِّدي **محمَّدُ العدلُ الطَّناحيُّ**(٦).

---

(١) محمد الشناوي الأحمدي: المحمدي الصوفي المسلك المربي، أخذ عنه الكثير أجلُّهم الشعراني، وعظم قدره، وعلا صيته، وصار لا تردُّ له شفاعة، كان يلقن الشهادة ببلاد الريف الرجال والنساء، كان عفيفاً كريماً ديناً، يفتتح مجلسه بالعشاء، ويختمه مع الفجر، وإذا افتتحه صُبحاً ختمه ضحوة النهار، واقتفى أثره الشعراني، له كرامات. توفي سنة ٩٣٢. الكواكب الدرية ٣/٤٥١.

(٢) محمد بن عنان: المتعبد المتهجد المربي، كان عظيم الديانة مسلكاً، أخذ عنه الشعراني وقال: ما رأيت مثله. كان مشايخ عصره بين يديه كالأطفال. وكان لا يقيم إلا على سطح المسجد صيفاً وشتاءً، وكان خادم الحجرة النبوية في طريق الروحانيات، فلا يدخل أحد على المصطفى ﷺ من الأحياء والأموات إلا بإذنه، مات سنة ٩٢٢ للهجرة عن مئة وعشرين سنة. الكواكب الدرية ٣/٤٣٧.

(٣) عبد القادر الدَّشطوطي: نسبةً إلى قرية من كورة البهنساوية بالصعيد: صاحب الكرمات والخوارق، كان ضريراً، عمَّر عدة جوامع بمصر وقراها، كان حافياً مكشوف الرأس عليه جبة حمراء، وكان لقبه بين الأولياء صاحب مصر، كثير التطور، مات سنة ٩٢٤هـ. الكواكب الدرية ٣/٣٨٥.

(٤) محمد المنير: من أتباع إبراهيم المتبولي كان صالحاً، حجَّ بضعاً وستين حجة، كان سريع العطب لمن يؤذيه، وكان لا يحلق رأسه إلا لنسك، مات سنة ٩٣١هـ. الكواكب الدرية ٣/٤٤٦.

(٥) محمد بن داود المَنْزَلاوي: كان يضرب به المثل في اتباع الكتاب والسنة، وخدمة الفقراء والمنقطعين، كان كريماً سخياً على الفقراء. الطبقات الكبرى للشعراني ٢/١٢٦.

(٦) محمد العدل الطناحي: صحبه الشعراني خمس سنين، كان حسن السمت، وله القبول التام، شيخُه =

والشيخُ الصالحُ، المتواضعُ لأدنى درجاتِ المسلمين كلِّهم، سيِّدي **عبدُ الحليمِ بنُ مصلحٍ**[1].

والشيخُ الصالحُ، الكثيرُ النفعِ لهذه الأمّةِ في مصرَ والحجازِ بالشفاعاتِ، وتفريجِ الكُرَبِ، سيِّدي **أبو بكرٍ الحديديُّ**[2].

والشيخُ الصالحُ العابدُ المُسلِّكُ، ذو العزمِ القويِّ في طريقِ اللهِ تعالى، سيِّدي **محمَّدُ السرويُّ**[3]، أعاد اللهُ علينا وعلى المسلمين من بركاتِهم وبركاتِ علومِهم في الدنيا والآخرة.

وهاأنا ذاكرٌ للإخوانِ الصّادقين جملةً صالحةً، يمكنُ لأحدهم التخلُّقُ بها أو ببعضِها، إذا انقادَ لشيخه، وسلَّمَ له، وفني في مرادِه في مراده، بحيثُ لو قال له: ارمِ نفسك في البئرِ، أو اخرجْ عن جميعِ مالِكَ، لفعلَ ذلكَ بسهولةٍ من غير توقّفٍ. وفي المثلِ السائرِ، لا تَقْصُرْ قِصارَةَ هَوَى[4]، وتتّكلَ على الشَّمْسِ.

ثم أختم «العهودَ» إن شاء اللهُ تعالى[5] بخاتمةٍ خاصَّةٍ بعهودِ أهل حضرةِ اللهِ عزَّ

= محمد بن عنان، وسبب تسميته العدل أن أحدهم رأى رسول الله ﷺ بالمنام، فقال له ﷺ: قل لمحمد العدل الطناحي يتبع سنتي، وينفع الناس، فاشتهر بالعدل. الطبقات الكبرى للشعراني ١٢٦/٢.

(١) عبد الحليم بن مصلح المنْزَلاوي: العبد الصالح الورع الزاهد الكريم، كان يؤدب الأطفال، ولا يأخذ على ذلك أجراً، كان يقصد للزيارة والتبرك، بني عدة جوامع بالمنْزلة، مات سنة نيف وثلاثين وتسع مئة. الكواكب الدرية ٣٨٩/٣.

(٢) أبو بكر الحديدي: - نسبة إلى منية حديد بالبحر الصغير - كان من أكرم الناس، وكان يحمل لأهل مكة الدراهم والخام، وما يحتاجون إليه، وهو الذي أشار على الشعراني بلبس الصوف الأحمر والأسود، كان مصاب بعسر البول، فكان يصيح كلما بال، كان متمسكاً بالكتاب والسنة، عاملاً بهما، وكان الغالب عليه البسط والانشراح، توفي بالمدينة المنورة، ودفن بالبقيع سنة ٩٢٥هـ. الطبقات الكبرى للشعراني ١٣١/٢، البحر المورود الطبعة الميمنية صفحة ٣٦٧.

(٣) محمد السروي: المشهور بابن أبي الحمائل، عارف كامل، زاهد، كان طوداً عظيماً في الولاية، أخذ عنه خلق كثير، كان عالي الهمة، كثير الطيران من بلد إلى بلد، له كرامات وأحوال، لقن الشعراني الذكر وهو طفل، مات بمصر سنة ٩٣٢هـ. الكواكب الدرية ٤٤٣/٣.

(٤) أي: لا تغسل غسالة رديئة.

(٥) انظر: العهد (٢٤٤).

وجلّ، ممّا لا يمكن لأحدِ التخلّق بها، إلاّ إن حُقَّ لهُ قدمُ الولايةِ المحمديَّة، وصارَ من أعيانِ تلكَ الحضرة، فمَن أرادَ التخلّقَ بها، فليخدُمْ نعالَ الأولياء الموجودين في عصره، حتّى يفطموهُ عن محبَّة الدنيا وأدناسها، ويتساوى عندَهُ الذهبُ والزِّبلُ على حَدٍّ سواء، ويصيرَ إذا مرَّ على أتلالِ الذَّهَب والفضةِ من غيرِ مزاحمٍ لا يُطأطئ لأخذ دينارٍ أو نصف، وإذا دخلت الحمارةُ دارَهُ ليلاً وهي محملةٌ ذهباً، أخرجها، وأغلقَ بابَهُ.

فإذا وصلَ إلى هذا الحَدِّ فهناك يمكنُ أن يشمَّ من صفاتِ أهلِ الحضرةِ رائحةً، فإذا دام ترقّيه حتَّى أوقفَهُ شيخُهُ على بابٍ من أبوابِ الحضرةِ الإلهية، ونظرَ إلى صفاتِ أهلها الأعيانِ وغيرهم، من خلال البابِ، فذاك أوّلُ عزمِهِ على التخلّقِ بصفاتهم العالية.

وإذا قوي العزمُ أُذنَ له في الدخولِ، فإذا دخل، فأوَّلُ قدمٍ يضعه، يشهدُ ذلك الجمالَ البديعَ، الذي ليس فوقه لذّةٌ ولا نعيمٌ، فإذا شَهِدَهُ زهِدَ في نعيم الجنَّة وما فيها، فإذا زهدَ في ذلك، قيل له: ها أنت وربُّك ما بقي لك عنه عائقٌ.

وهناك يتخلّقُ بأخلاقِ أهل الحضرة بالخاصِّيةِ من غير تعبٍ، إنَّما هي خلعٌ تتداول أبدَ الآبدين، ودهرَ الدَّاهرين، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه.

فعُلمَ أنَّ أحداً لا يتركُ قطُّ شيئاً نفيساً، إلا إذا رأى أنفس منه، والحقُّ تعالى محطُّ رحالَ الخلق أجمعين.

وهم في القُربِ منه على قدرِ امتثالهم الأوامرَ كثرةً وقلّةً، وكثرةِ محبَّتهم له، وإقبالهم عليه.

وأولُ شروعِ العبدِ في درجاتِ القُربِ زهدُهُ في الدُّنيا، فإذا زهدَ فيها تخلَّص من محبَّة غيرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، ولم يبقَ في قلبِهِ محبَّةٌ لغيرِ مَنْ أمرَهُ الله تعالى بمحبَّتِه من الأنبياء والأولياء وصالح المؤمنين.

ولا يخفى أنَّ مجموعَ أهلِ الحضرةِ الإلهيّة، ملائكةً، وأنبياءً، وأولياءً لا غير، وليس من صفاتِ أحدهم محبَّةُ الدنيا، بإجماع أهل المللِ كلّها، ومن هنا قال عيسى عليه الصلاةُ والسلامُ: حبُّ الدُّنيا رأسُ كلِّ خطيئةٍ[1]. فعمَّ ﷺ بقوله (كلّ) ولم يخرجْ عن من يحبُّها كلَّ المحبَّةِ خطيئةً واحدةً، فافهم.

---

(١) قال العجلوني في كشف الخفا ٤١٢/١ (١٠٩٩): رواه البيهقي في الشعب بإسناد حسن إلى الحسن البصري رفعه مرسلاً، والديلمي في الفردوس، وتبعه ولده بلا سند عن علي رفعه، وقال ابن الغرس: الحديث ضعيف، رواه البيهقي أيضاً في الزهد، وأبو نعيم من قول عيسى بن مريم.

ومَن هو متلطّخٌ بجميع معاصي الوجودِ وقاذوراته، لا يُمَكَّنُ من الدخولِ إلى حضرةِ الله عزَّ وجلَّ، ولو عَبَدَ اللهَ إلى قيام الساعة.

فعلم أنَّ من لم يزهدْ في الدُّنيا، لم يصحَّ له شروعٌ في درجاتِ القربِ، ولا قَدْرِ ذرَّةٍ، وإنَّما رقمنا هذه «العهودَ» في الطُّروسِ، ولم نكتفِ بأن نأخذَها على أصحابنا، كما أخذَها علينا أشياخُنا، رجاءً لدوامِ النفعِ بها بعدَ موتِنا؛ فإنَّ كتابَ الإنسانِ كالنَّائبِ عنه في نُصحِ إخوانه وغيرِهم بعد موته، مادام الكتابُ باقياً.

وإنَّما ذكرتُ في بعضِ هذه العهود محكَّ الوصولِ إلى التخلُّقِ بذلك العهد، نُصحاً للإخوانِ خوفاً أن يدَّعي أحدُهم التخلُّقَ به بالوهمِ، واللهُ في عونِ العبد ما كان العبدُ في عونِ أخيه.

وسمَّيتُه بـ «**البحر الموردود في المواثيق والعهود**» تفاؤلاً بأن يكونَ مورداً للإخوانِ إن شاء اللهُ تعالى، فإنَّه طريقٌ غريبةٌ، كثيرةُ الوعرِ، إلا على من شاء الله تعالى، كما ستراه، واللهَ أسألُ أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وطريقاً لأصحابنا إلى الصِّراطِ المستقيم، ولا يجعله حجَّةً علينا ولا على أحدٍ من إخوانِنا. آمين، آمين، آمين.

إذا علمتَ ذلك فأقولُ وباللهِ التوفيق:

(١) **أُخِذَ علينا العهودُ** ونرجو من فضله الوفاءَ، **أن نرى أنفسنا دونَ كلِّ جليسٍ** على وجهِ الأرضِ، ولو من بعضِ الصفاتِ دون بعضٍ، فننظرُ إلى المحاسنِ، ونعمى عن المساوئ، وإن منَّ اللهُ علينا أكثر من ذلك، نزلنا بنفوسنا إلى محلِّ نفوسِ العارفين، تحت الأرضين السفليّاتِ، التي ما بعدها رتبةٌ في السفل، ومَنْ تحقَّقَ بهذا العهد صار الوجودُ كلُّه في مرتبةِ الشيخ له، واستمدَّ من كلِّ شيءٍ، من ناطقٍ وصامت، فلا تحصى أشياخُه، إذ ما من شيءٍ في الوجودِ إلاّ وقد جعلَ الحقُّ فيه خصيصةً لم تكن في غيرِه من سائرِ الوجودِ، فينظر صاحبُ هذا المقامِ إلى تلك الخصيصة، ويتخلّقُ بها:

فيأخذُ من جليسِه العاصي مثلاً الذلَّ والصبرَ تحت بلاءِ الله عزَّ وجلَّ، حتَّى يزول البلاءُ، ويراه أقوى منه في مرتبةِ الصبرِ.

ويأخذُ من الكلبِ إذا جالسَهُ احتمالَ الجفاءِ، وعدمَ الادِّخارِ لشيءٍ من متاعِ الدنيا، سوى ملءِ بطنِه، ويأخذُ منه كثرةَ رضاه عن ربِّه، في أكلِ الرِّمَمِ، والشرب من

الخرَّاراتِ[1]، وهو مُنشرحُ الصدرِ، ويأخذُ منه حفظَ الودِّ لمن أحسنَ إليه، وعدم الجفاءِ له إذا جفاه، وغير ذلك.

ويأخذ من الحجرِ والخشبِ الصَّبرَ على قطعه من الجبلِ بالحديد، ونحت أضلاعه، ثم جعله في أسفلِ جدارِ خرَّاراتِ الأخليةِ، وأنفُهُ في البولِ والغائطِ والقذرِ ليلاً ونهاراً، لا يتقلَّقُ، ولا يطلبُ من أحدٍ أن يُخرجَه من ذلك.

ويأخذُ من الحمارِ والجملِ صبرَهُ على تحميله الأثقالَ، وركوبِ صاحبها فوقَه، يضربُهُ بالسوطِ والمقامعِ، وينخسُه بالحديد حتَّى يصيرَ دمُه جارياً ليلاً ونهاراً، ولا يتركه يبرأُ، ثم إذا عجزَ وعييَ يصيرُ يضربونه أشدَّ الضربِ، فإذا عجزوا عن أن يقوم ذبحوهُ وقطَّعوه بالسواطيرِ، ونحتوا لحمه من على عظمه، ثم أطلقوا في العظمِ النارَ بعد ذلك النفعِ الذي نفعه لهم، وهو يشاهدُ ذلك كلَّه لا يتكلمُ، ولا يتظلَّم، ولا يشكو قطٌّ من فعلَ معه ذلك.

ويأخذ من الدِّيكِ إذا جالسه كثرةَ استيقاظ قلبه، وغيرَته على عيالِه، وعدمَ شحِّ النفسِ عليهم، ولو لم يكنْ عندهُ إلاّ حبَّةٌ واحدةٌ، أتى بها، وطرحها بينهم.

ويأخذ من الشمعة والفتيلةِ كثرةَ تَنْويرها على من جالسها، وصبرَها على عذاب نفسها بالنار، لنفعِ جليسها، وهكذا يفعل بجميع ما في الوجود.

ومن فتح باباً، فُتحتْ له أبوابٌ، وانحدرَ إليه المددُ من كلِّ جليسٍ، وصار الوجودُ كلُّه يمدُّه، لأنَّ المددَ كالماءِ لا يجري إلاّ في السفليّاتِ، لأنَّ الأعلى لا يصعدُ إليه مددٌ، والمساوي ماؤهُ واقفٌ، لا يجري، فافهم.

ومن رأى نفسَه مُساوياً لجليسه، أو أعلى منه، حُرِمَ مَدَدَ الوجودِ كلِّه، وصارت منْزِلَتُهُ في الجنَّة دون الخلقِ أجمعين.

ومن رأى نفسَه دون كلِّ جليسٍ، كان فوق الخلقِ أجمعين. وليست هذه المرتبةُ بالأصالةِ إلاّ لسيد المُرسلين محمّدٍ عليه أفضلُ الصلاةِ والسلامِ، ثمَّ هي لكلِّ وارثٍ له من الأنبياء والأولياء، فإن اختلفوا في جمالِ المراتبِ وصفائها عُلواً وانخفاضاً، فمن رأى نفسه دونَ كلِّ جليسٍ، كان رفيقاً لرسولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) الخرارة: أماكن قضاء الحاجات، الكثيرة المياه.

وأمّا غيرُ رسولِ الله ﷺ، وغيرُ ورثته في المقامِ فعلوُّ درجاتِهم على عددِ من رأى نفسَه دونهم في نصف الوجود، أو ربعِه، أو خُمسِه، أو سدسِه، أو سبعِه، أو ثمنِه، أو تسعِه، أو عُشرِه، أو نصف عُشرِه، أو ربعِه، أو خُمسِه وهكذا، فافهم.

فليس مقام فوق المحمَّديِّ مقامٌ، والسلام.

ومن فوائد التحقُّقِ لهذا العهد عدمُ ردِّ الجواب المُؤذي لمن كلَّمنا بكلامٍ يغيظُ، ويحرِّكُ النفسِ، وتأمَّل إذا نهرَ السيّدُ عبدَهُ، كيف لا يردُّ على سيِّده ويحتمله، وذلك لأنَّ سيادتَهُ مشهودةٌ له، فما تَرَكَ الإنسان لا يحتملُ الكلامَ الواقفَ إلاّ رؤيَتُهُ[1] السيَّادةَ لنفسه على أخيه، والمساواةَ له، فافهم.

ومن فوائد التحقُّقِ لهذا العهد أيضاً، التسليمُ للخلقِ في سائر ما يدَّعونه من مراتبِ الكمالِ والعرفان ما لم يدَّعوا باطلاً في الشرعِ، كالرِّسالة أو النبوةِ، فإنَّ من رأى نفسَه دون جليسه حكمَ على نفسه بعدم الذوقِ لمقامه، فسلَّم له ضرورةً؛ لأنَّ الأسفلَ لا يعرفُ رتبةَ من هو فوقَهُ إلاّ بالسماعِ فقط، ومعلوماتُ الله تعالى لا تنحصر، وأسرارُ خلقِهِ لا يطَّلعُ عليها، إلاّ هو تعالى. ثم من أعطاها من الخلق، فإذا أخبرنا إنسانٌ عن سرٍّ نفسِه، صدّقنا، ولو ادَّعى القطبية، وكان تكذيبُنا وعدمُ تسليمنا له نفاقاً، بل هو رأسُ النفاقِ، فإنَّ المنافقين لو كانوا سلَّموا لرسولِ الله ﷺ ما ادَّعاهُ من النبوّة والرِّسالةِ لآمنوا به، واتَّبعوهُ، فسعدوا، ولكنَّهم كذَّبوهُ فيما ادَّعاهُ، فشقُوا في الدارين، نسألُ اللهُ العافية.

فعُلِمَ أنَّه لا جناحَ على العارفين في تسليمهم، لا بل الدَّعاوي العريضة، لأنَّهم يَشهدون نفوسَهم دون كلِّ جليسٍ، كما مرَّ، ويعلمون أنَّ أسرارَ الله تعالى لا تنحصرُ، وهذا كان سببَ عدولِ رسولِ الله ﷺ عن الجوابِ المُطابقِ لسؤالِ ابن صيّاد له حين قال له رسولُ الله ﷺ: «أتشهدُ أنّي رسولُ الله؟» فقال الدَّجالُ: أشهدُ أنَّكَ رسولَ الله إلى الأُميّينَ. ثم إنَّ الدَّجالَ قال لرسولِ الله ﷺ: أتشهدُ أنّي رسولُ الله؟ فرفضه رسولُ الله ﷺ، وقال: «آمنتُ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورُسلِهِ»[2] وعدلَ عن الجوابِ بالمطابقةِ =

---

(١) جاء تحت كلمة رؤيته: فاعل ترك.

(٢) رواه البخاري ١٧٥/٣ في الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، ومسلم (٢٩٢٤ و٢٩٣٠) في الفتن، باب ذكر ابن صياد، وأبو داود (٤٣٢٩) في الملاحم، باب خبر ابن صائد، والترمذي =

فتحاً لباب التسليمِ، وعدم التقييد على الله تعالى في حضرة الإطلاقِ، مع أنَّه عليه الصلاة والسلامُ يعلم أنَّه خاتم النبيين بنصِّ القرآن، فافهم ذلك، فإنَّه منْزعٌ دقيقٌ، فإيَّاك وفتحَ بابِ الإنكار؛ فإنَّه يطردُكَ عن حضرةِ أولياءِ الله تعالى، وأشهدْ نفسك دونهم في سائر العلوم، تسترحْ.

وقد حكى لي سيّدي عبدُ القادرِ الدشطوطيُّ قال: أنكرتُ مرةً على إنسانٍ رأيتُهُ لا يَطمئنُّ في ركوعه، ولا في سجوده، فقال لي: يا أخي، أنا ناصيتي بيد الحقِّ تعالى، يمدُّني إذا شاء، ويَقصرني إذا شاء، فلا أَستطيعُ أن أزيدَ، ولا أن أنقُصَ، وأنا مُشاهدٌ للمحرِّكِ لا للحركةِ. قال: فغبتُ عن إحساسي عند سماعِ قوله، فقلتُ له: اللّٰهَ عليك من تكون؟ فقال: أنا الإمامُ الذي عن يسار القطب. فقلتُ له: يا سيّدي، التوبةَ. فقال: عَفْوُ اللهِ أوسعُ وأعمُّ، استغفرتَ أم لم تستغفرْ. ثمّ قال لي: لا تُنكر قطُّ إلاّ ما يهدمُ الدّين. فقلتُ: بسم الله. فانصرف، وكان ذلك تُجاهَ بركة الحبش(١)، قريباً من الجبلِ المُقَطَّم(٢).

ومن هذا العهد تعرف يا أخي، أنَّه لا ينبغي لك قطُّ مُفاضلةٌ بين شيخين على سبيلِ القطعِ، أو غلبةِ الظنِّ، إنَّما ذلك بالوهمِ، لأنَّ مقامكَ دونَهما، وتحتَهما، فمن

= (٢٢٥٠) في الفتن، باب ما جاء في ذكر ابن صائد، و(٢٢٣٦) في الفتن، باب علامة الدجال.

وابن صياد: اختلف في أمره اختلافاً شديداً، وأشكل أمره، كان يهودياً أو دخيلاً في جملتهم، بلغ رسولَ الله ﷺ ما يدعيه من الكهانة، ويتعاطاه من الغيب، فامتحنه ليبرز أمره، ويختبر شأنه، فقال ﷺ: «إني خبأت خبيئاً» وخبأ له ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ [الدخان: ١٠] فقال ابن صياد: هو الدخ. فعلم أنه مُبطل، وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رئي الجن، أو يتعاهده الشيطان، فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع قوله الدخ، زبره وقال: «اخسأ لن تعدوَ قدرك» يريد أن ذلك شيء اطلع عليه الشيطان، فألقاه إليه، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي السماوي، إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين يوحى إليهم علم الغيب، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها، ويخطئ في البعض. وقد تاب عن ذلك القول، وحج، ومات في المدينة، انظر جامع الأصول ١٠/٣٦٢

(١) بركة الحبش: أشهر برك مصر، وهي في ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها فيما بين الجبل والنيل. خطط المقريزي ٣/٢٤٧.

(٢) المقطم: الجبل المشرف على القرافة مقبرة فسطاط مصر والقاهرة. معجم البلدان.

فاضَلَ فكأنّه ادَّعى مقاماً فوقهما، وهما تحته، ولولا دعواه تلك ما عرف التمييزَ بينهما، على حسبِ صحَّةِ دعواه، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٢) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا يُجيبَ أحداً للصُّحبة الخاصّة** بالمريدين الصادقين، إلاّ بعدَ امتحانه بالأمورِ التي تُفصحُ عن شدّةِ محبَّته لنا، ليأخذَ أمورَ دينه من معادنها، ويأتي البيوتَ من أبوابها، وكأنَّ لسانَ حالنا يقول: من كان منّا، فلا يأخذ عن أحد إلاّ عنَّا، فإذا امتحنَّاه، وظهر لنا صدقُه كشفاً أو بالقرائن، أجبناه للصحبة، ومحكُّ صدقه أن لا يقدّمَ على محبَّتنا أهلاً، ولا زوجةً، ولا ولداً، ولا مالاً، ولا غير ذلك من الأمور المعوّقة له عن السير إلى حضرةِ ربِّه، ومتّى قدَّم على محبَّتنا شيئاً ممّا ذُكر، أو رجَّح ضدّ ما نأمرُهُ به، على ما أمرناه به، فهو كاذبٌ، وليس هو بصاحب، إنَّما هو من المعارفِ فقط، وذلك لأنَّ جميع ما قدَّمه هذا الشخص على محبَّتنا، وعلى ما نأمره به، من الزوجة، والولد، والمال، والأهوية، معدودٌ من الدنيا التي أَمرنا الحقُّ تعالى بالزُّهد فيها، وأوقف محبَّته لنا على تركها في قوله ﷺ: «ازهد في الدُّنيا يُحبَّكَ اللهُ»[1]، فمن لم يزهدْ فيها، فكأنَّه رجَّح محبَّتَها على محبَّةِ الحقِّ تعالى له، وقال بلسان حاله: ما لي حاجةٌ بمحبَّةِ الحقِّ تعالى لي. نسألُ اللهَ تعالى العافية.

واعلم أنَّ المريد مادامَ يُرجِّحُ أعمالَ الدُّنيا بقلبه على أعمال الآخرة، فلا يقدرُ شيخُهُ أن يبني على أساسه طوبةً واحدةً، فإنَّ حبَّ الدنيا إذا دخل قلبَ المُريد، حُرِمَ مددَ شيخه، فكلَّما أرادَ يُدخلُ قلبَ المُريد أمراً، وجد قلبه ملآناً إلى فمه، فأين يكونُ حبُّه لشيخه؟ أو لِمَا يأمرُهُ به من الخير؟ والقلبُ لا يسع إلاّ شيئاً واحداً. قال تعالى: ﴿ما جعل اللهُ لرجلٍ من قلبينِ في جوفه﴾ [الأحزاب: ٤].

ومن كلام سيدي الشيخ أبي مدين[2] رضي الله عنه: ليس للقلب إلا وجهةٌ

---

(١) رواه ابن ماجه، والطبراني، وأبو نعيم، وابن حبان، والحاكم عن سهل بن سعد الساعدي أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، دلّني على عمل إذا عملته أحبني الله، وأحبني الناس، فقال ﷺ: «ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس». والحديث حسنه النووي في أربعينه. كشف الخفا ١/١٢٧ (٣٢٣).

(٢) أبو مدين شعيب بن الحسن التلمساني، من أعيان مشايخ المغرب، سكن بجاية، وكثر أتباعه حتى خافه السلطان يعقوب المنصور، فرموه بالزندقة خوفاً منه، مات بعد سنة ٥٩٠ للهجرة، قال أبو=

واحدةٌ، متى توجَّه إليها حُجبَ عن غيرها.

ولَمَّا علمَ ﷺ أنَّ لمحبَّة الناصحِ مدخلاً عظيماً في حصولِ الهدايةِ بسرعةٍ دون بطءٍ قال: «لا يُؤمنُ أحدُكم حتّى أكونَ أحبَّ إليه من أهلِه وولدِه والناسِ أجمعين»(١).

ومعلومٌ أنَّ جميعَ الدُّعاةِ إلى الله تعالى، نوابٌ للأنبياءِ في تبليغِ الأحكامِ، وبيانِ الطريقِ الموصلَةِ إلى دخولِ حضرةِ الله عزَّ وجلَّ، في الدنيا بالقلوب، وفي الآخرةِ بالأجسامِ، فللنُّوَّابِ ما للأصولِ من تلك المحبَّة، بحكم الإرث، ليجعلَ كمالَ الانقياد، فإذا تمرَّنَ المريدُ مع شيخه، ترقّى إلى الأدبِ مع الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الشيخ كالسُّلّم للترقّي، فيستفيد بأدبه مع شيخه، ورضاه عنه، إذا فرَّق مالاً، أو مدداً مثلاً على الإخوانِ، وحرمه الرِّضا عن الحقِّ تعالى، إذا حرمَهُ رزقاً، أو حاجةً احتاجها. ومتّى تكدّر من شيخه، وقف عن الترقّي، بل نزل لأسفلِ ممّا كان.

ويستفيد بصبرِه على غضب شيخه، الصبرَ على غضبِ الحقِّ تعالى، حتَّى يرضى.

ويستفيد بأدبِ مواصلةِ شيخه له، أدبَ مُواصلةِ الحقِّ تعالى له، وهكذا.

فمحبُّ الدنيا ومقدِّمُها على محبَّتنا، وعلى ما نأمره به من أعمال الآخرةِ، وجهُهُ لحضرة الشياطين، وظهرُهُ لحضرةِ الأنبياء، والملائكة، والعارفين، فلا ينتفعُ من شيخه بشيءٍ لعدمِ تصديقه له، وإيمانه بكلامه، وإذا لم يكمل له تصديقُنا، لا يصحُّ له تصديقُ الله ورسوله من باب أولى؛ لعدمِ دخوله حضرة التصديقِ، وبُعدِه عنها، ومثل هذا، فإيمانُهُ باللِّسان دون القلبِ كما هو شأن المنافقين؛ فإنَّهم لما بعدوا عن حضرة التصديق، صاروا في الدَّركِ الأسفلِ من النّار، وتحت أطباق اليهودِ والنصارى، وما صاروا فيه، إلاّ لكونِ حضرهم في التصديق، كانت أبعدَ عن حضرةِ التصديق الخاصَّة باليهودِ والنصارى، للعب هولاء المنافقين بالدِّينَيْنِ، ولو صرَّحوا بما في قلوبهم من عدم التصديق كاليهودِ والنصارى، لكانوا في طبقتهم، و لم ينْزلوا إلى الدَّركِ الأسفلِ، نسألُ الله تعالى العافية.

= الحجاج الأقصري، سمعت شيخنا عبد الرزاق قال: سألت الخضر عن أبي مدين، فقال: هو إمام الصديقين في هذا الوقت. الطبقات الكبرى للشعراني ١/١٥٤.

(١) رواه البخاري في ١/٥٥ في الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، ومسلم (٤٤) في الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ، والنسائي ٨/١١٤، وابن ماجه (١٦٧)، وأبو يعلى ٧/٨.

ومن هنا كانت هداية الكفّارِ أسهلَ وأهونَ على الدُّعاةِ إلى الله تعالى إلى دين الإسلام، من هداية المنافقين، ولذلك ما ماتَ رسول الله ﷺ حتّى دخلَ أكثرُ اليهودِ والنصارى في دينِ الإسلامِ(١)، وتخلَّف غالبُ المنافقين.

وتأمَّل يا أخي، إيمانَ الصحابةِ رضي الله عنهم، لَمَّا كان في غاية الصدق الذي لا توَقُّفَ، ولا شكَّ فيه، كيف بنوا أساس دينهم من أوَّلِ ما رأوا رسول الله ﷺ، وصار ما أخبرَهُم به من المُغيّبات الدنيويَّةِ، أو البرزخيَّةِ والأخرويَّةِ، كأنَّه رأيُ عينٍ، لا يغيب شهوده عنهم.

وتأمَّل إيمان غيرهم، كيف تأخّر بناءُ الدين الحنيفي عليه، ولم يصحَّ وضعُ طوبة واحدةٍ في أساسه، حتّى شابت لحيةُ أحدهم، بل غالبُهم يموتُ، ولم يتمَّ له كمالُ التصديقِ، كما يُعْرَفُ ذلك بالمحكّات الآتي بيانها قريباً(٢) إن شاء الله تعالى.

ومن علامة صحّةِ الإيمان وكماله، أن يصير العبدُ يقدّم بقلبه جميع ما أمره الله تعالى به من الأعمال، ويؤخِّرُ ما نهاه عنه تعالى منها أو سكت، وأعونُ شيءٍ للعبدِ على وصوله إلى هذا المقام، كثرةُ ذكر الله تعالى، بإشارةِ شيخٍ مرشد صادق، فلا يزال المريدُ يذكر، والحجبُ والأوهامُ ترتفع وتتمزَّقُ حتّى يشهدَ الحقَّ تعالى جهراً، يتجلّى أزلاً وأبداً، وترحلُ عنه جميعُ الشُّكوك، وأمّا طلب حصول هذا المقام بالكلام، فذلك في غاية البعد.

واعلم يا أخي، أنّه لا يتحقّقُ معرفة إيمانك وتصديقك لشيخك إلاّ بالامتحان، ونحن نعرضُ عليك الآياتِ والأخبارَ، ونبيّن لك محكَّ كمال تصديقك بها، وبكلامِ شيخك، وأنت أعرفُ بنفسك بعد ذلك، فتحكم على نفسك بما تراه فيها، ولا تَحوجنا أن نجرّح إيمانك، ولا أنْ نقولَ لك أنت منافقٌ، أو ناقص الإيمان، أو قليل الدّين، ونحو ذلك، فإن وجدتَ في نفسك كمال التصديق فافرحْ واستبشر، وإن

---

(١) أسلم عدد من النصارى في حياة رسول الله ﷺ، أما اليهود قاتلهم الله فقد أبى أكثرهم الانصياع للحق، حتى أن رسول الله ﷺ قال: «لو آمن بي عشرة من اليهود ما بقي على ظهرها يهودي إلاّ أسلم». أخرجه البخاري ٢١٤/٧ في المناقب، ومسلم (٢٧٩٣) في صفات المنافقين، باب نزل أهل الجنة.

(٢) سيذكرها المؤلف رحمه الله بعد صفحة.

وجدتَ غيرَ ذلك فاندمْ واستغفر.

ثم يجبُ عليك العملُ على تحصيل ذلك، إمّا بالسُّلوك على يدِ شيخٍ، وإمّا بسؤالِ الله تعالى في الأسحارِ، وأوقاتِ الإجابة، والله سميع مجيب.

وإنَّما سامحنا نفوسَنا في امتحان إخواننا، وكشفِ سوآتهم إجابةً لسؤالهم لنا في ذلك، ولغلبةِ الرحمة والشفقةِ على قلوبنا، حتّى لا يتمادى بهم إلى طلوعِ روحهم، فيخرجوا من الدنيا بغير كمال إيمان، ولولا أنّهم من أعزِّ إخواننا، ما فعلنا ذلك معهم، لأنَّ من لم يكن بيننا وبينه ارتباطٌ لا يؤمنُ ولا يصدِّقُ بأنَّه ناقصُ الإيمان، بل يبادر إلى دعوى الكمال بالصدر من غير تأمّلٍ.

إذا علمتَ ذلك، **فامتحنْ نفسك** يا أخي في إيمانك، بقوله تعالى: ﴿وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [الأعلى: ١٧] فإن وجدتَ في نفسك انشراحاً وبسطاً عند فواتِ كلِّ شيءٍ من الدنيا، فأنت مؤمنٌ حقًّا بأنَّ الآخرةَ خيرٌ وأبقى، كما قال الله عزَّ وجلَّ، وإنْ وجدتَ عند فوات ذلك بعضَ ندمٍ وقبضٍ، فأنت غيرُ مؤمنٍ بذلك، وكأنَّ الحقَّ تعالى حينئذٍ يقول لك: هذا الشيء مليح. فتقول أنت: لا، بل هو قبيح.

وامتحنْ نفسك أيضاً في إيمانك بقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُم مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩] وبقوله ﷺ: «ما نقص مالٌ من صدقة»(١) ونحو ذلك، فإن وجدتَ مالك ينمو في عينك، ويزيدُ في عين بصيرتك، ولا تستثقل بكثرةِ إعطاء الفقراء إذا ترادفوا عليك ليلاً ونهاراً، ولو نفدَ جميعُ ما عندك، فأنت مؤمنٌ، وإنْ شهدت النَّقصَ، أوِ استثقلتَ بهم، فإيمانُكَ ضعيفٌ، ولذلك عَسُرَ عليك الإنفاقُ في وجوه الخير؛ لشهودك النَّقصَ، وعدمِ الخلف في مالك، فاعملْ على تقوية إيمانك.

وتأمّل لو جلس تجاهك يهوديٌّ، وبين يديه إرْدَبٌّ(٢) ذهب، وقال لك: كلَّما أعطيتني فِلساً، أعطيك ديناراً، كيف تصيرُ تعطيه، لا تملُّ، وأينَ إيمانك بقوله ﷺ:

---

(١) رواه القضاعي عن أم سلمة مرفوعاً بزيادة: «ولا عفا رجل عن مظلمة إلا زاد بها عزًّا». ورواه مسلم عن أبي هريرة رفعه بلفظ: «والذي نفس محمد بيده، لا ينقص مال من صدقة»، ورواه الترمذي أيضاً، كشف الخفا ٢/٢٧٢ (٢٢٥٤).

(٢) الإرْدَب: ويُضم: مكيال لأهل مصر، يختلف باختلاف مدنها بين ١٧٩ ليتراً وبين ٢٨٢ ليتراً. انظر متن اللغة (ردب).

«إنَّ الصَّدقةَ قد تُضاعَفُ لصاحبها إلى سبع مئة ضعف إلى أضعاف كثيرة»[1]؟ ومن هنا كان ﷺ لا يُسئَل شيئاً إلاّ أعطاه، وكذلك كُمَّلُ ورثته في المقام، وكذلك كلُّ من كملَ إيمانه؛ كمعن بن زائدة[2]، وحاتم طيء[3]، وأبي زيد الهلالي[4]، ونحوهم، وبالجملة فمن لم يكن كلُّ ما وعدَ الله عليه كالحاضرِ عنده على حد سواء، فإيمانُهُ ناقصٌ.

وامتحن نفسك أيضاً بقوله ﷺ: «لو اجتمع الثقلان على أن يردّوا عن عبدٍ ذرَّةً من رزقه ما استطاعوا...»[5] الحديث. فإن وجدتَ نفسَكَ مُنشرحةً عند صرف الدنيا عنك، مُحِبَّةً لمن عارضك في وصول رزقك الذي زعمتَ أنَّه لك، فأنت مؤمنٌ بذلك، وإن وجدتَ نفسَكَ مُنقبضةً لفواتها، باغضةً لمن عارضك في وصولك إلى رزقك، فأنت غيرُ مصدِّق بالحديث.

وامتحن نفسك أيضاً إذا ادَّعتْ أنَّها صارت تُقدّم الآخرةَ على الدنيا، مع كونها تنامُ عن صلاة الصُّبح، ومجالسِ الذكر، والخيرات، وتقول: النوم يغلبُ عليَّ، بما لو رسمَ السُّلطانُ لكلِّ من يصلي ذلك اليوم الصُّبحَ مثلاً في جماعةٍ، أو يحضرُ مجلس

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ؛ وروى البخاري ٢٧٧/١١ في الرقاق، باب من همَّ بحسنة، ومسلم (١٣٠) في الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال فيما يرويه عن ربِّه: «إن الله تعالى كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هم بها وعملها، كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبع مئة ضعف، إلى أضعاف كثيرة...».

(٢) معن بن زائدة الشيباني من أشهر أجواد العرب، أدرك العصرين الأموي والعباسي، وولي اليمن وسجستان مات غيلة سنة ١٥١هـ.

(٣) حاتم بن عبد الله الطائي أبو عَدي فارس شاعر جواد جاهلي، يضرب المثل بجوده، من أهل نجد، مات سنة ٤٦ قبل الهجرة.

(٤) أبو زيد الهلالي سلامة بطل سيرة بني هلال وتغريبتها مع دياب بن غانم فارس جواد كريم فتح بلاد المغرب.

(٥) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ١١٢/٤ (٣٤٩٧) عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «ما خلق الله من صباح يعلم ملك في السماء، ولا في الأرض بما يصنع الله في ذلك اليوم، وإن العبد له رزقه، فلو اجتمع عليه الثقلان: الجن والإنس أن يصدوا عنه شيئاً من ذلك ما استطاعوا». قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧٢/٤: وفيه بقية، وهو لين الحديث.

الذِّكر، بألف دينار كلَّ يوم، فإن استيقظتَ، وأوصيت نساءَك وعبيدك وجيرانك أن ينبِّهوكَ من الثُّلث الأخير، فأنت كاذبٌ في دعواكَ: تقديم الآخرةَ على الدنيا، وإن لم تُوص أحداً ينبِّهك، وفوَّتَّ الألفَ دينار، فأنت صادقٌ في غلبةِ النوم عليك.

وكذلك **امتحن نفسك** فيما ذُكرَ إذا كنت تنعسُ في الذِّكرِ بما لو عَدَّ لكَ إنسانٌ ذهباً في كفِّكَ، فإن فتحت عينك، وزال النُّعاسُ، فأنت كاذبٌ في دعواك: أنَّ الأجرَ والثواب أعظمُ عندك من الدنيا.

وكذلك **امتحن نفسك** يا أخي، في ادِّعائك أنَّك تسمعُ لنا كلَّ ما نأمرُكَ به من الخيرِ، وتُرجِّحُ في قلبك كلَّ ما رجَّحناهُ من الأفعال والأقوال المرقِّية لك إلى الدرجاتِ، بما إذا قلنا لك: طلِّقْ زوجتكَ ثلاثاً، أو اخرجْ عن مالك كلِّه للفقراء والمساكينَ، أوِ ائتنا بشطر مالك لنفرِّقه على إخوانك الحاضرين، أوِ أسقط حقَّك من سائر وظائفك، وإمامتك، وخطابتك، ووقادتك، وأذانك، وخلوتك، وثيابك، ونحو ذلك، فإن طلَّقت ثلاثاً، وخرجت عن جميع مالك، وأسقطت حقَّكَ من جميع ما ذكرنا، وظهرتْ بشائر السُّرور على وجهك، وأشرقَ جبينُكَ بالفرح، حتى شهد لك بذلك الحاضرون، فأنت صادقٌ في ادّعائك: أنَّك تسمعُ لنا، وإن لم تفعل، أو فعلت ولم يظهر على وجهكَ إلاّ العبوسةُ والقبض، فأنت كاذبٌ، وماذا يفوتُ مَنْ كانَ الحقُّ تعالى له عوضاً عن كلِّ شيء؟ وماذا حصَّل من باع الحقَّ تعالى بقطعةِ جلدة مدبوغة بالبولِ والدَّم، لا تساوي في السوق فلساً لو قطعت؟!

وبالجملة فكلُّ من لم يعتقد في شيخه أنَّه أشفقُ عليه من نفسه، فصحبتُهُ وعشرته نفاقٌ، والسلام.

(٣) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نُزاحمَ على شيءٍ من الدنيا**، ولو تدريساً للعلم، وإرشاداً للمُريدين، لما في المُزاحمةِ على ذلك من توغير القلوب، وتكدير النفوس، لا سيَّما ما فيه رياسة وجامكيَّة(١).

وأعلِّمك ميزاناً تطيش على الذرِّ، تفرِّق بها بين الدُّنيا والآخرة، وهو أن تعلم أنَّ كلَّ ما حصل بواسطته تكديرٌ من النّاس، فهو معدودٌ من الدنيا، التي أمرَ الشارعُ

(١) الجامِكيَّة: دخيلة تركية تعني الأجر والراتب.

بالزُّهد فيها، فإنَّ أعمالَ الآخرة الصِّرفِ التي لا يُخالطها دنيا لا نزاعٌ فيها قطُّ، كصيامِ النهار، وقيامِ الليلِ، وكثرةِ الصدقات، وحفرِ الآبار، وعمارةِ الأسبلة، ونحو ذلك، وما رأينا قطُّ أحداً زاحمه أحدٌ فيما ذكرناه، فأصبح يشكوه للناس والحكام أبداً، بخلاف التَّدريسِ والمشيخة وغيرهما ممّا في نظيره معلوم، أو هدايا، أو نشرُ صيتٍ، ونحو ذلك، فافهم، واعتبرْ، والله يتولى هُداك.

(٤) أخذَ علينا العهودُ أن لا نأخذ معلوماً على نظرٍ ومشيخةٍ، ولا تدريسٍ، ولا خطابةٍ، ولا إمامةٍ، ولا أذانٍ، ولا وقادةٍ، ولا فراشةٍ، ولا قراءةِ سُبعٍ، ولا أولادٍ، ولا غير ذلك من سائر القُرباتِ الشرعية؛ لأن موضوعَ هذه الأمور إنَّما هو طلبٌ لمرضاةِ الله تعالى، وللثواب الأُخروي، لكن قال شيخُنا: فإن كان الاشتغالُ بها يُعطِّلنا عن الكَسبِ الذي به سترتُنا بين العباد، أخذنا من ذلك المرصد ما نسدُّ به الجوعةَ، ونواري به العورةَ فقط، على وجه أنَّ ذلك ابتداءً عطاءٌ من اللهِ تعالى، ولا بيعاً لذلك الأمرِ بتلك الدراهم مثلاً.

ومحكُّ الوصول إلى التحقُّقِ بهذا العهدِ أن لا يُطالبَ الفاعل لذلك بلسانه، ولا يقبله ناظراً، ولا جابياً، ولا أحداً من أعوان ذلك الوقفِ، ومتى خطر له ذلك في قلبه، فهو بيعٌ للدِّين بالدُّنيا.

وقد سمعتُ بعضَ الرُّهبان يقول لخادمِ الكنيسة: أنتَ قليلُ الدّين، فاترُ الهمَّةِ عن الخير، كأنَّك تُريدُ تطلب على ذلك شيئاً من الدنيا كالمسلمين. انتهى.

وكان من أخلاق رسول الله ﷺ الاستحياء من المُطالبة بحقِّه المتَّفق عليه في سائر المذاهب، ولَمَّا رعى الغنمَ مع رجلٌ آخر[1]، وانتهت المدَّةُ، كان الرَّجلُ يقول له - [وذلك] في الجاهليّة -: يا محمّد، طالبْ لنا خديجةَ بحقّنا. فكان يقول: «أنا استحي من ذلك»[2]. فبلغها ذلك، فخطبَتْهُ ﷺ إلى نفسها، وكان ذلك من أسباب التزوّج بها، فتأمّل ذلك، واتّبع نبيّك.

---

(١) في الأصل: الغنم وهو ورجل آخر.

(٢) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

وإيَّاك أن تشتكي ناظراً[1]، أو جابياً للظالمين[2]، لأجل معلوم إمامتك، أو خطابتك، ونحو ذلك، تخسرْ مع الخاسرين، فإنَّ إمامتك في الصلاة ما بين طهارة وتكبيرِ لله، وقراءة، وركوعٍ، وتسبيحٍ، وسجود، وتحية لله، وشهادة أن لا إله إلاّ الله، وأنَّ محمداً رسولُ الله، وسلامٍ على عباد الله، وكلُّ ذلك لا يستحقُّ العبدُ على فعله شيئاً من عرض الدنيا، وقسْ على الصلاة سائرَ القُربات، وكيف ينبغي للعبد أن يقول: ما أقول الله أكبر إلاّ بفلوسٍ، أو ما أقول أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهدُ أنَّ محمداً رسول الله، إلاّ بفلوسٍ، أو ما أقول حيَّ على الصلاة إلاّ بفلوس؟! هذا من أقبحِ القبيح، والله يهدي من يشاءُ إلى صرطٍ مستقيم.

(٥) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نأكلَ من هَدايا النصارى، واليهود، والمجوس، وغيرهم من سائر المشركين والمنافقين، وقد استعاذَ رسولُ الله ﷺ بربِّه عزَّ وجلَّ، وقال: «اللَّهُمَّ، لا تجعلْ لمنافقٍ عليَّ منَّةً»[3].

وذلك لأنَّ في قبولِ هدايا الكفَّارِ تمييلُ القلبِ إليهم بالمحبَّة قهراً علينا، كما أشارَ إليه قولُه ﷺ: «جُبلتِ القلوبُ على حبٍّ من أَحسنَ إليها»[4]. فمن قبل منهم هديةً، وطلبَ أن لا يميلَ قلبُه، فكأنَّه رام المحالَ، والله أعلم.

---

(١) الناظر: من ينظر في الأموال، ويتفقد تصرفاتها، ويُرفع إليه حسابها لينظر فيه ويدققه، فيمضي ما يمضي، ويرد الباقي. معجم الألفاظ التاريخية.

(٢) في الأصل: بالظالمين.

(٣) لم أجده بلفظه، وقد ذكر المناوي في فيض القدير ٦/٣٥٨ دعاءً للسلف وهو: اللهم لا تجعل لفاجر عندي نعمة يرعاه بها قلبي.

وقد أثر عن رسول الله ﷺ أنه قبل هدايا المشركين، وأهدى المشركين تأليفاً لقلوبهم، ودعوةً إلى سبيل ربه. فقد قبل مارية رضي الله عنها هديةً من المقوقس، وغيرها كثير.

(٤) روى أبو نعيم في الحلية، وابن حبان في روضة العقلاء والخطيب وآخرون أن الحسن بن عمارة بلغه أن الأعمش وقع فيه، فبعث إليه بكسوة، فمدحه، فقيل للأعمش ذممته ثم مدحته، فقال: حدثني خيثمة عن ابن مسعود... فذكره، وأخرجه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً، وهو باطل من الوجهين، وفي سنده من يتهم بالكذب. انظر كشف الخفا ١/٣٩٥ (١٠٦٣).

(٦) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نأكل من المساميح** على الوجه الّذي يعملُه النّاسُ فيها الآن، فإنّ ذلك حرامٌ؛ لأنّه من أكل أموال النّاس بالباطل، فإنّ الدُّكان الذي يؤجر للجزّار، أو السيرجة للمعاصري، كلّ يومٍ بعشرين نصفاً مثلاً، على حسب ما يكون المسموح، لولا توفّر ما كان يأخذُهُ أصحاب الوِزرِ عليه، ما أعطاهم عشرينَ نصفاً[١] في كراء الدُّكّان كلّ يومٍ، ولو حبسوه، وضربوه، وإن شككْتَ، فجرّب.

وكان الشيخُ صاحبُ المسموح يقول للجزّار: أعطني ما كان أصحابُ الوِزْرِ يأخذونه منك. فالحيلةُ في ذلك، كالحيلةِ في أكل اليهودِ أثمانَ الشحوم، حين حُرِّمت عليهم، فإنّهم كانوا يبيعونها، ويشترون بثمنها لحماً.

وفي الصحيح: «إنّ الله عزَّ وجلّ إذا حرَّم أكلَ شيءٍ، حرَّم ثمنَهُ»[٢] كذلك. فأقبلْ يا أخي نُصحي، ولا تجادلْ لأجل مسموحك، تجني ثمرةَ ذلك في حياتك الحجابَ، وفي قبرِكَ العقابَ.

وقد أخبرني شخصٌ من الفقراءِ أنّه طلع مرَّةً للباشا؛ لأجلِ توقُّفِ مسموحِ زاويته، فقال له الباشا: يا سيّدي الشيخ، هذا المسموحُ حرامٌ أم حلالٌ؟ فقال: حرامٌ. فقال: كيف يليق بك، وأنت تدَّعي الصّلاحَ أن تأكلَ منه؟ ووالله، إنّا مع ظلم نفوسنا وجورنا، لا تطيبُ نفوسُنا أن نأكلَ منه، ولا أن نُفطرَ منه في رمضانَ. فما دَرَى الشيخُ ما يقول، وسيأتي في العهود الآتيةِ إن شاءَ الله تعالى، المتعلقةِ بشيخ الزاويَّة، والخرْقَة، إنّ من أقبحِ ما يكون، أنّ صاحبَ المسموح لا بدَّ أن ينهى إلى السلطان في قصَّته[٣] أوَّلاً، أنّ ذلك المسموح على الفقراء والمساكين، والمنقطعين، والعاجزين، والأرامل، والأيتام[٤].

---

(١) النصف: سكّة معروفة بمصر، وكأنها كانت نصف درهم. معجم تيمور ١٣٦/٢.

(٢) روى أحمد في المسند ٢٤٢/١، وأبو داود (٣٤٨٨) في البيوع، باب ثمن الخمر والميتة، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٧)، وابن حبان في صحيحه ٣١٢/١١ (٤٩٣٨) عن ابن عباس أن النبي ﷺ نظر إلى السماء وقال: «قاتل الله اليهود، حرّمت عليهم الشحوم، فباعوها، وأكلوا أثمانها، وإن الله إذا حرّم شيئاً حرم ثمنه».

(٣) القصة: اسم الورق (الكاغد) الذي يقدم إلى الحكام، وسميت الورقة نفسها قصة على سبيل المجاز، وتسمى رقعة لصغر حجمها. معجم الألفاظ التاريخية.

(٤) انظر صفحة (٢٤٣) العهد (٢٤٤).

وينهى أيضاً أنَّه رجلٌ فقيرٌ الحال مسكينٌ، وليس له في البلدِ ما يقومُ به، ولا بعياله، ولا بدَّ له من ذلك، فينصب على اسم الفقراءِ، ويشكو ربَّه عزَّ وجلَّ بأنَّه لم يَقُمْ به ولا بعياله، وهو يُطعمُهم، ويربّيهم بنعمه من حين كانوا أطفالاً إلى أن شابت رؤوسُهم، ولولا النصب والشكوى لم تسمح جهةُ السُّلطانِ كلَّ يومٍ بأربعين نصفاً، ولو كان أكبرَ الأولياء، ثم بعد خروجِ ذلك المسموح من الدّيوانِ على اسم الفقراءِ بالنصبِ، يُطعمُهم مُدَيْدَةً، ثم يَستأثِرُ به عنهم، ويصرفُهُ على شهواتِ نفسه، وعياله، وأولاده، ومراكبِه،، وخيلِه، وعبيدِه، كما يصرفُ أركانُ الدولةِ الأموالَ على خدمِهم، ولو أنَّ جهةَ السُّلطان علموا منه هذا الصنيعَ، لم يعطوهُ ذلك.

فهو ولو قُدِّرَ أن يكونَ المسموحُ حلالاً من أصله، فهو حرامٌ من حيث النَّصْبِ، فإنَّ الفقراءَ والمساكين، هم الذين كانوا شبكتَهُ في الصَّيد، فافهم.

فمن أرادَ من أصحابِ المساميح الحلَّ، فليشترِ الذبيحةَ، أو السمسمَ للعصرِ بدراهمه، ثم يذبح على ذمَّته، ويَعصرُ السمسمَ على ذمّته، وغاية أمره حينئذ أنَّ جهةَ السُّلطانِ سمحوا بما كان على ذلك من المُكْس لا غير، وذلك حلالٌ، واللهُ أعلم.

(٧) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نأمر أصحابنا بعدمِ الحُزنِ على فوات شيءٍ** من أمر الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ ما فاتهم لو قُسِمَ لهم ما فاتهم، فإنَّ الوقتَ الذي قُسِمَ للعبد فيه طاعةٌ، لا يمكنُ خلوُّه عنها. والوقتُ الذي قُسِمَ له فيه غيرُ طاعةٍ، من كسلٍ، وخمولٍ، وغيرهما، لا يمكنُ خُلوُّهُ عنه.

ووقتُ النومِ لا يكون يقظةً، ووقتُ اليقظةِ لا يكون نوماً.

ووقتُ إقبالِ الدُّنيا على العبد لا يكون إدباراً، ووقت إدبارِ الدُّنيا لا يكون إقبالاً.

وهكذا ففي الحقيقة لم يفتِ العبدَ الذي حزن شيءٌ قُسِمَ له، ثُمَّ فاته حتى يحزن عليه، وإنَّما هو توهُّمٌ على غير حاصلٍ، والوقت الماضي ذهب بما فيه من خمولٍ وكسلٍ وغيرهما، والحزنُ يعطِّلُ وظيفةَ الوقتِ الحاضر، فافهم ذلك، وتدبَّره، فإنه نفيسٌ، واللهُ يتولى هداك، ويهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

(٨) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نرجِّح محبَّة الذهب على محبَّة الزبل**، وإذا مررنا

على أتلالِ الذهب والفضَّة، من غير مزاحمٍ عليها، ولا حساب عليها في العقبى، أن لا نُطأطئَ لأَخذِ شيءٍ منها، وإذا دخلتِ الحمارةُ دارنا ليلاً، وهي مُحمّلة ذهباً، أخرجناها بحملها، وأغلقنا باب دارنا.

ومتى رجَّحنا الذّهبَ على الزِّبلِ، وطاطينا لأخذِ شيءٍ، ولو بميلِ القلبِ، أو أخذنا ما على الحمارةِ مِنَ الذّهب، فقد خُنَّا العهدَ.

وإنَّما تركنا الدنيا فِراراً ممّا يشغلنا عن ربِّنا عزَّ وجلَّ.

وفي كتاب «التعبير»: إن من رأى أنّه تغوَّط على نفسه، يأتيه ذهبٌ بقدر ذلك.

فاحذر يا أخي، أن تُنكر مثلَ هذا العهد، لكونك أنتَ لا تقدرُ على الوفاء به، فإنَّ ذلك من أسهلِ ما يكون على الفقراء، ولا فائدةَ في النُّصحِ للناس، إلاَّ أن تُشوِّقهم إلى أحوالٍ فوق ما هم عليه، ولو ننصحُهم بما يتخلَّقونَ به، لم يكن للنُّصح فائدةٌ، فافهم.

واعلم يا أخي، أنَّ أحسنَ الهدي هديُ الأنبياء، ثمّ الأولياء، وما بلغنا عن أحد منهم قطُّ أنّه كان يحبُّ الدنيا، ولا أنْ تتَّسعَ عليه، بل عُرِضَتْ عليهم فردُّوها، وأمَّا السيِّدُ سليمان عليه الصلاة والسلام، فأعطتْهُ الرُّتبةُ أن يسألَ ما سألَ(١)، ومع ذلك صارَ لأجلِ مُلكه آخرَ الأنبياء دخولاً الجنَّة، كما ورد.

بل بلغنا أنَّ من رُتبة بَتْرَك(٢) النصارى، أن لا يُمسك شيئاً من الدنيا، وأعطوه مرَّةً ديناراً ليقرأ لهم اسمَ السُّلطانِ الّذي عليه، فأبى، وقال: لا أنظرُ إليه. فتأمَّل.

وقد رأيتُ أخي الصالحَ سيِّدي أفضلَ الدِّين(٣) رحمه الله، يقولُ في دُعائه: اللّهم، اصرفها عنِّي إلى من هو أحوج إليها منّي في علمك. فقلتُ له: ما هذا؟ فقال: شخصٌ أوصى لي بخمسين ديناراً ذهباً، وقد كتبها في وصيّته في المحكمة، وماتَ،

---

(١) إشارة إلى قوله عليه السلام في سورة ص الآية ٣٥: ﴿قالَ ربِّ اغفرْ لي وهَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي إنَّك أنت الوهّاب﴾.

(٢) البترك - والمعتمد البطرك - والبطريرك: رئيس الأساقفة عند النصارى.

(٣) هو أفضل الدين بن أحمد الشعراني أخو المؤلف، من أهل الصلاح والتقى. ذكره الشعراني في جلّ كتبه بما هو أهله (انظر الفهرس)، وانظر «لطائف المنن» تجد الشعراني ذكر أخاه بالخير في أكثر من مئة موضع.

فاستجابَ الله دعاءَه، وحوَّلها عنه لمكان صدقه.

وسمعتُ شيخَنا سيِّدي عليَّ الخوّاص رحمه الله تعالى يقول: كلُّ فقيرٍ لا يَفرحُ بالدنيا إذا صُرفت عنه، وينشرحُ لذلك، فهو كاذبٌ في دعواه الفقرَ.

فعُلِمَ من تضاعيف هذا الكلام، أنَّ الفقراءَ الصّادقين في ترك الدُّنيا في غنيةٍ عن عمل الكيمياء[1]، وعن فتحِ المطالب[2]؛ لأنَّهم إذا كانوا يتركون أتلالَ الذّهبِ، وهوَ مضروبٌ مفروغ من تعبه، ولا يَميلوا بقلوبهم إليه، فكيف يُظَنُّ بهم أنَّهم يتعبون نفوسَهم في علاج الكيمياء، وفي حفرِ تُرابِ المطالب، وحفظ العزائمِ، وشراءِ البخورات؟ وكيف يجوزُ أن يُظَنَّ بهم الوقوع في الكفرِ لأجلِ وسخ النصارى؟

فإنَّ أصحابَ المطالب قد وضعوا الطّلسمات عليها، وأخذوا العهدَ على الأعوان أن لا يفتحوها قطٌّ لأحدٍ، وهو على دين الإسلام، وأمّا فتحُها للمهديِّ عليه السلام إذا خرج فذلك بحكم الوعد من الله تعالى، فاعلم ذلك.

(٩) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نلقي بالنا إلى الدنيا**، ولا إلى مطالبةِ فلّاحٍ بالخراجِ، ولا ساكنِ بيتٍ بأُجرةٍ، ولا إلى حسابِ وقفٍ تحت نظرنا، ولا إلى ما دخلَ، ولا إلى ما خرج، ولكنْ من أتى من ذلك بشيءٍ من غيرِ[3] سؤال قبلناه، وصرفناه في وجهة المعيّن له إن شاء الله تعالى، ومن لم يأتِ بشيءٍ لم نطالبْه قطٌّ.

والحيلةُ في وصولِ ذلك إلى مستحقِّه أن نَستَنيبَ في النظر والمطالبة، أو نسقطَ حقَّنا من النظرِ، لمن يكون أهلاً لذلك.

ولا عتبَ علينا إذا زَجرْنا من يطلب منّا مباشرةَ ذلك بنفسنا من مباشرٍ[4]، وجابي، ومستحقٌّ، وغيرِهم، فإنَّنا معذُورونَ في غضبنا عليه.

---

(١) الكيمياء: ضرب من السحر لكشف الأمور، وتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب إبريز. ولا يقصد بها معناها العلمي الآن.

(٢) المطالب: الأمور المطلوبة، والقصد به هنا نبش الكنوز المدفونة تحت الأرض، وغالباً ما يقال: كنز مرصود، أي أن الجنّ قد رصدت هذا الكنز على اسم فلان، لا يظهر إلاّ عليه، وليس للآخرين حيلة في الوصول إليه، ومن حاول مسته الجن.

(٣) في (أ): من سؤال.

(٤) المباشر: هو الموظف الإداري في الدولة المملوكية. معجم الألفاظ التاريخية.

واعلم أنَّ مثالَ من يطلبُ من فقيرٍ ذلك، مثالُ من رأى إنساناً في حضرةِ مَلِك، والملكُ مُقبلٌ عليه، وهو يُكلِّمُهُ بألطفِ كلامٍ، والعودُ والنِّدُّ[1] والعنبرُ فائحٌ من تلك الحضرة، والفقيرُ مُتلذِّذٌ بصاحب تلك الحضرة، وهو في شيءٍ ما كان يجده في النوم، فجاءَ شخصٌ غافلٌ عن ذلك كلِّه، وصارَ يجذبُ ذلك الفقيرَ من ورائه؛ ليؤخِّرَه عن تلك الحضرةِ، ويُغطِّسه في خرّارة سرابٍ، أو مذبحٍ، فهذا مثالُ من يطلبُ من الفقير المباشرةَ للدنيا بنفسه، فمن قال له: اجمعِ المالَ، وفرِّقه علينا، كمن قال له: خذ غائط فلانٍ بيدك، ولطِّخْ بدنك وثيابك، لأنَّ الصدقات وسخٌ بنصِّ الحديث[2]، فمن فهم هذا المثَلَ، عَذَرَ الفقير، والله على كلِّ شيءٍ قدير.

(١٠) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نستكثر شيئاً من الدنيا**، ونستعظمَهُ عَنْ أن نُعطيَه لأحدٍ من الإخوان، بل ننظرَ إلى الدُّنيا بعين الحقارة تخلُّقاً بأخلاقِ الله عزَّ وجلَّ؛ فإنَّه تعالى منذُ خَلَقَها[3] لم ينظر إليها[4]، يعني نظر رضا[5]، ولا نظرَ إرادةٍ، وإلاّ فهو تعالى هو المدبِّرُ لها، والخالقُ. فافهم.

وفي الحديثِ الصحيح: «إنَّ الدُّنيا لا تَزِنُ عند الله جناحَ بعوضة، ولو كانت تَزِنُ عند الله جناحَ بعوضةٍ، ما سَقَى كافراً منها شربة ماء»[6]، فما قَدْرُ ما يخصّ كلَّ عبدٍ على وجهِ الأرضِ من جناحَ تلك البعوضةِ، إذا فُرِّقَ ذلك الجناحُ على جميع أهلِ

---

(١) النِّدُّ: ضرب من النبات يُتبخَّرُ بعوده.

(٢) روى مسلم في صحيحه (١٠٧٢) وأبو داود (٢٩٨٥) والنسائي ١٠٥/٥ عن عبد المطلب بن ربيعة، عن رسول الله ﷺ: «إنَّ هَذِه الصَّدَقَة لا تَنْبَغِي لآلِ مُحَمَّد؛ إنَّما هِيَ أوساخُ النَّاس».

قال النووي في شرح مسلم: «أوساخ الناس» لأنها تطهير لأموالهم ونفوسهم، كما قال الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] فهي كغسالة الأوساخ.

(٣) في الأصل: من منذ خلقها. والمثبت من (ب).

(٤) انظر الحاشية (١) صفحة ٧٢.

(٥) في هامش (ب): وفي نسخة: بعين رضا.

(٦) روى الترمذي (٢٣٢١) في الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا ، وابن ماجه (٢٤١٠) عن سهل ابن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة».

الأرضِ، من ملوكِها إلى تجّارها إلى سوقتها.

فمن فهمَ هذا المثالَ، لم يمدح أهلَ اللهِ تعالى، إذا زهدوا في الدنيا، لأنَّ ما زهدَ فيه جميعُ الزَّاهدين ممّا خصَّهم من الجناحِ شيءٌ لا يُرى بالبصر لصغره، فكأنَّهم زهدوا في لا شيءٍ.

وكذلك من فهم هذا المثالَ، وتعقَّلَه لا يرى له منَّةً وفضلاً، إذا تصدّق على الفقراء والمساكين بجميع ما يملك؛ بل لا يرى المدحَ لأحد مَلَكَ الدُّنيا بحذافيرها، ثم أعطاها لفقيرٍ؛ لأنَّه قد أعطى أقلَّ من جناحِ بعوضةٍ، فكلُّ من مدحَ من أعطى ذلك، فقد عظَّمَ الدُّنيا، ولو أنَّها كانت حقيرةً في قلبه، لم يمدحْ أحداً على إعطائها، كما لا يستحقُّ المدحَ في المجالسِ من أعطى شخصاً بعرةً.

ثمَّ تعجب يا أخي في القدرة الإلهية، ولا عجب فيها، كيف حجبت ما لا يحصى من الخلائق عن الدّخول إلى حضرة الحقِّ تعالى، ولو في صلاتهم بأقلَّ من جناحِ بعوضةٍ، وكأنَّ خدّام الحضرة الإلهية يقولون: لا نُمكِّنُ أحداً يحبُّ الدُّنيا أن يدخل إلى حضرةِ الحقِّ تعالى، إلاّ إن رمى ما معه من جناحِ البعوضةِ، وداسَهُ بنعله، وبصقَ عليه، وتركه للناسِ، فما تجرَّأَ أحدٌ منهم أن يفعل ذلك، ورضوا بحَجْبِهم عن حضرةِ ربِّهم، حتى ماتوا، فكأنَّ لسانَ حالهم يقول: جناحُ البعوضة أرجَحُ عنده من جميع أهلِ الحضرةِ الإلهيّة منَ الملائكة، والأنبياءِ، والأولياءِ، نسألُ اللهَ العافية.

واعلم أن أصلَ الإقامةِ مع الخسيسِ إنَّما هو لعدمِ رؤيةِ النفيسِ، فلو شهدوا ذلك الجمال البديع الإلهي، لم يقفوا قطُّ مع شيء دونه، كما مرَّ في الخطبة.(١)

وقد رأيت مرَّةً أنَّ القيامة قد قامت، وأُمِرَ الخلائقُ بالمرورِ على الصراط، فجئتُ لأصعدَ عليه، فلم أستطع، فجاءني مَلَكٌ وقال: لِمَ لا تَصعدُ؟ فقلتُ: لا أستطيعُ. فقال لي: يكونُ معك شيءٌ من الدنيا؟ فقلتُ: ما معي شيءٌ. فقال لي: افتح كفَّك اليسارَ. ففتحتُها، فاخرجَ من بين أصابعي شيئاً كرأس السفّاية، وقال: هذا الذي كان يعوّقك، فارمِه، فرميتُه، فصعدتُ بسهولةٍ، فالحمدُ لله ربِّ العالمين.

(١١) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نقبل عطاءً من أحدٍ**، وفي بلدِنا من نعلمُ أنّه أحوجُ

---

(١) انظر المقدمة.

إلى ذلك العطاءِ منّا، وكذلك لا نقبلُ هديةً من أحد، أهدى إلينا مع بُعْدِ دارنا، وترك جارَهُ الأقربَ من غير هدية؛ لأنَّ في قبولنا هديَتَه إعانةٌ له على خلافِ السنَّة، فإنَّ السنَّةَ قد أمرت بالإحسانِ إلى الجارِ، وبتقديمه على غيره.

وكذلك لا نقَبلُ هديَّةَ من تركَ قرابته، وذوي رَحِمه، وأهدى إلينا، ونحن أجانب أو أقارب بُعداء، عملاً بقوله ﷺ: «الأقربون أولى بالمعروف»[١].

ثم تأمّل يا أخي نفسك، تجد عطاءك المذكور معلولاً لغير الله تعالى، ولو كان سالماً من العلة؛ لقدَّمتَ من قدَّمَ الله، وأخّرتَ من أخّر الله.

ومن أخفى العللِ عليك، أن تُعطيَ إنساناً لظنّك الصلاحَ فيه، ولولا صلاحُهُ ما أعطيته شيئاً، أو تُعطيه بقصد دفعِ بليةٍ عنك، أو حصولِ زيادة في دُنياك، ونحو ذلك، كقصد الثواب في الآخرة، فكلُّ ذلك عطاءٌ لغير الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ [الإنسان: ٩].

ولا يقدرُ على العملِ بهذا العهدِ إلاّ من رأى الدنيا أقلَ من جناحِ بعوضةٍ، فاعلم ذلك.

(١٢) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتزوَّجَ، ولا نحجَّ،** إلاّ إذا كان معنا ما يكفينا وعيالنا، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَللهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧].

فمن دخل منّا في زواجٍ أو حجٍّ، وليس معه، ولا بيده حرفةٌ، وقال: الرزق على الله. فلا يسأل ما يجري عليه؛ لكونه دخلَ بهواه دون أمر الشارعِ ﷺ، والشارعُ إنَّما ضمِنَ السلامةَ من العطب، لمن كان تحت دري[٢] أمره، وتحت حكمِه، وأمَّا من خرج عن أمره بهواه، فهو مَوكُول إلى هواه، فافهم.

وكان سيِّدي علي الخواص إذا جاءه أحدٌ يستشيره في الزواج والحجِّ يقول: يا

---

(١) اشتهر على الألسنة هذا القول، وليس بحديث، لكن يشهد له قوله تعالى: ﴿قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربون﴾ وقول النبي ﷺ لأبي طلحة عندما أراد أن يوقف بستانه: «اجعلها لفقراء قرابتك». انظر كشف الخفا ١/١٨٣.

(٢) تحت دري أمره: تحت سقيفة، حظيرة أمره. انظر تكملة المعاجم العربية ٤/٣٤٦ (درى). وفي (أ): درا.

أخي، شاور غيري. فقلتُ له: قد أمرَ اللهُ تعالى عبادَه بذلك. فقال: بشرطه. ففهمتُ ما تحته، فإيَّاكَ يا أخي، أن تخالفَ ما شرطناه لك، تقع في العطب، ثم لا يُنجيك إلاّ الهرب.

واعلمْ يا أخي، **أنَّ العبدَ لا يُشرعُ له التوكُّلُ على الله عزَّ وجلَّ إلاّ مع مُراعاته الأسباب، أو عند فقدها**، وعجزه عن حصولها، وأمَّا مع عدم أخذه في الأسباب، فإنَّه كالعاصي، ثم إن كان مُتعبِّداً، أو طالباً للعلم، فلا بدّ أن تجرَّه الحاجةُ إلى الرياءِ لمن يُحسنُ إليه، خوفاً أن لا يعتقده فلا يُحْسنُ إليه، فيأكل هو وعياله بدينه، إن كان له وجودٌ، وإن لم يكن مُتعبِّداً ولا مُشتغلاً بالعلم، جرَّهُ ذلك إلى الأكلِ بلسانه، وسلقَ النَّاسَ بألسنة حداد، حتَّى يستخرجَ منهم الشيءَ رياءً وسمعةً، واتّقاءً لفُحشه، ثم يأخذُهُ هو منهم سُحتاً وحَراماً، فلا يُباركُ له فيما يأخذُ، ولا يكادون يُؤجرون على ما يُعطونه له؛ لعدم تحرير نيَّتهم في الغالب فيما يدفعونه إليه.

فأَسسِ الأرضَ يا أخي، ثم تزوَّج، إمَّا بحرفة، وإما بقوَّة يقين، بشرط أن تكون المرأة التي تتزوجها كذلك، قويّةَ اليقين، ليخفَّ عليك الحملَةُ؛ لكَونها تصيرُ متوجهةً إلى الله تعالى في طلب رزقها، لا إليك.

وثقلُ المؤنة، إنَّما يحصلُ على الرجل من توجّهِ قلوبِ من يعولهم إليه دون ربِّهم، فكأنهم بذلك يُكلّفوه ما لا يطيق، فلو كانوا كلُّهم متوجهين إلى الله وحده، لم يحصلْ للإنسان أبداً مشقةٌ في القيام عليهم، ولو كانوا ألف نفسٍ وأكثر، فاعلم ذلك، واعمل عليه، والله يتولى هداك.

(١٣) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نخرج قطُّ ريحاً في المسجد**، أدباً مع الله تعالى، ومع الملائكة، فإنَّ المساجد لا يُناسبها شيءٌ من ذلك، إنَّما محلُّ ذلك الحشوش، أو الخرايب كالبول والغائط.

وهذا العهدُ قليلٌ من الناس من يعمل به، لا سيّما السادة المُجاورون، فإنَّهم يتساهلون في ذلك كثيراً، والله غفورٌ رحيم.

(١٤) **أُخذَ علينا العهودُ أن نرجعَ إلى الله تعالى في الأمور كلِّها**، ونتعرّفَ أسبابها منه، ولا نشتغلَ بمن تحرّك لإيذائنا من الخلق، ولا نردَّ عليه شيئاً.

واعلم يا أخي، أنّه لا مُطالبةَ لك في الآخرة بحقٍّ عند من آذاك، إلاّ إذا سألتَ فضلَه في الرجوع عنك، وصالحته، فلم يَصطلح، وأمّا إذا لم تسألْهُ، و لم تصالحه، فأنت المُقصِّرُ، وكأنّه قال لك في الدنيا: خذْ منّي حقّك، فلم ترضَ أنت. فتأمّل.

وقد شكوتُ مرّةً لشيخنا من شخصٍ فقال: ارجعْ إلى الله تعالى، يَرجعْ عنك. فقلتُ له: إنّي رجعتُ إليه، فلم يرجعْ ذلك الشخصُ عن الأذى. فقال الشيخ: فتِّشْ نفسك. ففتَّشْتُ، فوجدتُ هناك بواقي، فأزلتُها، فجاء ذلك الشخص إليَّ بنفسه، وقال لي: أنا أُحبُّك من قديم الزمان، وإنّما كان تخاصمَ شيطانك مع شيطاني، فأنا وإيَّاك بُراءٌ منهما، فزالت الوقعةُ كأن لم تكن. فمن ادَّعى الرجوعَ عن خصمِه، و لم يرجعْ خصمُه عنه، فهو كاذبٌ، والله أعلم.

(١٥) أُخذَ علينا العهودُ إذا دعينا إلى بيت الوالي - والعياذ بالله تعالى - لأجل تهمةٍ من التُّهم، أن نتصدَّقَ قبل الذهابِ إلى بيت الوالي، أو في الطريقِ قبل الدخول إلى بيته، لأنّ رسول الله ﷺ يقول: «اتَّقوا النارَ ولو بشقِّ تمرة، فمن لم يجدْ [شق تمرةٍ] فبكلمةٍ طيبة»[1]. فإذا كان هذا في شأنِ النّارِ الكُبرى، فنارُ الدنيا أولى.

وفي الحديث أيضاً: «باكروا بالصدقة؛ فإنَّ البلاءَ لا يتخطّاها»[2] ثم نقولُ بقلوبنا بتوجُّه تامٍّ: يا أصحابَ النوبة، أنا في حسبكم، وتحت نظركم، لا تُهملوا قضيّتي، فربَّما كان منهم واحدٌ أو جماعةٌ في بيت الوالي، فيُعطِّفونَ عليكم الوالي، وجميعَ حاشيته بالرحمة.

فإذا وصلنا إلى بيت الوالي قلنا بقلبنا سرًّا: أنت وليُّنا وناصرُنا. ونتخيَّلُ أنّنا والوالي والأعوان والأخصام كلّهم بين يدي الله عزَّ وجلَّ، وهو ناظرٌ إلينا كلّنا، ولا نُجيبُ عن أنفسنا بشيءٍ، فإنّه تعالى لولا أنّه أراد امتحاننا ما أَوقعنا في التُّهم، فجوابنا عن أنفسنا لا يَردُّ البلاءَ عنّا، لا سيما والمُتَّهمُ لا يُصدَّقُ، حتّى أنَّ الوالي وأعوانَه وغيرَهم يُصدِّقون جاريةً مختلَّةَ العقل في حقِّ أكبر الناس أنّه زنى بها، في الوقت الفلاني، في الموضع الفلاني، بمجرَّدِ قولها من غير بيّنة.

---

(١) رواه البخاري ٦/ ٤٥٠ في الأنبياء، باب علامات النبوة في الإسلام عن عدي بن حاتم.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٦/ ٥٩ (٥٦٤٣) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١١٠: وفيه عيسى بن عبد الله بن محمد وهو ضعيف.

وستأتي حكايةُ ذي النون المصري، لما وشوا به إلى الخليفة ببغداد، وحكاية غيره إن شاء الله تعالى[1].

فالعارفُ من سكنَ تحت مجاري الأقدار، ورأى أنّ نفسَه قد استحقّتِ الخسفَ، والنارَ الكبرى، وأنّ كلّ شيء عوقب به دون ما كان يستحقّ.

وليتأمّلِ العارفُ في قوله ﷺ: «لولا بهائمُ رُتّع، وصبيانٌ رُضّع، وشيوخٌ رُكّع، لصُبَّ عليكم العذابُ صبًّا»[2]. يعرف منْزلتَهُ في الكمال، فإنّه ﷺ جعلنا موقَّرين، لا يَنْزلُ علينا عذابٌ إكراماً للبهائم، لا إكراماً لنا، فمن هو في حماية الحيوانات، كيف مرتبته؟ فافهم.

وانظر يا أخي، إلى تحمّل هذه الحيواناتُ الأعمالَ الشاقّة علينا في دار الدنيا، ولولا البهائمُ لكنّا مكلّفين بحمل الحجارة من الجبال، وحمل ترابِ الأخلية إلى الكيمان[3]، ونحو ذلك، هذا زيادةٌ على ما حصل لنا من الأكرام بسببهم، مع كون هذه البهائم ليس عليها ذنبٌ واحدٌ، فاعلم.

(١٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نسبغ الوضوء في المكاره**، كما أمرنا بذلك رسولُ الله ﷺ[4]، وذلك رحمةً بنا في صورةٍ مشقّةٍ، فإنّه ﷺ ما رغّبنا في الوضوء في شدّةِ

---

(١) لم يذكر الشعراني رحمه الله حكاية ذي النون المصري. والحكاية ذكرها ابن خلكان في وفيات الأعيان ٤١٦/١، ٤٢٨ قال: وكانوا قد سعوا به إلى المتوكل، فاستحضره من مصر إلى سر من رأى سنة ٢٤٥هـ فلما دخل عليه وعظه، فبكى وردّه مكرماً.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط ٤٠٨/٦ (٦٥٣٩) عن مالك بن عبيدة عن أبيه عن جده، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٧/١٠: وفيه عبد الرحمن بن سعد بن عمار وهو ضعيف.

(٣) الكيمان: المكان الخرب المتهدم، الحاوي لأنقاض التراب وأكوامه.

(٤) روى أحمد في المسند ٣٦٨/١، والترمذي (٣٢٣١) في التفسير، باب ومن سورة ﴿ص﴾ عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي في أحسن صورة، فقال لي: يا محمد، قلت: لبيّك وسعديك... قال: هل تدري فيمَ يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: نعم، في الدرجات والكفارات، ونقل الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في السبرات المكروهات، وانتظار الصلاة بعد الصلاة. ومن حافظ عليهن عاش بخير، ومات بخير، وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه...» وهو حديث صحيح.

والسبرات جمع سبرة، وهي شدّة البرد.

البرد إلاّ حتى نلازمَ ذلك، ويصيرَ عادةً لنا إلى زمن الصيف، فنستحقر تلك الحالة، ونخرج عنها، إذا وجدنا من استعمالِ الماء لذّةً في أعضائنا، ليتميَّزَ حقُّ الله تعالى من حظِّ نفوسنا، إذ النَّفسُ ربَّما يخفى عليها مثلُ ذلك، فتبالغُ في إسباغ الوضوء في الصيف، بقصد التلذُّذِ لا بقصد اتِّباع السنَّة، وما تخلَّفَ من تخلَّفَ إلاّ باتباعه حظَّ نفسه.

ويمكنُ للعارف[1] أن يُعطي النَّفس حظَّها من التلذُّذِ مع مراعاة حظِّ الشارع، وذلك كما إذا غلبته نفسُه في هذه المسألة على محبَّة استعمال الماء للتلذُّذ في الصيف، فينوي بذلك زوالَ ألمِ النفس ممّا أصابها من شدَّة الحرِّ، فيكونُ مأجوراً بذلك لأنَّه تصدَّقَ على نفسه بدفع المضار عنها، فاعلم ذلك.

(١٧) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا ننام إلاّ على وترٍ**، فمن نام على غير وترٍ، كان جرحاً في كمال توحيده، وما نام أحدٌ من الأكابر قطُّ على غير وترٍ أبداً، بعد علمهم أنَّ الله تعالى يُحبُّ الوتر.

فإذا نامَ العبدُ على وترٍ، فقد نامَ على عملٍ محبوب عند الله عزَّ وجلَّ، فإذا أخذَ بروحه في تلك النومة، حُشر في زمرة من أحبَّهم الله عزَّ وجلَّ.

قال شيخنا رضي الله عنه: ومن هنا أُمرنا بالاكتحال وتراً في كلِّ عينٍ ثلاثة[2]، من حيث أنَّ كلَّ عينٍ عضوٌ مستقلٌّ، وأُمرنا أيضاً بأنْ لا نَنْزِعَ يدنا عن الأكل إلا عن وترٍ من اللُّقمِ، وكذلك الماء إذا حسوناه بيدنا، وأُمرنا أيضاً إذا أخذنا الفُواقُ[3] أن نشرب من الماء سبعَ مرّاتٍ ينقطعُ الفواقُ، وأُمرنا أيضاً أن نُعيدَ الكلمةَ ثلاثاً إذا تكلَّمنا، وغير ذلك، كلُّ ذلكَ عملاً بقوله: «إنَّ الله وترٌ، يحبُّ الوتر»[4] والله غنيٌّ حميد.

---

(١) في (أ) و(ب): ويمكن العارف.

(٢) روى أحمد في المسند ٣٥٤/١، والترمذي ٢٣٤/٤ في اللباس، باب: ما جاء في الاكتحال عن ابن عباس قال: كانت لرسول الله ﷺ مكحلة يكتحل بها عند النوم ثلاثاً في كل عين.

(٣) الفُواق: تقلص فجائي للحجاب الحاجز، يحدث شهقة قصيرة يقطعها تقلُّص في المزمار. وتسمّيها العامة: حَزْأَة.

(٤) رواه الترمذي (٤٥٣) في الصلاة، باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، وأبو داود (١٤١٦) في الصلاة، باب استحباب الوتر، والنسائي ٢٢٨/٣، في قيام الليل، باب الأمر بالوتر.

(١٨) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نستبعدَ رحمةَ الله عزَّ وجلَّ على أحد من خلق الله تعالى، فأمَّا الكافرُ فيرحمه بأن يُسلم، وأمَّا العاصي فيُسامحه، فإنَّ رحمةَ الله وسعتْ كلَّ شيء.

وثَمَّ كثيرٌ من الظلمةِ والمارقين لا يُمسي كلَّ ليلة، ولا يُصبحُ إلاّ مغفوراً له بأمورٍ تقعُ منه، ولا يُؤبه لها، ولولا ذلك لمحقنا الله عزَّ وجلَّ عن آخرنا.

وحكى سيِّدي عبد القادر الدَّشْطوطي: أنَّ جباراً من الملوك مرَّ في عسكره بكلب يرعُدُ في يوم باردٍ، وهو مع ذلك أجربُ أيضاً، فقال: خذوا هذا الكلب، فدفِّئوه بالنار، وأطعموه، واسقوه، وادهنوه. ففعلوا معه ذلك، ثم ماتَ الجبارُ بعد أيامٍ، فجاءَ إلى جماعةٍ كثيرةٍ من أصحابه في المنام، وهو يرفُلُ في الزينة والحرير، ويقول: غفرَ الله لي جميعَ ذنوبي لأجل ذلك الكلب. فتعجَّبَ الناس من ذلك، فما من طاعةٍ تقع من المؤمن إلاّ وبجنبها معصيةٌ، وما من معصيةٍ إلاّ وبجنبها طاعةٌ، كما يشهدُ بذلك أرباب البصائر.

وكان في بلد سيّدي أحمد ابن الرفاعي[1]. كلبٌ أجربُ أبرصُ، فأخرجَهُ أهلُ البلد إلى البريّة، فبلغ ذلك سيِّدي أحمد، فخرجَ إليه، وعملَ له مظلَّةً من الشمس، وصار يُطعم ذلك الكلب، ويسقيه، ويدهنه، ويقول: لعلَّ الله يا إخواني يتعطَّف عليَّ بالرضا والرحمة، كما فعلتُ بهذا الكلب. ولم يزلْ مُقيماً عنده نحو أربعين يوماً حتى برئ، وغسَّلَه بالماء الحار، ثم دخلَ به إلى البلد، فقالوا له: وتعتني بالكلب كلَّ هذا الاعتناء العظيم!؟. فقال: نعم، ومن أولى منّي بذلك في البلد، والجار مَحسوبٌ على الجارِ، وإنَّما خرجتُ له وخدمتُه، حين رأيتُ الحقَّ تعالى غضبَ علينا كلِّنا بسببه، وقال: أمَا منكم أحدٌ يُكرمه لأجلي؟ رضي الله عنه.

(١٩) أُخذَ علينا العهودُ أن ندور مع أهلِ هذا الزمان[2]، كما يدورون، ولا نجمد على حالٍ واحد؛ فإنَّ الأمورَ قد انعكست كما هو مُشاهدٌ، حتى صارَ النَّاسُ

---

(١) أحمد بن علي الرفاعي الحسيني أبو العباس (٥١٢-٥٧٨هـ) الإمام الزاهد، تفقه وتأدب في واسط، انضم له خلق كثير، كان يسكن قرية أم عَبيدة بين واسط والبصرة وبها توفي.

(٢) جاء في الهامش: يُنظر.

يقولون: لا تعملْ خيراً، فينقلبْ عليك في هذا الزمان شراً. وصاروا يكتبونَ على الحيطان: خيراً ما تعمل، شراً ما تلقى. وصاروا يكتبون عليها: اتَّقِ شرَّ من تحسن إليه[1]. فالعارفُ من عرف زمانه.

وقد رأيتُ الشيخ عصفور المجذوب[2]، وكان من أربابِ البصائر، كلَّما يرى أحداً يملي في حوض البهائم يقول له: يا أعمى القلب، هذا زمان ما يَستحقُ أحد أن يعملَ مع أهله خيراً. فكان غالبُ الناسِ يسخرُ به، وكان الفقراءُ يعتبرون بكلامه؛ لأنَّه على لسانِ حال الزمان.

وتأمَّل يا أخَي، لمّا كان أهلُ هذا الزمان لا يستحقُّون فعلَ الخيرات معهم، كيف قامتْ دونهم الموانعُ في وصولهم إلى أرزاقهم، وكيف استولت الظَّلمةُ على الأوقاف، وعطَّلت الرِّزقَ المُرصدةَ على شعائر الدين، وأَسبلت البهائم وغيرها، وأخذتِ الأمور كلُّها في الطيِّ بعد النشر.

وأهلُ الموانعِ كما هو مُشاهدٌ أنَّ من أحسنتَ إليه طُولَ عمرك، لا يحتملُ منك الآن كلمةً واقفةً، بل يصيرُ يمزّقُ عرضَك في أفاق الأرض، ولا يتذكَّرُ لك قطُّ جميلاً، ولا حسنةً، فإذا عرضوا عليك بعد ذلك شخصاً لتُحسن إليه، لا تجدُ في نفسك داعيةً؛ لما قاسيتَ من الأول.

فالعاقلُ من قبضَ على إيمانه في هذا الزمان؛ فإنَّه أساسُهُ الذي يبني عليه ما شاء من الخيرات، ومن التفتَ إلى شيءٍ سواه، يقع في كفَّة النقصان، ولأنْ يأتي العبدُ ربَّه فقيراً من جميع العلوم والأقوال والأفعال، ومعه الإيمانُ فقط، أحبُّ إلى ربِّه من أن يأتيه بعلومِ الأوَّلين والآخرين، وفي إيمانه ثلمةٌ ونقصٌ، فاعلم ذلك.

(٢٠) **أُخذَ علينا العهودُ إذا وجدنا في نفوسنا رجاءَ الإجابة** من الله تعالى لنا فيما سَألناه أَنْ نسألَهُ أن لا يستجيبَ لنا قطُّ دعاءً في حقِّ أحدٍ من هذه الأمَّة، إذا دعونا عليه حال غضبٍ أو غيره، فإنَّ الله تعالى أوفى من وفى بالعهود، فيفعل ذلك لنا

(١) قال العجلوني في كشف الخفا ١/٤٤ (٨٦): لا أعرفه، ويشبه أن يكون كلام بعض السلف.

(٢) ويُسمى عصيفير واسمه إبراهيم المجذوب، كان كثير الكشف والعطب، وله أحوال غريبة توفي سنة ٩٤٢هـ، ودفن بزاويته ما بين الصورين. طبقات الشعراني ١/١٤٠.

عند شَيَطَانٍ غضبنا على ولدٍ، أو زوجةٍ، أو صاحبٍ، أو خادمٍ، وغيرهم، فلا يستجيبُ لنا دعاءً في حقّهم.

وقد كان رسول الله ﷺ يدعو على قريش كثيراً، فلما أنزلَ الله تعالى عليه: ﴿وما أَرسلناك إلاّ رحمةً للعالمين﴾ [الأنبياء: ١٠٧] تركَ الدُّعاء عليهم، وصار ﷺ يقول: «اللهم، من سببتُهُ أو شتمتُهُ، فاجعلْ ذلك كفارةً وطهوراً»(١).

وصار إذا سُئل أن يدعو على أحدٍ، عدلَ عن الدعاءِ عليه، ودعى له.

واشتد غضبُهُ ﷺ من إنسانٍ لم يرَ فيه لوائح الهداية فقال: «اللّهُمَّ، أكثرْ مالَه، وولده، وأطلْ أملَهُ، واصحَّ جسمه» وكان يَدعو لمن آمنَ به وأحبَّه: «اللّهُمَّ، قصِّرْ أملَ فلان، وأقللْ له من المال والولد»(٢).

فاعلم ذلك، واعملْ عليه، ولا تدعُ على أحدٍ من أولادِك، ولا غيرهم، فربَّما استجابَ اللهُ تعالى ذلك الدُّعاءَ، فعسرَ عليك، فتطلبُ بالدُّعاء أن تردّ ذلك البلاءَ، فلا تقدر، والله سميعٌ عليم.

(٢١) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نُصغّرَ قرص الخبزِ** حتى يكون قدرُهُ ثلاثَ أواقٍ، أو

---

(١) لم أجده بلفظه، وقد روى مسلم (٢٦٠٢) في البر، باب من لعنه النبي ﷺ عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي: أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة وطهوراً».

(٢) لم أجد ما ذكره فيما بين يدي من المراجع، والذي عليه القول إن رسول الله ﷺ لم يدعُ بهذا الدعاء إلا من باب الدعوات والمناقب، فقد روى البخاري ١١/١١٧ في الدعوات، باب دعوة النبي ﷺ لخادمه بطول العمر وبكثرة المال، وباب الدّعاء بكثرة المال مع البركة، وباب بكثرة الولد مع البركة، ومسلم (٢٤٨٠) في فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس عن أنس قال: قالت أم سُليم: يا رسول الله، خادمك أنس، ادعُ له. فقال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما أعطيته».

أما الدعاء فلم يؤثر عنه ﷺ إنما قاله عامر بن عبد الله لما سُيِّرَ شيَّعَهُ إخوانُه، وكان بظهر المربد، فقال: إني داعٍ فأمِّنوا. قالوا: هات، فقد كنَّا نشتهي هذا منك. قال: اللهم من وشى بي، وكذب عليَّ، وأخرجني من مِصري، وفرّق بيني وبين إخواني، اللهم أكثر ماله وولده، وأصحَّ جسمه، وأطلْ عمره. الحلية ٢/٩١ و٦/٢٠١، المصنف لابن أبي شيبة ٧/١٧٧.

وباقي الحديث ما وجدته في المصادر التي بين يدي.

أربعة[1]، كما كان خبزُ رسولِ الله ﷺ، وكانت عائشةُ رضي الله عنها تقول للأنصار: اصغروا خبزَكم، يُباركْ لكم فيه[2].

وأمَّا تصغيرُهُ عن ثلاث أواق، فلم يبلغنا في ذلك شيءٌ عن رسولِ الله ﷺ، وإنَّما بلغنا عن سيِّدي أحمدَ البدويِّ[3] أنَّه أمر عبد العال بتصغير الخبز، كما هو اليوم يوزن بالرطل، ومثل سيِّدي أحمد لا يفعل شيئاً سدًى.

ونظيرُ ذلك ما حكاه سيِّدي عليٌّ الخوّاص في سبب تصغيرِ خبز سيِّدي إبراهيم المتبولي في بِركة الحاج[4]، وقال: إنَّ ذلك كان بأمرِ رسولِ الله ﷺ؛ فإنَّه كان يجتمعُ برسولِ الله ﷺ يقظةً ومُشافهةً رضي الله تعالى عنه.

(٢٢) أُخِذَ علينا العهودُ إذا أكلنا أو شربنا، أن نتذكَّرَ بقلوبنا تنْزيه الحقِّ تعالى عن مثلِ ذلك، فمن واظبَ على ذلك أَثمَرَ له التواضعَ مع الخلق أجمعين.

وإذا أكلنا أن نصمتَ مراقبةً لله تعالى، فإنَّنا على سماطه، وهو يرى، ولا نتحدَّثُ بشيءٍ سوى الشكر لله تعالى، فمن واظبَ على ذلك أَثمَرَ له شبعَ النفسِ، وعدم شرهها، وكثرةَ همتِها في الطعام المُثير للشهوات، وفعل الحرام.

وإذا فرغنا من الأكل أن نُصلّي ركعتين شكراً للنعمة، لكن في بعض الأوقات، ولا نواظبُ عليها كما نُواظبُ على السنَّة المحمّدية، أدباً مع رسول الله ﷺ.

وقد كان الشيخ أبو مدين وجماعته، يُصلّون هاتين الرَّكعتين من غيرِ فاتحةٍ،

---

(١) الأُوقيَّة: جزء من اثني عشر جزءاً من الرَّطل.

(٢) ذكره السيوطي في الجامع الصغير عن عائشة قالت: صغروا الخبز، وأكثروا عدده يُبارك لكم فيه. وقال: رواه الأزدي في الضعفاء والمتروكين، والإسماعيلي في معجمه. قال المناوي في فيض القدير ٤/١٩٤: قال ابن حجر: وقد تتبعت هل كانت أقراص المصطفى ﷺ صغاراً أو كباراً، فلم أر في ذلك شيئاً بعد التفتيش إلا هذا الحديث وما أشبهه مما لا يُحتج به.

(٣) أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني أبو العباس البدوي أصله من المغرب، ولد بفاس وطاف البلاد، وأقام بمكة والمدينة، وعندما قدم مصر استقبله الظاهر بيبرس، انتسب إلى طريقته جمهور كثير من بينهم الملك الظاهر، توفي ودفن في طنطا سنة ٦٧٥هـ.

(٤) بركة الحجاج: في الجهة البحرية من القاهرة، على نحو بريد منها، سُميت لنُزول حجاج البر بها عند مسيرهم من القاهرة، وعند عودتهم.

ويقرؤون في الأولى ﴿لإيلاف قريش﴾، وفي الثانية الإخلاص، فاعلم ذلك.

(٢٣) **أخذَ علينا العهودُ أن ندعو لإخواننا في ظهر الغيب**، وفي كلِّ وقتٍ رجونا فيه الإجابة، كأوقات الأسحار، وبين الأذان والإقامة، وكلِّ وقتٍ وجدنا في قلوبنا رقَّةً وذلاًّ وانكساراً، لاسيما إن كان الإخوان مُحسنين لنا أو لغيرنا؛ فإنَّ ذلك واجبٌ علينا.

وإذا دعونا فليكنْ ذلك من غير تعيين أسمائهم؛ فإنَّ الله يعلمُهم ويعلمُ أسماءهم، وما يستحقُّ كلُّ واحدٍ، مع إننا عاجزون[1] عن استيفائهم بلا شكٍّ.

ويكفي استمرارُ إخواننا على خواطرنا، ولله أمدادٌ إلهية يُنْزلها على إسرار عباده، وهم لا يشعرون؛ فإنَّ الفتحَ كثيراً ما يَنْزل على الإسرار، وتارةً على الأرواح، وتارةً على الأنفس الإنسانية المجرَّدَةِ عن المواد، وتارةً على سرِّ السرِّ الجامع لجميع ذلك، كما هو يعرف العارفون.

وليكنْ أكثرُ دعائنا لأنفسنا، ولإخواننا باللطف، وباسمه (اللطيف)، وإخوانه كـ (المعين)، و(المساعد)، و(المقيت)، ونحو ذلك.

فإني سمعتُ شيخنا يقول: إنَّ الأسماءَ الإلهية قد استدارتْ حضراتها إلى الغروب لنفاد سلطان المحلِّ، الذي حكمها فيه، ولم يبقَ سلطانٌ لاسم إلهيٍّ الآن أقوى من اسمه (اللطيف)، وقد تزحزحَ بابُ الدُّعاء للغلق الذي هو بابُ الرحمة، وما بقي في الأرض من الرحمةِ العامَّةِ فيما يُعلمُ إلاّ الموت على الإسلامِ، فهذا الذي بقي يُرجى في هذا الزمان؛ لكثرةِ أحوالنا المُرديه، والمعاصي بَريدُ الكفر. نسأل الله العافية.

(٢٤) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نتأدَّبَ مع من هو تحت حكمنا وتربيتنا**، ولا نقومُ له إذا وردَ، ولا نتحرَّكُ، فإنَّ ذلك يُوقفُهُ عن الترقّي، بل نزجرُهُ وننهرُهُ حتّى عن المباح، ولا نقوم له في ناصرٍ إلاّ إن عرفنا منه الثباتَ في الأحوال، والإخلاصَ في النية، فلنا حينئذ أن نُطمعَهُ بالمدح، وإظهارِ الفضيلة، لكن لا نجعل ذلك إلاّ في حين؛ إمّا عند فتورِ همَّته، وإمّا إذا اعترفَ بما أنعمَ اللهُ تعالى به عليه، فإنَّ من لم يرَ فيه فضيلة، قلَّ شكرُهُ.

---

(١) في (أ): وما يستحق مع كل واحد إننا عاجزين. والمثبت من (ب).

ضرورةُ هذا شأنُ كلِّ إنسان، ما لم يبلغ مَراتبَ الرِّجالِ، فإنْ بلغَ كان ميزاناً عدلاً، يَشهدُ كلَّ وصفٍ فيه؛ من مدحٍ وذمٍّ، ولا يميلُ إلى شقٍّ منهما، فاعلم ذلك.

(٢٥) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نمكّنَ أحداً من إخواننا يتداوى بإشارة حكيم يهوديٍّ أو نصرانيٍ**، واليهوديُّ أشدُّ؛ لكثرة نفاقه، وظلمة باطنه، ومكره.

وربَّما كان ضعفُ الفقير من واردٍ وردَ عليه، ليسَ للحُكماء كلِّهم فيه يدٌ، فافهم.

وأُعلمك يا أخي ميزاناً تعرفُ به من يستحقُّ المداواةَ ممن لا يستحقُّ، وهو أنَّكَ إذا رأيتَ في قلب أحد من إخوانك ناراً، وفي نفسه هيجاناً، وفي بدنه طيشاناً بسبب حالٍ قاهر، فاعلمْ يا أُخي، أنَّكَ عاجزٌ عن مداوته، لأنَّ المحلَّ غيرُ قابلٍ للاستعاد، فادعُ له وانصرفْ.

وإذا وجدتَ حالَه كحالةِ الأموات لشدَّة ألمٍ في باطنه، وضعفٍ في بدنه، وانحطاط في روحه، وهو مع ذلك كثيرُ الاستغراق والغيبة، فلا تتعرَّضْ له بحكيمٍ؛ فإنَّ ذلك فتوحٌ من الله تعالى، قبله ذلك المحلّ لقوةِ الاستعداد، ولهذا الفتح علامةٌ يعرفها أهلُ الله تعالى حين نظرِهم إلى ذلك الضعيف، أو بلوغ خبره إليهم، كما أنَّ للسلب عندهم علاماتٍ كذلك، ومن أقوى علاماتِ السَّلبِ والمقتِ للعبد كونه يَصيرُ لا يُعجبُهُ أحدٌ من أهلِ بلده؛ لا من علماء، ولا من صالحين، فإنَّه بذلك يُحرمُ بركةَ الخلق أجمعين، ولا يَصلُ إليه من أحدٍ منهم مددٌ، ومصداقُ ذلك قوله: ما بقي أحدٌ يعملُ بعمله، ولا بقي أحدٌ من الصالحينَ في هذه البلد، وذلك لأن صفاته هي التي تجلَّتْ له في الناس، نسأل الله العافية.

(٢٦) **أُخذَ علينا العهودُ أن نلزمَ الأدب مع أصحاب النوبة**، وإن لم نجتمع بهم، ولم نعرفهم، فإنَّهم يشهدون أفعالنا في قعرِ بيوتنا، ولهم المؤاخذة بها، والتأديب عليها، حتى الخواطر الرديَّة، لا سيما إنْ كنّا ندّعي أننا من الفقراء الصادقين، فإنَّ قوسَهم موتورةٌ على كلِّ من ادَّعى ذلك.

وقد أوصاني شيخي سيّدي علي الخواص رضي الله عنه بذلك، وقال: إذا خرجتَ من بيتك لسفرٍ أو حاجةٍ ضروريةٍ، أو إلى محلِّ التَّنزّهات والمفترجات، فلا

تجاوزْ سورَ البلدِ أو عمرانها حتى تستأذنَ أَصحابَ النوبة، فإذا رجعتَ، فاستأذنْهم في الدخول كما في الخروج؛ لأنهم يحبُّون من يحفظ لهم المقام، ويتعرّفُ إليهم به، ويحبُّون من يستغيثُ بهم، عند نزول البلايا والمحن، ويغارون ممن يستغيثُ بغيرهم من الأموات والأحياء، ويتكدَّرون منه، وذلك لأنَّ أصحابَ النوبة هم المتصرِّفون في قضاء حوائج العباد، وتولية الملوك والنُّوابَ وعزلهم، وهم خواصُّ الأولياء، بعد أصحاب الدوائر الكليّة العلية، ويكونون في كلّ بلدٍ وأقليم بالنوبة، ويزيدُ عددُهم ويكثرُ بقلَّة البلاء وكثرته، وهم الآن في مصر سبعونَ رجلاً، وسوف يَزيدونَ بزيادة البلاء الآتي، ولا تُقضى لأحدٍ من الخلقِ حاجةٌ إلاّ بواسطتهم، ولو استغاثوا بأكبر الأولياء من الأفراد، لا يقدرُ على تصريف تلك الحاجة، إلا إنْ سألَهم، واستغاثَ بهم، وكلٌّ من استغاثَ بغيرهم وأُغيثَ، إنَّما هو لأجلِ استغاثته بأصحاب النوبة، فالعارفُ من أتى البيوتَ من أبوابها.

واعلم يا أخي، أنَّ **معرفةَ أصحاب النوبة على التعين لا يكون إلاّ** لمن حقَّ له قدم الولاية الكبرى، لتحجُّبهم عن كلّ من مالَ بقلبه إلى الدنيا، ولو لمحةً، وما رأيتُ في أولياءِ عصرنا أحداً أكثرَ إلماماً بهم من شيخي سيِّدي علي الخوَّاص، ثم سيِّدي أفضل الدين رحمهما الله تعالى، كانا يعرفان من تولّى من أصحابِ النوبة في جميع أقاليم الأرض، ومن عُزلَ في ساعةِ توليته، وساعةِ عزله.

ولما دخل إبراهيمُ باشا الوزيرُ الأعظم للسلطان ابن عثمان[١] مصرَ المحروسة رحمه الله قال سيِّدي عليٌّ الخوَّاص رضي الله عنه للأخِ أفضل الدين: يا أفضلَ الدين، اخرجْ إلى هذا الداخل، انظرْ مَنْ معه من أصحابِ النوبة. فخرجَ إلى باب النصر[٢]، ورجعَ، وقال: وجدتُ معه سبعةً. فقال الشيخ: والله محفوظ. ثم إنَّ شخصاً من أصحاب النوبة تخلَّف بعد إبراهيم ثلاثَ سنين، وقد رأيتُهُ جاءَ مرَّةً مع جماعةٍ من

---

(١) إبراهيم باشا الصدر الأعظم المقرب من السلطان سليمان القانوني بل كان شبه شريك له في الحكم، زوّجه أخته، وبعثه لإخماد الفتن التي أثارها أحمد باشا الخائن في مصر، وكلفه بالإصلاح الإداري في الولاية (٩٣٠-٩٣١) ثم قاد حملات ضد المجر، ووصل إلى فينا، وأخذ بغداد من الصفويين. قتله السلطان في ٢٢ رمضان سنة ٩٤٢هـ.

(٢) باب النصر: أحد أبواب القاهرة من جهتها البحرية. خطط المقريزي ٢/٢٠٩، ٢١٠.

الإنكشارية[1] إلى سيِّدي عليٌّ، فلمَّا رآهم سيدي الشيخ نزلَ من الدُّكان، ومشى له نحو عشرة خُطا، وتعانقَ هو وإيَّاه، وقال: آنستم بلادنا. وكان عليه ملبسُ الإنكشارية، لبَّادٌ مَقلوبٌ على ظهره، وهو محلوقُ اللحية رضي الله عنه.

ولما تولّى الشيخ شهاب المجذوب النشيلي الطويل[2]، المدفون بمصر العتيقة، أخبرني به الشيخ ثاني يوم تولّى، وقال الشيخ شهاب: هذه الليلة الماضية من أصحاب النوبة بمصر. ولما عُزِلَ بعد سنين، أخبرني بعزله.

وأرسلني مرةً إلى قصر العيني بمصر المحروسة، وقال: دخلَ مصر ثلاثةٌ من أصحاب النوبة من العجم، وهم مُقيمون في قصر العيني، فمضيت إليهم، وسلَّمتُ عليهم، وحصل لي منهم من الأُنسِ أمرٌ عظيم، حتى كادتْ جوارحي تطرب، وقابلوني بالبشاشة العظيمة؛ لكونهم أعظمَ الأولياء نخوةً رضي الله عنهم أجمعين.

ولعزَّة الفقراءِ الزاهدين في الدنيا، قلَّ اجتماعُهم بأحدٍ منهم، فلا تكادُ تجدُ فقيراً يعرفُ أحداً منهم، فلا حولَ ولا قوَّةَ إلاّ بالله العلي العظِيم، وكيف يدَّعي فقيرٌ أنَّه من أولياء بلدة، ولا يعرفُ من تولّى عليه، ولا من عُزِلَ، ولا أَصحابَ التصريف من غيرهم، والعادةُ أنَّ أهلَ كلِّ حرفة لا بدَّ لهم من معرفة بعضِ أهلِ حرفتهم، فإذا كان الغالبُ على أهلِ عصرهم من الأولياء الجهلُ بهم، فكيف بغيرهم؟!

ومن هنا تحجبت الملوك والأكابر بحكم التبعية لأصحاب النوبة، رحمةً بالناس؛ لكثرةِ جهلهم بأدب المراتب الموضوعة في هذا العالم، لإرداعِ الفسقةِ والمتمرِّدين، فلولا الحُجَّابُ على أبوابهم، لانتُهكتْ حرماتُهم، وتعدَّى الناسُ الحدودَ، ولعدمِ من

(١) الإنكشارية: كلمة تركية تعني العسكر الجديد، وهو جيش من المشاة أنشئ في عهد السلطان أورخان العثماني، اعتمد فيه على أبناء النصارى بعد تنشئتهم على الإسلام، وكانوا يدربون تدريباً عسكرياً دقيقاً، أباده السلطان محمود الثاني في الموقعة الخيرية التي جرت بالأستانة ١٨٢٦، حين فسدت أخلاق الجيش، وتمرد أفراده على الحكومة. معجم المصطلحات التاريخية. وانظر الموسوعة الميسرة.

(٢) من أولاد خليل النشيلي أحد أصحاب أبي العباس المرسي، صحبه الشيخ الشعراني وكان يزوره، كان إذا راق يتكلم بكلام حلو محشوٍّ أدباً، كُشف عنه أحوال الرجال، مات سنة نيف وأربعين وتسع مئة، ودفن بزاويته بمصر العتيقة. طبقات الشعراني الكبرى ١٤١/٢

يهابونه. ويخافون منه، فاعلمْ ذلك، واعملْ تصر في حِرزِ أصحابِ النوبة صباحاً ومساء. والله عزيز حكيم.

(٢٧) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نعودَ مريضاً قطّ، إلا إنْ علمنا أنّا نقدرُ على تخفيف المرضِ، إمَّا بالتحمُّلِ[1] بالقلب، وإمَّا بالدُّعاء باللسان، فإن لم نعلم قدرَتنا على ما ذكر، دعَوْنا له بالشفاء بظهر الغيب من غيرِ حضورٍ إلى منْزله، وأمرناه بالصدقة ولو بماله كلِّه، على حسب شدَّةِ المرضِ وخفَّته، فإنَّه ليس شيءٌ من أسباب الشفاء الآن فيما نعلم أعظمَ من الصدقة، وكثرةِ الاستغفار، ولا فائدةَ في الحضور إلاَّ لتخفيفِ المرض يقيناً لا ظناً وتخميناً.

هذه عيادة أرباب البصائر، وأمَّا عيادة غيرِهم من الناس، فيحضرون عند المريض، ثم يخرجونَ وهو على حاله مريضٌ لم يتغيَّرْ، فكأنَّهم لم يحضروا، ولم يعودوا.

وهذا العهد أخذه عليَّ سيِّدي محمد بن عنان بجامع الأزهر، حين عاد سيِّدي عليّ البُلبليَّ المغربي[2]، وكان قد أشرفَ على الموت، فما قامَ الشيخُ من عنده حتى قعد سيِّدي عليٌّ، ثم قام ومشى إلى مطهرةِ جامع الأزهر، ومرضَ الشيخ محمدٌ نحو أربعين يوماً من ذلك الوقت، والله سميع عليم.

(٢٨) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نمكّن أصحابنا من فتح باب التعصب لشيخٍ دون شيخ، سواءً كان ذلك الشيخُ حياً أو ميتاً، فإنَّ في ذلك من سوءِ الأدب ما لا يخفى، وفيه دليلٌ على أنَّهم لم ينتفعوا بصحبتنا شيئاً، فلو انتفعوا لخرسَ لسانُهم عن كلِّ فضولٍ، لا سيما إن كنَّا نهيناهم عن ذلك مراراً.

وكذلكَ لا نمكّنهم من الشكوى لنا في أحدٍ من إخوانهم، وإنَّما نأمرُ من شكا لنا بالصبر، وكظمِ الغيظ، والرجوعِ باللَّوم على نفسه؛ فإنَّ أصلَ الغيظ إنَّما هو للإخلال

---

(١) التحمّل: أي أن يحمل الوليُّ المرضَ أو المصيبة بدلاً من المريض.

(٢) علي البلبلي نسبة إلى قبيلة من عرب المغرب: كان ذا سمت حسن وخلق حسن لم يزل يسافر إلى الحجاز والقدس واليمن إلى أن مات في الحجاز، وكان يُقيم إذا جاء مصر في الجامع الأزهر. الطبقات الكبرى للشعراني ٢/١٤٩.

وفي الأصل البليلي، والمثبت من الطبقات، ولب اللباب للسيوطي.

بحقِّ ذلك الشخص، وعدمِ توقيره وتعظيمه، وعدمِ الردِّ عن عرضه في غيبته، وعدم الإحسان إليه، ونحو ذلك، فلو كان الشاكي قامَ بحقِّ ذلك الشخص ما رأى منه شيئاً يسوءُه قطُّ، وهذه ميزان لا تُخطئ.

وقد كنتُ مرَّةً عند سيِّدي عليٍّ الخواص رحمه الله، فجاءَ شخصٌ وشكا من آخر، وبالغَ في الشكوى، والشيخُ ساكتٌ، فقال له: يا سيِّدي، ما تُجيبني؟ فقال الشيخ: اللَّومُ عليك لا عليه. فقال: لماذا؟ فقال: لأنَّك نظرتَ إلى مساوئه، وأحصيتَها عليه، ولم تغادرْ منها صغيرةً ولا كبيرةً إلا ذكرتَها عنه، ولم تذكرْ لي شيئاً من محاسنه، ثم قال: وفي ذلك دليلٌ على نقصِ شيخك، حيث لم يُهذِّبْكَ، فإنَّه لا ينقصُ الإخوان إلا كلُّ ناقصٍ، فقال ذلك الشخص: أستغفرُ الله وأتوبُ إليه. فاعلم ذلك.

وكذلك لا نمكن أحداً من أصحابنا في هذا الزمان يشتغل بشيءٍ من العلوم التي كثرت، وقلَّ العملُ بها، وتعطَّلتْ؛ لأنَّ العمرَ ضاقَ عن مثل ذلك.

ومثالُ من يشتغلُ الآن بمثلِ ذلك مثالُ من عمَّرَ له فرناً في مدينة قد خربت، وخرجَ منها أهلُها كلُّهم، وصارَ يحمي الفرنَ ليلاً ونهاراً، رجاءَ أنَّ المدينةَ تعمرُ، ويبنيها الناسُ ثانياً، ويجيئون يخبزون عنده.

فما بقي الآن أفضلُ من الاشتغالِ بذكر الله عزَّ وجلَّ، وكثرةِ الاستغفار لكلِّ فقير، ومن أعظمِ دليلٍ على فضل الذكر والاستغفاركون المحتضرُ لا يصيرُ شيءٌ أخفَّ على لسانه منها، حين شاهدَ الموت، فلو قلتَ له ذلك الوقت: اسمعْ هذه المسألةَ في البيوع والصلاة، أو غير ذلك من أمور الدين، لا تجدُ عنده ذرةً من ميلٍ إلى ذلك، فلو كان الاشتغالُ بذلك عند طلوع الروحِ أفضلَ ليغتنم ما فاته من الخير، وما بلغنا قطُّ عن مُنكرٍ ونكيرٍ أنَّه يقولُ للعبد: نم نومةَ العروس؛ لأنَّك كنت قاضياً، أو نحوياً، أو عَروضياً، أو أُصولياً، أو مَنطقياً، ونحو ذلك أبداً.

فالعارفُ من لا يشتغل قطُّ بشيءٍ لا ينْزلُ معه القبر، ولا يحصلُ له به رقَّةُ القلب، ولا كثرة خوفٍ من الله تعالى.

وبالجملة فمنْ كان له شيخٌ، فهو كتابه. والله غني حميد.

(٢٩) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُمكِّنَ أحداً من إخواننا يسأل عن تفسير آيةٍ أو

حديث أو غيرهما؛ لأنَّه لا فائدة فيه، بل هو فتنةٌ عليهم، ويكفيهم ما ثبتَ عندهم فهمُه، وعَلِمَهُ من غير سؤال، فإنَّه هو الذي تعبّدهم الحقُّ تعالى به في ذلك الوقت، وطالبهم بالعمل به، وأمَّا ما لم يثبت عندهم فهمه، فلا يُطالبُهم الحقُّ تعالى بالعمل به، وموضوعُ العلم إنَّما هو العمل لا العلم به فقط من غيرِ عمل، وبالجملة فنسيانُ العبدِ لكلِّ علمٍ لا يستطيعُ العملَ به هو ولا غيره من رحمة الله به.

وقد سمعتُ شيخنا يقول: للعلماءِ مع الله تعالى ساعاتٌ لا يُساويها عبادةُ الخلقِ أجمعين، وساعاتٌ مع نفوسهم لا يُساويها معاصي الخلقِ أجمعين. انتهى والله أعلم.

(٣٠) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نرجعَ إلى محبَّة الدنيا وأدناسها،** بعد أن خرجنا من محبَّتها، إلاَّ أن نحبَّها لله تعالى، كما مرَّ تقريرُه في هذه العهود[1].

وهذا العهدُ يقعُ في خيانته كثيرٌ من الفقراء الذين لم يَسلكوا على يد شيخٍ مُرشد، فيصطادهم إبليس، ولو أنَّهم تفكَّروا في قوله ﷺ: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ منذ خلقَ الدُّنيا لم يَنظرْ إليها»[2] لعرفوا أنَّ الفقيرَ المُحبَّ لها أولى بعدمِ نظرِ الحقِّ تعالى إليه مادامَ يُرجِّحُ الذَّهبَ على الزبل، لا سيّما إنْ تظاهرَ بأحوالِ الصالحين ومراسِمِهم الظاهرة، وجلس في زاويةٍ، أو مقامِ شيخٍ ميت، يرصدُ الدُّنيا كلَّ مرصدٍ بالنصب والحيل، والكذبِ على الشيخ، الذي هو في مقامه.

ولما حضرتُ وفاةَ سيِّدي داود العزب[3] رضي الله عنه، طلبَ الفقراءُ أن ينقلوه إلى مصر، ليموت بها، فقال: إنَّ هؤلاء يُحبُّوني لغيرِ الله تعالى، يُريدون يَدفنوني في تابوت، ويجلبوا عليَّ الدنيا كما يُفعل بالقرد.

قال شيخنا رضي الله عنه: وأَوْلى من محبِّ الدنيا بعدم نظرِ الحقِّ تعالى إليه مَنْ طلبَ الحقَّ تعالى والقربَ منه بالأعمال الصالحة، والأوراد، والتملّق إلى الله تعالى في

---

(١) انظر العهدين (٣) و(٤)، والعهد (٣٨).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٧/٣٣٨ (١٠٥٠٠) عن موسى بن يسار أنه بلغه أن النبي ﷺ قال: «إن الله جل ثناؤه لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا، وإنه منذ خلقها لم ينظر إليها».

(٣) وهو داود الأعزب: صوفي جليل بشر به أبو الحجاج الأقصري وقال عنه: إنه قطب الدنيا، والقائم بالوقت، له كرامات عدة. الكواكب الدرية ٢/٤٠٨.

الأسحار، وغيرِ ذلك ممّا يُطلبُ من العبدِ أن يجعلَهُ خالصاً لوجه الله عزَّ وجلَّ، وأَوْلَى من ذلك بالمقتِ والطردِ مَنْ طلبَ الدنيا بأعمالِ الجاهلية الأُولى؛ من قراءة بعضِ الأسماءِ[1]، واتّخاذها ورداً له مع الخلوة، والرياضة، ليلاً ونهاراً، وترك الأعمال الصالحة التي جاءت بها الرُّسل عليهم الصلاة والسلام، الجالبة لخيرِ الدنيا والآخرة.

وسمعتُه رضي الله عنه يقول كثيراً: ثلاثةٌ تُوجبُ المقتَ، وقلَّةَ البركة في الرزق، وظلمةَ القلب، وخرابَ السرِّ: الاشتغالُ بعلم الروحاني، وطلبُ الدنيا من غيرِ طريقها المعتاد كالكيماوي والمطالبي[2]، والثالثُ محبَّةُ الشبابِ المردان بدلَ النساء. فاعلمْ ذلك.

(٣١) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نظهر لمن أمددناه** بمدد من إخواننا أنَّ ذلك المددَ بواسطتنا؛ بل نُخفيه عنه، ليكونَ الأجرُ موفراً عند الله إن شاء؛ فإنَّنا إذا أظهرنا له ذلك ربَّما دعته نفسُه إلى مقابلتنا بالخدمة، والشكر لنا، فينقص رأسُ مالنا، إن كان له وجود، وذلك لضعف أمثالنا عن شهود مدحةٍ من غيرِ ميلٍ إليه.

وقد أخبرني شيخنا سيِّدي عليٌّ الخواص رحمه الله، بأنَّ الشيخَ عبد الرحمن المجذوب[3] - المقيم بمصر خارجَ باب الفتوح منها الآن فسحَ اللهُ في أجله - ما دخلَ إليه أحدٌ إلاّ وأمدَّهُ بمددٍ من حيث لا يشعر ذلك الداخلُ به.

وسمعتُه أيضاً يقول في حقِّه: ما رأينا أحداً من الأولياء دخلَ مصرَ وله رأسُ مال إلا نقصَ، إلاّ الشيخَ عبد الرحمن المجذوب، وواللهِ، ما أرى نفسي عنده إلا كالقطِّ تُجاه السَّبُع. رضي الله عنه، وكذلك.

(٣٢) **أُخِذَ علينا العهودُ إذا فُتِحَ على أحدٍ من إخواننا** بفتوحِ القوم[4]، أن لا نمكِّنَه من الخروج عن حرفته، اعتماداً على فتوحه؛ فإنَّ الفتوح كالعَرَضِ الزائل لتحرق غالب

---

(١) انظر الحاشية على العهد (١٨٢).

(٢) انظر الحاشية على العهد (٨).

(٣) عبد الرحمن المجذوب من الأولياء الأكابر، تفرّغ لعبادة ربه، كثير الصمت، كان مُقعداً نحو نيف وعشرين سنة، وكان يُخبر عن سائر الأقطار وعن أقواتهم وأحوالهم، مات سنة أربع وأربعين وتسع مئة، ودفن بالقرب من جامع الملك الظاهر بالحسينية. وقبره ظاهر يزار في زاويته. طبقات الشعراني الكبرى ٢/١٤١.

(٤) الفتوح: هو ما يرزقه الصوفي من مال وطعام وهدايا من غير كدٍّ ولا نصب.

القلوب عن أن يمكثَ فيها مددٌ، وثباتُ الإنسان على سببه، وهو راضٍ مُثابٌ أولى من عودهِ إلى الأسباب وهو كارهٌ معاقب.

وقد شاهدنا ذلك كثيراً في جماعةٍ من فقراء عصرنا كانوا حيَّاكين ونجَّارين ومحترفين، فتركوا الحرفة، وعملوا مشايخ، فذهب الفتوحُ، وصاروا قاعاً صفصفاً، يأكلون بدينهم أولاً فأولا، كلَّ يومٍ بيومه.

وماكان عند سيِّدي عليٍّ الخواص رحمه الله أعظم درجةً من الفقيرِ المحترف.

وكذلك

(٣٣) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نخرج من حدِّ المُناصحة بالاستدراج إلى حدِّ المُكاشفة بالعيوب؛ بل ننصح إخواننا مع إظهار الودِّ والمحبَّة، وشهود كوننا أسوأَ حالاً منهم، كما سيأتي إيضاحه في هذه العهود إن شاء الله تعالى[1].

فمن نصحَ إخوانَه كذلك دامت مودَّتُهُ، وصحَّ جسمُه من العلل، والله غني حميد.

(٣٤) أُخِذَ علينا العهودُ أن نتعفَّف عن أطعمة الناس جهدنا، ولا نلتفتُ لقول من يقول: الفقيرُ كالبحر لا يكدِّرُهُ الرِّممُ[2]. فإننا أعرفُ منه بأنفسنا، التي هي أنجسُ من الخرَّارة، فإنْ لم نتعفَّفْ، ووقعنا، نوينا بالأكلِ عتقَ أحدٍ من إخواننا المسلمين بذلك الأكل، فإنَّه لا بدَّ له ممن يأكله؛ فتكون كالذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

وكان سيِّدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه إذا خرجَ في دعوةِ طعامٍ عند أحدٍ من الأكابر يقول لأصحابه: ارجعوا، فإني عازمٌ على أكلِ السُّمِّ. فيرجعون. رضي الله تعالى عنه.

وسمعتُ سيِّدي علي الخوّاص يقول: للطُّعمة أثرٌ عظيمٌ في قلوبِ النّاس، وإنْ علتْ مراتبُهم، وكلُّ واحدٍ يُؤثِّرُ فيه على قدْرِ استعداده، فأثرُها في المؤمنين أعمالٌ مذمومة، بحسب ما تقضيه حقيقةُ تلك الطعمة حلاًّ وشبهة، وكلّما عظمت المشقّةُ في تحصيلها، كانت أحلَّ، وأثرُها في أصحابِ الأحوال قسوةٌ في القلب، وثقلٌ في الطبيعة،

---

(١) انظر العهد (١٣٣).

(٢) الرِّمم: البالي من كل شيء. وفي (أ): الدمم.

وأثرها في العارفين غفلتُهم عمَّا يعودُ عليهم نفعه من مصالح الدَّارين، مدَّة إقامة تلك الطعمة في بواطنهم، وأثرُها في الكاملين كثرةُ الخواطرِ التي لا منفعة فيها، وأثرُها فيمن هو أعلى من ذلك لا يعرفه إلاّ صاحبه. انتهى. فتدبَّر ذلك فإنَّه نفيس.

(٣٥) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نكرم بالآداب والمعارف** التي تفضل بها الحقُّ علينا إلاّ لمن هو صادقٌ في همَّته، كاملُ الأخلاق في نشأته، فإنَّه أزكى لزرعنا، ومن زرع في أرضٍ سَبخةٍ، أحرقت كلَّ شيء بذره.

واعلم يا أخي، أنه لا يصلح أن يُرَسْمَلَ[1] الإخوانُ إلاّ من زهدٍ في الدنيا والآخرة، فإنَّ مَنْ رغب فيهما مَنْ لازمَهُ الشحُّ.

ثم إذا تكرمنا على أحدٍ، واتَّسع فتحُهُ لا ندعُ أحداً من الإخوان قطُّ يحسدُهُ أو ينقصه، فإنَّ ذلك لا يزداد به الحسودُ إلاّ بُعداً من حضرة الله عزَّ وجلَّ، فيتعبنا في تربيته، بل نأمرُ كلَّ إخواننا بأن يلزموا الأدب مع كلِّ من قدَّمه الله تعالى عليهم، ويحملوا نعلَه إكراماً لله تعالى الذي أَعطاه وفضَّله، فمن فعلَ ذلك مع إخوانه الذين فتحَ الله عليهم، رقَّاهُ اللهُ تعالى إلى مقامهم، فإنَّهم ما نالوا ما هم فيه إلاّ بكسرِ نفوسهم، وعدمِ حسدهم لإخوانهم، ونأمرُ من لم يفتحِ اللهُ عليه بالشُّكر لله الذي لم يُعطه ما يُقيم به صدره على الناس، ووفَّر له الأجرَ في أعماله الصالحة إلى الدَّار الآخرة كاملةً مُكمَّلةً، والله عليم حكيم.

(٣٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نكون دائماً تبعاً لإخواننا** الأحياء والأموات في جميع حوائجِ الدنيا والآخرة، ولا نكونَ رأساً قطُّ، إلاّ في تحمُّل المشاقِّ عنهم لا غير، فإذا كانت لنا أو لأحدٍ من إخواننا حاجةٌ إلى الله تعالى أو إلى أحدٍ من خلقه، سألنا إخوانَنا الأحياءَ فيهم، وجعلناهم واسطةً لنا، فإنْ لم تُقضَ على يدهم، عرضناها على قبورِ الأولياء، وهذا الأدب قد أغفله غالبُ من تصدّى من الفقراء لقضاء الحوائج في هذا الزمان.

وكان سيِّدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: اسألوا أصحابَ النَّوبةِ في

---

(١) أن يجعل لهم رأس مال.

حوائجكم، فإن لم تعرفوهم، فاسألوا من يعرفُهم من الفقراء الأحياء، فإن لم تُقضَ، فاسألوا الفقراءَ الأموات.

وأسرع الأولياء إجابة السيدةُ نفيسة(١)، ثم سيِّدي أحمدُ البدوي، ثم سيِّدي شرفُ الدين(٢) المدفون بالحُسينية بمصر المحروسة، ثم كلٌّ من كان عندكم أعظم بركةً. انتهى.

وقد رأيت شخصاً من فقراء الأحمدية سألوه في حاجة، وأن يسأل فيها سيِّدي أحمدَ البدوي، فقال: أنا لا أَسألُ أحمد البدوي في ذلك، فإنَّ مِثلَ ما هو رجلٌ أنا رجلٌ. فما مضى عليه ساعةٌ وإلاّ وقد ضُربَ بحربة في جنبه، فماتَ من وقته.

وحُكي أن الشيخ ابنَ كتيلة المَحلّي عرَّضَ بأنَّه وليٌّ مثلَما أحمد البدوي وليٌّ لله، فما مضى عليه يومٌ إلاّ وقد عزمَ عليه شخصٌ، فأطعمَهُ سمكاً، فتصلَّبَ في حلقه شوكةً كبيرةً، فما استطاعَ أحدٌ إخراجَها، فقال له شخصٌ من الفقراء: ما يقضيك هذه الحاجة إلا سيِّدي البدوي، فسافرْ، وحمِّلْه حملتك، فإنَّه صاحبُ نخوة. فمضى إلى قبَّة سيِّدي أحمد البدوي، فقرأَ عنده ﴿يس﴾، فعطسَ تجاه وجه سيِّدي أحمد، فخرجت الشوكةُ مُغمّسةً دماً، فقال: يا سيِّدي أحمد، تبتُ إلى الله عزَّ وجلَّ، واعترفَ بنقصه عن مراتبِ الرجال.

ومن أين لأمثالنا الدعوى لمراتب الأولياء الذين أشهرَهم الله تعالى في أرضه بين الملوك والعلماء. والناسُ يشحتون على اسمهم، وعلى بركتهم بعد موتهم، فيُكْرَمُون لأجلهم. وأحدُنا لو سألَ فقيرٌ أعزَّ أصحابنا الآن على اسمنا، وعلى بركتنا فلساً واحداً لا يعطي، ولا يلتفتُ إليه، ولا يقول أحدٌ: شيء لله يا سيِّدي فلان، فالعارف من عرف نفسه.

واعلم يا أخي، إنْ ربطَ أحدُنا قلبَه بشيخٍ حيٍّ أو ميتٍ، يَنفعنا، ولو لم يكن ذلك الشيخ في علم الله تعالى شيخاً، لأنَّ ربطنا حقيقةً؛ إنَّما هو لاستناده هو إلى الله تعالى

---

(١) السيدة نفسية بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ولدت بمكة سنة ١٤٥هـ، ونشأت في عبادة وزهد، تزوجت من إسحاق المؤتمن، أقامت بمصر سبع سنوات، وتوفيت فيها سنة ٢٠٨هـ. طبقات الشعراني ١/٦٨.

(٢) هو شرف الدين الكردي له مقام عظيم، وكرامات كثيرة، وهو أخو الشيخ خضر الكردي في الطريقة، مات سنة ٦٧٧ هـ. الطبقات الكبرى للشعراني ٢/٣.

لا لذاته، ومحالٌ أن يوجدَ الحقُّ تعالى عند السَّراب، الذي ظنَّه الظمآن ماءً[1]، ويُفقدَ عند شخصٍ من عباده، مشهورٍ بالصلاح، مع أنَّ السرابَ ليس له حقيقةٌ، بخلاف الصالحِ، له وجودٌ وحقيقة، فافهم.

وقد سمعتُ سيِّدي عليَّ الخواص يقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ يستحي من عبده أن لا يكون عنده في كلِّ وقتِ طلبَهُ، وفي كلِّ مكانِ قصده، ولذلك أَعلمنا بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَينَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إعلاماً لنا بما ذكرنا، والله تعالى أعلم.

(٣٧) **أُخذَ علينا العهودُ أن نخلص التوحيد لله تعالى في الأفعال والأقوال**، والملك والوجود، كلٌّ مرتبةٍ بشروطها المقرَّرة بين أهل التوحيد، ولا نُضيف لأحدٍ من الخلقِ نفعاً ولا ضرًّا، ولا حلاًّ ولا ربطاً، ولا نقول قطُّ: أنا، ولا معنا، ولا لنا، ولا عندنا، إلاّ على سبيلِ المجاز والنِّسيان، فإنَّ ذلك معدودٌ من الشِّرك الخفي. وقد قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً﴾ [النساء: ٣٦] فنكَّر (الشيء)، ولم يُعيِّن شيئاً دون شيء، فافهم.

وقد سألَ بعضُ الفقراء ربَّه المغفرةَ، وقال: يا ربّ، اغفر لي؛ فإنَّك وعدتَ بالمغفرةِ كلَّ من لم يُشرك بك شيئاً، وأنتَ تعلمُ أنّي ما أَشركتُ بك يوماً واحداً. فإذا بالهاتف يقول: ولا يومَ اللبن. فخَجِلَ واستحى، وتذكَّرَ أنَّه قُدِّمَ له يوماً لبنٌ ليشربَ منه، فقال: أخافُ أن يَضرّني. فأحصاه الله عليه؛ لكونه نسب الضرَّ إلى اللبن، فتأمَّل ذلك.

(٣٨) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا ندع شيئاً من محابِّ الدنيا يقيم في قلوبنا**، فإنَّ الله تعالى غيورٌ، ولا يُحبُّ أن يرى في قلبِ عبده محبَّةً لسواه، ولا تلفُّظاً بغير كلامه وأسمائه، وربَّما غارَ الحقُّ تعالى على من رآه في قلبنا من المحبِّين، فمقَتَه غيرةً على قلبنا، ونحن كُنَّا السببَ، فيرجع وباله علينا.

وقد أَذَّنَ الشبليُّ[2] مرَّةً، فلمَّا جاءَ إلى قوله: أشهدُ أن محمداً رسولُ الله. وقفَ،

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى في سورة النور (٣٨): ﴿وَالذين كفروا أعمالُهم كسرابٍ بقيعةٍ يَحسبُه الظمآن ماءً حتّى إذا جاءَهُ لم يجدْهُ شيئاً ووجدَ الله عنده فوفّاه حسابَه والله سريع الحسابِ﴾.

(٢) أبو بكر الشبلي كان والياً في دنباوند، وولي الحجابة للموفق العباسي، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، ونسبته إلى شبلة قرية من قرى ما وراء النهر، واختلف في اسمه ونسبه. توفي سنة ٣٣٤هـ في بغداد.

واستأذن ربَّه في أن يذكرَ غيرَه، وقال: وعزَّتِكَ وجلالِكَ لولا أنَّكَ أمرتني بذكره ﷺ ما ذكرتُ غيرك.

وكان شيخنا يقول: الغيرةُ المطلوبةُ من العبدِ أن يغار لله لا على الله.

واعلم أنَّ كلَّ ما تعلَّق به خاطرُك من محمودٍ ومذمومٍ، فأنتَ عبدُه: «تعسَ عبدُ الدِّينار والدراهم، [وعبدُ] الخَميصة...»[1] الحديث.

وكلُّ ما عسرَ عليك فراقه، فأنتَ عبدُه حتَّى علمك وعملك، ومعرفتك، وذلك لأنَّ جميع القُرباتِ عند العارفين وسائلُ لا مقاصد، فافهم.

فمن حضر مع الحقِّ تعالى عند الوجدِ، وفقد عند السلب، فهو عَبْدُ نفسه غيبةً وحضوراً، وذلك أنَّ العلمَ والعملَ والمعرفة غيرُ الحقِّ تعالى بيقين، وإذا كانوا عينَ الحقِّ، وملتَ إليهم، نقصَ ذلك من عبوديتك لله تعالى بقدر ما ملت إليهم. فتأمَّل ذلك.

(٣٩) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نتأوَّلَ على الله تعالى كلامه، أو كلام رسلِه عليهم الصلاة والسلام، أو كلامِ أحدٍ من العارفين. ولْنَقُلْ في كلِّ ما لا نفهم: اللهُ أعلَم، ولا نقطعُ بشيءٍ علمناه[2]، ولا نقولُ: لا يحتمل هذا الكلام غير ذلك، سواءٌ كنَّا علمنا ذلك من طريق الفهم أو الكشف.

فأمَّا كلامُ الله تعالى، أو كلامُ رسله، فلا قَدَمَ لنا في فهمه على وجهه؛ لعدمِ دخولنا حضرةَ الرِّسالة، وأعلى أحوالِ العارفين بدايةُ درجات النبوة، فإذا كان أعلى العارفين لا قدمَ له في ذلك، فكيف بغيرهم؟

وأمَّا كلامُ العارفين؛ فمثلُنا كذلك لا يَذوقُ شيئاً من إشاراتهم، فلا ينبغي قطُّ تأويلُ كلامِ الأكابر.

وقد حكى لي سيِّدي أفضل الدين جملةً من آدابِ سيِّدي أحمد بن بَرْسباي أحدَ أمراء مصرَ في زمن الدولة العثمانية، منها: أنَّ عبداً من خدمه سألَهُ عن معنى آيةٍ،

---

(١) رواه البخاري (٦٠) في الجهاد، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، وفي الرقاق، باب تبقى من فتنة المال.

(٢) في (أ): علمانه. والمثبت من (ب).

فقال للعبد: اسكتْ، مثلُكَ يسألُ عن معنى كلام الله عزَّ وجلَّ!؟ والله مثلُ ابن عثمان الذي هو أكبرُ ملوكِ الأرض الآن لا ينبغي له أن يدَّعي تأهيله لفهم كلام الله تعالى، فكيف بك، وأنت تكنسُ الزبلَ تحت فرسي؟ فأعجبني أدبُهُ، حفظه الله تعالى.

(٤٠) **أُخِذَ علينا العهودُ أن ننظر دائماً للذي علينا من الآداب والحقوق،** ولا ننظر قطُّ للذي لنا بحكم الوعد على أعمالنا في الدُّنيا والآخرة، إلاّ على وجه الشُّكرِ فقط؛ وذلك لنكون معترفين لله تعالى بالحجَّةِ البالغة علينا، ونتوب إليه ونستغفره.

واعلمْ أنَّ **من شرط كلِّ عارفٍ، أن يرى نفسَه قد استحقَّت الخسف به،** لولا عفو الله تعالى، وأنَّ الحقَّ تعالى لو خُسف به، لكان عدلاً منه تعالى في محله[1].

وقد طلب جماعةٌ من الفقراء كرامةً من سيِّدي عبد العزيز الدِّيريني[2]؛ ليقوى يقينُهم، ويأخذوا عنه الطريق، فقال: يا أولادي، وهل بقي لأمثالنا كرامةٌ أعظمُ من أن الله تعالى يُمسكُ بنا الأرضَ لنمشي عليها، ولا يَخسفُها بنا، ووالله يا أولادي، إني لأرى المنَّةَ لله تعالى، كلَّما رفعتُ قدمي ووضعتها على الأرض. انتهى.

وهذا الأمر ما علمته من أحدٍ من إخواننا إلاّ سيِّدي أفضل الدين رحمه الله، وقد دخلتُ أنا وإيَّاه على شخصٍ من مشايخ مصر، فلمَّا أردنا الانصرافَ، وقرأنا الفاتحة، قال الشيخُ: ادعوا أنتم. فقال سيِّدي أفضلُ الدين: اللهم، إنَّا قد استحقّينا الخسفَ بنا نحن وأخونا هذا. فقطَّب الشيخُ وجهه، وذلك لأنَّ غالبَ هؤلاء الذين تصدَّروا للمشيخة، جلسوا بغير إذن شيخٍ.

بل رأيتُ من رأى في منامه قائلاً يقول له: ابرزْ للناس. فبرز، فنازعه شخصٌ في ذلك، فارشى جماعةً، فشهدوا له، وأثبت مشيختَهُ عند قاضٍ مالكي، فالله يغفر لنا وله بمنِّه وكرمه.

(٤١) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نغترَّ بصفاء حالنا مع الحقِّ تعالى،** وشهودِ كمالنا،

---

(١) في (أ): كان عدلاً منه تعالى من أهله في محله. والمثبت من (ب).

(٢) عبد العزيز بن أحمد فقيه شافعي، زاهد متعبد، كان يحسن الكلام على مذهب الأشعري، له عدد من الكتب: التيسير في علم التفسير، وطهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب. والديريني نسبة إلى ديرين في غربية مصر، توفي سنة ٦٩٤هـ.

فإنَّ حكم ذلك كحكم اللبن الطيّب اللون والطعم، ثم لا بدّ له مع ذلك من المنْفَحة[١] الخبيثة المنظرِ والرائحة في افتقاره إليها لتشدَّه وتثبته وتصبّره على مصائب الزمان، وتقلُّب الحَدَثان[٢]، وتأمّل لولا المنفحةُ لتغيَّرَ وتلفَ في أسرعِ زمان.

وسمعتُ شيخنا رضي الله عنه يقول: أعظمُ الآفات على الفقير الكشفُ والرُّكون إليه، فإنَّه منازعةٌ لأوصاف الربوبية، وخروجٌ عن سياج من خُلقَ من طينٍ، لما فيه من التشبُّه بصفات الحقِّ الذي يعلم السرَّ وأخفى.

وتأمل النبات لما تشبَّه بأعلى منه، وقامَ على ساقٍ طالباً للانتقال عن رتبته إلى مرتبة الحيوان، صاحبِ التصريف والحركة، كيف عُوقِبَ بالحصادِ والدَّوسِ بالنعال، وحوافر الأنعام إلى أن صار كالتُّرابِ على أوطَإِ حالة، تُرى فما ساوى صعوده هبوطه؟ وهكذا تكون سياطُ القدرِ على الاغترار بالله، ثم قال لي: اسمع هذه الأبيات لابن سُودون[٣]، واعتبر. فقلتُ: نعم. فقال:

يوم طهوري يا ما رأيت ... زغرطو لي وكيت وكيت
فرحوني[٤] وما دَريت ... ما القَضا فيَّ صانع

قطعوا راسَ حمامتي ... صحتُ أنا من حَرارتي
زغلطت أهل حارتي ... وأيش يبالي إلا شاكع

فتأمَّل باطن الكلام، واعتبر.

ومن كلام الأكابر: إيَّاكم والاغترارَ بصفاءِ الأوقات؛ فإنَّ في طيِّها آفات، لا سيما إن اتَّكَلَ العبدُ على علمه، واستند إليه، فإنَّ آدمَ عليه السلام لم يخرجْ من الجنَّة بمجردِ

---

(١) المِنْفَحة: مادة صفراء تستخرج من الجزء الباطني من معدة الرضيع من العجول والجداء.

(٢) الحدثان: الليل والنهار، وحدثان الدهر: حوادثه ونُوبه.

(٣) هو علي بن سودون الجركسي القاهري ثم الدمشقي أبو الحسن (٨١٠-٨٦٨هـ) أديب فكه، ولد وتعلم بالقاهرة، ونعته ابن العماد بالإمام العلامة، وقال السخاوي: شارك مشاركة جيدة في فنون. حج مراراً، وسافر في بعض الغزوات، وأمَّ ببعض المساجد لكنه سلك في أكثر شعره طريقة هي غاية في المجون والهزل والخلاعة، فراج أمره، رحل إلى دمشق، وتعاطى فيها خيال الظلّ، وتوفي بها. له كتب منها: نزهة النفوس ومضحك العبوس.

(٤) في (ج): فرّموني.

المخالفةِ للأمرِ فقط، وإنَّما خرجَ مع اتِّكاله على علم الأسماء، وظنِّه أنَّه لا يدخلها محوٌ ولا إثبات، وما علم عليه السلام أنَّ تقييد الحقِّ تعالى في نهيه عن الشجرة، إنَّما هو إشارةٌ لكونه قيد على الحقِّ تعالى بعلمه، ولو لم يكن منه إلاّ ذلك؛ لكان فيه كفاية في الوقوف عن الإقدام عن أكل الشجرة. فاعلم ذلك.

(٤٢) **أُخذَ علينا العهودُ أن نحفظ الأمانة** التي سرت إلينا من الحقِّ تعالى، أو من عباده، فإن حواء عليها السلام لم تخرج من الجنَّة إلا بتضييعها الأمانة الغيبية المأمورةَ بحفظها وكتمها، فإنَّها أظهرتْ لإبليسَ ما أسرَّهُ إليها السيد آدم من السرِّ الذي أسرَّهُ الحقُّ تعالى إليه في أمرِ الشجرة، فكانَ ذلك هو السببَ لإخراجها.

فإيَّاك يا أخي أن تُفشيَ سرَّك لأحدٍ من الناس مُطلقاً، ولو لأعزِّ أصدقائك، فإنَّه ربَّما انقلب عدوًّا لك في أسرع زمانٍ؛ لكثرة تقلُّباتِ الناس، وربَّما أفشى سرَّك لصديقه هو، فيُفشي الآخرُ سرَّه لمن هو عدوٌّ لك، صديقٌ له هو، فيحصل الفسادُ الكبير. فاعلم ذلك.

(٤٣) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نجادل من فضَّله الله علينا**، فإنَّ إبليس لم يخرجْ من الجنَّةِ، إلاَّ بجداله، وعدمِ تسليمه؛ لكون آدم عليه السلام أفضلَ منه.

ومن وصية سيِّدي عليٍّ الخوّاص رضي الله عنه: إذا جادلكم مُجادلٌ، فتصدَّقوا عليه بالسكوت، ولا تقيموا قطُّ عليه الحجج بالأجوبة القاطعة، فإنَّ السكوتَ يُخمدُ هيجان النفس، والجوابَ بالجدال يهيجها. انتهى.

واعلم يا أخي، أن جميع العلوم المستعارة، محلُّها النفس، والنفسُ محلُّ الظلمة، عكس العلوم الإلهية، فإنَّ محلَّها إنَّما هو القلب والروح والسر، فاحمدِ الله، واعذرْ من جادلك، والله غفور رحيم.

(٤٤) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نأكل من أطعمة المتهوّرين في كسبهم**، المتفاخرين بالدنيا، فإنَّها كلَّها أذى في البدن، كطعام البخلاء سواء.

ومن علامة التَّهوّرِ في الحرام والشبهات كثرةُ تنوّع الأطعمة في كثرة الأوقات، فإنَّ صاحب ذلك الطعام لو تبعَ الحِلَّ في كسبه، ما وَجَدَ عنده شيئاً يعمل منه تلك

الألوان، لا سيما في أوقات كسادِ البضائع كهذه الأيام. فاعلم ذلك.

(٤٥) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نتعلَّمَ الآداب من ذوي البيوت**، إذا فقدنا الأشياخَ، فإنَّ ذوي البيوت على جانبٍ عظيمٍ من الحياء والكرم، ولو وصلتْ أيديهم التراب، حتى إنَّ الحياءَ غمرَ ألسنتهم، فلم يتكلَّموا قطُّ بما يتكلَّمُ به غيرُهم من القبيح، ولا يشيعوا قطُّ عن إنسانٍ سوءاً، إذا رأوه وقع فيه، ونفوسُهم من كثرة تواضعهم أصغرُ وأذلُّ من بوّاب دارهم، كما سيأتي بسطُه إن شاء الله أواخر العهود[١].

(٤٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نجالس المجاذيب**، ولا نطلبَ قطُّ منهم الدعاء؛ فربَّما دعوا علينا، فنفد اللهُ السهم، لأنَّ مرتبتَهم تقتضي أن يُجيبهم اللهُ تعالى في كلِّ ما سألوه، وكان دأبُ الشيخِ عُصيفير المجذوب رضي الله عنه دائماً الدعاءَ على من سأله أن يدعو له.

وسأله شخصٌ مرَّةً أن يدعو له، فقال: الله يبليك بالعمى في حارةِ اليهود.

وسأله شخصٌ آخر، فقال: الله يبعت لك سَهمْ ربَّاني.

وسأله الأخُ محمد المنوفي أن يدعو له، فقال: جاءتك داهية بطبل خانه[٢].

وكان اللهُ ينفّذ له كلَّ شيء يقوله.

وسمعتُ شيخنا يقول: لا تبدؤوا المجاذيبَ قطُّ بالعطاء، إلاّ إن طلبوا ذلك، ثم إذا طلبوا فأعطوهم ما سألوا من الدنيا، إلاّ أن يكون ذلك يضرُّ بأمثالكم، واعلموا أنهم لا يطلبون منكم شيئاً قطُّ إلاَّ دفعَ بلاءٍ عنكم، لغناهم عن الدنيا، فمن شاءَ فليدفعْ، ومن شاء فليمنع.

وقد حكى الأخ الصالح سيِّدي جمال الدين بن مولانا شيخِ الإسلام زكريا رضي الله عنه قال: خرجتُ إلى الحمام، فرأيتُ الشيخ فرجَ المجذوب[٣] في الطريق، فقال لي:

---

(١) انظر العهود: (٥٦) و(٨٠) و(١١٩).

(٢) الطبلخانه: الجوقة الموسيقية. معجم تيمور ٥/٣٥٢.

(٣) فرج المجذوب صاحب الكشف والكرامات، كان جندياً فجُذب، له وقائع مع أهل مصر، انقطع آخر عمره في المارستان، ودفن بباب الشعرية. طبقات الشعراني ١/١٤٢.

هات نصفْ، فأعطيتُه، فقال: هات نصفاً آخر. فأَعطيتُه، فما زالَ يطلبُ حتى أخذَ تسعةً وثلاثين نصفاً، فقال لي: هات. فقلتُ: ما بقي معي إلاَّ نصفٌ للحمام. فقال: كتبنا لك وصولاً بتسعةٍ وثلاثين ديناراً. قال: فرجعتُ من الحمام، فوجدتُ يهودياً واقفاً على الباب، فقال لي: كان لشيخِ الإسلام عندي أربعون ديناراً ذهباً، اقترضتها منه، وما بيني وبينه إلاَّ الله، وقد تيسَّرت إلا ديناراً، فأبرئ ذمَّتي. قال: فأخذها منه، وندمتُ الذي ما كنت أعطيتُ الشيخ النصفَ الآخر.

وحُكي عن سيِّدي محمد بن صالح المجذوب[١] أحدِ أصحابِ سيِّدي محمد الغَمْري[٢]، أنَّه جاءَ إلى شخصٍ من أولاد ابن عليبة[٣] تجارِ مصر والحجاز، فقال: يا خواجا، هاتْ لي نطعْ جديد، فأعطاه، فقال: هات آخر، فأعطاه، فقال: هات آخر. فأبى، فما مضى إلا يسير وقد جاءَ الخبرُ بأن مراكبَهُ الثلاثةَ غرقت في بحر الهند، فسَلِمَ منها اثنان، وغرقتْ واحدةٌ، ووجدوا النِّطعين في اللَّتين سلمتا.

ورأيتُ الشيخ عصيفير المجذوب قال للقاضي سعد الدين القادري: هات نصفينْ، فأعطاهما له، فقال له: ما حاجتك بهما؟ قال: أَسكبُ بهما ماءً على الحريق الواقع في هذه المدرسة، يعني مدرسة أم خُوند، بخطِّ بين السورين، فأعطاهما الشيخ للسقّا، وسكبَ الماء الذي على الجِمالِ تحت المدرسة، فاحترقتِ المنارةُ تلك الليلة، وانفصلتْ من الدور الأسفل، وطارتْ في الهواء، ونزلتْ بطول ذلك الماء الذي سكبه الشيخ. ورأيتُ بعيني القناديلَ وهي توقد نازلةً مع رأس المأذنة إلى الأرض، فلم يصيب أحداً من ذلك الحريق ضرورةٌ، وما فصلناها إلا في الأرض، وكان ذلك في رمضان[٤]،

---

(١) محمد بن صالح النِّمراوي العابد الزاهد، أخذ الحديث عن ابن حجر ثم جُذب، له كرامات توفي سنة ٨٧٦هـ. الكواكب الدرية ٣/٢٥٧.

(٢) محمد بن عمر الغمري ولد سنة ٧٨٦ تقريباً في منية غمر، ونشأ بها، وحفظ القرآن، وأخذ عن شيوخ الأزهر، ثم لازم التجرد والتعبد، لزم أحمد الزاهد خمسة عشر عاماً، وأنشأ زوايا لحفظ القرآن، وله تآليف عدة، مات سنة ٨٤٩هـ. طبقات المناوي ٣/٢٥٢.

(٣) هو حسن بن إبراهيم الخواجا التاجر، حفظ القرآن، وأقبل على التجارة، كان كثير التودد والعقل صبوراً، توفي سنة ٨٨٩هـ. الضوء اللامع ٣/٩٠.

(٤) انظر الخبر في الكواكب الدرية ٣/٣١٨.

والله أعلم.

(٤٧) **أخذَ علينا العهودُ أن نستشيرَ إخواننا في كلِّ أمرٍ نفعله أو نتركه**، بشرط أن لا يكونَ الشارعُ أمرنا به أو نهانا عنه، فإن كان ذلك فلا استشارة، وكذلك نستشيرُ إخواننا في كلِّ ما سكت عليه الشارع، ولم يرجّح لنا فعلَه على تركه، ولا تركه على فعله.

هذا فعلُنا إذا لم يكن لنا شيخٌ، فإن كان لنا شيخٌ فالحكمُ راجعٌ إليه، فنشاوره في كلِّ أمرٍ مسنون لا واجب، إلا إذا تعارضَ واجبان، فنشاوره: أيُّهما نقدِّمه؟ وذلك لأن الشيخَ أمينٌ علينا في كلِّ ما يراه أرقى لنا في طريق الله عزَّ وجلَّ، والأشياخُ لا تغشُّ أحداً، معاذ الله.

واعلمْ أنَّ الاستشارةَ والنُّصحَ بمنْزلة تنبيه النائم أو الغافل من نومه أو غفلته، فإذا استيقظَ رأى السببَ الذي نُبِّهَ من أجله، فيحكم عليه بما يهديه إليه الحقُّ تعالى من خيرٍ أو شرٍ.

ولا حرجَ على الناصحِ في جميع ما ينصح به، إلاّ إن خرجَ عن مقام الأدب في عدم حفظهِ مقامَ المنصوح، وما يليق بحاله من ألفاظ النُّصحِ الموضوعة لكلِّ نوعٍ من النّاس، من ملوكهم إلى سوقتهم، ولا يساوي بين الناس فيها إلاّ أعمى البصيرة.

وإيَّاك والعملَ بمشورة النساء، فإنَّ في المثل: المحبوب لهوى النفسِ لا يُستشار، وما ثَمَّ أميلُ إلى النساء من الرجال إلاّ لافتقارهم إليهن، حالاً وطبعاً.

وإذا كان غالبُ الرِّجالِ ما بقي له في هذا الزمان تمامُ عقلٍ، فكيف بالنساء اللاتي نقصهنَّ خِلقيٌّ؟!

وأحذر أن تستشير راغباً في الدنيا؛ فإنَّه أعمى القلب، أو زاهداً فيها؛ فإنَّه فانٍ عن حبِّها، واستشر كاملاً ممن هو راجلٌ في الدارين.

وإيَّاك يا أخي، أن تفتح باب النُّصحِ لأحد من إخوانك أو غيرهم، إلاّ بعد أن تَستشيره في ذلك، لا سيما إن كان صاحبَ نفسٍ، فتقول له مثلاً: ما أحسنَ المسلمين إذا تَناصحوا، ونبّه بعضُهم بعضاً، ومقصودي فتحُ هذا الباب بيننا، فتنبِّهُني وأُنبِّهُك، فلا يسعه أن يقول إلا نعم. وهذه في طريق المؤمنين الذين يَرون نفوسَهم

دون إخوانهم.

وأمَّا النُّصحُ من غيرِ إستشارةٍ ولا استئذانٍ فهو خاصٌّ بالعارفين، أصحابِ السياسة النبوية؛ لأنهم يمهدون بسياستهم للأعوج بساطاً يُشهدونه فيه عوجَه، حتى يكونَ هو المبادر لترك العوج، لما يَرى لنفسه في ذلك من المصلحة، فهؤلاء الذين ينصحون الخلقَ ابتداءً مع أنَّهم على حقٍّ ويقينٍ في كلِّ ما يَنصحون به الناس، فلا يأمرون قطُّ أحداً على ظنٍّ وتخمينٍ، وليس أمرُهم للناس بترك شيءٍ ردًّا لجريان أحكام الأقدار، وإنَّما امتثالٌ للأمر والنفع لعامة الخلق سواءٌ قبلوا منهم، أو لم يقبلوا، لِما جبلهم الله عليه من الشفقة على خلق الله تعالى، حتى أن منهم من يتحمَّلُ البلاءَ عن جميع إخوانه ومعارفه وجيرانه من حيث لا يشعرون ولا يعلمون، فهم ولو شهدوا التقدير على عبدٍ بزواجٍ، أو سفرٍ، أو قتلٍ، أو نحو ذلك، ورأوا له مصلحةً في الإقدام أو الترك، يقولون له: لا تفعل، أو افعل، ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]، فإنَّ الإضلالَ نعتٌ إلهيٌّ، لا يكون لعبدٍ من العبيد، خلاف لما عليه بعض متصوِّفة العجم، وقد اجتمعتُ بشخصٍ منهم في باب زويلة[١] مصر، وبيَّنتُ له فسادَ هذا الاعتقاد، فلم يرجعْ، وقال: رسول الله ﷺ متخلِّقٌ بجميعِ أخلاقِ الله عزَّ وجلَّ. فقلت له: إنَّ لنا أسماءً جزماً لا يجوز لنا التخلّقُ بها كالمتكبِّر، والعزيز، والعظيم. فلم يرجع، وقال: لرسول الله ﷺ إنْ يُضلَّ من يشاءُ من أمَّته، كما أنَّ الله يُضلُّ من يشاءُ من عباده.

قال شيخنا رضي الله تعالى عنه: وأصلُ الاستشارة للخلق مع بعضهم، إنَّما هو لإظهارِ الفاقة، واحتياجِ بعضهم إلى بعض، ليقعَ الافتقارُ إلى الله باطناً من باب أولى.

وعلى المستشيرِ أن يبادرَ إلى فعلِ ما أُشيرَ به عليه، فإن لم يُبادر، فليستشرْ ثانياً؛ لأنَّ الاستشارة إنَّما هي على لسان وقتها فقط.

واعلم أنَّه يجب على كلِّ عارف بالله تعالى أن يفدي الحقَّ تعالى بنفسه، فإذا رأى إنساناً عازِماً على فعلِ شيءٍ، إذاً فعلَه وقعَ في سخطه على ربِّه أن ينصحَهُ عن

---

(١) باب زويلة: أحد أبواب القاهرة من جهتها القبلية، نسبة إلى قبيلة من البربر نزلوا بهذا المكان، بناء العزيز بالله نزار بن المعز سنة ٤٨٤هـ. انظر خطط المقريزي ٢/٢١٠. التاج (زول).

الوقوع فيه حمايةً للحقِّ تعالى أن يذكره عبدٌ من عبيده بسوء. والله تعالى أعلم.

(٤٨) **أخذَ علينا العهودُ أن نكثر من الاستغفار**، والندمَ على ما فات، سواءٌ استحضرنا أننا عصينا، أو لم نستحضر، واعلم أنَّ النَّدمَ على تركِ المعصية، يُهبطُ العملَ، كما أنَّ النَّدمَ على فوات الطاعات يُبطل الإخلاصَ. فاعلم ذلك.

(٤٩) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نمكّن أصحابنا من الجلوس في مجالس القيل والقال،** ولا من الخوض في عيوب الناس. من التجَّار، والقضاة، والأمراء، وغيرهم، ونأمرهم أن لا يَجلسوا فيها إلا لضرورة، ثم يقومون عنها بسرعةٍ، فقلَّ من يُطيلُ الجلوس مع النَّاسِ في هذا الزمان، ويسلم من الغيبة.

وفتش يا أخي نفسك في كلِّ مجلسٍ، تعرفْ صدقَ ما أقوله لك، وهذا النَّهيُ لك إذا كنتَ على المزابل، فكيف إذا كنتَ في الجوامعِ والقرآنُ يُتلى فيها لا تنصت له، ولا تلقي بالك لمواعظه!؟

وكلُّ ذلك تصديقٌ لرسولِ الله ﷺ في قوله: «سيأتي على النَّاسِ زمانٌ يكونُ حديثُهم في مساجدهم أمرَ دُنياهم، لا يَعبأُ الله بهم»[1].

. ولكن من كان صاحبَ بصيرةٍ، نوى بالوقوعِ في كلِّ ما لا يليقُ فعله تصديقاً لرسولِ الله ﷺ فيما أخبرَ، فيكون من الذين ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سيئاً عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

ثم إن كان ولا بُدَّ لك يا أخي من المجالسةِ فأكثرْ من ذكر الله والاستغفار كلَّما جريت قافية أحد، وأجبْ عن إخوانك الغائبين، إذا ذُكروا بسوء، فلعلَّ ذلك يَرقعُ لك ما خرقتَ من دينك في ذلك المجلس إن شاء الله تعالى. هذا كفارةُ الغيبة ما لم تبلغ، فإن بلغتْ صاحبَها، فأنتَ يا أخي تحت أَسرِهِ في الدنيا والآخرة، حتى يُسامحك.

واعلم يا أخي، إنَّ من الذنوب ما لا يكفِّرُهُ صومُنا ولا صلاتُنا ولا غيرهما، وإنَّما يكفِّرُهُ الغيبةُ فينا، فكلَّما اغتابنا أحدٌ، كفَّرَ عنَّا من سيئاتنا، ووقع من اغتابنا في الشقاء،

---

(١) رواه ابن حبان بنحوه في صحيحه ١٥/١٦٣، والطبراني في الكبير (١٠٤٥٢) وابن عدي في الكامل ٢/٤٩٣. وإسناده ضعيف.

فنتحكَّمُ يومَ القيامة في أعماله الصالحة، فنأخذُها منه في مقابلة ما اغتابنا ونَقَّصَنا، فكان بذلك أشقى خلقِ الله، حتى يرى صالحَ عمله في ميزانِ غيره.

فإيَّاك ثم إيَّاك يا أخي من مجالسةِ من يجمعُ لكَ الأخبارَ التي تقعُ في البلد طول النهار، ثم يأتي بها إليك، فتخوض أنت وإيَّاه، وتقولُ: فلانٌ كان أولى بالحسبة أو بالقضاء أو بالوزارة، وغير ذلك، فيقول هو: لا، بل فلانٌ أصلحُ، مع أنَّ أحداً لا يَسمعُ لقولِكَ ولا لقول جليسك، وربَّما نقلت الشياطينُ النقَّالةُ مقالتَكَ إلى من تولّى، فيرسل وراءَك، ويُبهدلك، وأنت تظنُّ أنَّ الناقلَ لذلك جليسُكَ، وإنَّما هو الشيطان المجالس لك. فاعلم ذلك.

(٥٠) أُخذَ علينا العهودُ أن نلازمَ البيوت، ونقلَّ الحركة والأسفار أيامَ الفتن، مادامَ عندنا الرَّغيفُ، فمن أكثرَ الحركةَ، وأصابَهُ سوءٌ، فلا يلومنَّ إلاّ نفسه.

وكذلك لا ينبغي لعاقلٍ أن يُعمِّرَ تلك الأيام داراً، ولا يَغرسُ بستاناً، ولا يدخل حمّاماً إلا لعذرٍ شرعي، ولا يجامعُ إلاّ كذلك، لأن كلَّ من لم يهتمَّ بأمرِ المسلمين فليسَ منهم، وقد ذكرنا الكلام على ذلك في «المبيضة». والله غفورٌ رحيم.

(٥١) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُنفِّرَ نفسَنا من صاحبنا، إذا صاحب أحداً من الأشرار المارقين، بل نستدلُّ على خيرية ذلك الرجل بصحبة صاحبنا له الذي هو صالح عندنا، ونحن نحسن الظنَّ به وبجميع الفاسقين، ونجعلُ إشاعةَ الفسقِ عن ذلك الرجل من باب سوءِ الظنِّ بالمسلمين، فإنَّ المُبغضينَ والحاسدين في النَّاس اليوم كثيرٌ لقلَّة دين الناس اليوم، لا سيما أهلُ العلم والصلاح الذين رفعَهم اللهُ تعالى على الأقران، فإنَّ التنقيصَ لم يزل في حقّهم من سائر الأقران؛ لكثرةِ مزاحمةِ النفوس على المراتب، وكانوا في العهد القديم يقولون: حبيبُ المرءِ من يعمل بعمله؛ لقوَّة ارتباط بعضهم ببعض، فصاروا اليومَ يقولون: عدوُّ المرءِ من يعمل بعمله، ولو طاعةً لله عزَّ وجلَّ.

وخالط يا أخي كلَّ من انعوجَ عن طريقِ الاستقامة، كما تقدَّمَ في عهد المؤاخاة لأصحاب الكتب، وارشدْهم واعضدْهم وانصحْهم.

واعلم أن أحوج ما يكون أخوك إليك إذا عثرتْ دابتُهُ، فإحسنِ الظنَّ بجميع

عبادِ الله ولو فسقةً، فضلاً عن الصالحين، ولا تقمْ على أحد ميزانَ عقلك الجائر، ولا ترجَمْ أَحداً بحجارتك؛ فإنَّه لا يظنُّ بالنَّاسِ الشَّرَّ إلاّ من كانً من أهلِ الشرِّ، ولا الخيرَ إلاّ من كانَ من أهل الخير. والله تعالى أعلم.

(٥٢) أُخِذَ علينا العهودُ أن نتفقّد جميع ما في دارنا من الدوابّ والحشرات، وأن لا نغفلَ عن مصالحهم ومعاشهم حتى الهرَّة، والعِرسة[١]، والذبابة، والنملة، فتُقدِّمُ إليهم ما يأكلون، وما يشربون بأنفسنا، أو بمن نثقُ به إن أردنا أن نُكتبَ من المحسنين، ولا نكلُهم إلى نفوسهم، يَكلُنا الحقُّ إلى نفسنا، فنهلَكُ كما هلكوا؛ أمّا جوعاً، وأمّا عطشاً، وتقسوا علينا القلوبُ التي كان يحصلُ لنا منها البرُّ والمعاش.

واعلم يا أخي، أنَّ هذه الدوابَّ ما طافتْ بك إلا ترجو نوالك وحسنَتَكَ لحُسنِ ظنِّها فيك، ولولا ذلك ما أقامتْ عندك في الدار، فلا تُخيّب ظنَّها، يُخيِّب اللهُ ظنَّك كذلك.

وإذا رأيت يا أخي نملةً سابحةً، فاعلم أنَّها ما خرجتْ من حِجرها، وبايعتْ أصحابَها على الموت إلاّ لأجلِ القوت، فإنَّها معرضةٌ في حال خروجها لوقعِ حافرٍ أو نعلٍ عليها، فإذا رأيتَها كذلك، ولو في غيرِ بيتِكَ، فاجعلْ لها شيئاً في طريقها أو على بابِ حِجرها، مما تعلم أنَّها تأكله كالدَّقيقِ أو الطعام أو الشراب، وهوّنْ عليها تحصيلَ رزقها، يُهوّنُ الله عليك طريقَ رزقك.

واحذر أن تضرب الهرةَ التي أكلتِ الدجاجةَ التي عُملت لك وطُبخت لأجلك، أو أَكَلتْها نيَّةً، لحديث: «العَجماء جرحُها جُبار»[٢]، فتأمّلْ تجدِ اللّومَ عليك لا عليها، لأنَّها ما أكلتِ الدجاجةَ إلا بعد أن أيست من برِّكَ وإحسانك، وليس لها صنعةٌ تأكلُ منها، ولا بيتٌ تدَّخرُ فيه قوتها، فلو كنتَ تفقَّدْتَها بالمصارين ونحوها، ما

---

(١) العِرسة: هو ابن عِرْس حيوان لاحم ذو فِراء يفتك بالدجاج. انظر معجم تيمور الكبير ٤/١٣٣، المعجم المدرسي.

(٢) رواه البخاري ٣/٢٨٨ في الزكاة، باب في الركاز الخمس، ومسلم (١٧١٠)، والموطأ ١/٢٤٩، والترمذي (٦٤٢)، وأبو داود (٣٠٨٥)، والنسائي ٥/٤٥، عن أبي هريرة.

العجماء جبار: العجماء البهيمة، والجُبار: الهدر.

خطفتْ شيئاً أبداً، وكانتْ مُطمئنةً على رزقها، وإذا كان غالبُ الرجال لم يصر عنده طمأنينةٌ في رزقه، فكيف بالقطط؟ فافهم.

واحذرْ أن تجعلَ للنمل الطائف في بيتك مانعاً من وصولِه إلى رزقه من قطرانٍ أو تعليق في السقف، أو مكاك[1] لا يصل إليه، فربَّما قيَّضَ اللهُ لك بحكم العدلِ من يفعلُ لك مثلَ ذلك في طريقِ رزقك، ويقهرُكَ على عدمِ الوصول إليه، كما قهرتَها، وإن كان ولا بدَّ لك من جعل ذلك المانعَ في طريق رزقها، فأَخرجْ لها نصيباً مفروضاً، على قدر ما يخصُّها، لو قسم ذلك على جميع من يقسم عليه من أهل البيت، ثم اجعلِ المانعَ بعد ذلك لئلا تتلفُهُ أو تقذره.

وتأمَّلْ إذا كان هذا جزاءَكَ في حقِّ نملة، فكيف جزاؤك في حقِّ أحد من المسلمين؟ فافهم، فإنَّك لا تأكلُ إلاّ مما تَطبخُ، والسلام.

(٥٣) أُخِذَ علينا العهودُ أن نبادر بالنُّصحِ لإخواننا، ولا ننتظر وقتاً آخر، فربَّما تركنا ذلك بعدُ نسياناً أو غيره، وكلُّ من كان سالماً من النفاقِ يفرح بالنُّصح؛ لأنَّه غنيمةٌ في هذا الزمان؛ لقلَّة من ينصح الإخوان.

وقد سمعتُ شيخنا يقول: انصحْ إخوانَك بالعنف؛ فإنَّ هذا الزمانَ كثرت فيه المُخالفات، والكلامُ الليِّنُ لا يقعُ به زجرٌ في هذا الزمان إلا للعاقل، وأَين العاقل؟

فزجرُنا للمخالفِ الذي تحت حكمنا بالعنف أَولى وأقطع، وأمَّا من لم يكن تحت حُكمنا، فالنُّصح له بالكلام الليِّنِ أولى، فإنْ لم يسمع، وكلناه إلى الله عزَّ وجلَّ، ومتى قطبنا في وجهه وزجرناه، قامت نفسه فقابلنا بالإباءِ، وعدمِ الانقياد، ولم يسمع لنا كلاماً، ولو كان قرآناً كما هو مشاهد بين أهل الضغائن. والله أعلم.

(٥٤) أُخِذَ علينا العهودُ إذا رأينا أحداً في ضيقٍ، لا نبادر إلى قولنا: مسكين، ما كان هذا يستحق ذلك. فإنَّ في ذلك رائحةَ اعتراضٍ على الله عزَّ وجلَّ، وادعاءً لمقامٍ في الرحمة فوقَ مقامِ رحمة الله لعبده، الذي هو أرحمُ بالعبد من أُمِّه، بل نسألُ اللهَ تعالى لذلك العبدِ التفريجَ والصفح عنه، فإنَّه تعالى ما يُقدِّرُ على عبدٍ عقوبةً قطُّ،

---

(١) مكاك: طبق من خشب أو حديد يربط بحبل، ويوضع عليه الطعام، ويعلق تحت السماء كي يبقى صالحاً للأكل (تبريد)، بعيداً عن الحيوانات.

إلاّ جزاءً لعملٍ سابق، أحصاه اللهُ ونسيه العبدُ.

ويقول من لا علم له بذلك: هذا ابتُلي بالتهمة، وكذبوا عليه، ويحلفُ هو بالله وبالطلاق إنَّه مظلوم، وهو صادق أنه ما فعلَ ذلك الذي اتُّهم به، وإنَّما أخذه اللهُ بذنبِ سبقَ، وقعَ فيه حقيقة، وكانت التّهمة سبباً للاقتصاصِ منه.

وحكى لي شيخنا رضي الله عنه: أنَّ عابداً في بني إسرائيل كان جالساً في صومعته، ينظرُ إلى بركةِ ماء تحته،إذ جاء رجلٌ مسفور[1]، فنزلَ، فشرب، وأسقى دابَّتَهُ، وغسَلَ وجهه، وخففَ ثيابه، واستراح، ثم قامَ، وركبَ، ونسي كيساً فيه خمسُ مئة دينار، فبعد ساعةٍ جاءَ شخصٌ وعلى رأسه حزمةُ حطبٍ، فوضعها، وشربَ من البركة، فوجد الكيسَ، فأخذه ومضى، فجاء صاحبُ الكيسِ، فوجدَ شخصاً آخر جاءَ بعد الحطَّاب، فقال له: أين كيسي؟ فقال: ما رأيتُهُ، فقال: بل رأيتَهُ، ودفنته. فحلف له، فلم يُصدِّقه، فضربَهُ بالسيف، فقتله، فقال العابدُ: يا ربِّ، كيف يُقتَلُ عبدُك هذا، و لم يأخذِ الكيسَ، وإنَّما أخذه الحطاب!؟ فأوحى الله تعالى إلى نبيٍّ ذلك الزمان، أنْ قُلْ للعابدِ إنَّ الحطاب كان لأبيه على أبي صاحبِ الكيسِ خمسُ مئة دينار جحدها و لم يُعطها، فمكَّنْتُ ولدَه منها، وإن الثالث الذي قُتِلَ كان قَتَلَ أبا صاحب الكيس، فمكَّنْتُ ولدَه من قتله، وأنا الحكيم العليم. انتهى.

فعُلم أنَّ من أخذته الرَّحمةُ على مقتولٍ بسيف الشرع، أو مجلود بسوطه، فقد أساء الأدبَ، وفاتَهُ الإيمانُ، فالله تعالى يقول في المجلودين في الزنا: ﴿وَلاَ تَأْخذْكم بهما رأفةٌ في دينِ الله إن كنتم تُؤمنون باللهِ واليومِ الآخر﴾ [النور: ٢] فافهم.

وسيأتي إن شاء الله تعالى إيضاحُ ذلك في مواضع[2]، واللهُ غنِّي حميد.

(٥٥) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتميَّز عن إخواننا من الفقراء أو العلماء بخلق غريب محمود في هذا الزمان ما أَمكنَ، إلا أن يكون أحدُنا ناسياً أو ذاهلاً، وذلك كأَنْ يُفرِّقُ السلطانُ مثلاً مالاً جزيلاً على فقراءِ البلد وعلمائها، ويقبلوا ذلك كلُّهم، ونردُّه نحن، فإذا رددناه تميَّزنا عنهم ضرورةً. وفي الحديث: «إنَّ الله يكرهُ العبد المُتميِّزَ

---

(١) مسفور: مسافر. وفي (أ): سفور.

(٢) انظر العهد (١١١).

عن أخيه»[1]. فافهم.

هذا شأننا مع إخواننا ما لم يَنهمكوا على الدنيا، ويثوروا على ما لاح لهم منها كالسَّبُعِ على الفريسة، فإذا فعلوا ذلك رددنا الأموالَ، وتميَّزنا عنهم بكلِّ ما نقدرُ عليه من الأعمال الصالحة، ولا حرج، لا سيّما إن تصدَّينا لقضاءِ حوائجِ الناس عند الأمراء والأكابر، فإنَّه يجبُ علينا ردُّ كلِّ ما وصلَ إلينا منهم؛ لأجلِ مصالح الناس، ولو كُنَّا محتاجين.

واعلم يا أخي أنَّه ليس عند الأمراءِ والأكابر اليوم فقيرٌ أعظمَ ممن يزهدُ في الدُّنيا، ويردّ الذهبَ والفضة لعظمة الدنيا في قلوبهم، فإذا رأوا فقيراً قد زهد فيما رغبتْ فيه الملوك، عظّموه ضرورةً، وقبّلوا أقدامه.

وأمَّا إذا رأوه يحبُّ الدُّنيا، أو يسألُهم أن يُعطوه جوالي[2] أو مسموحاً أو يُرتِّبوا له دراهمَ على بساط السلطان، ويروه يُسافرُ في طلب الدنيا إلى بلاد العجم والروم، وهمَّتُهُ مصروفةٌ إلى جمعِ الدنيا أكثرَ منهم أو مثلهم، فكيف يصحُّ لهم أن يعتقدوه؟ فمن طلبَ اعتقادَهم فيه، وقبولَ شفاعاته عندهم مع حبِّه للدنيا، فذلك دليلٌ على سخافة عقله، ولهذا صار من له حاجةٌ عند الدفتردار[3]، أو الباشا، أو قاضي العسكر من الطلبة والمُريدين يردُّ حاجتَهُ في صدره، ولا يطاوعُهُ قلبُه أن يسألَ شيخَه يقضيها له، ويقولُ: يا ربِّي، يقدرُ شيخي على قضاء حوائج نفسه؟! ويرى القرائنَ قد توفَّرت على عدم توقيرِ شيخه عند الحكام، لشراهة نفسه وسؤاله الدنيا منهم.

فإنْ أردتَ يا أخي قضاءَ حوائج الخلق عندَ الحكَّام وغيرِهم، فازهدْ في الدُّنيا، ولا تجعلْ لك في ديوان صدقتهم وهداياهم اسماً، فإنِّي أضمنُ لك التعظيمَ في قلوبهم، والهيبةَ عند كلِّ من يراك.

واعلم أنَّ الواجب على كلِّ من يكون قدوةً، أن يحفظَ ظاهرَهُ، ويقدّم إصلاحه

---

(١) قال العجلوني في كشف ١/٢٩٢ (٧٦٥): قال في المقاصد: لا أعرفه.

(٢) الجوالي: جمع جالية: الجزية. وهي من أحل الحلال من الأموال؛ لذا جعلت منها أجور العلماء والمدرسين. والجالية لفظ أطلق على أهل الذمة لأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أجلاهم عن جزيرة العرب، ثم لزم بهذا الاسم كل من لزمته الجزية من أهل الجزية. معجم الألفاظ التاريخية.

(٣) الدفتردار: هو المشرف على الشؤون المالية.

على صلاحِ الباطن، وإخراج أمراضه؛ لأنَّ أمراضَ الباطن لا تُشاهد لأحدٍ حتى تبيعه عليها، بخلاف الأمراض الظاهرة.

وكثيراً ما أقول لبعض إخواننا من التجّار: عليكم بالقناعة من الدُّنيا، وعدم الانهماك عليها. فيقول لي: قلْ لفلان العالم، ولفلان شيخِ الزاوية؛ فإني رأيتُهم أطمعَ منّي في الدُّنيا، فإنهم يكتبون القصص، ويتردَّدون للأمراء وقضاة العسكر يبغونَ الزيادةَ في الدُّنيا، وعندهم الثيابُ، والجبنُ، والقمح، والعسل، وغيرُ ذلك، وأنا لا أفعل شيئاً من ذلك قطُّ، ولا أذلُّ نفسي عند حاكمٍ، ولا أُرائيه بعلمي، ولا أقول لأحد: بالله عليك، إن اجتمعتَ على الأميرِ فلان عَرّضْ له بذكري، وقل له: فلانٌ من أهلِ العلمِ الكبار، وليسَ له في هذا البلد ما يقوم به، وأشكي ربّي عزَّ وجلَّ لعباده الذين لا يقدرونَ على جلبِ مصلحةٍ لنفوسهم، فضلاً عن مصالحِ غيرهم، فإذا كان العلماءُ يفعلون ذلك فنحن مَعذورونَ في محبَّة الدُّنيا. انتهى.

وقد كان مالكُ بن دينار[1] ينشد:

يا معشرَ العُلماءِ يا مِلحَ البلدْ ما يُصلح الملحَ إذا الملحُ فسَدْ

فما ثمَّ أَسحرُ لنفوسِ الخلقِ، ولا فخّ يَصطادُ به العلماء أقوى من محبَّة الدُّنيا.

وتأمّل النِّسرَ وهو طائرٌ في جوِّ السماء، لا يصلُ إلى مسِّه بيده أكبرُ ملوك الأرض، كيف يَنصبُ الصيَّادُ له حبائلَ من الرِّمم، فينزلُ عليها من جوِّ السماء، فيقبضُ عليه، فالرَّجلُ من نظرَ واعتبر. والسلام.

(٥٦) أُخذَ علينا العهودُ أن نُحسنَ مجاورةَ نعم الله عزَّ وجلَّ، بمعرفة مقدارها، وأن لا نُنفقَ الأموال إلاّ في مرضاةِ الله عزَّ وجلَّ، دون شهوات نفوسنا من مأكلٍ، وملبسٍ، ومَنكحٍ، وبناءِ دارٍ وعقارٍ، ونحو ذلك، وننسى جارَنا اليتيم، أو المسكينَ إلى جانبنا، لا نتفقّدُه بكسرةٍ، ولا مرقةٍ، ولا حسنةٍ من حسنات الدنيا، فإنَّ ذلك من أعظمِ الأسباب تحوُّلُ النِّعَمَ عنَّا في أسرع من لمحِ البصر، ثم إذا تحوَّلتِ النِّعمُ، وسألنا الحقَّ تعالى بعد ذلك في عودِها، لا يُجيبنا، ويقول لنا: قد اختبرناكم، فما وجدنا عندكم

---

(١) مالك بن دينار البصري أبو يحيى، ثقة من رواة الحديث، ورع يأكل من كسبه، توفي بالبصرة سنة ١٣١ هـ.

خيراً، فحوَّلنا ما كان لنا عندكم من النِّعمِ إلى عبدنا فلان؛ لأنَّا رأيناه لا يردُّ سائلاً، ولا يَنسى أحداً من جيرانه كلَّ ليلة.

وسمعتُ سيِّدي عليَّ الخوَّاصَ رحمه الله يقول: إنَّ لله عزَّ وجلَّ ملائكةً ينزلون إلى الأرضِ بقصدِ الامتحان لمن سبقَ له تحويل النعم، فيأتونَ إلى بابِ من اشتهرَ بالكرم، وقِرى الضيوف، فيقفون عليه، ويتعنَّتون في السُّؤال له، ويطلبون منه أموراً تشقُّ عليه، وربَّما أتوه بعد العشاء، ويقولون له: اذبح لنا، أو اعجن لنا واخبز، فإنَّا لا نأكلُ عندك إلاَّ من ذلك. وكثيراً ما يسألونه شيئاً، فإذا أعطاه لهم، سألوه ثانياً، وثالثاً، وهكذا حتى يحصلَ عنده النزاقةُ، ويخرجَ خلقهُ عليهم، فإذا وقع منه ذلك، دعوا عليه، فحوَّلَ الله النعم. انتهى.

وفي الحديث: «إنَّ لله عزَّ وجلَّ عند عباده نعماً يُقرُّها عندهم، ما لم يملّوا من حوائج الناس، فإذا ملُّوها، حوَّلَها الله عنهم إلى غيرهم»[1].

ويُؤيِّدُ ما قاله شيخُنا من نزول ملائكة الامتحان ما ورد في «صحيح البخاري»[2] عن أنَّ الله تعالى أرادَ امتحانَ ثلاثةً من بني إسرائيل، أعمى، وأقرع، وأبرص، فأرسل تعالى إلى الأعمى مَلَكاً، فقال: ماذا تشتهي؟ فقال: أن يردَّ الله عليَّ بصري. فدعا له، فردَّ الله عليه بصره، فقال له: ماذا تحبُّ من المال؟ فقال: الغنم. فأُعطي شاةً والداً، وقال: باركَ الله لك فيها، فنَمَتْ كما ينمو الدود.

ثم جاء المَلَك إلى الأبرص، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسن، وجلدٌ حسن، ويذهب عنّي هذا الذي قذرني الناسُ لأجله. فمسَحَهُ المَلَكُ، فذهب عنه قذرُهُ، فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبل. فأُعطي ناقةً عُشراء[3]، وقال: بارك الله لك فيها.

ثم أتى الأقرعَ، فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسن، فدعا له، فذهب

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٨/٢٢٦ (٨٣٥٠) عن عبد الله بن عمرو، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/١٩٢: وفيه عمرو بن حصين وهو متروك.

(٢) صحيح البخاري (٣٢٧٧) في الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى، ورواه المؤلف رحمه الله بالمعنى.

(٣) العُشراء: الناقة التي أتى عليها عشرة أشهرٍ من نتاجها.

ما به، فقال: أيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. فأُعطي بقرةً حاملاً، فقال: باركَ اللهُ لك فيها، فانتج هذان، وولد هذان، فكان لهذا وادٍ من الغنم، ولهذا وادٍ من الإبل، ولهذا واد من البقر.

ثم إنَّ المَلَكَ جاء إلى الأبرصِ في صورته وهيئته الأولى، فقال: رجلٌ مسكين، وابنُ سبيل، انقطعتْ بي الحيلُ في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلا بالله تعالى ثم بك، أسألُكَ بالذي أَعطاكَ اللَّونَ الحسن، والجلدَ الحسن، والمال أن تُعطيني بعيراً أتبلَّغُ به في سفري، فقال: الحقوقُ كثيرة. فقال له: كأنِّي أَعرفك، ألم تكن أبرص يقذَرُكَ الناس فقيراً، فأعطاك الله؟ فقال: إنَّما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر. فقال: إن كنتَ كاذباً فصَيَّرك اللهُ إلى ما كنت.

ثم أتى الأقرعُ، فقال له مثلَ ما قال للأبرص، وردَّ عليه الأقرعُ مثلما ردَّ عليه الأبرص.

ثم أتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين، وابنُ سبيل انقطعتْ بي الحيلُ في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلاّ بالله ثم بك، أسألُكَ بالذي ردَّ عليك بصرَك، شاةً أتبلَّغُ بها في سفري، فقال: كنتُ أعمى، فردَّ اللهُ عليَّ بصري، فخذْ ما شئت، ودَعْ ما شئت، فوالله لا أجهدك اليومَ بشيءٍ أخذته لله ثم لك، فقال له المَلَكُ: أَمسكْ عليك مالك، فإنَّما ابتليتم، فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك. انتهى.

فإيَّاك يا أخي ونسيانَ النِّعم، وعدمَ البرِّ لإخوانك، وتتعلَّل بضيقِ اليد، وقلَّةِ المكاسب، فإنَّ ذلك عذرٌ غيرُ مقبول.

وقد رأيتُ الأخَ الصالحَ الشيخَ عبدَ الدائمِ من أصحاب سيِّدي الشيخ محمد السروي شيخ شيخنا رضي الله عنه، يطبخُ مع فقره غالبَ الأيام، ويتفقَّدُ جيرانَه مع شدَّة فقره، واحتياجه لسؤال الناس، فقلت له مرَّةً: إن مثلَكَ لا يُكلَّفُ بذلك. فقال: إنّي لا أحبُّ أن أُميِّزَ نفسي على جيراني، ثم قال لي: طبختُ البارحةَ طبخةً بثلاثة نقرةً، وشبعتُ أنا والأولادُ وأمُّهم، وفرَّقنا على الجيران. فقلتُ له: كيفَ فعلتَ؟ فقال: أخذتُ بدرهمٍ رِجلة[١]، ودرهمٍ سِيرجا[٢]، ودرهمٍ حطباً.

---

(١) الرِّجلة: البقلة الحمقاء، يؤكل ورقها مطبوخاً ونيئاً.

(٢) السِّيْرج: دهن السمسم

فانظر يا أَخي طيبَ نفس الفقير، وخفَّةَ مؤنته، وكثرةَ مروءته، يا من يضيِّعُ كلَّ يومٍ على طعامه العشرةَ أنصاف وأكثر، ولا يُطعمُ منها سائلاً، ولا فقيراً، ولا مسكيناً، ولا جاراً؛ بل بطنه كبيت الخلاء، يملي ويفرغ ليلاً ونهاراً.

ولو أنَّك يا أُخي زدتَ في الدست دلواً من الماء، لفرَّقْتَ على الجيران، ولو كانوا مئة: ﴿فَإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

وسيأتي في هذه العهود[١] أنَّ رسولَ الله ﷺ رأى في بيتِ عائشةَ رضي الله عنها كُسيرةً يابسةً على الأرض، قد علاها الغُبار، فأخذها رسول الله ﷺ، فنفضَها من الغبار، ثم أَكَلَها، وقال: «يا عائشةُ، أحسني مُجاورةَ نِعَمِ الله عزَّ وجلَّ، فإنَّها قلَّ ما نفرتْ عن أهلِ بيت، فكادت ترجعُ إليهم»[٢].

وحُكِيَ أنَّ ذا النُّون المصري رأى رجلاً قد بصقَ في بحرِ النيل، فقال له: تعستَ يا بغيض، تبصقُ على أكبرِ نعمِ الله تعالى على عباده.

وسمعتُ سيِّدي وأَخي أفضلَ الدين رحمه الله يقول: والله، ما أَبولُ أو أَبصقُ إلاّ وأنا في غاية الحياءِ والخجل من الأرض، وكيف يبولُ الإنسانُ على أمِّه؟!

ومن هنا ونحوه قلَّلتِ الأكابرُ الأكلَ، ولم يأكلوا إلاَّ عند الاضطرار تخفيفاً لقضاء الحاجة، وليكونَ لهم عذرٌ في التغوّط على أُمِّهم التي منها خلقوا، ومن هنا أيضاً اتَّخذ الأكابرُ من ذوي البيوت منديلَ الكُمِّ؛ لأجل البُصاق، حتى لا يبصقوا على أمِّهم، وإن لم يعرف المتشبِّهون بأهلِ الأدب الآن ذلك. رضي الله عنهم أجمعين، فتدبَّرْ هذا العهد فإنَّه مُبارك، والله أعلم.

(٥٧) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكِّنَ الخدَّامَ من الدخول على عيالنا ولو كانوا مخاصي؛ فإنَّهم من أُولي الإرْبةِ من الرجال، وكما يشتهي الرَّجلُ الجواري السود، ولو كان عنده الحرائرُ البيض، فكذا النساء تشتهي العبيدَ السود. فافهم.

وأما الخُدَّامُ الذين كانوا يدخلون على عيالِ رسولِ الله ﷺ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إنهم لم يكونوا من أُولي الإرْبةِ، مع عصمةِ رسولِ الله ﷺ أن يقرَّ على باطل.

---

(١) انظر العهد (١٧٤).

(٢) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ١٧٤/٤ (الأصل ٢٨٢).

فاحجبْ يا أخي نساءَك عن المخاصي، كما تحجبُهم عن فحول الذكران؛ فإنَّهم من الرجال، لكنَّهم مختونون فقط، ويحرمُ عليهم النظرُ إلى الأجانب، والخلوةُ بهن، ومسُّهنَّ من غيرِ حائل، وإن لم يكن لهم آلةُ الرجال. والله أعلم.

(٥٨) **أُخِذَ علينا العهودُ أن ننبِّهَ إخواننا من المباشرين والتجّار والمعلّمين** أن لا يصحبوا الفقراء إلا قربةً إلى الله تعالى لا لعلَّة، وأن لا يدَّخروا عنهم شيئاً يطلبونه منهم من أمور الدنيا، فمن صحبَ فقيراً لِعلة، كانت حظَّه منه، وفاتَهُ الأخذُ بيده في القيامة التي هي محلُّ احتياجِ النَّاس إلى الفقراء.

فينبغي لكلِّ إنسانٍ أن يعدَّ صحبةَ الفقراء للآخرةِ لا للدنيا، عكس ما عليه أركانُ الدولة في اعتقادهم في المجاذيب، وإحسانهم إليهم، فإنَّهم لا يطلبون بذلك في الغالب إلا أن يتحمَّلوا مصائبهم في دار الدنيا، ولا يُعزلوا عن وظائفهم، وذلك كالاستهزاءِ بأهل الله تعالى، فإنهم لا يقصدوا منهم إلا الأشياء النفيسة.

وأُعلّمُك يا أخي طريقاً تملكُ بها قلوبَ الفقراء، فلا يتخلَّفون عنك لا في الدُّنيا ولا في الآخرة، وهو أنَّكَ تلازمُ مجالسَ أورادهم، وتُكثرُ البرَّ والإحسان لخدَّامهم، ومحبّيهم، وأولادهم، ونسائهم، وتسمعُ لهم ما يَنصحونك به من المعروف، وأمَّا إذا كنتَ بالضدِّ، فلا أنتَ منهم، ولا من إخوانهم، ولا يجيئُكَ منهم مدَدٌ أبداً، إلا إذا استكفيت[1] أصحابهم، ومُحبِّيهم، لأن الأقربين أولى بالمعروف[2]. فاعلم ذلك.

واحذر يا أخي، أن تُنكرَ بباطنك على الفقراء إذا قالوا لك: إن لم تبرَّنا، وتحسنْ إلينا فلا تجالسنا، لأنَّ ذلك إنَّما هو امتحانٌ لك، لا محبَّةً في الدنيا، فقصدوا بذلك تحقيق دعواك فيهم: إنَّهم أحبُّ إليك من مالك، كما يقع في هذه الدعوى كثيرٌ من التجار، وأرباب الأموال، فيقولون لشيخهم: واللهِ، أنت أعزُّ عندنا من جميع أموالنا ونسائنا. ثم يطلبُ منهم ديناراً واحداً، فيثقل عليهم، فيفتضحون، وليعلموا أنَّه إذا ثقل عليهم دينار يُعطوه لشيخهم، فكيف بآحاد الناس؟ فإيَّاك يا أخي، أن تطلبَ أخذَ

---

(١) في (أ) و(ب): استكفت.

(٢) انظر الحاشية (٢) العهد (١١).

العهد منهم، وأنت تُقدّمُ عليهم محبَّةَ شيءٍ من الوجود الكوني.

وقد كان سيِّدي يوسف العجمي[1] رضي الله عنه إذا دقَّ داقٌّ بابَ زاويته يقول للخادم: انظر من شقِّ الباب، فإن وجدتَ شيئاً معه للفقراء، فافتح له، وإلاّ فهي زياراتٌ فشّارات. فقال له قائلٌ مرَّةً: ما قصدُكم بذلك، ولستم تحبُّون الدُّنيا؟ فقال رضي الله عنه: أعزُّ ما عند الفقراءِ وقتُهم، وأعزُّ ما عند أبناءِ الدُّنيا دُنياهم، فإن بذلوا لنا أعزّ ما عندهم، بذلنا لهم أعزَّ ما عندنا، وإلاّ فنحن فريقٌ، وهم فريق لا رابطةَ بيننا وبينهم إلا إفشاءُ السلام لا غير.

وكان رضي الله عنه إذا لم يفتحِ اللهُ تعالى على الفقراء بشيءٍ، يخرجُ ويطوفُ شوارعَ مصر، يسألُ الناس لهم ويقول: أحبُّ الخلقِ إلى الله تعالى، أنفعُهم لعباده، وقد نفعنا الخلق ببعضهم بعضاً.

قال سيِّدي حسنُ التُّستري[2]: وكنَّا يومَ يخرجُ سيِّدي يوسفُ، نجوعُ كثيراً؛ لأنَّه لا يأتينا إلاَّ بشيءٍ يسير، بخلافِ اليوم الذي يَخرجُ فيه التلامذةُ، فكان أحدُنا يأتي بحملِ الحمار خُبزاً، وبصلاً، وباذنجاناً، وفلوساً، وحطباً، وغير ذلك. قال: فسألنا الشيخَ عن ذلك، فقال: أنا بشريَّتي فنيتْ، فما بقي بيني وبين غالبِ النَّاسِ مُجانسةٌ، فنفروا بطباعهم منّي، وأنتم بشريَّتكم موجودةٌ، فلذلك مالوا إليكم بالعطاء أكثر مني.

واحذر يا أخي من الإنكار على الفقراء الطوّافين الذين يَسألون الناس، واحملْهم على حُسْنِ الأحوال، ولو كانوا قادرين على الكسب، وقد رأيتُ جماعةً كثيرةً، يدورون ويَسألون الناس، ويلحّون عليهم في السُّؤال طولَ النهار، حتَّى يجمعوا من ذلك شيئاً كثيراً من الخبز والفلوس، ولا يَذوقون منه لقمةً واحدةً، وإنَّما يفرّقونَهُ أواخرَ النهار على الأرامل والأيتام، وربَّما تقولُ لهم الأراملُ في بعض الأوقات: نحن

---

(1) يوسف العجمي الكوراني أول من أحيا طريقة الجنيد بمصر بعد اندراسها، وكان ذا طريقة عجيبة في الانقطاع والتسليك، وله التلامذة الكثر، وعدة زوايا. توفي سنة ٧٦٨هـ ودفن في القرافة الصغرى. طبقات الشعراني ٦٥/٢.

(2) حسن التستري تلميذ يوسف العجمي، وأخوه في الطريقة، جلس للمشيخة بعده، وقصده الناس، كان ذا سمت بهي، وكمال في العلم والعمل، وانتهت إليه رئاسة الطريق. له كرامات عدة. توفي سنة ٧٩٧ ودفن في زاويته في قنطرة الموسكي على الخليج الحاكمي بمصر. طبقات الشعراني ٦٦/٢.

اليومَ غيرُ محتاجين إلى الخبز، فبعه لنا، وخذْ لنا به صابوناً، أو زيتاً، أو غير ذلك، فيبيعُهُ لهم، فربَّما يَراهُ أحدٌ ممَّن يتصدَّقُ عليه، وهو يبيع الخبزَ، فيُسيءُ به الظنَّ، ويقسو قلبُه عليه بعد ذلك، وربَّما يقولُ: هذا غيرُ محتاجٍ، لأنَّه قادرٌ على الصنعة. وذلك باب في البخل، ورأيتُ من يدور يُطبِّل للصغار، ويشحتُ منهم طولَ النهار، ثم يُفرِّقُ ما يحصل على العجائز، والشيوخ العاجزين على الكسب في القرافة وغيرها.

واعلم يا أخي أنَّ أكبرَ الناسِ مروءةً الرُّسلُ عليهم الصلاة والسلام، وقد كان منهم من لا حرفةَ له، إنَّما كان يأكلُ من بيوتِ أصحابه، ولله في ذلك حكمٌ وأسرارٌ يعرفُها العارفون. والله واسعٌ عليم.

(٥٩) أُخِذَ علينا العهودُ أن نواسي بالدنيا وبالملق كلَّ من تحرَّكَ علينا بالأذى من الجيران والفقراء وغيرهم، لا سيّما من تصدَّى للمرافعة فينا عند الحكّام من القضاة وغيرهم، ولو لم يكنْ بيدنا إلاّ لقمةٌ واحدةٌ أعطيناها له، وذلك لأن جوعنا مع عدمِ النكد أَحسنُ من شبعنا مع النكد، ولا يقدرُ على الوفاء بهذا العهدِ إلا من نوَّرَ اللهُ قلبه، وعرفَ الزَّمانَ الذي هو فيه، فإنَّ النَّاسَ قد صاروا مائلين مع الدنيا حيث ما شرَّقتْ أو غرَّبت.

فالعارفُ من سدَّ كلَّ شقٍّ يخرجُ منه نتنٌ، فإنَّ الحاكم لولا الخصم الذي يشكو خصمَه ما دخلَ بين اثنين، والعاقل من يُواسي الخصمَ سرًّا بما يُريد يواسي به الحاكم، فإذا سكتَ الخصمُ، لم يجد الحاكمُ باباً يدخل منه.

(٦٠) أُخِذَ علينا العهودُ إذا كان لنا دينٌ على مُعسر، أن نرفقَ به رجاءَ أن يُقيِّضَ الله لنا من يرفق علينا إذا أَعسرنا - والعياذ بالله - لا سيّما إن ساقَ علينا أحداً من الفقراء والإخوان، وسألنا في الصَّبرِ عليه، أو التقسيط، فإنَّ ذلك يتعينُ قبول سياقهم؛ فإنَّ جميعَ الدَّين عند أرباب المروءة لو تركوه كلَّه، لا يَجيء حق خطوة يخطوها إليهم فقير لحقارة الدنيا، وعظم قدر الفقراء عندهم. وكذلك:

(٦١) أُخِذَ علينا العهودُ أن نلين الكلام لمن له علينا دين، ولمن لنا عليه دينٌ، ونشكره إذا قضاه لنا؛ لأنَّه كان كالضَّالةِ التي يخاف أن لا ترجعَ، إمَّا بزوالِ نعمةِ من

كان عنده الدّين، أو هربه، أو جحده أو غير ذلك.

واعلم يا أخي، أنَّه لولا قُوَّةُ يقينه وإيمانه، وشدَّةُ إقدامه على الأمور مجازفةً ما وفّى لكم شيئاً من شدَّة ضيقِ الحال اليوم على كلّ الناس، كما هو مشاهد.

وإنَّما أُمرَنا بشكره لأنَّ شكرَنا له بين الناس كالإعلام لهم بما لنا عليه من الدَّين، وفيه ترغيبٌ للناس أيضاً في سلوكِ طريق قضاء ديونهم التي عليهم للناس.

وكان سيِّدي عليُّ الخوّاص رضي الله عنه إذا كان عليه درهمٌ واحدٌ ديناً لأحدٍ في السوق، يستحي منه أن يدخلَ السوق، وكان كلَّ قليلٍ يُرسل أحداً من أصحابه إليه، ويقول: فلانٌ يستحي منك؛ فلا تُؤاخذه. فقال له شخصٌ: يا سيّدي، تفعلُ هذا كلَّه لأجل درهم؟ قال: نعم.

فإيَّاك يا أخي أن تطلبَ ممّن له عليك دينٌ أن يُسقطَ عنك شيئاً منه، وأنت تملكُ قوتَ يومٍ، فتكون له المنَّةُ عليك، لا سيِّما إن كان ذمِّياً.

وكان ﷺ يقضي بأفضل مما كان عليه، ويقول: «خيرُكُم أَحسنُكُم قضاءً»[1]. فاشتر يا أخي شهادةَ رسولِ الله ﷺ لك بالخير، والله غفورٌ رحيم.

(٦٢) **أخذَ علينا العهودُ أن نتصدَّقَ كلَّ يومٍ بما أمكن**، ولو رغيفاً، أو فلساً، أو ثمرةً، أو بصلةً، لكي لا ينزلَ علينا بلاءٌ في ذلك النهار، إن شاء الله تعالى، فإنَّ رسولَ الله ﷺ يقول: «باكروا بالصدقة، فإنَّ البلاء لا يتخطّاها»[2]. انتهى.

فمن لم يتصدَّقْ كلَّ يومٍ، وأصابه بلاءٌ، فلا يلومنَّ إلا نفسه، لأنَّ شرطَ الصدقة الدافعة لشيءٍ أن تكونَ مُشاكلةً له في العادة، كبراً أو صغراً، ولا يَعرفُ ذلك إلا من نوَّرَ اللهُ قلبَه، فالتهمة بسرقة مالٍ له جرم، والتهمة بفساد إمرأة أو جارية مثلاً لايكفي فيه مثلُ نَصَف ولا ثوبٌ خَلَق ونحوهما، وإنَما يُشاكُله نحو ستين رغيفاً للمساكين أو الكلاب، وقسْ على ذلك، والله أعلم.

---

(١) رواه البخاري ٤٢/٥ في الاستقراض، ومسلم (١٦٠٠) والترمذي (١٣١٦) والنسائي ٢٩١/٧ عن أبي هريرة.

(٢) تقدم ، انظر تخريجه في العهد (١٥).

(٦٣) أخذَ علينا العهودُ أن لا نتصدق بالأشياء الكثيرة التي يضعف يقينُ العبدِ بإخراجها، ويجدُ في نفسه بعد إخراجِها ضيقاً وندماً.

وكذلك لا نتصدَّقُ بجميع ما عندنا، ونصيرُ نسألُ الناس، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقال ﷺ: «لا يُخرجُ أحدُكم صدقتَهُ إلاَّ طيّبةً بها نفسُه، قارَّةً بها عينه»[١]. يعني لما هو عليه من قوة اليقين بالله تعالى، أنّه يخلف عليه أضعافها، فمن لم يجدْ في نفسه قوَّةَ يقينٍ، فلا يتصدَّقْ إلا بالأشياء القليلةِ التي تطيبُ بها نفسه.

وكانَ ﷺ يقول: «خيرُ الصدقةِ ما كانَ [عن] ظهرِ غنى»[٢]. يعني لا يتصدَّقُ أحدُكم إلاّ وهو مُستغنٍ بالله عزَّ وجلَّ عن ذلك الشيءِ الذي يتصدَّقُ به مع الحاجة إليه، لقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. لأنَّهم ما آثروا على أنفسِهم مع الخصاصة، حتى استغنوا بالله عزَّ وجلَّ، ومن لم يصلْ إلى شهودِ ما ذكرناه، فلا يتصدَّقُ إلاّ بما تتبعه نفسه.

قال شيخُنا رضي الله عنه: فإن كانتِ النفسُ تتبعه، وأرادَ الصدقة، فليُطعمْها الحاجةَ فقط، ويتصدَّق بالفاضل.

قال شيخُنا رحمه الله: وذلك معدودٌ من الصّدقة التي هي عن ظهرِ غنًى أيضاً، فافهم، والله أعلم.

(٦٤) أخذَ علينا العهودُ أن نبدأَ في اصطناع كلِّ معروفٍ بالأمور التي تدوم ويتوالد منها الأجرُ، كحفرِ الآبار، وإعانةِ من يتزوَّجُ، ليكونَ لنا إنْ شاء الله أجرُ جميعِ ما يتولّد من ذلك المعروف من الماء المتفجّر من العين، ومن الأعمال الصالحة التي تكون للذرية إن شاء الله.

وأمَّا السيئةُ فليس علينا إن شاء الله تعالى منها إثم، كما لا إثمَ على أبينا آدم عليه

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٢) رواه البخاري ٣/٢٣٤ في الزكاة، وأبو داود (١٦٧٦)، والنسائي ٥/٦٢ عن أبي هريرة.

ظهر غنى: يقال أعطى فلان عن ظهر غنى، أي أعطى عطاء من له ثروة ومال، فكأنه أسند ظهره إلى غناه وماله. جامع الأصول ٦/٤٦١.

السلام من جهة ذرّيته، فافهم.

ثم اعلم يا أخي، **أنَّ الإعانةَ على النكاح أفضلُ من الإعانةِ في فكِّ الرقاب**، ومن الجهاد؛ لأنَّ النِّكاحَ أفضلُ نوافلِ الخيرات، إذ هو السببُ لإيجاد المجاهدِ وغير المجاهد، فلولا النِّكاح ما وُجِدَ أحدٌ من الخلق، ومعلومٌ أنَّ الأجرَ يعظمُ بعظمِ السبب، فاعلم ذلك.

واحذر يا أخي، أن تخرجَ من الدُّنيا وعندك ألفُ دينارٍ وأكثر، و لم تحفر بئراً، و لم تزوّجْ فقيراً، و لم تكسُ يتيماً، و لم توفِ عن معسرٍ ديناً، و لم تُدخلْ على جارٍ سروراً، فإنَّ ذلك هو الخسران المبين، وكأنّك لم تدخلِ الدنيا.

وسمعتُ شيخنا رضي الله عنه يقول: إن لم يبكِ على موت صاحبِ العشرة آلاف دينار مثلاً، مئةُ نفسٍ من المعارف والجيران، ومن كان يَعولهم، فمالُه زادُهُ إلى النار، فكلُّ صاحبِ مئة دينارٍ عليه نفقةُ فقيرٍ كلَّ يومٍ زيادةً على عياله، إذا لزمَ القناعة، ولزومُ القناعة أن يأكلَ يوماً بعد يوم، أو أكلةً واحدةً في كلِّ يومٍ وليلة، فمن أكلَ مرَّتين لا يُسمّى قانعاً، والله أعلم.

(٦٥) **أُخذَ علينا العهودُ إذا أعطينا أحداً شيئاً أن نسقطَ عنه المكافأة**، إذا كان ذلك الشيءُ ممَّا يهتمُّ أخذه بالمكافأة عليه في العادة كالصوف، والشاش، والتفاصيل الحرير، والأزرار ونحو ذلك، فإننا بالإسقاط نريح سرَّ أخينا، ونغنيه عن الكلامِ الناقص، كقوله: واللهِ، ما كان لي حاجةٌ بما أرسلَهُ لي فلان، وأنا حائرٌ أُقابلُه بأيش. كما يقعُ ذلك لأصحاب هدايا الشَّامِ والحجاز وغيرهما.

ويجب علينا التصريحُ بإعلامه بإسقاطنا المكافأة مع القاصد الذي أرسلناه إليه بالهدية، حتَّى لا يهتمَّ ساعةَ وصول ذلك الشيءِ إليه، فإنَّ إدخالَ الهمِّ على مسلمٍ ولو ساعةً واحدةً لا يُعادلُه جميعُ ما عندنا، ولو كنَّا دفعناه له.

ثم إنْ كافأنا بعد ذلك و لم يعملْ بالإسقاط، فالواجبُ علينا إظهارُ الكراهة، لنريحَ خاطرَه، وليرى له بعضَ جميلِه علينا، ويخفَّ استرقاقنا له من حيث المنّة، ثم نقبلُ ذلك منه، إن علمنا أنَّ الردَّ يحصلُ عنده به تأثير، وإذا علمنا أنّه يحبُّ ردَّ ما كافأ به بالباطن، وإنَّما تحمّل معنا بالكلام فقط، رددنا عليه بسياسةٍ بحيث لا يشعرُ أننا لحقَنا بذلك منه،

لا سيَّما إن كان له علينا أيد سابقة، ولو بالدُّعاء، وتحمُّل المصائب عنَّا، والمشاركة في همومنا وتوجُّعه لنا، وليس اطِّلاعنا علَى أنَّه يحبُّ ردَّ هديَّته بالباطن سوء ظنٍّ به، فافهم.

(٦٦) أُخِذَ علينا العهودُ إذا أعطينا شيئاً للفقراء الأكابر وذوي البيوتِ الذين دارَ عليهم الزَّمانَ، أن لا نُعطيه له بحضرةِ أحدٍ من الناس، فإنَّ ذلك يُخجله، ثم لا تفي عطيتُنا له بما حصلَ له من الخجل.

فإذا كان العطاءُ له سِرًّا، فقد جبرنا كسرَ خاطره الذي حصل له بذلّ سؤالنا، ووقوفه على بابنا، أو حانوتنا.

ولا نُمكِّنُ أحداً من الإخوان أن يذكرَ ما أعطاه لذوي البيوت أو الفقراء لأخٍ ولا صديقٍ ولا غيرهما، ولو على سبيل إظهارِ التوجُّعِ والترقّق لهم، فإنَّ ذلك دليلٌ على أنَّ ذلك العطاءَ رياءٌ وسمعةٌ، فهو حابطٌ من أصله لا أجرَ فيه، مع ما حصل له فيه من الأذى لمن أخذه.

ولو أنَّ المتصدِّقُ عاملَ الله تعالى وحدَه لاكتفى بعلمِهِ، ولم تُنازعْهُ نفسُه بإظهارِ ذلك لأحد من الخلق، ولا كانت تستحلي إظهاره.

وليتأمّلْ المُتصدِّقُ إذا كان أجرُه قد حَبِطَ بالرياء والسمعة، فكيف يرى أنَّه قد أعطى ما أعطى، أو كيف يمنُّ به؟ فتأمّل.

ثم احذرْ يا أخي، أن تشهدَ لك فضلاً على من يقبلُ صدقتَكَ، لأنَّه لولا أنَّه قَبِلَ صدقتك، ما حصل لك ثوابٌ، فله الفضلُ عليك بيقينٍ، وليس لك أن تنظرَ لك فضلاً عليه إلا بقطعِ النظرِ عنه، لكي تشكرَ ربَّك لا لتزدريَ الفقيرَ، وإنْ خطرَ لك فضلٌ عليه، فاستغفر الله تعالى على الأثر.

واعلم يا أخي، **أنَّ الله تعالى ما أعطاك المالَ الزائد على حاجتك إلا لتنفعَ به عباده المحتاجين**، لا لتحبسَهُ[1] لوارثك، أو شحًّا في نفسك، وما أَخوفني عليك أن يُحوّلَ اللهُ عنك النعمةَ، ويعزلَكَ من وكالته، ويُولي على ماله غيرَك، ممّن يُحسنُ إلى عبيده، ثم تصير تسأله أن يردَّ لك المال؛ لتفعلَ به الخيرَ، فلَا يُجيبك؛ لأنَّه ما أذن لك في إمساكِ المال إلاّ إذا لم يفضل عنك من ربحه شيءٌ، فإنْ فَضَلَ عن نفقتك شيءٌ من

(١) في الأصل: لتحسبه.

الربح، و لم تنفعْ به المحتاجين، فهو وبالٌ عليك.

واحذر يا أخي، من قولك: حالُنا اليوم ضيّق، وأنت تملك ما يفي ربحه بنفقتك الشرعية التي كان عليها رسولُ الله ﷺ وأهلُ بيته من أكلِ الشعيرِ غيرِ منخولٍ بالملح أو الخلّ أو الزيت أو اللبن أو الجبن، أو حافاً من غير إدامٍ، ولا يرخِّصُ لك أن تقول: حالُنا اليوم ضيّق، إلا إذا لم تجدْ الرَّغيفَ الحاف، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٦٧) أُخذَ علينا العهودُ إذا زرنا فقيراً حَيًّا أو ميتاً أن نقدِّمَ بين يدي نجوانا صدقة، وإن قلَّتْ، لا سيما أول زيارتنا له، ونُسلّمها للنقيب أو لأحدٍ من إخوان الشيخ، لا للشيخ، فإنَّ تسليمَها للشيخ سوءُ أدب، ثم إن كان لنا حاجةٌ عند الشيخ قلناها للنقيب، يسأل الشيخ لنا فيها، ولا نسأله نحنُ؛ لأنَّه كالسلطان، ولو طلع إنسانٌ بهدية للسلطان من فراخٍ وغنمٍ، ليُسلّمها للسلطان في يده، كان ذلك في أَقصى غاياتِ قلَّةِ الأدب، وربما ضُرب ومُقت.

واعلم يا أخي، أنَّ الأولياءَ أولى الناس بمكافأة من أحسنَ إليهم لجودهم وحيائهم، فمن دفعَ لهم هديةً، ولو رغيفاً فقد أدخلهم في منَّته، ووجبَ عليهم قضاءُ حوائجه في الدَّارين، ومن لم يدفعْ إليهم شيئاً من الهدايا، فقضَاءُ حوائجه ليست واجبةً عليهم، إنَّما ذلك مُستحبٌّ، وفرقٌ بين الوجوب والاستحباب.

وكنتُ أعرفُ علامةَ قبول شيخنا رضي الله عنه للحملة[1] بقبوله ما أهداه له صاحبُ الحاجة، ولو رغيفاً، وكانت الحملةُ التي يردُّها تدورُ على فقراء مصر حولاً كاملاً، فلا يدخلُ أحدٌ منهم فيها لثقلها، وكان يقول لأصحابه: من عاشَ بعدي سنين بالَ الدَّم، من شدَّة تحمُّلِ بلايا الناس.

فاعلم ذلك، وإيَّاك أن تتردَّدَ لفقيرٍ بعد تَعرُّفِكَ به إلا بإذنٍ منه في الزيارة؛ فإنَّ حكمَ الأولياء كالملوك، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٦٨) أُخِذَ علينا العهودُ إذا زرنا المسجد الحرام، أو مسجد المدينة، أو بيت

(١) الحملة: كل بلية وامتحان ينزل بشخص، فيتطوع الشيخ بردّه عمن نزل به وحمله طوعاً عنه، وقد لا يكون إلاّ بانتقال البلاء إلى الشيخ ذاته أو ولده.

المقدس، **أن نعظّمَها**، وإن لا نفعل فيها إلا ما بُنيتْ له، وأن نزيدَ في الأدب مع الله تعالى، ومع رسوله ﷺ زيادةً على ما نفعله في بقيَّة المساجد.

ومن أدبنا فيها أيضاً **ترك التَّبختُرِ، ورفعِ الصوت**، ولو بذكرِ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّها **مواطنُ الذُّلِّ والخشية**، ونلبسُ فيها خَلَقَ الثياب كالهرم[1]، والجببِ الخشنة، ونكشفُ فيها الرأسَ، ونمشي حفاةً ما دمنا في تلك الأرض المشرّفة حوالي تلك المساجد، كما كان الأنبياءُ عليهم الصلاة والسلام يفعلون، ولا تغترُّوا أيُّها الإخوان بمن فعل ضد ما قلناه في تلك الأماكن، فليس من يعلم كمن يجهل.

وكان سيّدي عليٌّ الخوَّاص يقول: من أدبِ الدَّاخلِ للمساجد الثلاثة أن لا يُسيء الأدبَ؛ لا في سرِّه ولا في جهره.

ومن شرطه في المسجد الحرام أن لا يُخطرَ الفحشاء على خاطره، لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فعلَّقَ إذاقةَ العذابِ بالإرادة المجرَّدةِ عن الفعل.

وكذلك من شرطه أن لا يُفسِّرَ فيه أيضاً القرآن، إلاّ بما وردَ، ولا يُجادلُ على مُصطلح أصحابِ المذاهب في التعصُّبِ لمذهبهم دون غيرهم.

وكذلك الأدبُ: عدمُ المجاورة في تلك الأماكن، إلاّ أن يكونَ العبدُ على قدمِ الصحابة أو الأكابرِ من الأولياء والعلماء العاملين، وذلك لأنَّه لا طاقةَ لغالبِ الخلقِ على مجالسةِ الحقِّ تعالى، أو مُجالسة رسول الله ﷺ تلك المدَّة التي يُجاورون فيها، لأنَّها تطلب طهارةَ الباطن على الدوامِ من كلّ رجسٍ ومكرٍ، وخداعٍ وغشٍّ، وسوءِ ظنٍّ ونفاق، وغير ذلك.

وهذه الشروط شرطٌ في كلّ من طلبَ مُجالسةِ رسول الله ﷺ في سائرِ أقطار الأرض، وأولى الناس بالوفاء بها المُكثرون للصَّلاةِ على رسول الله ﷺ في المجالس، فإنَّهم لا يَحضرون معه قطٌّ إلا إن كانوا مُطهَّرين من كلّ رجسٍ.

قال شيخُنا رضي الله عنه: والنَّهيُ عن المُجاورة عامٌّ لكلّ مُجاورٍ، حتى من يجاور بنيَّةِ العبادة والطواف فقط، فكيفَ بمن يُجاورُ بقصد صيدِ حطام الدنيا.

---

(١) كذا في الأصول.

وكذلك **من الأدب** عدمُ الإنكار على أحد خالف قولَ بعضِ العلماء في المناسك، لأنَّ تلك الحضرةَ ساحةُ كرمٍ تُغفرُ فيها كبائرُ الذنوب، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٦٩) أُخِذَ علينا العهودُ أن نُنبِّهَ إخواننا من التجار وغيرهم على أحوال الزمان الذي هم فيه، وتغيير معالم الدين، ومراسمه فيه، ونأمرَهم إذا عاملوا أحداً، أو أعطوه مالاً أن يُشهدوا عليه بثمانية شهود وأكثر، وهيهاتِ أن يتحصَّلَ من الثمانية في هذا الزمان نفعُ شاهدٍ واحد؛ لكثرة تجريحِ الخصوم لهم عند التأدية بأُمورٍ تُفسِّقُهم ظاهرة لا تحتاجُ إلى تأمّلٍ، بحيثُ يصدّقُهم الحاضرون على ذلك التجريح.

وأيضاً **فإنَّ من القُضاة من يكونُ محبًّا للدنيا**، فيميلُ معها حيثُ مالت، فيقبل الرِّشوةَ من المُبطل، وإذا قبِلها تعصَّب بالباطن على من معه الحقُّ اليقين، وتعنَّتَ في تزكية الشهود، وطلبَ من يُزكّي الشهودَ هكذا، ويقول: إنّي مُتهمٌ هذه البيِّنةَ. وهو مُبطلٌ، كما شاهدتُ ذلك من بعضِهم، حتى صارَ الأخصامُ يعرفون منه ذلك، فيقولون: ما فيها إلا وزنُ فلوسٍ للقاضي، وهو يعملُ لك كما طلبت، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

وسمعتُ سيدي عبدَ القادر الدَّشطوطي رضي الله عنه يقول: إذا ذهبَ أحدُكم إلى قاضٍ ليثبت له حقًّا؛ فليعدْه بشيءٍ، وإلا يخاف عليه أن يقبل الرِّشوة، ويضيع مالُكم، فإنَّ بعضَ القضاة اليوم، وقد وضعَ دينَه على طرف ظِفر رجله فأدنى شيءٍ يُزحلقُهُ، وإيَّاكم أن تبخلوا على القاضي والشهود، فلا تعطوهم عادتهم؛ فإنَّه ضياعٌ لحقوقكم؛ لأنَّهم إمَّا أن يُنكروا الشَّهادةَ، وإمَّا أن يَكتبوا لكم شيئاً لا ينفعُكم، كما سيأتي إيضاحه في عهد القضاة والشهود[1].

قلتُ: وهذا الذي قالَه الشيخُ من باب دفع الأشدِّ بالأخفِّ، والله أعلم.

واعلموا أنَّ المشهودَ به من الدَّراهم، أو الأمتعة مثلاً أكثرُ ممّا يأخذُهُ القاضي والشهودُ بيقينٍ، فأعطوا فُلوسَ القانون والقسّام بطيبةِ نفسٍ، وتأدَّبوا مع الله في إبرازِ ذلك في الوجود، والله عليم حكيم.

(٧٠) أُخِذَ علينا العهودُ أن نأمر إخواننا من التجار، والمحترفين، وأهل البيوت أن

---

(١) انظر العهد (٧٣) والعهد (١٧٩).

يعطوا الفقير غفارته[1] بطيبة نفسٍ، وكذلك يُعطوهم عوائدَهم في الجبايات، وذلك مَعدودٌ من صدقة السرِّ التي جاءت في غير طريقها المعتاد؛ فإنَّ هذه الأمورَ قد استحكمتْ وصارت قانوناً، إنْ لم يُعطه الإنسانُ اختياراً، أعطاه اضطراراً، فالعارفُ من عرف زمانه.

(٧١) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نطلب من الخلق مُكافأةً على فعلِ معروفٍ في هذا الزمان، فمن طلبَ ذلك خابَ سعيُه؛ بل بعضُهم صارَ يكافيك على الحسنة بالسُّوء.

وقد شهدتُ شخصاً من المغاربة جاءَ إلى ضريرٍ من فقراء الزاوية، فقال: أنا جيعان. فغدَّاهُ وأحسنَ إليه، فقال المغربيُّ: أُريدُ أن أُكافيك على ما فعلتَ معي من المعروف، ثم قبضَ على كفِّه، وكتب له على أظفاره أحرفاً، وقال له: ادخل خلوتك، وأغلق بابها، وتنزّه في ذاتك، فدخل الخلوةَ، فانتفختْ بطنُه، حتى صارتْ كالطبل الكبير، وصارَ يضرطُ يوماً كاملاً، فقال الشيخ محمد: ما عدتُ أُطعمُ أحداً من المسلمين غداءً أبداً مادمت أعيش. فاعلم ذلك وتنبّه لزمانك، والله يتولّى هداك.

(٧٢) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نقبلَ رَهْناً ممَّنْ أخذ منَّا سلعةً أو نقداً قرضاً، أو معاملةً، ووعدَنا على ذلك بالفائدة الكثيرة، فإنَّه نصَّابٌ خدَّاعٌ، بل نسدُّ هذا البابَ عنَّا جملةً واحدةً، وندعُ الخلقَ تحتَ بلواهم، لأنَّ جُحا[2] يقولُ: ألفُ ذقنٍ ولا ذقني. فاعلم ذلك.

(٧٣) أُخذَ علينا العهودُ أن نداري كلَّ من كان لنا عنده دينٌ، ولا بيِّنة لنا عليه، ونهدي إليه، وندعوه إلى الأكلِ في بيتنا، ونبشَّ في وجهه كلَّما لقيناه، ولا نتَّكلُ على خوفه على دينه فيما يظهر لنا؛ لأنَّ ابنَ آدم يَتحوَّلُ عن دينه في لمح البصر، وإذا تحوّلَ فربُّما جحدَ الحقَّ، فضرَّنا وضرَّ نفسه ودينَه في الدنيا والآخرة.

وإذا بانَ لنا علامةُ الجحدِ، فالواجب مسارقته وإظهارُ الميلِ إليه، كأنْ نقول له:

---

(١) الغفارة: الضريبة التي يأخذها الأشرار الأقوياء من الباعة وأصحاب الأراضي مقابل عدم التعدي على مبيعاتهم أو محاصيلهم. معجم الألفاظ التاريخية.

(٢) جحا الكوفي الفزاري أبو الغصن صاحب النوادر، يضرب به المثل في الحمق والغفلة، كانت أمه خادمة لأم أنس بن مالك: توفي سنة ١٣٠هـ. وقد تداخلت أخباره مع أخبار التركي المعروف بخوجه نصر الدين في الكتاب المطبوع «نوادر جحا».

أنت تعلمُ محبَّتنا لك، واعتقادَنا فيك الأمانة، ولو [لا] ذلك ما أعطيناك الفلوسَ الفُلانية بلا شهود، ما هو صحيح؟ فإذا قال: نعم. شهدَ عليه الحاضرون، ثم بعدَ ذلك نحمل عليه أعزَّ إخوانه، ومن تيسَّرَ من أهل الخير؛ لِيجلسوا مجلس أجوادٍ بيننا وبينه، فإنْ أبى الصُّلح عن ما اتَّفقَ عليه رأيُ أهلِ المجلس، فهو مغلوبٌ بعد ذلك عند أيِّ حاكمٍ شاء، إلاّ أن يكونَ الأمرُ الذي بيننا وبينه فيه حيلة باطنية، هو فيها مظلوم.

وإذا تعلَّقَ علينا أحدٌ في أخذ شيءٍ منَّا من فضلة مُعاملةٍ أو غيرها، فمن المعروف أن نُصالِحَهُ بشيءٍ من حُطام الدنيا، وليس لنا أن نتَّكلَ على سندِ براءة بيننا وبينه، فإنَّ هذا الزمان الذي نحن فيه لا يتعدّى حكمُ الحاكم فيه غيرَ الزمن الذي حكمَ فيه؛ لعدمِ ثبات قلوبِ القضاة على الحقِّ، وشدَّةِ ميلهم إلى الأكل من الرِّشا، فإنَّ أكلَ الحرامِ يُوهن الدِّينَ والبدن، ولا يخرجُ من القوس المكسّر مع رخوٍّ وتره سهمٌ، فاعلم ذلك.

وإيَّاك يا أخي أن تُسارعَ بالشرع والسياسة إلى إبطال دعوى من ادَّعى عليك مالاً، فإنَّ الحاكمَ الآن صارَ شريكاً للمُدعي والمدعى عليه في المال، سواءٌ صحَّ المُدّعى به أم لم يصحّ له، وله لغزٌ يعرفُهُ رسلُهم، فيكشفون له خبر المدعي والمدعى عليه، ويعرّفونه أيُّهم الذي هو العازمُ على وزنِ الدراهم للقاضي أكثر، لينقلبَ معه.

وقد سمعتُ الرَّسولَ يقولُ للقاضي عن الذي ما معه فلوس من الخصمين: يا سيدي، يكون نظرُكم عليه؛ فإنَّه مسكين، والبلاد شراقى[1] هذه السنة، والنَّاسُ كلُّهم تحت اللُّطف، فنسألُ اللهَ اللطف بهذه الأمة فيما بقي من مدتها، إنه سميع مجيب.

(٧٤) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نزور إخواننا بعيالنا** إلا إن كنَّا نرجع إلى بيتنا في ذلك النهار من غير بيات عندهم، فإنَّ في زيارتنا بالعيالِ من المشقَّة ما لا يخفى، لا سيما في ليالي الشتاء، وقلَّة الغطاء، وفي ذلك أيضاً تكليفٌ لنا وللإخوان بالمكافأة.

واعلم يا أخي أنه لا يليق الزيارةُ بالعيال والجمعيَّةُ في بيوت الإخوان، وطبخ الملوخية إلاّ في أوقاتِ السرور، وإقبالِ المكاسب الواسعة، وعدمِ الهمِّ والكرب أيام الزيارة، وهذا أمرٌ قد تُودِّعَ منه ما بقيت الدنيا، ومن خالفَ وزارَ بالعيال، وأظهرَ

(١) الشَّراقى: الأرض الجافة المشققة، والتي لا يعلوها الماء. معجم تيمور ٤/١٩٧.

السُّرورَ فلا يلومنَّ إلا نفسه، إذا أعقبَه التَّكديرُ، وضيقُ الصدر، والغمُّ.

فالزمْ يا أخي بيتَك، وبرّ إخوانك، بما كنتَ عزمتَ على برِّهم في بيوتهم؛ فإنَّ ذلك أثبتُ للودِّ، وأكثرُ للأجر، وأروحُ للسر، واللهُ يتولّى هداك.

(٧٥) **أخذَ علينا العهودُ إذا شاورنا فقيراً في فعلِ شيءٍ أن لا نزيّنَ له الكلام** بما في نفوسنا من الميل، فإنَّ ذلك خيانةٌ لأنفسنا ولذلك الفقير؛ بل الواجبُ علينا لزومُ الصدق والأدب حتى يتَّضحَ لنا طريقُ الصَّوابِ على لسان ذلك الفقير، ثم نعملُ بعد ذلك بما أشارَ علينا، وإنْ كان مخالفاً لهوى نفوسنا، فإنَّ الخيرَ في ذلك كما سيأتي بسطُه في هذه العهود إن شاء الله تعالى.

قال شيخُنا رضي الله عنه: ولا تنبغي المشاورةُ بمن ليس له وجهةٌ إلى الدُّنيا من الزهَّاد الذين فنوا عن حبِّ الدُّنيا بتقدير عدم فنائهم عن حبِّها، فلا يثبتُ حبُّها في قلوبهم زمانين، وإنما يُشاورُ العارفون الكاملون، الذين لهم ذوقٌ في أعمالِ الدنيا وفي أعمال الآخرة، والعارفون من أهلِ الدنيا الذين عرفوا أحوالها بالتجارب.

(٧٦) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكّنَ إخواننا من التجار أن يثبوا على السلع المفرطة** كما يثبُ الأسدُ على الفريسة، ويتركوا إخوانهم ممن هو أَحوجُ إليها منهم، ينظر إليها نظرةً بحسرةٍ كما عليه جبابرةُ التجار، ثم بعد هذا الفعل القبيح يهربونَ بتلك الفوائد عند الرَّمية[1] على السوق، ويتركون الفقراءَ للمصائب؛ بل كما كانوا أولَ مُستفيد، كذلك ينبغي أن يكونوا أول وزان.

واعلموا أَيُّها الإخوان المذكورون أن دعاءَ فقراءِ سوقكم وحرفتكم مجابٌ؛ لكونهم مظلومين معكم في عدم تمكينهم من شراء السلع المفرطة.

وفي الحديث: «دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب»[2] وربما قيّضَ اللهُ لأموالكم من يأخذَها مصادرةً، أو يُتلفها بحرقٍ، أو غرقٍ، أو جحد، أو غيرِ ذلك،

---

(١) رمى على السوق: طرح عليه بضاعته، وأجبره على شرائها بالثمن الغالي الذي فرضه. تكملة المعاجم العربية ٥/٢٢٠.

(٢) أوصى رسول الله ﷺ معاذاً لما بعثه إلى اليمن وصايا، فمن جملة ما قاله: «واتقِ دعوة...» رواه أحمد في المسند ١/٢٣٣، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٦٢٥ و٢٠١٤).

فلا تلوموا إلاّ أنفسَكم، وكذلك.

(٧٧) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نمكّنهم من أن يتوكّلوا في تخليص مالٍ لموسر عند معسر** بخلاف العكس.

ولا نمكِّنُهم أيضاً من أن يدخلوا في ضمان إحضار، إلاّ إن كان أحدُهم قد وطّنَ نفسَه على وزنِ القدر الذي ضمن فيه بطيبةِ نفسٍ، فإنْ لم يوطّنْ نفسَه على الوزنِ فلا يضمن، و[لو] كان أخوه الشقيق، وربَّما يهربُ عن الحضور فيعزمونه غصباً عليه.

وقال أهل التجارب: إذا جاء الماء - طوفان - حطّ ابنَك تحت رجليك.

وكذلك لا نمكّنهم من إدخالهم مال التركات على أموالهم؛ لأنها في الغالب مُختلطةٌ بمال الأيتام؛ لعدم من يرى لليتيم الحظَّ والمصلحة، ومقصودُ القاضي والقسَّامِ والأعوان البيعُ لتلك الأمتعة والكراكيب، ولو بأقلِّ الثمن؛ ليأخذوا ما على ذلك من الرسم، ويذهبوا إلى تركة أُخرى، لا سيما أيام الفصل.

وقد حضرتُ مرَّةً قاضياً يقسم تركةَ أيتامٍ، يقولُ لأحدِ الشهود: تعالَ ميّز حقَّنا وحقَّهم. فجاءَ الشاهدُ، وقال: الحكاية مقسومةٌ؛ هذا للقاضي، وهذا للقسَّام، وهذا للشُّهود، وهذا لجماعة رُسُلِ الأفندي، هذا أمرٌ ما فيه كلام، فكأنَّهم أخذوا شيئاً قدَّرَهُ اللهُ تعالى لهم في أموالِ الأيتام، فمن أدخلَ من هذه الأموالِ شيئاً على ماله، أتلفَهُ ونجَّسَهُ، وأذهب بركته.

وكذلك **لا نمكّنُ أحداً منهم يُصيّر ديونَه لمن هو أقدر** على التخليص منه، من ظلمة الحكَّامِ ونحوهم، فإنَّ ذلك مُمحقةٌ للبركة، ولا يُباركُ فيما خلَّصوه، لا سيما إن كانَ مُعسراً لم يأذن الله تعالى لنا في الأخذِ منه، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وفي الحديث: «الصَّبرُ على المعسرِ صدقةٌ، يدفعُ اللهُ تعالى بها سبعين باباً من البلاءِ عن نفسه وولده وماله»[1].

قال شيخُنا رضي الله عنه: وإنَّما أمرَ تعالى صاحبَ الدَّينِ بالصبر لأنَّه هو الذي

(١) لم أجده بلفظه، قال العجلوني في كشف الخفا ٢/ ٣٠ تحت قوله: «الصبر على المعسر صدقة»: قال النجم: اشتهر على الألسنة، ولم يرد، ولكن ورد معناه

عرَّضَ مالَه للتلف؛ لكثرة طمعه في الدنيا واستحلاها بذلك، ولو كانَ الشخصُ يُعطي مالَه لأخيه بنيَّة التفريج عَن الُمعسر والمكروب، ويجعلُ نفعَ نفسه بعد ذلك بحكم التبع، لأذاقَهُ اللهُ تعالى حلاوةَ القبضِ عاجلاً من غير تعبٍ، ولا خصامٍ، كما عجَّل بالتفريجِ عن ذلك المكروب، واللهُ غنيٌّ حميد.

وكذلك **لا نُمكّنهم من عزَّةِ النفس**، وردِّ الأجوبةِ القبيحة على من ألحَّ عليهم في طلب حقِّه، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٧٨) أُخذَ علينا العهودُ أن نعظِّم ولاة أمورنا من القضاة والوزراء وأضرابهم، ولا نرى قطُّ نفسَنا عليهم؛ لأنَّه سوءُ أدبٍ مع من ولاَّهم سبحانه وتعالى.

وقد رأى بعضُهم سيِّدي عبد الله بن أَبي حبرة[1] وهو جالسٌ على كرسيٍّ، وعليه خلعةٌ، والأنبياءُ كلُّهم واقفون بين يديه، فقصَّ ذلك على بعض العارفين، فقال رضي الله عنه: تعظيمُ الأنبياء ليس للابس الخلعة، وإنَّما هو للذي ألبسَهُ إيَّاها. فزالَ ما كان عنده، فما رفعَ اللهُ الأكابر علينا إلا بحقٍّ والسلام.

فعُلم أنَّ مِنْ جهلِ الفقير أن يَرى نفسَه فوقَ الأمير، ويطلبَ من الأمير أن يكونَ هو المعظِّم له، والزائر له مع إكبابه هو على الدنيا، وعدم زهده فيما بأيدي أهلها، وذلك من قلبِ الموضوع، والله أعلم.

(٧٩) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتصدّى قطُّ لتلقين الذكر وأخذ العهد على المريدين وفي البلد من هو أقدمُ منَّا هجرةً، وأعرفُ بطريق الله عزَّ وجلَّ، فإنْ تصدَّينا لذلك، فقد خُنَّا الله ورسوله ﷺ.

فإذا جاءنا شخصٌ يُريد الأخذَ عنَّا، عرَّفناه مقامَ ذلك الشيخ، وأرسلناه له، فإن لم يقبل منَّا، فهو دليلٌ على عدمِ انتفاعه بنا، فوجبَ طردُه عنَّا، وإن وقعَ أنَّنا علَّمنا أحداً أدباً، نوينا النيابةَ عن ذلك الشيخِ الذي هو أكبرُ منَّا في البلد.

---

(١) عبد الله بن سعد بن أبي حبرة الأندلسي المرسي القدوة الرباني، قدم مصر وله زاوية بالمقس، ذو تمسك بالأثر، وتطلبٍ للعلم، تذكر له كرامات، مات سنة ٦٧٥هـ ودفن بالقرافة. طبقات الأولياء ٤٣٩.

واعلم أنَّ **مقصودَ الصادقين أن يكونَ شعارُ خرقةِ الفقراء ظاهراً** قائماً لا غير، فواحدٌ يكفي في مصرَ كلِّها؛ لأنَّ الصادقَ من المريدين قليل، لا يكادُ يوجدُ في كلِّ مصر أكثرُ من نحو ثلاثة أنفس يستحقُّون المرتبةَ، ولكنْ لمَّا كانت مرتبةُ الكمالِ الذي يسعُ النَّاسَ كلَّهم عزيزةً، صار كلُّ جماعة لهم شيخ، ولو كان الذي يَبرزُ كاملاً في المشيخة، لكفى النَّاسَ كلَّهم وفعل بالمريدين كلَّ ما يفعله جميعُ المشايخ بهم.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول: الكاملُ من يُسلِّكُ كلَّ مريد من طريقه الخاصة به، فلو خرجَ من صحبةِ شيخه، واجتمعَ بعده بألفِ شيخٍ لا يأمرونَه إلاّ بما أمره به شيخُه الأول، ويقولون: أصاب الشيخ.

ولمَّا دخلَ سيدي يوسفُ العجمي مصرَ، وصحبتُهُ سيدي حسن التُّستري المدفون في قنطرة الموسكي[1]، قال له سيدي يوسف: يا أخي، الطريقُ مبنيَّةٌ على التوحيد، لا تكونُ إلاَّ لواحدٍ في كلِّ بلد، والزائدُ عليه مُتغلِّبٌ على المرتبة، فأمَّا أن تبرزَ أنت للناس، وأمَّا أن أبرزَ أنا. فقال له حسن: أنت أَولى بذلك منّي، ولك عليَّ أن أَعضدَكَ وأساعدَك ظاهراً وباطناً. فقال سيدي يوسف: بل أنتَ أَولى بذلك منّي بشهادة شيخنا رضي الله عنه. فلما ردَّ ذلك عليه برز سيدي يوسفُ في مصرَ وجميع قراها، ولم يكنْ في مصرَ في زمنه مُسلِّكٌ غيرُه.

فهكذا درجَ السَّلفُ الصَّالحُ ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. فما كثرتُ الأشياخُ في هذا الزَّمان إلاَّ لجهلِهم بالمراتبِ، وعدم تسليم بعضهم لبعض، والله غفور رحيم.

(٨٠) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نأخذ العهد على من هو أكبر منَّا سناً**؛ لأنَّه قال: «لا إله إلا الله». قَبْلَنا؛ بل ننصحُه بنيَّةِ أُخوّة الإسلام.

وكذلك **لا نأخذُ العهدَ على شريفٍ** من أولادِ عليٍّ بن أبي طالب، أو من أولادِ عقيل، أو من أولاد جعفر، أو من أولادِ العباس، فإنَّ هؤلاء كلَّهم شرفاءُ، وتخصيص الشَّرفِ بأولادِ فاطمة رضي الله عنها فقط اصطلاح عند أهل مصر خاصة.

---

(١) قنطرة الموسكي: على الخليج الكبير، يتوصل إليها من باب الخوخة، وباب القنطرة، ويمر فوقها إلى بر الخليج الغربي، أنشأها الأمير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين، كان خيراً يحفظ القرآن، ويواظب عليه، محباً للعلم وأهله، مات بدمشق سنة ٥٤٨هـ. الخطط المقريزية ٢٣٩/٣.

فأمَّا أولاد فاطمة رضي الله عنها فإنَّهم بِضَعَةٌ من رسولِ الله ﷺ كما وردَ[1]، ولا ينبغي أن يُدخلَ بضعةَ رسول الله ﷺ تحت أمرِه وتصريفه كما يفعلُ بالمُريدين من آحاد الناس، ومن فعل ذلك بالفقراء، فهو دليلٌ على جهله بالواجب، فضلاً عن الآداب، فإنَّ الله تعالى جعل الشُّرفاءَ أعلى درجةً منَّا اختصاصاً إلهياً، لا بعملٍ عملوه، ولا بخيرٍ قدَّموه؛ بل سابقُ عنايةٍ من الله عزَّ وجلَّ لهم.

وتأمَّلْ قولَه تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣] يظهر لك ما قلناه، فإنَّه لا رجسَ أرجس من المعاصي، فذنوبهم إنَّما هي ذنوبٌ في الصورة لا في المعنى، لعدم مؤاخذة الحقِّ تعالى لهم بها، فأيُّ شيخٍ يدّعي هذا القدم له، ولو توقّفتِ المغفرة لذنوبهم على توبتهم، لم يكن لهم مزيةٌ ولا اختصاص على غيرهم، فافهم.

ثم لا يُنافي كونهم مغفوراً لهم إقامة حدودِ الشريعة عليهم؛ لأنَّه ﷺ شهدَ لماعزٍ بقبول التوبة، ومع ذلك رجَمَه، ولم يرحمْه، وقال: «لقد تابَ توبةً لو قُسِمتْ على أهلِ المدينة لوسعتهم»[2].

فنهايةُ ما يصلُ إليه المسلّكون من الشرف دونَ مرتبةِ الشُّرفاء في الدرجة بيقين، ونحن نستحي من رسولِ الله ﷺ أن تكونَ لنا ولايةٌ على من جعله بضعةً منه، فافهم.

فطريقُ الشيخ في تربية الشريف أن يُعدَّ نفسَه خادماً للشريف، ثم ينصحُهُ بكلامِ جدِّه ﷺ فقط دون كلام غيرِه من العلماء، ممَّا تولَّدَ من إفهامهم.

وأمَّا أولادُ عليٍّ رضي الله عنه من غيرِ فاطمةَ، وأولادُ جعفر، وعقيل، والعبَّاس، فإنَّهم فروعٌ من شجرةِ نسبِ رسولِ الله ﷺ، فالأدبُ معهم عدمُ دخولهم تحت أمرنا، وعدم تمكينهم من الإطراقِ بين أيدينا، واستخدامهم كما يستخدم غيرهم.

وقد جاءَ مرَّةً شريفٌ لسيدي محيي الدين بن أبي أصبع أحدِ أعيان الدولة العثمانية أصبغَ اللهُ عليه النِّعم، وحفظَهُ من طوارقِ الليل والنهار، يطلبُ أن يكونَ غلاماً عند سيدي محيي الدين؛ يُركبُهُ ويَمشي أمامه، فقال له: معاذَ الله يا سيدي السيِّدُ أن

---

(١) انظر الحديث وتخريجه صفحة ١٤٤.

(٢) رواه مسلم (١٦٩٥)، وأبو داود (٤٤٣٣) برواية: «لو قسمت على أهل أمَّةٍ لوسعتهم». وذكره ابن قدامة في المغني ٢/٢٢٠.

تكون غلاماً عندي؛ فإنّي أَستحي منك، ومن جدِّك ﷺ أن يراني وأنتَ تَمشي بين يدي، وأنا راكبٌ. انتهى. فأعجبني ذلك من سيِّدي مُحيي الدين، وعلمت أن عند الأكابرِ من الأدبِ ما ليس عند غيرهم.

وسمعتُ أخي أفضل الدين رحمه الله تعالى يقول: إذا فاتكَ الأدبُ من العلماء بالله عزّ وجلّ، وبمراتب الوجود، فعليكَ بأدبِ ذوي البيوتِ من الأكابر، فإنّ عندهم من الأدبِ ما ليس عند مُسلّكي زماننا الآن.

وتأمَّل حياءهم من الله تعالى ومن الخلقِ في تضييق الأكمامِ حتى لا يظهرَ من أيديهم إلاّ ما بدّ منه، وتأمَّلْ سراويلاتهم، ومن لا سراويل عنده يلبس الخفَّ، كيف يجعلونها سابلةً على أقدامهم حياءً أن يُظهروا من أرجلهم شيء بحضرة الناس. انتهى.

فعلم أنَّ كلَّ فقيرٍ أخذَ على شريفٍ عهداً فهو قليلُ الأدب، والسلام.

(٨١) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نقرِّبَ كلَّ واحدٍ من الإخوان بقدر ما نحن عنده في الملاحظة**، وعدم الغفلة في الغيبة عنَّا، ونعرفَ ذلك من الإخوان برؤية صورهم في قلبنا، فإنَّ قلبَنا مرآةٌ لهم، فنعرفُ برؤيتنا وجوهَهم من هو منهم متوجِّهٌ لمرآة قلبنا، ومن هو مُعرضٌ عنَّا، ونعرفُ إدبارَه برؤية ظهرِه في المرآة، فنعظِّمُ من هو مُقبلٌ علينا أكثرُ ممَّن هو مُدبرٌ عنَّا؛ لأنَّ المُقبلَ مُتوجّهٌ إلى ربِّه، والمدبرُ متوجّهٌ إلى الشيطان، فمن لم يصحَّ له قدمُ الملاحظة لشيخه في غيبته، لا يصحُّ له قدمُ ملاحظةِ الحقِّ تعالى؛ لأنَّ الشيخَ سُلّمُ الترقي، والله واسعٌ عليم.

(٨٢) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نصحبَ أحداً على وجه التربية وعليه حقٌّ لآدميٍّ** من عرضٍ، أو مالٍ، ولو درهماً واحداً ديناً، إذا كان قادراً على وفائه، وذلك لأنَّ حضرةَ الحقِّ تعالى محرّمٌ دخولها على من عليه تبعةٌ لآدميٍّ من مالٍ أو عرضٍ، ومن هنا شَرَطَ الأشياخُ التوبةَ وردَّ المظالمِ إلى أهلها قبل الصحبة.

وطريقُ الشيخ إذا أرادَ أن يأخذَ العهدَ على من عليه تبعةٌ أن يتوجّه إلى الله تعالى في مُسامحة أصحابِ الدُّيون، أو إلى الحقِّ تعالى ليرضى عنه خصماؤه يومَ القيامة، ولا يُلقِّنُهُ الذِّكرَ حتى يحصلَ له علامةُ قبولٍ للدعاء، وله علاماتٌ لا تخفى على صادقٍ، ثم بعد ذلك يُلقّنه الذِّكر، والله عليمٌ حكيم.

(٨٣) أخذَ علينا العهودُ أن نزور إخواننا من المسلمين ولو عراةً، وحفاةً، ومشاةً، لعدم شيء نلبسه على بدننا، أو في رجلنا، أو شيءٍ نركبه؛ بل نمشي، ولو بَعدَتْ دارُهم؛ لأجل أُخوّة الإسلام، والمحبُّ لمن يهواه زوّارٌ، ولو شطَّت الدَّار.

وقد كان رسولُ الله ﷺ يزورُ فقراءَ المدينة، وأكثرُ أوقاته حافياً ليس عليه إلا إزارٌ واحدٌ، وهذا أمرٌ قد أغفله أصحابُ الناموسِ الذين أقاموا نفوسهم كالتابوت الذي يتمسَّحُ الناسُ به، فتركوا المشيَ إلى إخوانهم، وقالوا: إنَّما تركنا زيارةَ فلان خوفاً أن تنفرَ تلامذتُنا منَّا، ويظنُّون أنَّه لولا أنَّا دونه في الدرجةِ ما زرناه كما وقع لي ذلك مع بعضهم، فإنّي دخلتُ مرَّةً له، فقبَّلتُ عتبةَ زاويته، فامتنع بعد ذلك عن زيارتي، وصارَ يقول: لولا أنَّ فلاناً علمَ رتبتي، ما قبّلَ الأعتاب. نسأل الله اللطف.

ومن وصية شيخي سيدي عليٍّ الخوَّاص رحمه الله: عليك بزيارةِ الأكابر؛ لكن لله تعالى لا لعلَّة. فقلتُ له: من الأكابر؟ فقال: العلماءُ، والتجارُ، والأمراءُ، وكبيرُ كلِّ طائفة، كالمُحتَسب، ومقدّم[١] القاضي، وكبيرِ المغاني[٢]، والنورة[٣]، والساسة، ونحوهم، فإنَّ رسولَ الله ﷺ يقول: «أكرموا كبيرَ كلِّ قومٍ»[٤]، فافهم.

وقال لي مرَّةً أخرى: وإيَّاك أن تمكّنَ أحداً من الأمراءِ يزورك؛ فإنَّ جميعَ ما معك من المدد ما يَجيءُ حقَّ طريقه، وقد بسطنا الكلامَ على آدابِ الزيارة في كتاب «الجواهر والدُّرر» فراجعه[٥].

(٨٤) أخذَ علينا العهودُ أن لا نحتجبَ عن حاجة أحدٍ من المسلمين وغيرهم بعد إن جلسنا وتَصدّرنا لحوائج المنكسرين إلا من عذر، أو غلبةِ حال يشقُّ مع ذلك مخالطةُ الخلق، والقيام بواجبِ الإقبال عليهم، وكلُّ فقير أَمين على ذلك، ولا يكذبه، أو يحمله على الكِبر إلا الأحمقُ الجاهل بأحوال الفقراء، فإنه يرد على الفقيرِ أحوالٌ يتمنّى الموتَ

---

(١) المقدم: رئيس الطائفة.

(٢) كبير المغاني: قال دوزي في تكملة المعاجم العربية: أرباب المغاني: الذين يملكون مغنيات ويؤجرونهن. وكأني بالمعنى: كبير المنشدين.

(٣) النورّة: قال دوزي في تكملة المعاجم العربية: ذو نَيْرة: صفي الفكر والبصيرة، والمُنوّر: الصوفي الذي وصل إلى أعلى درجات التصوف.

(٤) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٥) لم أجده في المطبوع من كتاب «الجواهر والدرر».

دونها، فما يُجاب، لا سيما حملاتِ أكابر الدولة، والدخول تحت قضاءِ حوائجهم من الملوك لما هم عليه من كمالِ العقلِ والتروّي في الأمور، ولا كذلك الجبال، وقال سيِّدي عمرُ بنُ الفارض في حقِّ نفسه حال بدايتها[1]:

فأوردتُها ما الموتُ أيسرُ بعضِه وأتعبتُها كيما تَكونَ مُريحتي

وأمَّا من احتجبَ من حصول حظٍّ دنيوي أو أخروي؛ كأصحاب الأسماء والرياضات، فذلكَ من أقبحِ الأُمور عند الفقراءِ الصادقين؛ فإنَّ خلوةَ الواحدِ من هؤلاء سنةً كاملةً بتمامِ توجّهِ لا تَجيْء خطوةَ واحدٍ إليه، لا سيّما الأمراء والأكابر، فإنَّ من ادَّعى من احتجبَ منَ الفقراءِ أنَّه إنَّما احتجبَ لكون الناسِ أشغلوه عن ربِّه عزَّ وجلَّ، قلنا له: فأنت إذاً ناقصٌ محتاجٌ إلى من يُكَمِّلُكَ، فاطلب لك شيخاً يُربّيك حتّى تبلغَ إلى حدٍّ لا يشغلُكَ الخلقُ عن ربِّك عزَّ وجلَّ، وما كان لك أن تتصدَّرَ في البلدِ، وشيءٌ يَشغلُكَ في الدَّارين عن ربِّك.

ومن إملاءِ سيدي عبدِ القادر الدَّشطوطي لي وأنا صغير لا أَعرفُ مقادير الرجال: يا ولدي، اكتبْ عنّي هذا الكلمات، واحفظْها عندك حتّى تكبرَ. فقلتُ: نعم. فقال رضي الله عنه: يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ في بعضِ الكتب المنزلة: يا عبدي، لو سِيْقَتْ إليك ذخائرُ الكونين، فنظرتَ بقلبك إليها طرفةَ عينٍ، فأنتَ مشغولٌ عنَّا لا بنا، ومعرضٌ عنَّا مُقبلٌ على غيرنا. انتهى.

فإن لم تُطقْ يا أخي الدُّخولَ تحت يدي مَنْ يُربّيك، فاجعل النَّهارَ للخلق، والليلَ للحقّ تبارك وتعالى، وإيَّاك والنومَ في الليلِ؛ تُحرمْ فائدةَ العمر.

وفي بعضِ الكُتب المُنزلة: يا عبدي، جعلتُ النَّهارَ لمعاشك، وجعلتُ اللَّيلَ للسَّمرِ معي والمناجاة، فنمتَ عنّي في الليل، واشتغلت عني في النهار، فلا أنتَ في النهارِ

---

(١) الديوان صفحة ٦٥ من تائيته الكبرى.

وابن الفارض هو عمر بن علي نشأ ببيت علم وورع، اشتغل بالفقه وأخذ الحديث عن ابن عساكر، وأخذ عنه الحافظ المنذري، حببت إليه الخلوات، ذهب إلى مكة، وأكثر من العزلة في وادٍ بعيد عن مكة نظم فيه أكثر شعره، وعاد لمصر بعد خمسة عشر عاماً، فأقام بالأزهر، قصده الناس بالزيارة حتى الملك الكامل، كان يعشق مطلق الجمال. توفي سنة ٦٣٢هـ. واختلف في شأنه كما اختلف في شأن ابن عربي والعفيف التلمساني من القطبانية إلى التكفير.

معي، ولا في الليل معي. انتهى.

فاعلم جميعَ ما قرَّرتُهُ لك، ولا تغترَّ بمن يفعلُ خلافَه، فإنَّ الاحتجابَ إنَّما شُرع للملوك فقط، بشرط عدمِ حاجة أحد إليهم من الرعية ذلك الوقت، وإلاَّ فهو حرامٌ بنصِّ الحديث[1]، واللهُ يهدي من يشاءُ إلى صرطٍ مستقيم.

(٨٥) **أُخذَ علينا العهودُ أن نُطْمعَ العبادَ في رحمة الله ولا نقنّطهم منها أبداً،** فإنَّ الرحمةَ ما مُنعتْ إلاَّ في حقِّ المشركين، وأكثرُ من يطمعُ في رحمة الله تعالى العوام من أصحاب الكتب.

وقد قال لي مرّةً واحدٌ منهم: ما عصيتُ قطّ إلاّ قلتُ: أنا في حَسْبك، لا تُدخلني النار، وأوقاتٌ أحلفُ عليه بالطلاق. وحاشى جوده وكرمه أن أقولَ له: أنا في حسبك ولا يَجرني في النار، وحاشاه أن يُحنثني في زوجتي، حتى أَعيشَ في الحرامِ، ولو أنّي قلتُ ذلك لأبي زيد الهلالي لأبرَّ قسمي.

وقال لي مرةً أخرى: أنا أُجلُّ ربّي عزَّ وجلَّ أن يُؤاخذ أحداً من عباده، وقد الْتجاءَ إليه.

وقال لي مرَّةً أخرى: لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ عفا عن جميع الأوّلين والآخرين لم يكن ذلك بكبيرِ أمرٍ؛ لأنَّ غايةَ الأمرِ أنَّه صفح عن لقمةِ طينٍ، والله غفورٌ رحيم.

(٨٦) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا ننام كلَّ ليلةٍ ولا نصبح حتى نساعد أصحاب النوبة** في حفظِ إدراكهم في سائرِ أقطارِ الأرض، فلا نُمسي ولا نُصبح حتّى نمرَّ ببصر قلبنا على جميع أقاليمِ الدُّنيا العامرة، والبحارِ المحيطة، ونحن نذكرُ الاسمَ الأعظمَ: الله الله، ولا يَستبعدُ أحدٌ من الناس مرورَنا على ما ذُكر من المدائن والبلاد بأزقّتها، وبلادها، وزروعها، وأنهارها، وبحارها؛ فإنَّنا ننظرها كما يَنظرُ الإنسانُ البلادَ الكثيرة بأوديتها، وجبالها، وبراريها منطبعةً في المرآة الصغيرة، ومن استبعدَ ذلك على القدرة الإلهية في حقِّ الفقراء، فلا يستبعدَ أن يَشكَّ في صحَّة قصةِ الإسراء برسول الله ﷺ

---

(١) روى ابن منده في تاريخ الصحابة عن رباح قال: قال رسول الله ﷺ: «من احتجب عن الناس، لم يحجب عن النار». وضعفه السيوطي في الجامع الصغير، فيض القدير ٦/٣٤.

إلى السموات العلى، فيكفر، فإنَّه ﷺ قطعَ تلك المسافةَ التي لا يقطعها الطائرِ المُجدُّ إلاَّ في ألوفٍ من السنين.

وصورة طوافي في كلِّ ليلةٍ أنّي أقرأُ الفاتحةَ سبعَ مرات، ثم أَقول: اللَّهُمَّ، اجعلْ نظيرَ ما قرأْتُهُ مكتوباً بقلمِ القدرةِ في صحائفِ أصحاب النوبة بناحية مصر وسائر أقطار الأرض. ثم أقول: دستور يا أصحاب النوبة، في مساعدتكم في حفظ إدراككم. ثم أقول: بسم الله الرحمن الرحيم، اللهْ اللهْ الله، وأُصبعي مرفوعةٌ، أُشيرُ بها إلى الأماكنِ، والبيوت، والدكاكين، والخانات، وغيرها، فأبدأُ بمصر العتيقة، فأمرُّ بقلبي عليها زقاقاً زقاقاً حتَّى أَستوعبَها، ثم أَدخلُ القاهرة زقاقاً زقاقاً، من قبر السيِّدة نفيسة إلى زاوية الشيخ دمرداش.

ثم أشرعُ في طوافِ القُرى والبلاد؛ من برْكَة الحاجِ إلى دمياط، أُحوّطُ دورَها وزروعَها.

ثم أرجعُ على ساحل بحر النيل إلى مصر.

ثم أَرجعُ أبدأُ من فم البحرِ الغربي إلى تجاه دِمياط من برِّ السفينة[1].

ثم أعطف على البُرُلُّس[2]، وأدورُ على البلاد بلداً بلداً إلى أن أَرجعَ إلى فمِ البحر الغربي.

ثم أَبدأُ بإسكندرية، وأنا مُقبلٌ بلداً بلداً حتى أَصلَ إلى أهرامِ الجيزة.

ثم أَبدأُ مُقبلاً لناحية غزَّة وبلاد القدس، والخليل، والشام، وحلب، وبلاد العجم إلى سدِّ يأجوج ومأجوج.

ثم أرجعُ على ساحل بحر التركية إلى الطينة، ثم أُعدّي بحرَ التركية إلى بلاد الروم، إلى أن أدورَ عليها، إلى جزيرة رُودس[3].

ثم أَخرجُ إلى بلاد المغربِ بلداً بلداً حتى أعطفَ على البحرِ المحيط إلى بلاد برقة[4].

ثم أُقبلُ إلى نواحي بلاد الصعيد بلداً بلداً إلى بلاد النوبة، إلى بلاد السودان، إلى

---

(١) في (أ): السفيللة. وفي (ج): السفانية.

(٢) البرلس: من الثغور المصرية الواقعة على شاطئ المتوسط بين دمياط والرشيد، وتسمى اليوم البرج. قاموس رمزي ٢/٢/٣٣.

(٣) جزيرة رودس: جزيرة ببحر إيجة، فتحها المسلمون، آلت الآن إلى اليونان. الموسوعة الميسرة.

(٤) برقة من أشهر مدن القطر الليبي.

بلاد الجبرت[(١)]، إلى بلاد الحبش، إلى بلاد الصين، إلى بلاد السند، إلى بلاد الهند، إلى بلاد اليمن، إلى مكَّة.

ثم أخرج من بلاد المَعْلاة[(٢)] في الدَّرب السُّلطاني إلى أن أدخل الينبع[(٣)]، ثم أعطف على بدرٍ والجديدة، إلى أن أدخل المدينة المشرفة، فأزور قبر رسول الله ﷺ، ثم أبي بكر، ثم عمر، ثم أخرج إلى البقيع، فأزوره، ثم أختم به.

هكذا حكمُ الواردِ عليَّ من سنة إحدى وأربعين وتسع مئة فلا بدَّ أني أمرَّ على هذه الأقاليم، وعلى قبور أهلها كلَّ ليلة، ويظهر لي صدقُ ما تمثّل لي مرات، ورأيت شخصاً من بلاد الحبش بمصر، فأخبرتُهُ بصفة دارهم، ودار جارهم ببلاد الحبش، وأخبرته بشجرة نَبْقٍ[(٤)] في دار جاره، وبالكنيسةِ التي في آخرِ الزقاق، فصدَّقني، وقال للحاضرين: هذا كاهن. لأنَّ الكاهنَ بلسان الحبش هو الصالح.

وكذلك أخبرتُ خادمَ السيد شعيب نبيِّ الله بصفةِ القبر[(٥)]، وشجر الليمون التي تجاه الضريح، فصدَّقني، وكان أولُ واردي أنّي رأيتُ نفسي في محفَّةٍ طائرةٍ في الهواء كالبرق الخاطف، وكانت المحفَّةُ تطوفُ بي على قبرِ كلّ وليٍّ بأرضِ مصرٍ من فوق قببهم ومقاصيرهم، إلاّ قبر سيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدسوقي[(٦)]، فإنَّها - يعني المحفَّة - تَواطتْ بي حتَّى مرَّتْ من تحت عتبتهما، ثم صعدت. هكذا وقعَ، ولله الحمد، ولم أطَّلع الآن على حكمةِ ذلك إلى الآن رضي الله عنهما.

واعلم أن جملةَ مدائن الربع المسكون سبعةَ عشرَ ألف مدينة، ونذكر لك منها بعض مَدائن، فمنها: مدائن الصين، والهند، والسند، والزنج، والحبشة، والحجاز،

---

(١) جبرت مدينة من بلاد الحبشة، وهي الزيلع. انظر الأعلام ٣/٣٠٤.

(٢) المَعْلاة: موضع بين مكة وبدر. معجم البلدان.

(٣) ينبع: ميناء على البحر الأحمر من بلاد الحجاز.

(٤) النَّبْق: شجرة من الفصيلة السدرية، قليلة الارتفاع، أغصانها ملس بيض اللون، أزهارها صغيرة متجمعة إبطية، وثمرتها حَسَلَة حلوة تؤكل تنمو في إفريقية الشمالية. المعجم الوسيط.

(٥) ضريح شعيب عليه السلام في طبرية من فلسطين ردّها الله. انظر الأعلام (شعيب).

(٦) إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي الحسيني (٦٣٣-٦٧٦) من كبار المتصوفة، كثير الأخبار، من أهل دسوق بغربية مصر، تفقه على مذهب الشافعي، ثم اقتفى آثار القوم، له شعر ينحو فيه منحى ابن الفارض.

واليمن، ومصر، والقيروان، والبربر، وطنجة، والأندلس، والرومية، والقسطنطينية، والفاذونية[(١)]، وبُرْجان[(٢)]، والصقالبة، والروسية، والأبواب، وأذربيجان، وأرمينية، واليونان، والعراق، وخوزستان[(٣)]، وجيلان[(٤)]، ودَيْلَمان[(٥)]، وطبرستان، وجُرجان[(٦)]، وكَرمان[(٧)]، وفارس، ومكوان، وكالستان، وسجستان، ورو شاذان، وباهنان، وطَخارستان[(٨)]، وخُوارزم، ويأجوج ومأجوج، وبلاد فرغانة[(٩)]، وصغانيان[(١٠)]، وخاقان، وتغز عز وحز خير، وغير ذلك.

فمن أرادَ من إخواننا أن يعملَ بهذا العهد، ويدخل فيه، فليعملْ على جلاء مرآة قلبه من الصدأ والغبار، يُحيط بها كلِّها، ويراها جميعَها في مرآةِ قلبه في قدرِ حبَّةِ رملٍ وأقل، والله على كلِّ شيءٍ قدير.

(٨٧) أخذَ علينا العهودُ أن نشاركَ جميعَ أصحابِ الهموم في البلايا النازلة عليهم، ونرى نزولَ تلك البلايا بسببِ سيِّئاتنا دون الخلق أجمعين، ولا نتخلَّفِ قطُّ عن تَحمُّلِ شيءٍ من همومهم إذا بلغنا ذلك عنهم في سائرِ أقطار الأرض، حتَّى لا تغربَ الشمسُ علينا كلَّ يومٍ إلا وجسمنا ذائب، كالذي شرب قناطراً من السُّمِّ ونغص بالموت مرّات، ودليلُنا في ذلك قولُه ﷺ: «المؤمنون كالجسدِ الواحدِ، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له جميعُ البدنِ بالحُمّى والسهر»[(١١)].

---

(١) في (ب): القادونية.

(٢) بُرْجان: بلد من نواحي الخزر. معجم البلدان.

(٣) خوزستان: إقليم على الشاطئ الشرقي من الخليج العربي، في إيران.

(٤) جيلان: اسم بلاد من وراء بلاد طبرستان، والعجم يقولون كيلان. معجم البلدان.

(٥) ديلمان من قرى أصبهان. معجم البلدان.

(٦) جُرجان: مدينة بين طبرستان وخراسان. معجم البلدان.

(٧) كرمان: ولاية مشهورة، وناحية كبيرة بين فارس وخراسان. معجم البلدان.

(٨) طخارستان: ولاية واسعة من نواحي خراسان. معجم البلدان.

(٩) فرغانة: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر، متاخمة لتركستان. معجم البلدان.

(١٠) صغانيان: بلاد بما وراء النهر. معجم البلدان.

(١١) رواه البخاري ١٠/٣٦٦ في الأدب، باب: رحمة الناس، ومسلم (٢٥٨٦) بلفظ: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

فانظر يا أخي هذا الميزان الذي جعله الشَّارعُ صلى الله عليه وسلم محكًّا لكمال الإيمان، تعرفْ مرتبةَ إيمانك؛ فإنه حُكِمَ عليك إنْ كنتَ مؤمناً بمُشاركةِ كلِّ مريضٍ في مرضه، وكلِّ مُعاقبٍ في بيت الوالي من مقارع وكسارات وعصرٍ وغير ذلك، ومن هو كذلك فهو معذورٌ فيما يقع منه في بعض الأوقات من النزاقة، والتعبيس، وعدم الضحك؛ لأنه يغَصُّ بالموت، ويحسُّ بالألم الذي يُدركُهُ جميعُ الضعفاء والمعاقبين، ولولا أنَّ الله تعالى يَمنُّ علينا في بعضِ الأوقات، لم يبق لنا أثرٌ.

ولا أعلمُ الآن أحداً من إخواني أكثرَ تَحمُّلاً لهمومِ المسلمين بعد سيّدي أبي العباس المُرسي[1]، وسيدي عليّ الخوّاص، من[2] سيدي أفضل الدين؛ فإنَّ كثرةَ همومِ المسلمين أنحلته، حتى صارَ كالشنِّ البالي. رضي الله تعالى عنه، وكثير في الفقراء من ملَّته، فالحمد لله رب العالمين

(٨٨) أُخذَ علينا العهودُ أن نداري كلَّ طائفةٍ رأينا بينهم العداوة والبغضاء، وعجزَنا عن الصلح بينهم من سائر الطوائف، ونقول لكلِّ طائفةٍ منهم: إنَّا معكم، ومن عصبتكم، لكن لا تقولوا: ﴿إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ [البقرة: ١٣] وذلك من باب المُداراة التي أمرَنا بها الشارعُ ﷺ، وهو منَ النِّفاق المحمود؛ لأن المنافقين ما وقعَ عليهم الذَّمُّ إلاَّ من جهة قولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ﴾ فقط، لا منْ قولهم: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ ولو أنَّهم اقتصروا على قولهم لكلِّ فريقٍ: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ لم يقعْ عليهم الذمُّ ولذلك لمَّا ردَّ اللهُ عليهم قولَهم، لم يُقابلهم إلا بنظيرِ الاستهزاءِ فقط في قوله: ﴿اللهُ يَستهزئُ بهم﴾ [البقرة: ١٥] فافهم ذلك؛ فإنَّه من باب المعرفة.

وأُعلّمك يا أخي ميزاناً تعرف به مُعاداتك للناس هل هي لله تعالى، أو لهوى النَّفس؟ وهو أن تعرضَ أعمالَ ذلك الرجلِ الذي كرهتَهُ على الكتابِ والسُّنَّة، فإن كانت أعمالُه محمودةً فيهما، فأحببْهُ، وإن كانت مَذمومةً فيهما فابغضْه؛ كيلا تُحبَّه بهواك، وتُبغضَه بهواك.

---

(١) أحمد بن عمر المرسي أبو العباس فقيه متصوف من أهل الإسكندرية. أصله من مرسية الأندلس. توفي سنة ٦٨٦هـ.

(٢) في (أ): وسيدي.

واعلمْ يا أخي أنَّ **من أقبحِ ما يكونُ بغضُ العلماء**، وحقدُهم على بعضهم بعضاً، مع علمِهم بأنَّ المُشاحنَ لا يُرفعُ له إلى السماءِ عملٌ، ومع علمِهم بأنَّ ذلك الشخص الذي بَغَضوه يُحبُّ اللهَ ورسوله، ويقول: لا إلهَ إلاَّ اللهُ محمدٌ رسول الله.

وكذلك **من أقبحِ ما يكونُ بغضُ الفقراء** الذين تصدَّوا لإرشادِ المُريدين لأقرانهم أو غيرهم، كما هو مُشاهدٌ، حتى إن مَرِضَ أخوهم لا يَعودونه، وإنْ رجعَ من سفرٍ لا يُسلّمون عليه، وإن مات لا يَشهدون له جنازة.

وأعجبُ من هؤلاء كلِّهم الطائفة المغرمون بكثرةِ الصلاة على رسولِ الله ﷺ في أرضِ مصرَ وغيرها، فلا يَنبغي أن يُبغضَ بعضُهم بعضاً، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهم مكثرٌ للصلاة على رسول الله ﷺ، ويدّعي أنّه يحبُّه أشدَّ من محبَّةِ سائرِ النَّاس، وكيف يصحُّ لمن يدَّعي ذلك أنَّه يكرهُ أو يُعادي أو يُنْقِصُ من يدَّعي بحبِّ رسول الله ﷺ، ويُكثرُ الصَّلاة عليه.

قال شيخُنا رحمه الله: ولكن ذلك ما نَشأ إلاَّ من محبَّةِ الطبع؛ لأنَّ محبَّة الشَّرعِ يصيرُ بها الإنسانُ تحت كلِّ من زاحمه في محبَّة محبوبه، ومحبَّةُ الطبعِ يكرهُ كلَّ مَنْ زاحمَه في محبَّته، فعلم أنَّهم لو كانوا صادقين في محبَّته ﷺ، لأحبُّوا كلَّ من حبَّهُ، وعظَّموه، ووقَّروه، ولكنَّ هذا الداءَ من التعبُّد بغير شيخٍ مرشدٍ. وقد عجزتُ بين جماعةٍ منهم في الصُّلح، فلا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم.

(٨٩) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نرى نفوسنا قطُّ قامت بذرَّة واحدة من واجب حقوق الله عزَّ وجلَّ، وذلك لشهودِنا أنَّ أعمالَنا كلَّها محمودَها ومذمومَها خلقَها اللهُ عزَّ وجلَّ بنور الإيمان، وسرِّ الإيقان، وقولنا: نحن مُقصِّرون. إنَّما ذلك تملُّقٌ لله عزَّ وجلَّ، لا حقيقةَ له، إنَّما هو لأجل تصديق الله عزَّ وجلَّ في إضافة الأعمالِ إلينا، فإنَّه تعالى يُحبُّ من عباده أن يتملَّقوا إليه، وإلاَّ فشهودُ العبدِ أنَّه مُتجرِّدٌ عن نسبة الأفعال، وأنَّ الحقَّ إضافتها إلى الله تعالى أحبُّ من شهودِه النسبةَ إليه، والكاملُ ينظرُ النسب بالعينين، وصاحبُ العينِ الواحدة أعور من فقيه أو فقير.

فعُلمَ أنَّ كلَّ من شهدَ أنَّه فاعلٌ لكنَّه قصَّر في الفعلِ، فقد أشركَ بالله عزَّ وجلَّ، فإنَّ جميعَ الأعمالِ البارزةِ على يد العبيد كلّها لله عزَّ وجلَّ، لا يَمكنُ العبدُ أن يزيدَ

فيها ولا ينقص. فافهم.

ولم يطلبِ الحقُّ تعالى منا قطُّ خلقَ الأعمال، وإنَّما قال: اعملوا ما أنا خالقه لا غير. فأين التقصير؟

ثم لا يَخفى أنَّ **شدَّةَ النَّدمِ على الذنب من شدَّة نسبةِ العملِ للعبد**، ولكنْ مادامَ في رُتبة الإيمان، لا يَجوزُ له احتقارُ معاصيه؛ لأنَّ تعظيمها يُقوّي استعداده، ويرقّيه إلى رتبة الإحسان، فإذا ترقّى إليها قلّ ندمه، واحتقر الذُّنوب في جانب عفو الله عزَّ وجلَّ، لأنَّه لا يرى هناك فاعلاً إلا الله.

فإيَّاك يا أخي، أن تأمرَ المؤمنَ بما تأمرُ به المحسن؛ من عدم الندم؛ فإنَّ ذلك يردُّهُ إلى أسفل.

واعلمْ أنَّ كلَّ عارفٍ لا يُمكنه قطُّ أن يشهد لنفسه مدخلاً في إيجاد الفعل، وإنَّما يشهدُ كونه محلاً لظُهورِ صورة الأفعال؛ لأنَّها لا تظهر إلا في جسمٍ من حيث كونها أعراضاً، فكأنَّ أعضاءَ العبدِ أبواباً للأعمال، كالباب الذي يخرجُ منه الناسُ لا غير، فليس الناس الخارجون متولّدين من ذلك الباب. فافهم.

وإذا قال العارف مثلاً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] لا يقوله إلا على وجهِ التِّلاوة، لا على وجهِ أنَّ له شركةً في الفعلِ، تعالى الله عن ذلك.

وتأمَّل في معنى قوله تعالى: ﴿إنَّما يتقبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقينَ﴾ [المائدة: ٢٧] واعبرْ إلى الباطنِ، تجدْ ليس من جهةِ العبدِ شيءٌ يُتقبَّلُ منه هناك أبداً، إذِ التقوى خاصّةٌ بالمؤمنين لا بالمُحسنين. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] ولا يصحُّ تسميةُ الشيءِ إيماناً إلاَّ من وراءِ حجاب، فالمؤمنُ لما وقفَ مع ظاهرِ نسبةِ الأعمال إليه، شهدَ نفسَه مُشاركاً لله تعالى في الأعمال، فسألَ اللهَ تعالى قبولَها منه، وسألَهُ الإعانةَ على الفعل وقال: اللهم تقبَّلْ منّا أعمالَنا. وأجابه الحقُّ تعالى، وتقبَّلَ منه تنزلاً ورحمةً، وعذرَه في الحجاب، وإلاَّ فإذا كانت نفسُ ذات العبد مخلوقةً لله وحده، فكيف ينشأ عنها شيءٌ يُتقبَّل؟ والذاتُ نفسُها بأعمالها تلك لله تعالى، لم تخرجْ عن مُلكِه طرفةَ عين، ومَنْ تحقَّقَ بهذا المشهد، لم يفرحْ بكثرةِ إبرازِ الأعمال الصالحة على يَدَيه، ولم يحزَنْ لقلّتها؛ لأنَّها كلَّها لله تعالى لا للعبدِ، وصارَ يشكرُ اللهَ

على نومه في سائر الطاعات، كما يَشكرُهُ على فعلها كلِّها، ويقول: الحمدُ لله الذي نوَّمني اللَّيلَ كلَّه، وأراحني من كلفةِ القيامِ طولَ اللَّيلِ. فإنَّ أحداً لا يدخلُ الجنَّةَ بعمله، وإنَّما يدخلُها برحمةِ الله عزَّ وجلَّ، فعُلمَ من هذا التقدير أنَّ ساعاتِ اليقظةِ والإقبالِ على الله عزَّ وجلَّ لا يقدرُ عبدٌ على جعلها نوماً وإدباراً عن الله تعالى، وساعاتِ النومِ والإدبارِ لا يقدرُ أنْ يجعلَها يقظةً، وهكذا.

هذا ميزان الشريعة في يدِ العارف، لا يرميها طرفةَ عينٍ، فما أمرَهُ الحقُّ به وفعله يحمده.

(٩٠) أُخذَ علينا العهودُ أن نزجر كلَّ من مدحنا في ملأ بشعرٍ أو نثرٍ، حتَّى لا يعودَ إن شاءَ الله إلى مثلها، وسواءٌ أكانَ المدحُ بالتصريح أو بالإيماء. والداءُ العُضالُ أن تألفَ النفسُ ذلك، فإنَّ العبدَ يُتلفُ بالكليّة، وكان لي صاحبٌ من السودان، وكان وقته طيباً، فسألتُ عنه بعد مُدَّة فقيل لي: إنَّه طار ما معه من الأدب، وصارَ كسلان خمولاً. فقلتُ له: ما سببُهُ؟ فقال: صغى إلى الناس، وهم يَشكرونه بأذنيه.

وكان لي صاحبٌ آخرُ برزَ في مصر أيام شيخي، ثم انطفأَ ذكرهُ، كأنْ لم يكن. فقلت لشيخي سيِّدي عليٍّ الخوَّاص رحمه الله: ما سببُ ما وقعَ لفلان؟ فقال: فعل خصلةً واحدةً، فتأخَّر بها عن جميع أقرانه. فقلتُ له: ما هي؟ فقال: رأى نفسَه على جميعِ إخوانه، فأخَّره الله تعالى وراءَ الكلِّ عقوبةً له، ولو أنّه رأى نفسَه وراءهم لقدَّمَهُ اللهُ عليهم أجمعين.

فإيَّاك يا أخي ومعاشرةَ مَنْ لعيوبك يَسترُ، ولنفسكَ يمدح، ولقولك يسمع، ولعلمك يظهرُ وينشر، فإنَّه عدوٌّ في صورة صديق، ولو لم يكن في المدحِ إلا أنَّه يَعميك عن مَساوئك حالَ المدحِ والإصغاء إليه، لكان فيه كفايةٌ في الفساد.

فاعلم ذلك، ولا تغترَّ بمن يقولُ تقليداً للعارفين: العارفُ لا ينبغي له التكدُّرُ من المدح؛ لأنَّا نقول: أين هو عارف؟ فإنَّ أحدَنا غارقٌ في شهوات بطنه وفرجه وجاهه وصيته، لم يشمَّ من طريق العارفين شمة إلاَّ بالدعوى، فلا حولَ ولا قوَّة إلا بالله العلي العظيم.

(٩١) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نصادم بأنفسنا قطُّ أحداً في حال قيام نفسه، لا** سيّما أهل الجدال، فإنَّ ذلك يضرُّنا ويضرُّه، بل يجبُ علينا أن نصبرَ له حتى يزولَ غضبُه، ثم نُكلِّمُه برفقٍ، ونعذرُهُ في الغضب بما نعذرُ به نفوسنا في حال غضبنا، ولا نطلبُ منه الرجوع قهراً إلى ما نطلبُهُ منه، فإنَّه تحت سلطانِ الاسمِ (القاهر) له على وجود الغضب، ولو كان أكبرَ ملوكِ الدُّنيا، كما أننا كذلك تحت حكم الاسم (القاهر) لنا على الغضب منه، والله غفورٌ رحيم.

(٩٢) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نعترض على الأولياء الذين يعمرون المساجدَ بحجارةِ مساجدَ أُخَرَ** قد خربت، ولا نعترضَ عليهم في عمارة الدور، وغرسِ الأشجار، ولا يجوز حملنا لهم على محبَّةِ الدُّنيا، وطولِ الأمل، فإنَّ حالَهم فوق حالنا، وإذا صلحت النيةُ لنفعِ عبادِ الله، فلا حرجَ في عمارةِ الدُّنيا بأسرها، لا سيّما والأولياء أتمُّ نظراً من ملوكنا فضلاً عنَّا.

وكذلك لا نعترضُ عليهم في أخذِ أموالِ السلاطين والأكل منها، ونحملُهم على أنَّه كُشفَ لهم أنَّ ذلك رزقُهم الذي رزقَهم اللهُ عزَّ وجلَّ، وأنَّهم لا يأكلون من أموال الملوك إلا إنِ اضطروا.

وقد كان سيِّدي إبراهيم المتبولي يقول: خبزُ الأمراء معجونٌ بدمِ الفقراء، فخبزُ الملوك معجون بماذا؟

فعند الأولياءِ من النورِ ما يُفرّقون به بين الحلالِ والحرام، ويعرفون به من يصلحُ له الأكلُ من ذلك المال، فما من درهمٍ ولا رغيفٍ من الشُّبهات إلا وفي الكونِ من يُباح له الأكلُ منه، كمن عمي بصرُه من المحترفين معَ كثرة دَيْنِه وعياله، وكمن دارَ الزَّمانُ عليه بِكَلْكَلِه من الملتزمين لجهات الظلم، كالمكس، والوزر، ونحوهم، والله عليم حكيم.

(٩٣) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُمكِّنَ أحداً من إخواننا الخاصّين بنا من السعي على وظيفة من الوظائف الدينية أو الدنيوية،** سواءٌ أكانتْ عن ميّت له أولادٌ أم لا؛ وذلك عملاً بقوله ﷺ: «لا يسأل الإمارة...»[1] الحديث، ولئلا يحصلَ للساعي

---

(١) روى البخاري ١٣/١١٠ في الإمارة، باب من لم يسأل الإمارة، ومسلم (١٦٥٢)، وأبو داود =

تكديرُ القلب، كما كدّر قلب من سعى عليه، وحرق قلبَه أو قلب أولاده على تلك الوظيفة، وهذا أمرٌ قد حدثَ في فقهاء هذا الزمان، ولم يكن قطُّ في علماء السلف.

وقد وقع أنَّ سيِّدي الشيخَ عبدِ الرحيم الإبناسي[1] رحمه الله أرسل له السُّلطانُ مرسوماً بعشرة أنصاف من الجوالي كلَّ يومٍ، فانقبض خاطرُ الشيخ من ذلك، فوضعَ المرسومَ في عِمامته، وركبَ حمارته، وخرجَ لحاجة، فبينما هو تحت بيتٍ إذ سمعَ إمرأةً تقول لجاريتها: هذا الشيخ هو الذي أخذ جوالي ولدي، فعرفَ البيت، وأرسلَ المرسومَ إلى السُّلطان قاتباي[2]، وقال له: إن كنتَ تريدُ البرَّ لي، فامسح اسمي، واكتب اسم ولد المتوفى، وما زالَ على السُّلطان حتَّى كتبَ العشرةَ أنصاف لولدِ تلك المرأة، ثم جاءَها بالمرسومِ، وأعطاه لها، وقال: أبري ذمَّةَ عبد الرحيم، وادعي له بالموت على الإسلام، فإنِّي خائفٌ من سوءِ الخاتمة. فبكتِ المرأةُ، وبكى الشيخ رضي الله تعالى عنه.

وقال شيخُنا رضي الله عنه: وما رأينا قطُّ شيئاً جاء بسؤال مع غنيةٍ عنه، إلاّ كانَ غيرَ مُبارَكٍ لصاحبه فيه، لما في ذلك من استشرافِ النفس، وقد نهى الشارعُ عن أكلِ كلِّ ما فيه رائحةُ استشراف[3]، كالذي يجيءُ له شخصٌ على غفلة، فيقولُ له: لك عندي كذا، اصبر حتى أجيءَ به إليك، أو أرسلْ أحداً من جماعتك يحمله؛ فإنَّ النفسَ تصيرُ مُستشرفةً لحضوره، حتى يحضر، ولو لحظة. فافهم.

واعلم يا أخي أنَّ المراتبَ، والوظائف، وجميع الأرزاق دائرةٌ على أصحابها لتقيمَ

= (٢٩٢٩)، والترمذي (١٥٢٩) عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة؛ فإنك أن أوتيتها عن مسألة، وكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها».

(١) شيخ مصري واصل. ترك الدُّنيا وانصرف لدينه علماً وسلوكاً. الكواكب السائرة ١/٢٣٦.

(٢) قايتباي المحمودي، أبو النصر سيف الدين، الملك الأشرف (٨١٥-٩٠١هـ) من ملوك الجراكسة، بويع بالسلطنة ٨٧٢، وكانت سيرته من أطول السير حافلة بالعظائم انصرف إلى مقاومة العثمانيين، وكان متقشفاً، كثير المطالعة، شجاعاً عارفاً، أبقى كثيراً من الآثار العمرانية في مصر والشام والحجاز.

(٣) الاستشراف: يقال أشرفت الشيء: أي علوته، وأشرفت عليه: اطّلعت عليه من فوق. قال رسول الله ﷺ: «ما جاءك من هذا المال وأنت غيرُ مُشرفٍ له، فخذه» أي ما جاءك وأنت غير متطلع إليه، ولا طامع فيه. انظر النهاية ٢/٤٦٢.

عندهم، كما أنَّ أصحابَها كذلك دائرون عليها، ولا يقعُ في بعضها الإبطاء إلاَّ من عدم اجتماعِ شرائطِ تلك المرتبة، فمن أرادَ مشيَ المراتبِ إليه بأنفسها، وسؤالها أن تكون له، فليسعَ في تحصيلِ شروطها، وكلٌّ من احتاج في حصولِ وظيفةٍ إلى برطيلٍ، فهو متغلّبٌ على تلك الوظيفة، والله أعلم.

(٩٤) أُخِذَ علينا العهودُ أن نعذرَ كلَّ من قامت عنده شبهةٌ ما لم تهدم شيئاً من أصولِ الدين الصريحة، كإنكار صحبةِ أبي بكر، وبراءة عائشةَ رضي الله عنها، ونكلُ أمرَ كلِّ من لم تهدم شبهتُهُ الدِّينَ إلى الله عزَّ وجلَّ، كمن يُقدِّمُ المفضولَ من الصحابة والأئمة على الفاضل(١)، فيفصلُ تعالى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون، والله غفورٌ رحيم.

(٩٥) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نبيت على دينارٍ ولا درهم، ولا معلومٍ ليلة واحدة، وأن لا نردَّ سائلاً مُحتاجاً قطُّ، وعندنا ما يفضلُ عن نفقةِ يومٍ، وإذا جاءنا إرْدَبٌّ ذهبٍ في يومٍ لا ندخلُهُ دارنا، بل ندعُهُ للناس يأخذونه، ولا نأخذُ منه ديناراً واحداً على اسم غدٍ؛ إلاّ إنْ كان علينا دينٌ.

وقد كان ﷺ يقول: «والله، ما يسرّني أنَّ لي مثلَ أُحُدٍ ذهباً، يمضي عليه ثلاثةُ أيامٍ وعندي منه درهم واحد، إلا درهم أرصده لدين»(٢).

ولَمّا دخلَ الإمامُ الشافعي اليمنَ، أهدى إليه ملكُها عشرةَ آلاف دينار، ففرَّقَها كلَّها في المجلس، ولم يُمسكْ منها درهماً واحداً لنفسه رضي الله عنه.

وكان ﷺ لا يسأَلُهُ أحدٌ شيئاً إلا أعطاه، حتَّى أنَّه نزعَ القميصَ الذي لم يكن عليه غيرُه، فجاءَ وقتَ الصلاة، فلم يستطعِ الخروجَ إليها، فأنزلَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ البَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾(٣) [الإسراء: ٢٩].

---

(١) وهم من يقدمون علي بن أبي طالب (المفضول) على أبي بكر وعمر وعثمان (الفاضل). ويترضون عن الجميع

(٢) رواه البخاري ٥/٤٢ في الاستقراض، باب أداء الديون، ومسلم (٩٩١).

(٣) رواه الآمدي في أسباب النزول صفحة ٢٤١ عن أبي الأحوص عن عبد الله.

وحكى لي شيخُنا رضي الله عنه: أنَّ سيِّدي إبراهيم المتبولي أرسل لسيِّدي أحمد ابن مصلح بناحية دمياط أيامَ الغلاءِ عشرين إرْدَبَّ قمحاً، فأرسلَ الشيخُ إلى مَحاويج البلد، وفرَّقه عليهم، ولم يأخذْ منه إلاَّ طحيناً واحداً، فقال له سيِّدي إبراهيم: إنَّما جئنا به لك لتتوسَّعَ به على عيالك، فقال له سيِّدي: قد توسَّعنا به، وبلغَ الهديُ محلَّه، وقد أعطاني الله هذا الأمر من سنة إحدى وثلاثين وتسع مئة، ولكن لما رأيتُ أَصحابي لا يتركوني عرياناً، ويتكلَّفون لي العمائم والثياب، سددتُ هذا الباب عليّ لكون الحقِّ تعالى لم يُقسم لي كسباً إلا محض سؤاله تبارك وتعالى، فصار كلٌّ من سألني شيئاً، أسألُ الله تعالى له أن يُعطيه ما طلب، أو يرزقه القناعة.

فعُلم أنَّه **لا يضرُّ الفقيرَ أن يحبسَ الدُّنيا على اسم غيره** من العيال، والإخوان، والمساكين، والعميان، وإنَّما يضرُّه أن يحبسَ ذلك على اسم نفسه، و﴿الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤].

ومن شروطِ الاجتماع مع الخضر عليه السلام أنَّه لا يجتمعُ قطُّ بأحد يحبُّ ادِّخارَ رزقِ غدٍ(١)، فاعلم ذلك، وقد أوضحنا ادخارَ أهل الكهف(٢) في كتاب «الجواهر والدرر». والله غنيٌّ حميد.

(٩٦) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتوجّه قطُّ إلى الله تعالى في ظالم ولا غيره، بمجرد شكوى من شكاه لنا، بل نتثبَّتُ في أمره، فربّما كان مَعذوراً، ومِنْ عذره اعوجاجُ رعيَّته عن الطريق المستقيم، فإنَّ الرعيَّةَ إذا انعوجت، قابلها الوجود بالعوج، ولو كانَ الأميرَ على الناس القطبُ عليه السلام لا يُمكنه أن يخرجَ عن مشاكلة ما يستحقّون من الجورِ والظلم، تنفيذاً لقضاءِ الله الذي لا مردَّ له، لاسيما في هذا الزمان الذي استحقَّ فيه غالبُ الناس الخسفَ، فلا يزال الأميرُ الأعوج تقيمه الرعيةُ الصالحون بأعمالهم شيئاً فشيئاً حتى يكونَ كالرمح، ولا يزالُ الأميرُ المستقيمُ تعوّجه أعمالُ رعيته المارقين حتّى يصيرَ مثل الخطاف، ومِثْلُ الأمير في ذلك الأعوان، كالبَرْددار(٣)،

---

(١) في (أ) و(ب): بأحدٍ يخبؤ رزقه غداً. والمثبت من (ج).

(٢) في (أ): أهل الكشف.

(٣) البَرْددار: هو الذي يكون في خدمة مباشري (موظفي) الديوان في الجملة، متحدثاً على أعوانه والمتصرفين فيه. معجم الألفاظ التاريخية.

والرسول، والمقدم، والغفير، ونحوهم، فإنَّ عِوجَهم نشأ من عِوَجِ الرعيَّة، ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

فمن أرادَ من العلماءِ والأشياخ أن يمنعَ الحاكمَ من الظلمِ والجور، فليناد في الرعية: معاشرَ الناس، ألا إنَّ الولاةَ لم يظلموكم، وإنَّما أنتم ظلمتموهم بأعمالكم، فعوجُهم فرعٌ من اعوجاجكم، ولا يصحُّ أن يقعَ على يدهم قطُّ ظلمٌ لكم ابتداءً، وإنَّما يقعُ جزاءً لأعمالٍ تقدَّمت منكم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] فإنَّ صحَّ لكم أيُّها الرعيةُ الاستقامةُ في أعمالكم ضمنَّا لكم استقامةَ ولاتكم، وإلاَّ فاعذروهم، بما تعذرون به نفوسَكم، **فهذه هي** طريقُ استقامة الحكام علينا، وهو أمرٌ قد فُرغَ منه بحكم الوعدِ السابقِ من رسولِ الله ﷺ، فلا بدَّ من وقوعِ أسباب الجور، حتى يصدقَ وعدُه ﷺ.

ولو توجَّه أكبرُ الأولياء الآن في أكبر الظلمة لا يُجاب، ولو وقعَ أنَّ ذلك الوليَّ أُجيبَ، توجّهه في ذلك الظالم، عوتبَ عليه في الدُّنيا والآخرة، إلا أن يُعطى مقامَ التحكيم، ويؤذنَ له في تأديب من شاء من الظلمة، وهذا مقامٌ عزيز في مقام زماننا. **ومن هنا:**

(٩٧) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُكاتب الولاةَ في هذا الزمان في إسقاط شيءٍ يُنقصُ مالَ السُّلطان لعلمنا بأنهم لا يُجيبون إلى ذلك، ولا يعملون بكلامنا، وكلُّ من جاء يطلبُ منّا ذلكم، قلنا له: نحن ما نعرفُ إلا رسول الله تعالى لك، فإن لم يكفك ذلك فطريق مباركة.

وقد قررنا مراراً[1] أنَّ العارفَ بالله تعالى ليس له همَّةٌ تنفذ في أحدٍ من الخلق لشهوده أنَّه دونَ سائرِ الوجود في الرتبةِ. والهمَّةُ لا تنفذُ إلاّ ممن يرى نفسَه فوقَ من يتوجَّه فيه من الظالمين، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٩٨) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكّن أحداً من إخواننا من الخوض في ذات الله عزَّ وجلَّ لا من طريقِ الفهمِ، ولا من طريق الكشف؛ فإنَّ ذلك من أعلى طبقات

---

(١) انظر العهود (١٥) و(٤٠) و(١٨٤).

سوءِ الأدبِ، وهو بابٌ مسدودٌ علمُهُ عن جميع الخلائق، حتى أنَّ الشيخ محيي الدين رضي الله عنه أنكرَ على الغزالي وغيرِه الخوضَ في ذلك، وقال: ليس للغزاليِّ عندنا زلَّةٌ أكبرَ من هذه. انتهى.

وما أنصفَ أحدٌ مثل ما أنصف الشيخ أبو سعيد الخرّاز[1] رضي الله عنه في قوله: والله، ما يعرفُ اللهَ إلا الله.

وقد قال لي شخصٌ من المدّعين لمرتبة العرفان: ما ثمَّ في الوجود ظاهراً ولا باطناً إلا الله. فقلت له: ما تقولُ فيَّ وفيك؟ فقال: ليسَ أنا أنا، ولا أنتَ أنت. فقلتُ له: فمن يبولُ ويتغوَّطُ، ويُجامع المرأة، ويعجزُ، ويمرضُ، وينحصرُ بولُه، فيصيرُ صياحُهُ ملءَ الدار؟ فما درى هذا المدعي ما يقولُ، وهذا هو مذهبُ الزنادقة بعينه، فإنَّه يصدُّ عنهم في حالِ حضورِ إحساسهم، وعقلهم، ولو كانوا في حالِ سُكْرٍ ربَّما سُومحوا، وقيلَ المُتكلِّمُ غيرُهم، ومن علامة سكرِهم أن لا يَعلموا إذا أفاقوا ما وقعَ منهم في حالِ السُّكْرِ، فإن عَلموا ذلك، فهم كاذبون في دعواهم.

وقد كان الناسُ يَنقلونَ إليَّ أخبارَ شخصٍ مشهورٍ في مكَّةَ بحلقِ اللحية، والتعرّي، والكلامِ الفاحش في جانب الحقِّ تعالى، والأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام، وكنتُ أُجيبُ عنه، حتى جمعني اللهُ عليه، فحكى لي وقائعَهُ المُكفِّرةَ له من مدَّة أربعين سنة بأماراتها، ومن جملتها، أنَّه كان يقولُ لشيخه في الملأ بين الناس: أنت ربُّنا، وأنت إلهنا، وأنتَ أفضلُ من مُحمدٍ، وأنت خالقُ كلِّ شيءٍ. ثم يتظاهر بالجنون، ويُدخلونه المارستان، ثم يتحيَّلُ، ويخرجُ، ثم أنَّه بعد ذلك ادَّعى الإلهية، وشخصاً من أصحابه الرِّسالةَ، وتظاهرَ بالجنون حين مَسكوه، ولما حجَّ وزار مع شيخه قبرَ رسول الله ﷺ صار يُنادي في الحرم: هلموا إلى سيِّدي الشيخ؛ فإنَّه يغنيكم عن زيارة عظام محمد ﷺ، فلمّا حَكَى لي ذلك زجرتُهُ، وأنكرتُ عليه، وسقطَ من عيني من ديوان المؤمنين.

ثم أُعلمُكَ يا أخي ميزاناً تزنُ به كلَّ من ادَّعى القربَ من الله عزَّ وجلَّ، ودخولَ حضرته، فتعرفُ صدقَهُ من كذبه، وذلك أنَّك إذا وجدته ذا خشيةٍ وخوفٍ

---

(١) أحمد بن عيسى الخراز أبو سعيد: شيخ الطائفة، وأحد المشهورين بالورع والمراقبة سموه قمر الصوفية، كثير الذكر، أقام سنوات يخرز، ما فاته الذكر بين خرزتين، توفي سنة ٢٧٧. طبقات المناوي ١/٥١٠.

من الله تعالى وذا حياء من الله تعالى، ومن خلقه، يرى نفسَه دون كلِّ جليسٍ، إذا كلَّم الناس أرعدَ، كأنَّه يُكلِّم أكبرَ الملوك، ولا تَكادُ تسمعُ له صوتاً إلا همساً، فهو من أهلِ الحضرة؛ لأنَّه هكذا صفاتهم، وإن وجدتَهُ قليلَ الأدب، كثيرَ الكلام، لا خشيةَ عنده ولا خوف ولا حياء، ويرى نفسَه على كلِّ جليسٍ، ولا يَهابُ المسلمين، ويَجهرُ بصوته في الكلام، فهو كاذب، وهو من أهلِ حضرةِ إبليس، فاعلم ذلك؛ فإنَّه ميزانٌ يطيش على الذَّرِّ.

وإنْ كان لا بدَّ لك من الخوض وكثرة الكلام، **فعليك بتعلّمِ صفاتِ العبودية** التي أمرَكَ اللهُ بالتخلُّق بها، والوقوف عندها.

وآدابُ العبودية كثيرةٌ، يفنى العمرُ، ولا يقفُ العبد لها على قرار؛ لأنَّها مُقابلةٌ لأوصافِ الرُّبوبية على السواءِ، فكلُّ صفةٍ استحقتها الأُلوهية، طلبت العبودية به حقَّها من مقابلة ذلك الوصف، وصفاتُ الحَقِّ لا حصرَ لها، ومن هنا كان استغفارُهُ ﷺ إلى أن مات، ولم يبلغ حدَّ الإحصاء، ولو صحَّ أنَّه أحصى صفاتِ الحقِّ تعالى، لصحَّ له علمُ الحقِّ تعالى كما يعلمُ نفسَه تعالى، فافهم.

وقد قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨] يعني أن تتفكَّروا فيها، فإنَّه لا قرارَ لكم في ذلك تقفون في معرفته عليه، وجميعُ ما علمتموه منه مُحدثٌ مثلكُم، طالبٌ من يُعرِّفه بربِّه كما أنتم طالبون.

وفي الحديث «تفكَّروا في آلاء الله، ولا تتفكَّروا في ذاته»[1]، يعني لا تنظروا إلاَّ فيما يُورثكم الشُّكرَ لله ويُطلعكم على كثرةِ نعمِه عليكم لا غير.

فعُلِمَ أنَّ من لم يسلكْ مَسلَكَ عبيد الاختصاص، الذين هم الملائكة والأنبياء والأولياء، فهو مَطرودٌ إلى حضرة الشياطين، ومن هو في حضرة الشياطين، فمن شأنِه الشغوبةُ، وكثرةُ الاضطراب، والدَّعاوى المُضلَّة عن سَواء السبيلَ.

وقد حُبِّبَ لي أن أذكرَ لك جملةً من **الصفات المانعة لصاحبها من دخولِ حضرةِ الله عزَّ وجلَّ**، حتى في صلاتك، فمن كانَ فيه خَصلةٌ واحدةٌ منها لا يُمكّنُ من دخولِ الحضرةِ قطُّ، وهي أربعةُ أقسامٍ: ربَّانية، وشيطانية، وبهيمية، وسبعية.

---

(١) رواه ابن حبان ٨٣/٣، والطبراني في المعجم الأوسط ٣٢٦/٦ (٦٣١٩) عن عبد الله بن عمر، قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨١/١: وفيه الوازع بن نافع، وهو متروك.

فالربانية: التشبُّه بصفاتِ الحقِّ تعالى التي نهى عبادَه عن التخلُّقِ بها مُطلقاً على سبيل العلو، وطلبِ الرِّفعة على العباد، وذلك كالتَّعاظم، والتَّكبُّر، والعزِّ، والغنى، والقهر، والاستيلاءِ على العباد بغيرِ حقٍّ. ورؤية نفسه على أحد من المسلمين، فإنَّ إبليس قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ [ص: ٧٦] قال له الحقُّ: ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ [ص: ٧٧] يعني من حضرتي ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٦ – ٧٨].

والشّيطانية: هي التشبُّهُ بصفات الشيطانِ، وصفاتُهُ: الحسدُ، والبغيُ، وكثرةُ الحيلِ، والخِداع، والغشُّ، والنِّفاقُ، والميلُ إلى أهل البدع والضلال.

والبهيمية: هي الشَّرَهُ، والحرصُ على قضاء شهوةِ الفرج والبطن، ومن ذلك الشَّرَه يتشعَّبُ الوقوعُ في الزنا، والسرقةُ، وجمعُ المال، والأكلُ كالبهائم.

والسَّبُعية: هي الغضبُ بغيرِ حقٍّ، والحقدُ، ومنها يتشعَّبُ الوقوعُ في قتلِ النَّفس التي حرَّمها الله، والضربُ، والأذى لخلقِ الله.

قال شيخُنا رضي الله عنه: وأوَّلُ ما يستولي على الإنسان الصفاتُ البهيمية، وإذا كبرَ وتزايدَ فهمُه دخلتْ عليه السَّبعية، فإذا قويتْ فكرتُهُ، ولم يُوفِّقْه الله تعالى، استعملَ عقلَهُ في المكرَ والخداع، واستعانَ بالشيطان، فإذا استعانَ بالشيطان أُدخلَ عليه صفاتِ الربوبية، فتعاظَمَ وتكبَّر، فيُلقى في النار، نسألُ الله العافية.

وقد سمعتُ مرةً هاتفاً تجاه سوق الكتبيين(١) يقول: إذا أردتَ أن لا تخرجَ من حضرتي فلا تتخلَّقْ بأخلاق أعدائي، وكنْ على أخلاقِ ملائكتي وأنبيائي وأوليائي، فمن تخلَّقَ بخُلقِ واحد من أخلاقِ الشيطان، أخرجتُهُ من حضرتي، ومن أخرجتُهُ من حضرتي سلَّطتُ عليه أعدائي. انتهى.

فكان لسانُ الحقِّ يقولُ لإبليس وجنوده: ليس لكم على أهلِ حضرتي سبيل، ولكن كلُّ من خرجَ من حضرتي فعليكم به، وهو قولُه تعالى: ﴿وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ...﴾ الآية [الإسراء: ٦٤].

فلا يلومنَّ الخارجُ من الحضرة الإلهية إلاَّ نفسَهُ، فإنَّه ما من سكَّةٍ من سكك الحضرة

---

(١) سوق الكتبيين ويقع في القاهرة بين الصاغة والمدرسة الصالحية، أحدث بعد السبع مئة. الخطط المقريزية ٣/١٦٥.

الإلهية إلاّ وعلى بابها شيطان ينتظرُ من نسيَ أدبَهُ في الحضرة، فيخرج، فيركبُهُ كما يَركبُ الإنسان الحمار، فافهم واعتبر، والله غفورٌ رحيم.

(٩٩) أُخِذَ علينا العهودُ أن نكون دائماً على أنفسنا بالذمِّ، ولا نجيبُ قطُّ عن نفسنا في وقتٍ من الأوقات، ولو علمنا تَعطيلَ تلك الصفات التي ذمُّونا بها فينا حين ذمِّهم لنا؛ بل نعذرُ النَّاسَ في جميع ما قالوه، لأنَّهم ما ذمُّونا وأضافوا إلينا الفسقَ مثلاً حتى تجلَّتْ لهم تلك الصِّفةُ في نفوسهم، ولولا ذلك ما اهتدوا إلى وصفنا بها، فافهم، فقاسوا حالَنا على حالهم ذلك الوقت، وإن كنَّا مثلَهم في وقتٍ آخر، إذِ الأمر دائرةٌ واحدة، وطينةٌ واحدة.

وقد قالَ رجلٌ من الرُّهبان لأبي يزيد البسطامي[1] رضي الله عنه: إنّي رأيتُ صورتَكَ اللَّيلةَ صورةَ خنزيرٍ. فقال له أبو يزيد: صدقتَ، لأنّي مرآةُ الوجود، فرأيتَ نفسَكَ فيَّ، فحسبتَ أنَّ صورتَكَ هي صورتي. انتهى.

ثم **أَقلُّ ما يشهدُ العارفُ في ذلك أنَّ الله تعالى هو خالقُ ذلك الكلام** أو الفعل الذي ذمُّونا به، ونقَّصونا، فالواجبُ عليه أن يتعرَّفَ من الحقِّ تعالى السببَ الذي حرَّكَ ذلك العبد بالذمِّ والتنقيص لنا، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُوا مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ والأرضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطلاً﴾ [ص: ٢٧].

وكان سيِّدي أحمدُ الرِّفاعي يقول: من لم يتَّهمْ خواطرَه ونفسَه في كلِّ وقتٍ، ويكون دائماً على نفسه لا ينبت في ديوان الرجال.

واعلم يا أخي أنَّ **من علامة جهلِ الفقير بنفسه تبرّيه من وصف نُسب إليه**، سواءٌ أكانَ من صفات المدح، أو من صفات الذمِّ، لأنَّه جَهلَ حقيقةً أوصافه، فلو عرفَ نفسَهُ لعلمَ أنَّ سائرَ الصِّفات المحمودة والمذمومة التي في سائرِ عُصاة المُسلمين وصالحيهم، تغربُ وتشرقُ فيه؛ فإنَّه فلَكٌ لجريانها، ففيه من صفات الخير إلى الطرف الأقصى، وفيه من صفاتِ الشرِّ إلى الطرف، فإنَّ مدحَ العارفِ بالله إلى الطَّرفِ الأقصى،

---

(١) طيفور بن عيسى البسطامي أبو يزيد (١٨٨-٢٦١هـ) زاهد صوفي مشهور، له أخبار كثيرة نسبته إلى بسطام بلدة بين العراق وخراسان ولادته ووفاته فيها.

لا يزدادُ بذلك علماً على ما يعلمُهُ من نفسه، وإن ذمَّ إلى الطرفِ الأقصى لا يزدادُ علماً عمّا يعلمُهُ في نفسه، وإن وقعَ من عارفٍ فرحٌ بمدحٍ، أو إعجابٌ به، أو تكدّرٌ من ذمٍّ حملناه على أن تكرُّرَهُ باللسان دون القلبِ زجراً للذّام فقط، أو نحملُهُ على أنّه محجوبٌ إذ ذاك عن شُهودِ صفاته؛ لأنَّ العارف يملأ ويفرغ كالبئر، لكن يرجعُ إلى عدمِ الحجاب عن قرب.

واعلم يا أخي أنَّ **سائرَ الصِّفاتِ المتفرِّقة في الخلق – حتّى المذمومة – موجودةٌ في كلِّ عبدٍ بتمامها وكمالها**، إلاَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنَّ الله طهَّرَ طينتَهُم بسابقِ العناية من كلِّ رجسٍ وذمٍّ، وجعلَهم محضَ طهارةٍ وقُدُسٍ، ليس فيهم صفةٌ من صفاتِ الشرِّ، وأمَّا غيرُ الأنبياء من سائرِ الأولياء والمؤمنين فلم يحصلْ لهم كمالُ طهارةِ الطينة، وإنَّما عطَّلَ الحقُّ فيهم صفاتِ الشرِّ عن الاستعمال، فما دامت العنايةُ تحفُّ العبدَ، فالصِّفاتُ المحمودةُ كلُّها في العبد مُستعملة، والمذمومةُ معطَّلةٌ عن الاستعمال، ويقول الناس له: شي لله، المدد، وخاطركم علينا، وانظروا هذا النورَ الذي على وجهه، وإذا تخلَّفتْ عنه العنايةُ الإلهية تعطَّلت المحمودةُ عن الاستعمال، وتحرَّكت المذمومة، فيقولُ الناس عند رؤيته: اللهم اكفنا السُّوء، وانظروا إلى ظُلمة وجهه، ويتبرَّأُ منه الجنُّ والإنس، والجيران والمعارف، ويمسي فاسقاً ومارقاً، وقليل الدين ونحوه. فاعلمْ ذلك؛ فإنَّه نفيس، والله عليم حكيم.

(١٠٠) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نفتحَ علينا في هذا الزمان بابَ المشي إلى الولائم والموالد** وتمام الشهر للأموات في التُّربِ وغيرها، وأن لا نأكلَ طعامَ الطُّهور والأعراس والعزومات وسائر المحافلِ التي فيها تكليف في العادة إلاَّ بنيَّة صالحة هذا ومن أصحاب تلك الولائم، ذلك لأنَّ نيةَ أصحابها في فعلها غيرُ صالحةٍ في الغالب، وإنَّما هي تجويناتٌ[١] وأهويةُ نفوسٍ، وربَّما عملَ تمامَ الشهر، والوحشةَ[٢]، وطعامَ الطهورِ من

(١) تجوينات: خداعات. انظر تكملة المعاجم ٢/٣٥٣.

(٢) كأن معناها كما هو ملاحظ في الموروث الشعبي عندنا (دمشق) أن الميت يبقى وحيداً مستوحشاً بعد الدفن، حتى يقوم أهله بزيارته صباح اليوم التالي للدفن، ويقال عن هذا: فك الوحدة والوحشة، ويوزّع الطعام إثر هذا.

مالِ اليتيم أو الأيتام، وذلك غيرُ جائزٍ للوصي، وإن شككتَ في قولي إنَّ نيتَهم غيرُ صالحة، فأمرْهُم عند عمل الطعام بتفرقته على الأيتام، والمساكين، والعُميان، والعجائز، وترك أبناء الدُّنيا، فإن أجابوك، فالنيَّةُ صالحة، لأنَّ أكلَ المحاويج أَرجحُ في الميزان، وإن توقَّفوا، فذلك رياءٌ وسمعة، وقد نهانا رسول الله ﷺ عن أكل طعامِ المُتبارِيَيْنِ، يعني المتفاخرين في الطعام[1].

ثم إذا قدرنا ذهابنا إلى وليمةٍ فلا ينبغي لنا أن نأخذَ أحداً من الفقراء الذين هم تحت التَّربية، إلاّ إن علمنا عدمَ تغيّرِ قلوبهم بذلك، وإذا وصلنا نظرنا أدونَ فرشٍ، وأدونَ مكانٍ جلسنا فيه؛ لأنَّ الفُرشَ النفيسةَ لا تُفرشُ لأمثالنا في العادة، إنَّما هي لوجوه الناس كالعلماء، والأمراء، والتجار، والمباشرين، والمعلمين، ولا نجيب من دعانا لذلك إلاّ إن آيسنا من مجيء أحدٍ من الأكابر.

وإذا طُلب منَّا قراءةُ قرآنٍ بنغمٍ ورفعِ صوت، أو أن نذكر بمجلس ذكرٍ، لا نُجيبه لذلك؛ لأنَّنا إنَّما جئنا لنحضرَ فقط، لا لأن يَستعملنا في نظيرِ تلك اللقمةِ في الذِّكر والقراءة في محلٍّ كلُّه لغطٌ وغوشٌ، وصغارٌ ونسوان.

ثم إن علمنا تَوقّفه عن إطعامنا بغيرِ ذكرٍ، لا نأكلُ من طعامه، ومصداقُ ذلك أن يقول: أيش الفائدةُ من مَجيئهم، ولم يُسمعونا القرآن، ولا ذكروا، ولا قرؤوا لنا البُردةَ[2]، ولو كُنَّا دعينا غيرَهم، كان أولى، ثم في ذلك إخلالٌ بحرمةِ القرآن، وذكرِ الله عزَّ وجلَّ، فلا يُقرأُ القرآنُ، ويُذكرُ الله تعالى إلاَّ بين قومٍ إذا سمعوا ذلك وَجِلَتْ قلوبُهم.

---

(١) المتباريان: المتعارضان بفعلهما ليُعَجِّزَ أحدهما الآخر بصنيعة، كأن يتبارى اثنان من أَذبحُ شياهاً أو بقراً من الآخر وإنّما كرهه لما فيه من المباهاة والرياء. انظر النهاية.

(٢) البردة: اسم قصيدة لمحمد بن سعيد البوصيري المصري (٦٠٨-٦٩٦هـ) أصابه فالج أبطل نصفه، فعمل قصيدةً في مدح المصطفى ﷺ واستشفع برسول الله ﷺ إلى الله أن يعافيه بها، رأى في منامه أن رسول الله ﷺ استمع إليها، ومسح على وجهه بيده المباركة، وألقى عليه بردة، فقام معافى، ومطلعها:

أمِــن تذكر جيران بذي سلم ... مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

فوات الوفيات ٣٦٨/٣. وتُقرأ في المجالس تقرباً واستشفاء.

ثم إذا مدُّوا السِّماطَ، غمزنا أصحابَنا أن يُقلّلوا الأكلَ ما أمكن، ونُوعدهم بالعشاء في مكاننا إذا رجعنا صيانةً للخرقة أن يُسيءَ أحدٌ الظنَّ بمن انتسبَ إلى أهلها، وتوسعةً أيضاً على صاحبِ الوليمة؛ فإنَّ العاتبين عليه من جهةِ الأكل كثيرٌ، ولو عملَ أكثرَ ما يكون من الطعام، بل بعضُهم يُعاديه لأجلِ ذلك، إذا لم يُرسل لبيته طعاماً.

وسمعتُ شيخَنا يقول: كلُّ فقيرٍ لا يُمدُّ صاحبَ الطعامِ بالبركة الخفية لا ينبغي له أن يمدَّ يدَه إلى طعامه.

وليحذرِ الفقراءُ من الجلوسِ على رأس السِّماط، المسمى بالحجر، فإنَّ العيونَ تكونُ ناظرةً إليه، ومنها من يَنفصلُ منه السُّمُّ، فيضرُّ من يأكلُ من ذلك الطعام.

وكذلك ينبغي للفقراءِ أن يحذروا من مدِّ اليدِ إلى أطايب الطعام المعدِّ في العادة والعرفِ لأكابرِ الناس، فإنَّه لم يُعمل للفقراء بالأصالة، ولو قدَّموه بين أيديهم، إنَّما عُمِلَ بقصد غيرهم، ومِنْ شرط الفقير خفَّةُ الدم، وحفظُ مراتب الناس، فوجوه الطعام لوجوه الناس.

ومن وصيّة أخي سيّدي أفضل الدين رحمه الله: إذا دخلت مَحفلاً أو لعيادة مريضٍ من الأكابر فإيَّاك والجلوسَ في صدرِ المجلس، ولو كان خالياً؛ لأنَّه ربَّما دخلَ أحدٌ من الأكابرِ، فأقاموك، وأخجلوك، وأخَّروك، فتخجل وتتحرَّكُ النفس، فاعلم ذلك، واعمل به، والله يتولّى هداك.

(١٠١) **أخِذَ علينا العهودُ أن لا نطلبَ على أعمالنا ثواباً**، وإنَّما نطلبُ كلَّ ما طلبناه من ربِّنا من باب المنَّة والجود، فإنَّ من طلبَ على أعماله الصالحة أجراً من غير باب المنَّة، فلا يبعد أن يقامَ عليه الميزان في مجازاته بأعماله السيِّئة، فإن البحرَ واحدٌ، وما طلبَ الأكابرُ الأجر إلاّ من باب المنَّة، وقولهم: ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللهِ﴾ [يونس: ٧٢] إنَّما يعنون بحكم الوعد الصادق من باب المنَّة، وقولهم: فإنَّ الله تعالى هو الخالقُ لأفعالنا بإجماع أهل السنَّة وأهلِ جميع الملل، فخلق، وأضافَ ذلك إلينا، وأثابنا عليه منَّةً في منَّةٍ في منَّة، وقد جهلَ من يطلبُ على أعماله الثوابَ من القاصرين وسع هذا الكرم الإلهي، فاطلبْ ما شئتَ من باب الافتقار ولا حرج، وقل: يا ربِّ، لا غنًى لي عن بركتك، كما قال أيوبُ عليه السلام حيثُ صار يحثو في حِجره الذهب، حين

أُمطرَ ذلك، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠] فما من عملٍ يصدرُ من جوارحِ العبدِ إلاَّ وفي مقابلته جزاءٌ خيراً أو شراً، ويعفو عن كثير.

واعلم يا أخي أنَّ **ما ثَمَّ أَعلى مرتبةً ممَّن لم يشهدْ له مع الله تعالى عملاً ولا حالاً، ظاهراً ولا باطناً**، فإنَّ الأجرَ يعظمُ بحسبِ من نُسب إليه الفعل، فمن رأى أن الفاعلَ هو الله، كان أجرُه غيرَ محصورٍ، ومن رأى أنّه هو الفاعلُ دون الله أو مشاركٌ، كان أجرُهُ على صورته في الحصر والتقييد.

وقد قرَّرنا مِراراً أنَّ **سؤالنا الحقَّ تعالى أن يُصلّي على رسول الله ﷺ لا يقبل عدداً**؛ لأنَّ صلاةَ الحقِّ تعالى لا افتتاح لها ولا انتهاء، فهي مُستغرقةٌ للعددِ والمعدود، وليس معناه أنَّ الحقَّ تعالى لم يكن مُصلّياً قبل سؤالنا ثم صلى، فالعددُ راجعٌ إلى سؤالنا نفسِه لا إلى صلاة الحقِّ، يعني لو قُدّر لنا أن نسألَ الله عددَ ذرَّاتِ الوجود، لسألناه، فافهم ذلك فإنَّه دقيق. والله أعلم.

(١٠٢) أُخذَ علينا العهودُ أن لا ننازع قلوبنا شيئاً من تقديرات ربِّنا علينا من عطاءٍ أو سلبٍ، وأن نشهدَ أنَّه تعالى أعلمُ بمصالحنا منَّا، وأن لا نقفَ قطُّ مع ما يظهرُ لنا في سرِّنا ونجوانا من خطاب، ومعارف، وكشوف، ومواقف، وإلقاءٍ نفساني، ونفثٍ شيطاني، وإن نقطع ذلك كُلَّه بقوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

وأمَّا قولُ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلي[1]: ليس الرجل من يُوافقُ الأقدار، وإنَّما الرَّجلُ من ينازعها. فذلك من مقام الاستطالة، والكلامُ عليه لا يعرفُهُ إلاَّ من أُعطيه، والسلام.

(١٠٣) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتخلَّفَ عن شفاعة إذا دُعينا إليها، لأنَّ الناسَ ما طلبوا منَّا ذلك إلاَّ طلباً لتكبيرنا بين الناس، ورفعِ درجتنا على الأقران، فلا نُخيِّبُ

---

(١) عبد القادر بن موسى الجيلي أو الجيلاني أو الكيلاني (٤٧١-٥٦١هـ) مؤسس الطريقة القادرية، ولد بجيلان (وراء طبرستان) انتقل إلى بغداد، واتصل بشيوخها، برع في أساليب الوعظ، تفقه وسمع الحديث، وقرأ الأدب، وتصدر للتدريس والافتاء، مات ببغداد.

لهم ظنًّا، ومن أين لأَمثالنا من أولاد الأريافِ أن يصيرَ التجّارُ والمعلمون يُحضرونه معهم في المجالس، ويشفعَ فيهم، فتأمَّلْ.

فمن بخلَ عن الشفاعةِ، ردَّهُ الله إلى أدنى من حالتِهِ الأولى، وكشفَ فضائحه للخلق، نسأل الله العافيةَ.

وإذا كان مكانُ الشفاعةِ بعيداً أو قريباً، وخرجنا إليها لا نذهبُ إلاّ على طهارةٍ ظاهرةٍ وباطنة؛ ليصحَّ لنا دخولُ حضرةِ الشفاعة عند ذلك الحاكم، أو صاحبِ الحقِّ، فإنَّها حضرةُ الله عزَّ وجلَّ، والسُّؤالُ إنَّما هو منه حقيقةٌ، وذلك الحاكم مثلاً بابٌ من أبوابه، فافهم، فمن خرجَ إلى الشَّفاعةِ وهو مُحدثٌ، أو مُتلطّخٌ باطنُهُ بمحبَّةِ الدُّنيا، أو كِبْرٍ أو حسدٌ، لا يُمكّنُ من الشفاعة ولا يُجابُ، والقاعدةُ أنّه لا يشفع إلا من لا يحتاجُ إلى شفاعة أحدٍ فيه، وليستْ هذه المرتبةُ إلاّ لمن لا ذنبَ عليه، فلينقشِ الفرش، ثم العرش.

وفي المثلِ السائرِ: يا من يَتصدَّقُ بالزلابية[1]، أشبعْ أولادَك كسراً يابسة.

فمن أرادَ قبولَ شفاعته، فليخرجْ إليها بذلِّ نفسٍ، وانكسارِ قلبٍ، وإذا وصلَ إلى حضرةِ المشفوع عنده، ورآه غضبان على المشفوعِ له أشدَّ الغضبِ، فليوافق المشفوع عنده، ولا يُجيبُ قطٌّ عن المشفوعِ له حتى يسكنَ الغضبُ، فإذا، سكنَ أجابَ عنه بما شاء، وتأمَّلْ قوله ﷺ: «سُحقاً سُحقاً»[2] يوم القيامة لمن طلبَ منه الشفاعة فيه تسكيناً للغضب الإلهي، ثم بعد ذلك يشفع فيه، ثم إذا لم يقبلوا له شفاعةً في ذلك الوقتِ، يرتقب وقتاً آخر، وليحذرْ من الغضب؛ فإنَّ قضاءَ الحوائج له أوقاتٌ عيَّنها الحقُّ تعالى له، بل يَقبحُ على فقيرٍ أن يكونَ عنده نَفَسٌ على آحادِ المسلمين، فكيف حُكّامهم وأصحاب الحقوق منهم؟

وكان ﷺ يقول: «هلاَّ مع صاحب الحقِّ كنتم؟»[3] وذلك لأنَّه مَحروقٌ قلبُه على

---

(١) الزَّلابية: حلواء تُصنع من عجين رقيق يُقلى ويُحلّى بالسكر، أو العسل.

(٢) رواه البخاري ٤١٢/١١ في الرقاق، باب في الحوض، ومسلم (٢٢٩٠).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢٤٢٦) في الصدقات، باب لصاحب الحق سلطان، عن أبي سعيد قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ يتقاضاه ديناً كان عليه، فاشتد عليه، حتى قال له: أُحرّج عليك إلاّ قضيتني. فانتهره أصحابُه، وقالوا: ويحك، تدري من تكلم؟ قال: إني أطلب حقي. فقال النبي ﷺ: «هلا مع صاحب الحق كنتم؟».

ماله وتضييعه[1]، فلا أقلَّ من أن يخرج غبنَه ببعض ألفاظ واقفة[2].

وإذا كان مكانُ الشفاعةِ بعيداً، وركبنا لا نَدَعُ أحداً من أصحابنا يمشي أمامنا ولا خلفنا، ولا عن يميننا ولا عن شمالنا، فإنَّ في ذلك نوعاً من استعباد إخواننا؛ بل إنِ احتاجَ الأمرُ إلى حضورِهم معنا، أرسلناهم يسبقونا إلى مكانِ الشفاعة، ونعرّض لهم بأن يُمهّدوا لنا الطريقَ عند ذلك الحاكم مثلاً إذا لم يكن يعرفنا حتى يحضروا لنا مقاماً عنده، فإنَّ ذلك أرجى لقبولِ الشفاعة.

وكان سيدي أحمدُ الزاهد[3] رحمه الله يقول لصاحبِ الحاجةِ عند من لا يَعرفُ الشيخ: يا أخي، إنْ أردتَ قضاءَ حاجتك، فخذْ أحداً من وجوهِ الناس، واسبقني إلى من أشفعُ لك عنده، وامدحْ صفاتي ما أَمكَنَ، فإذا رأيتموني قد قربتُ من بابِ ذلك الرَّجلِ فقوموا وتلقّوني، وقبِّلوا يدي، وإذا تكلَّمْتُ فلا ينطق أحدٌ، وغضُّوا أبصارَكم. انتهى.

وهذا شأن من يَسترُ حالَه من الرجال، أو مَنْ يَقضي الحوائجَ بهيئته وثيابه، أمَّا من يَقضيها بقلبِه فلا يحتاجُ إلى شيءٍ من ذلك، ولا إلى المضيِّ إلى دارِ المشفوعِ عنده، وإنَّما يمشي اتِّباعاً للسُّنة، وحصولِ الأجرِ في الخُطا. قال ﷺ: «من مَشى في قضاءِ حاجةِ أَخيه ثَبَّتَ اللهُ قدميه على الصراط»[4]. فافهم، فقاضي الحاجةِ بالقلب ربَّما لا يُعطى تثبيت القدمين على الصراط؛ لأنه لم يمشِ بهما.

وقد وقعَ لسيدي محمد الغَمْري رحمه الله أنّه سمعَ مرَّةً واحداً من أولادِ ابن عمر ببلادِ الصعيد يقولُ وهم طالعون به إلى السُّلطان: يا سيدي محمد يا غمري، بركتَكَ. فخرجَ الشيخُ من المحلّة الكبرى[5]، وسافرَ إلى مصر، فلمَّا كان يومَ الموكب قالَ لرفيقه:

---

(١) كلمة (وتضييعه) ليست في (أ) ولا في (ب).

(٢) في (أ): وافقة. وفي (ج): واقعة.

(٣) أحمد بن محمد بن سليمان الزاهد الصعيدي، تفقه على المذهب الشافعي حتى بلغ رتبة الإفتاء، ثم تصوف، انتهت إليه تربية المريدين بمصر، وكان يقال عنه جنيد عصره، ولم يسمع منه كلمة شطح. توفي سنة ٨٢٠ هـ.

(٤) لم أجده بلفظه، وروي بمعناه في الحلية ٦/٣٤٨.

(٥) أكبر المدن المصرية وأشهرها.

اطلعْ إلى القلعة، فانظرْ ما يقعُ لفلان، فإنْ رأيتَ السُّلطانَ رسمَ بقتله؛ فضعْ إصبعَكَ السبَّابةَ على الإبهام، واتَّكي عليها، فلمَّا رسمَ السُّلطان بقتله، فعلَ ذلك، فضاقَ نَفَسُ السُّلطان، وأهلِ حضرته، وخُنقوا كلُّهم، فأمرَ السُّلطان بإطلاقه، فنزل، وأخبرَ الشيخَ بذلك، فقال: اركبوا، ولم يُمكّنِ الشيخُ أحداً أن يُعلم السُّلطان، ولا المشفوع له بذلك، ورجعَ إلى المحلّة، هكذا أخبرني الشيخ محمد الحريفيش الدنوشري أحدُ أصحابِ سيِّدي محمد الغمري رحمه الله تعالى.

وقد كان شيخي سيِّدي عليٌّ الخوَّاص رحمه الله، يُرسلُ أصحابَ الحوائج لي لأكتبَ لهم أوراقاً للحكَّامِ على لسانه، فلمَّا دخلتْ سنةُ إحدى وأربعين وتسع مئة قال لي: لا تعدْ تَكتبُ لأحد على لساني شيئاً. فقلت: لماذا ؟ فقال: كان عند الحكَّامِ والنَّاسِ بقيةُ خوفٍ من ربِّهم، ومحبّةُ ادِّخارِ الأجر لإخوهم، فرفعَ اللهُ ذلك من مدَّة ثلاثة أيام، فكلُّ من جاءَكَ يطلبُ قضاءَ حاجةٍ عند حاكمٍ، فأمُرْهُ بأن يُعطي الحاشيةَ بعضَ حُطامِ الدُّنيا، ولو أن يقترضَ ذلك؛ فإنَّهم يعملون مصلحةً، وليحذرْ أن يطلبَ منهم قضاءَ الحاجة بلا شيءٍ؛ فإنَّهم لا يلتفتونَ إليه، ولوكان ابن ستِّي نفيسة، ومن شكَّ فليجرِّبْ، واللهُ عليمٌ حكيم.

(١٠٤) **أخذَ علينا العهودُ أن نَرضي عن ربِّنا إذا قلّلَ علينا الدنيا، وضيَّقَ علينا في الرزق،** أكثرَ من رضانا عنه إذا أكثرَ علينا الدُّنيا، وأوسعَ علينا، وإن كنَّا نرى كلاً من الشقين نعمةً منه، لكنَّ نعمةَ التَّقلُّلِ من الدُّنيا أكبرُ؛ لأنَّها طريقُ الأنبياء والأصفياء، ولولا أنَّ التقلُّلَ أفضلُ وأكثرُ أجراً من أجرِ من أُعطي الدُّنيا بحذافيرها، لكان ﷺ أُعطي ذلك، لأنَّه أكملُ الخلقِ مقاماً، فشيءٌ اختارَهُ الحقُّ تعالى لأشرفِ المرسلين لا أعلى منه، فافهم.

واعلم يا أخي، أنَّ من طلب من الحقِّ كثرةَ الدُّنيا، طالبَهُ اللهُ بكثرة العمل صياماً وقياماً، ومن رضي منه بالقليلِ من الدُّنيا، رضيَ الحقُّ منه بالقليلِ من العمل، واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٠٥) **أخذَ علينا العهودُ أن لا ندَّعي قطُّ مرتبةَ كمالِ الإيمان والدين،** فإنَّ ذلك لا ينبغي من أمثالنا، ولا يشكُّ في قولي هذا ويدَّعي كمالَ الأمرِ إلاَّ أعمى القلب

كما مرَّ أول «العهود»[1]، فإنَّ علاماتِ الساعة[2] قد برزت على كواهلنا، وارتفعتِ الأسافلُ في الأرض، وقلَّ البرُّ والمعروف، وساءتِ الظنون، وفسدتِ الأحوال، وانتشرت قلوبُ الخلائق انتشارَ حبَّات الشعير في الماء الذي يَغلي على النار، وقلَّ الرِّزقُ من كلِّ شيءٍ من المعاني والأجسام، وانحلّت أسبابُ رباط القلوب، وغير ذلك من الأمور المشاهدة التي لا يحصرها ديوان، فإيَّاك يا أخي أن تتكدَّرَ ممن يقولُ لك: يا قليلَ الدين؛ فإنَّه صادقٌ في قوله، شئتَ أم أبيت.

وقد وقع للأخ محمد السِّرسي الضرير[3] أنَّه رأني في المنام، وأنا أقودُهُ إلى أرضٍ ناعمةٍ سهلة، وهو يتفلَّتُ من يدي إلى أرضٍ كثيرةِ الوعر والخرارات، فقصَّ ذلك على شيخنا سيدي عليٍّ الخواص، وقال: يا سيدي، خفتُ أن أكونَ قليلَ الدين. فقال له الشيخ: هوّن عليك يا أخي، فإنَّ غالبَ الناس اليومَ قليلُ الدين، ومَنْ هو كاملُ الدين اليومَ، أو يقدر على أن يدَّعي ذلك، وأفعالُهُ تكذِّبُ دعواه؟! انتهى، فاعلم ذلك.

(١٠٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نستعمل طبيباً من غير المِلَّةِ المحمدية،** كما سيأتي بيانه في هذه «العهود»[4]؛ فإنَّ الكفّار مرضى القلوب، ونحن مرضى الأجسام، ومريضُ الجسمِ أحسنُ حالاً من مريض القلب، وربَّما كان أحدُنا مرضُه من قلبه، فيزداد قلبُنا مرضاً بميلنا إلى الطبيب الكافر، وتصديقه فيما يصف لنا من الأدوية، وربَّما استحسنَّا شكلَه، حتَّى انطبعتْ روحانيتُهُ بباطننا، وفي ذلك موادَّةٌ لمن حاربَ الله ورسوله، وإنْ قدرنا على تركِ التَّطبُّبِ فهو خيرٌ كبير، وللمرضِ انتهاءٌ؛ إمَّا بآجالنا، وإما بأن نبرأ منه ونعيش إلى أجلٍ مسمًّى.

قال شيخنا رضي الله عنه: وطلع في ظهرِ سيدي عبدِ العزيز الديريني حمرةٌ، فمكثتْ

---

(١) انظر مقدمة المؤلف.

(٢) في (أ): علامات الساعات.

(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي، ولعله: ابن أحمد بن محمد بن عبد الغني السِّرسي الحنفي، عارف، مُسلِّك، قطب كان نفعه للمذاهب الأربعة، له كرامات ومكاشفات مات سنة ٨٦١ هـ ودفن بالقرافة.

(٤) بل هو مما ذُكر آنفاً، انظر العهد (٢٥) صفحة ٤١.

تنضحُ قيحاً ودماً نحو سبعَ عشرةَ سنة، ولم يلصقْ عليها لصوقاً، فكان يقولُ للناس: انظروا، هل خفَّت؟ فيقولون: لا. فيقول: نحن نخفُّ عنها، فإنَّه لا بدَّ لأحدنا أن يُفارق الآخر. انتهى.

ولكن ينبغي لكلِّ إنسانٍ إذا رأى طبيعتَهُ يابسةً أن يستعملَ مُليّناً لها، وإذا رآها مائعةً أن يستعملَ ما يحبسها، وإذا رآها ضعيفةً عن إحالةِ الطَّعامِ على العادة أن يستعملَ ما يعين على الهضم كالخلِّ ونحوه، **ولا ينبغي لأحدٍ أن يغفلَ عن طبيعته، لأنَّ بها قوام مصالحة**، ولا يأتيه قطُّ مرضٌ إلاَّ بواسطة الأكل، ولذلك كان الملائكةُ لا يمرضُ أحد منهم.

وينبغي لكلِّ إنسانٍ أيضاً أن يستعملَ ما أخرجَهُ الله من البقولات في جميع فصول السنة استعمالاً شافياً، ويتفطَّنَ لكلِّ ما يخرجُ في كلِّ فصلٍ من ذلك، فإن كان كثيراً فوقَ العادة، فليعلمْ أنَّ كثرةَ ذلك البقلِ إنَّما هو لكثرة الداء المقابلِ له، النازلِ في ذلك الفصل، فليكثرْ من أكل ذلك البقل، بنيَّةِ الشفاء لا بنيَّةِ شهوة النفس، فإنَّ الحقَّ تعالى لم يضع بالأصالةِ ذلك لذلك، إنَّما وضعَ ما وضع لحكمةٍ بالغة.

وسمعتُ أخي أفضلَ الدين رحمه الله يقول: أصولُ الطبِّ كلُّها ترجعُ إلى تقليل الغذاء؛ لأنَّ الداء إنَّما يقوى سلطانُهُ بزيادة الغذاء، لا سيما إن كان مُوافقاً للزيادة بالطبع أو الخاصية، ومادامت الطبيعيةُ تقطع الغذاءَ لقوَّتها، فلا يضرُّ زيادةُ الأكل، لأنَّ حكمَ هذا الشخص في أكله كحكم من أكل قليلاً.

وإذا وجدتَ يا أخي ثقلاً وضعفَ طبيعةٍ عن الهضم، فاستعمل في كلِّ أسبوعٍ شرابَ منقوعِ العودِ سوس بيسيرٍ من الملحِ والشمار من غيرِ استدعاء، فإن الحكماءَ الأُوَل إنَّما حكموا بالاستدعاء لصحةِ أبدانِهم في ذلك الزمان فاعلم ذلك، والله يتولّى هداك.

(١٠٧) أُخذَ علينا العهودُ إذا ضرب أحدنا زوجتَه لأمرٍ من الأمور لا يجامعُها في يومها ذلك، فإن فعل ذلك صَغرَ في عينِ امرأته، فصار عندها كعبدها حين ترى ذلَّه بين يديها، ورقَّتَهُ لها لأجلِ شهوة تلك الجلدة المدبوغة بالبول ودمِ الحيض.

وفي الحديث: «لا يضرب أحدُكم ظعينته ضربَ العبد، ثم لعلَّه يُجامعُها ويعانقها

من يومه ذلك»[1]، ثم إذا أرادَ الجماعَ بعد ذلك اليومِ، فليكن ذلك من طريقٍ بعيدٍ، ولا يدعها تُلحقُ به أنّه مُحتاجٌ إلى جماع مثلها، واللهُ عليمٌ حكيم.

(١٠٨) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نمكّن أحداً من أصحابنا كلّهم يؤذي أحداً من أهل الذمَّة فضلاً عن المسلمين، لا سيَّما من صلّى الصُّبحَ في جماعة، لأنَّه في ذمّةِ الله وجواره، كما ورد، وقد تقدَّمَ بسطُ ذلك في هذه «العهود»[2].

ومُلخَّصُ القولِ إنَّ من آذى من صلّى الصُّبح في جماعة، فقد خفر ذمَّةَ الله عزَّ وجلَّ، ومن خفر الذمَّةَ، استحقَّ المُحاربة والغضب، نسأل اللهَ العافية.

فإيَّاك يا أخي، أن تُقابله بالأذى، إذا بدأك هو بالأذى ذلك اليوم، وتقول: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] بل احمله لأجل من هو في خفارته وذمَّته.

وتأمَّلْ لو صرَّحَ لك أميرٌ بأن ذلك الرجلَ في ذمَّتِه وجواره ذلك اليوم، فكيف تكرمه غاية الإكرام؟ فضلاً عن السُّكوتِ عن مقابلته، هكذا ينبغي معاملة العبدِ مع ربِّه.

وفي الحديث: «من كان يُريدُ أن يعلمَ منزلتَهُ عند الله، فلينظر منزلةَ اللهِ عنده»[3]، فإنَّ اللهَ يُنزلُ العبدَ حيث أنزلَهُ من نفسِه، فاعلم ذلك.

(١٠٩) أُخذَ علينا العهودُ إذا ذهبنا لصلاة الجماعة في الصبح والعشاء، أن نذهب إليها في الظلام من غيرِ سراجٍ إلاَّ لضرورة؛ لما وردَ في ذلك من الفضل.

وفي الحديث: «بشِّرِ المشَّائين إلى المساجد في الظلم بالنُّورِ التامِّ يوم القيامة»[4]

---

(١) لم أجده في لفظه، وقد روى أحمد في المسند ٤/١٧ عن عبد الله بن زمعة قال: قال رسول الله ﷺ: «علامَ يضرب أحدُكم امرأته ضربَ العبد، ثم يضاجعها في آخر الليل». وانظر مسند الحميدي ١/٢٥٨، وابن حبان (٤١٩٠).

(٢) وكأني به لم يبسطها قبلُ.

(٣) أخرجه أبو يعلى في المسند ٣/٣٩٠ (١٨٦٥)، والحاكم في المستدرك ١/٤٩٤. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٧٧: وفيه عمر بن عبد الله مولى غفرة، وثقه غير واحد، وضعفه جماعة.

(٤) رواه أبو داود (٥٦١) والترمذي (٢٢٣) وابن ماجه (٧٨١) وفي الأصل: «بالنور التام على الصراط» والمثبت من كتب الحديث.

فعلّق ﷺ حصولَ النورِ التامِّ على الصراط، لمن يَمشي هنا إليها في الظلام، ومفهومُهُ أنَّ من مشى إلى المساجدِ في سراجٍ، قلَّ نورُهُ هناك، فافهم، واللّٰه اعلم.

(١١٠) **أخذَ علينا العهودُ أن نُكرمَ كلَّ ضيفٍ ورد علينا**، سواءٌ أكان مُسلماً أم كافراً، وسواءٌ أكان مُقيماً أو خاطراً؛ لكنْ من غيرِ تكلّفٍ كما مرَّ[١].

فنكرمُ الأيامَ والساعاتِ والخواطر بذكرِ الله تعالى، وكثرةِ الاستغفار والاعتبارِ، لتُفارقنا شاكرةً غير ذامَّة إذا وقفتْ بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ كلَّ شيءٍ برزَ عن ﴿كُنْ﴾ يرجعُ إلى حضرتِها، ولا يخفى أنَّ أقلَّ الدوائرِ دورةُ الثانية، وفوقها دورة الدقيقة، وفوقها دورةُ الدرجة[٢]، وفوقها دورةُ الساعة، وهكذا، فكلُّ دورةٍ فارقَتْكَ لا ينفكُّ ختامُها إلاّ بين يدي الله عزَّ وجلَّ، فتفكُّ هناك بسيئات أو بحسناتٍ، نسأل الله اللطف، فإن كانتِ الدائرةُ قد عُمِلَ فيها قبيحٌ، صارت نكتةً سوداء، وإن تعدَّدَ القبيحُ تعددت النكت، فافهم.

وحُكي أنَّ إبراهيمَ الخليل استضافَه مُشركٌ، فقال إبراهيمُ: لا أُطعمُكَ لقمةً حتى تُسلمَ، فتركَهُ المشركُ ومضى، فأوحى اللّٰه تعالى إلى إبراهيم عليه السلام: لأجلِ لقمة تأمرُهُ أن يتركَ دينَهُ ودينَ آبائه، وعزَّتي وجلالي إنَّه ليشركُ بي منذ سبعين سنة، وأنا أرزقُهُ ليلاً ونهاراً، فبعثَ إبراهيمُ في أثرِه، فرجعَ، فأخبره الخبر، فأسلمَ، وصارَ يبكي ويقول: وعتبَ خليلَه من أجلي. فاعلم ذلك.

(١١١) **أخذَ علينا العهودُ أن نتخلق بالرحمة جهدنا**، لكن لا نُبالغُ في الرحمة بالكليّة، بحيث نرقُّ للذبيحة مثلاً فلا نذبحُها، فإنَّ الحقَّ تعالى أرحمُ بها منّا بلا شكٍّ، وقد أمرَنا بذبحِها، فنذبحُها من غيرِ مبالغة في الرحمة إلى غايتها إيثاراً لجناب الله الذي هو أرحمُ الرحماء، فندعُ من الرَّحمة بقيةً لئلا يحصلَ لنا صورةُ مساواةِ الحقِّ تعالى في الرحمة، فعلم أنَّ الرَّحمةَ للذبيحةِ، وإن كانت محمودةً، فهناك ما هو أَعلى منها، فللرحمة

---

(١) انظر أواخر العهد (٥٦). والعهد (١٧٥).

(٢) تعادل الدرجة بحسابنا اليوم أربع دقائق؛ وذلك أنّ الأجداد قد قسَّموا اليوم إلى ٣٦٠ درجة خلال ٢٤ ساعة. انظر دائرة المعارف الإسلامية (ميقات) وفيض القدير ٢/٢٣٣.

حكمٌ لا تتعدَّاه، كما أنَّ من رحمَ الكافرَ من أهل الحرب، ولم يقتلْهُ فهو مذمومٌ.

وقد ذبحَ رسولُ الله ﷺ وهو أرحمُ خلقِ الله بخلقِ الله بعد الله، هذا مع قوله ﷺ لمن قال: إني أرحمُ الشاةَ أنْ أذبحها: «إن رحمتَها رحمَكَ الله»[1]، فمن أغاظَها، قد أغاظَ رسول الله ﷺ.

كما قال ﷺ: «فاطمةُ بَضْعةٌ مني، يَريبني ما رابها، ويُؤذيني ما آذاها»[2]. قال العلماءُ: ولأولادها كلِّهم هذا الحكم إلى يوم القيامة، فعُلِمَ أنَّ من أقبحِ الخصالِ أن يتسرَّى الواحد على شريفة، أو يتزوَّجَ عليها، أو يُؤذيها بسُوءِ خلقه، أو بُخله، أو يُخالفَها في شيءٍ تطلبه منه من المباحات.

وسمعتُ شيخنا يقول: إيَّاك أن تتزوجَ شريفةً، أو تنظرَ إلى حجم بدنها وهي في الإزار، فإنَّ في ذلك لعلَّه مما يُؤذي رسولَ الله ﷺ، وأنتَ لو رأيتَ أحداً يُمعنُ النَّظرَ في بنتك وهي مارَّةٌ، أو هي في بيتها لتكدّرتَ منه غايةَ التكدُّر.

فإيّاك يا أخي أن تنظرَ إليها في حالِ مُبايعتها شيئاً إلاَّ وأنتَ في غاية الخجلِ والحياءِ من رسول الله ﷺ، لا سيما إن كنتَ تبيعُ الأخفاف، فاعلم ذلك.

واحذرْ أن تردَّ شريفاً خطبَ بنتَكَ أو أختك مثلاً لأجلِ فقرِه وضيقِ يده، لأنَّ رسولَ الله ﷺ قد سألَ ربَّه أن يكونَ رزقُ أهله قوتاً[3]، وهو الذي لا يفضلُ منه عن غدائهم ولا عشائهم شيءٌ، فأمرٌ اختاره رسولُ الله ﷺ لنفسه وأهل بيته، لا نسمّيه عيباً، بل من سمّاه عيباً كفر، فإياك ثم إياك.

(١١٢) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتقدَّمَ على قومٍ في أمورٍ هم يكرهونَ تقدُّمنا عليهم فيه، إلاَّ أن يكون ذلك الأمرُ الذي كرهونا لأجله محموداً في الدين، أو يَنفعَهم من حيث لا يشعرون، فنتقدَّمُ ولا نُبالي بكراهتهم لنا، لأنَّ من كره من أحبَّه الشارع فما هو مؤمنٌ به، ولا مراعاة لغير مؤمن في الدين، وإذا كنّا أَقراءَ منهم مثلاً

---

(١) رواه أحمد في المسند ٣/٤٣٦، والبخاري في الأدب المفرد (٣٧٣)، والطبراني في الكبير ١٩(٤٥).

(٢) رواه أحمد ٤/٣٢٨، ومسلم (٢٤٤٩)، وأبو داود (٢٠٧١)، والترمذي (٣٨٦٧)، وابن حبان (٦٩٥٥). وفي الأصل: ما يؤذيها، والمثبت من مصادر الحديث.

(٣) انظر الحديث وتخريجه صفحة ٢٣٢.

فنتقدَّمُ عليهم، ولو لم يقدِّمونا؛ عملاً بتقديم الشارع لنا، لا محبّة في الرياسة على غيرنا.

وإن كانوا ما كرهونا إلاَّ لأجل ما في الإمامةِ من حطام الدنيا، وأردنا محبتهم لنا، نبذنا لهم ما في ذلك من المعلوم[1]، أو تركنا لهم الإمامةَ أصلاً، بشرط أن يكون فيهم من يقومُ مقامنا؛ لئلا يختلَّ شعارُ الدين.

ولّما كره قومٌ إمارةَ أسامةَ بن زيد، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «واللهِ، إنَّه لخليقٌ للإمارة»[2]. وأقرَّه ﷺ على الإمارة، ولم يعزله عنهم لأجل كراهتهم له لحظِّ نفوسِهم، وذلك أنَّهم كرهوا إمامته من حيثُ كونه من الموالي لا غيرِ، فاعلم ذلك.

(١١٣) أخذَ علينا العهودُ أن لا نُفشي سرًّا من أسرار الحقِّ تعالى، أو أحد من الخلق، إلاّ أن تكون مصلحةُ الإفشاءِ ترجحُ على مصلحة الكتمان، ولا يُشترطُ في تسميته سرًّا أن يُوصيك أخوك على ذلك، بل تكفي القرينةُ، فإذا حدّثكَ وصارَ يلتفتُ يميناً وشمالاً، فاعلم أنَّه يُريد منك الكتمان، ولو لم يصرِّحْ هو لك بذلك، فمتى تكلَّمْتَ به، ولو لزوجتكَ وصديقك، كنتَ من الخائنين، وكان الإمامُ الشافعي رضي الله عنه يُنشد[3]:

إذا المــرءُ أفشى سرَّه لصديقه[4] ... ولامَ عــليه غــيرَهُ فهــو أحمقُ

إذا ضاقَ صدرُ[5] المرءِ عن سرِّ نفسه ... فصدرُ الذي أودعتَهُ السِّرَّ أضيقُ

(١١٤) أخذَ علينا العهودُ أن نسعى في فكاك رقبتنا من النار، سواءٌ كان دخولُنا النارَ من جهة حقِّ اللهِ تعالى، أو من جهة حقِّ العباد، فإنَّ الحديث مطلقٌ، وهو قوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله سبعين ألف مرَّة حرَّمَ اللهُ عليه النار»[6]. انتهى، وهو حديثٌ مُتفَّقٌ على صحته بين أهلِ الكشف، وإن طعنَ بعضُ الناس في

(١) المعلوم المرتب الذي يُعطى في الشهر. معجم تيمور ٥/٣٠٧.

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند ٩/٣٩٠.

(٣) ديوان الشافعي ٩٤.

(٤) في الديوان: سره بلسانه.

(٥) في الأصل: ضاق سر، والمثبت من الديوان.

(٦) لم أجده في المصادر التي بين يدي، وقد ذكره ابن عربي في الفتوحات المكية ٤/٤٧٤ عن أبي الربيع المالقي، وقال في أوله: ورد في ذلك خبر نبوي، وذكره اليافعي في روض الرياحين الحكاية (٣٤٨)، وجامي في نفحات الأنس صفحة ٧٠٧.

صحَّته، فلا يُقدحُ؛ لأنَّه اعتضد بالكشفِ الصحيح، فافهم.

ورأيتُ في «الفتوحات المكية»[1] للشيخ مُحيي الدين رضي الله عنه ما نصُّه: كان في حارتنا صبيٌّ من أهلِ الكشف، فرأى أُمَّه في النار، فبكى عليها، ولم يدرِ أحدٌ من الحاضرين سبب بكائه غيري، فقلتُ في نفسي: أشتري أمَّ هذا الصبي من النَّارِ بما كنتُ جعلتُهُ لنفسي من السبعين ألفاً (لا إله إلا الله). وقلت: اللَّهُمَّ، اجعلْها في صحيفة أمِّ هذا الصبيِّ، فضحك الصبيُّ في الحالِ، وقال: خرجتْ أُمّي الآن من النار. فاعملْ بذلك يا أخي، وظنَّ بالله خيراً، فإنَّ مقادير الثَّواب لا تُدركُ بقياس.

وعليك يا أخي بذكرِ الله تعالى في مَوطنِ الغفلة عن الله، بفضل نزولِ الرحمة على الغافلين، بحيثُ لا يعلمون، تُكتَبُ من المُحسنين، وتُسمّى هذه خلوةُ العارفِ بربِّه عزَّ وجلَّ، فاعلم ذلك.

(١١٥) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نسمع كلام العلماء والوُعّاظ**، ولا نقولُ: لا نعملُ بكلامهم حتَّى يَعملوا هم، فإنَّ ذلك حُجَّةٌ في قلّة الدين من قائله، وليس لمسلمٍ أن يتركَ سُنَّةَ نبيه ﷺ لأجلِ كون غيره لم يَعملْ بها.

وقد كَثُرَ من أهل هذا الزمان هذا القول، فصرتَ تأمرُ أحدَهم بصدقة أو خيرٍ فيقُول: قل ذلك للعالم الفلاني الذي له في مصر كلَّ يومٍ نحو أربعين نصفاً، وأربعين رغيفاً لا يُعطي درهماً واحداً منها لأعمى ولا مسكين. فإيَّاكَ أن تقولَ ذلك فيفوتك خيرٌ كثيرٌ، والله أعلم.

(١١٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نبغضَ أحداً من الأنصار**، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: «علامةُ الإيمان حبُّ الأنصار»[2] وكيف ينبغي لمسلمٍ أن يُبغضَ من يحبُّه رسول الله ﷺ ؟ ما ذلك إلاّ نفاق.

واعلم يا أخي أنه يلحقُ بأنصارِ النبيِّ ﷺ وذريِّتهم في المحبّةِ كلُّ من نصرَ دينَ الله تعالى في زمننا هذا من العلماء والمؤمنين، فيحرم بغضُ هؤلاء.

---

(١) الفتوحات ٤/٤٧٤ (الباب ٦٥٠).

(٢) هذا ليس بحديث وإنما هو اسم باب في صَحيح البخاري (١٧) في الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، عن أنس قال: آية الإيمان حب الأنصار.

وفي الحديث: «إذا أبغضَ النَّاسُ علماءَهم، وأظهروا عمارةَ أسواقِهم، وتألَّبوا على جمعِ الدراهم، رماهُمُ اللهُ بأربعِ خصال: بالقحط من الزمان، والجورِ من السُّلطان، والخيانةِ من ولاةِ الأحكام، والصولةِ من العدوّ»[1]. انتهى.

ثم إنَّ أنصارَ الدين ينقسمون قسمين؛ قسمٌ نصرَ دينَ الله تعالى ابتدأً من نفسِهِ من غيرِ أن يعرفَ وجوبَ ذلك عليه، وقسم عرف وجوب[2] نُصرةِ الدين، من نحو قوله تعالى: ﴿كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ﴾ [الصف: ١٤]. فهذا قد أدَّى واجباً من حيثُ امتثاله أمرَ الله تعالى، فله أجرُ النصرة، وأجرُ أداءِ الواجب. والله أعلم.

(١١٧) أخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكِّنَ أحداً من إخواننا يعترضُ على السُّلطان والباشات في تولية قاضٍ أو والٍ أو مقدَّم ونحوهم، ويقولُ: ما كان هذا يَصلحُ لهذه الوظيفة؛ فإنَّ ذلك من سُوءِ الأدب مع اللهِ تعالى، ومع السُّلطان، ومع أصحابِ النَّوبةِ من الأولياء أصحابِ التصريف في الوجود، وفيه نسبتُهم إلى خفَّةِ العقل، وسُوءِ التصريف، وأيشِ أنتَ في الوجود يا غارقاً في غائطِهِ وبولِهِ، وشهوةِ بطنه وفرجه؟

ثم أكثرُ من يقع في هذا الاعتراض المخادعون الذين غلبَ عليهم حبُّ الدنيا، حتَّى أدخلَهم قعرَ حضراتِ الشياطين، التي هي بيت الاعتراض.

ثم إنَّ الشيطانَ لا بدَّ أن يأتي لهذا المُعترض، ويُوهمه أنَّ ذلك الاعتراض، إنَّما هو نصرةٌ للدين، ويُحرِّفُ له الآياتِ والأخبار، ويُنسيه قولَه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ونحو حديث: «لا تُنازعوا الأمرَ أهله»[3]. فاعلم ذلك.

وإيَّاك والاعتراضَ فيما ذكرناه، فإنَّ اعتراضَكَ لا فيش ولا عليش[4]، ولا يرجعُ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٣٢٥/٤ بلفظ: «إذا أبغض المسلمون علماءهم... وتناكحوا على جمع الدراهم». قال الذهبي: منكر، منقطع، وابن عبد ربه لا يعرف.

(٢) قوله: ذلك عليه، وقسم عرف وجوب. ليس في (أ).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤٥٣٨) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٩/٦: فيه علي بن زيد وهو ضعيف، وقد وثق.

(٤) أي لا فيه ولا عليه.

أحدٌ إلى قولك، كما هو مُشاهد، والله أعلم.

(١١٨) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا ننام قطُّ تحت لحاف واحد مع أحد من الناس** حتى الإخوان والأصدقاء ونحوهم، ولا ننامُ بحضرةِ قومٍ مُستيقظين خوفَ أن يخرجَ من أحدِنا ريحٌ وهو نائم لا يحسُّ به، ويتعيَّنُ ذلك على أصحابِ المراتب العالية؛ كالأميرِ، والقاضي، والصالح، والمقدَّمِ، والمعلّم، ونحوهم.

وهذا العهدُ ما رأيتُ من كان يُراعيه أكثر من سيدي الشيخ أبي الحسن الغمري رحمه الله، قال لي مرّات: لا أقدر أنام في بيتٍ وعندي أحدٌ أبداً، ولا ولدي، فاعمل على ذلك.

(١١٩) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نلبسَ أَنْفَسَ ما عندنا من الثياب، والعمائم،** عند قدومِ الوفودِ والأكابر علينا، وكذلك عند كلِّ مسجد، وعند كلِّ مجمعٍ اجتمعَ أهلُه على معروف، ولو على مُباحٍ عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] وعند كلِّ مجمعٍ، فإنَّه تعالى علَّمنا بذلك الأدبَ معه، كلَّما حضرنا بين يديه في الحضرةِ الخاصة.

وفي الحديث: «إنَّ الله جميلٌ يُحبُّ الجمال»[١]، فأعلمنا ﷺ بأنَّ الله تعالى يُحبُّ الجمالَ حتَّى تُحبّ ما أَحبَّه الله تعالى من الزِّينة، بتحبيب الله تعالى لنا ذلك، وبحكم التَّبعيةِ له، لا بحكمِ الطَّبع والفخر في الدنيا.

وكان ﷺ إذا قدمَ عليه وفدٌ، لبس أحسنَ ثيابه، وأَمَرَ بذلك أصحابَه، وكان ﷺ يصلح طيَّاتِ عمامته في حُبِّ الماء[٢] ﷺ، ثم لا يخفى أنَّ مَنْ حضرَ بين ملوك الدُّنيا وعليه ثيابٌ وسَخةٌ مخرّقة تبدو منها عورتُهُ مع القدرةِ على أَعْلا منها، فقد أزري بحضرتهم، واستحقَّ الإخراجَ والطرد.

فكن يا أخي جميلاً في ظاهرك، ذليلَ القلبِ بين أيديهم، ساكنَ الجوارحِ بحضرتهم،

---

(١) رواه مسلم (٩١)، والترمذي (١٩٩٩) عن عبد الله بن مسعود، أن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر» فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس».

(٢) في (ب) و(ج): جب الماء. والحُبُّ: وعاء الماء كالجرَّة ونحوها.

ودع عنهم لبسَ كلَّ ما يزري بحضرةِ أكابرِ الدنيا، فإنَّ حضرةَ الأكابر ملحقةٌ بحضرة الله عزَّ وجلَّ، لما هُمْ عليه من الجمال المقيَّدِ بالأشخاص، وحُسنِ الصُّور وغير ذلك، ويَتشوَّشون من وقوعِ بصرِهم على شيءٍ من القاذورات والعورات الحسِّية والمعنوية، فأعظمُ ما يكونُ عندهم وقوعُ بصرهِم على مَحاشمِ رجلٍ، أو فرجِ امرأة، فإنَّهم يتكدَّرون من ذلك أياماً، كما شاهدته من جماعةٍ منهم، ولذلك تراهم كما تقدَّم في «العهود»[1]، يتَّخذون السَّراويلات الطويلة التي ترمى على ظهور أقدامهم، والخِفِّ والثياب الضيقة الأكمام، حتى لا يرى أحدٌ منهم شيئاً مما يستر في العادة، وكلُّ ما لم يكن عورةً عند غيرهم، فهو عندهم عورة.

وكان الإمامُ عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: لأن أُنشرَ بمنشارٍ، ثم أَحيا، ثم أُنشر أحبُّ إليَّ من أن أرى عورةَ أحد، أو يَرى عورتي. ولذلك يقالُ في حقِّه: كرَّمَ الله وجهَهُ، يعني أنه لم يقع بصرُهُ قطُّ على عورةِ أحدٍ، فعند الأكابرِ وأتباعهم وخدمهم من الآدابِ ما لا يوجدُ عند غيرهم.

ومن وصية سيدي خضر الذي كفلني يتيماً رحمه الله تعالى: يا ولدي، إذا كان لك إلى السُّلطان حاجةٌ، فإيَّاك أن تقف بين يديه، تُخاطبُهُ بحاجتك كما يفعلُ الجاهلون، لأنَّ مثلَكَ جاهلٌ بآداب الملوك التي أنتَ مُطالبٌ بها عند الله تعالى، ولو لم يُطالبوك هم بها. وتأمَّلْ إذا كان الأميرُ الكبيرُ، والوزيرُ الكبير إذا وقفَ بين يدي السُّلطان يُقبِّلُ له الأرضَ، فما الذي تفعله أنت يا جعيدي[2] إذا وقفتَ بين يديه؟ فاسألْ حاجتك يا ولدي بالوسائط حتى يصلَ الأمرُ إلى السُّلطانِ بالوسائط التي تعرف الأدبَ معه كالدوادار[3] ونحوه. انتهى.

---

(١) تقدم ذلك في العهود (٣٩) و(٤٥) و(٥٦) و(٨٠).

(٢) الجعيدي: نسبة إلى جُعَيْد، وهو رجل من أهل مصر، كان يطوف على الناس لابساً قلنسوة ذات أجراس، وفي يده دف ينقر عليه، وينشد مدائح مرتجلة يستعطي بها، فتبعه جماعة في هذه الصناعة، وهم المعروفون بالجعيدية، وتطلق هذه النسبة على من كان من لئام الناس وأوغادها، وأوباشها. تكملة المعاجم العربية ٢/٢٢٣.

(٣) الدودار: دخيلة، صاحب وظيفة من وظائف دول المماليك في مصر، موضوعها تبليغ الرسائل عن السلطان وإبلاغه عامة الأمور، وتقديم القصص والبريد. متن اللغة (دود).

وحكى لي أخي أفضلُ الدين رحمه الله تعالى أنَّه تعلمَ من بيت أولاد خاصر[1] بك جملةً من الآداب، ما كان يعرفُها قبل تعليمه أولادَهم القرآن، فمن جُملتها أنَّ سيدي أحمدَ ابنَ الأمير بَرْسباي حفظه الله، وفسح في أجله، وهو في سنِّ التمييز قال لعبده عند الفراغ من القرآن: يا جوهر، قم قبّلْ يدَ الفقيه. فقال العبدُ: يا سيِّدي، إذا كنتَ أنتَ سيِّدي وتُقبِّلُ ركبتَهُ ورجلَه، فماذا أُقبِّلُ أنا؟ وكيف أَضَعُ فمي موضعَ فمِ سيدي؟. انتهى، فاعلم ذلك.

(١٢٠) **أخذَ علينا العهودُ أن نغتسل لكلِّ يوم جمعة**، وإن لم نحضر، ونأمر بذلك عيالَنا، وذلك لأَنَّ اللهَ تعالى خلقَ الأيامَ سبعةً، وهي أيامُ الجمعة، فكُلَّما انقضتْ دورةٌ، جاءتْ دورةٌ أُخرى وهي الجديدةُ الدائرة، ولا ينبغي لمؤمنٍ أن تُفارقَهُ دورةُ جمعة إلا عن طهارةٍ يحدثها فيها إكراماً لها، وتقديساً أيضاً لذاته، فإنَّ هذا الغُسلَ مثلُ السِّواك مَطهرةٌ للبدن، مَرضاةٌ للربِّ[2].

وقد سمعتُ شيخَنا رضي الله عنه يقول: إذا أرادَ الخلائقُ التأهبَ إلى حضرة القُدس في الجنَّة، لا يُؤذنُ لأحدٍ منهم في الدُّخولِ إلاّ بعد الغُسل، كما في دار الدُّنيا، ومن لم يغتسلْ، وقفَ خارجَ الحَضرةِ هناك على ترتيبِ وقوفِ النَّاسِ في صلاة الجمعة، فإنَّ من دخلَ، وأتى الجمعةَ في دار الدُّنيا من غيرِ غسلٍ، لا يَقدرُ على الدخول بقلبه إلى حضرةِ الحقِّ التي يدخلها المُغتسلون أبداً، فكلُّ مؤمنٍ اغتسلَ للجُمعة في هذه الدار، يدخلُ حضرةَ القدس في الجنَّة على عددِ غُسله للجمعة هنا، وينغمسُ هناك في الأنهار الكافوريات، الكوثريات، الممسَّكات.

واعلم أنَّهم إذا اغتسلوا لا يُجرِّدُ أحدٌ منهم ثوباً، ولا ينزعُ حلياً، فلا الماء يبلُّهم، ولا الهواءُ يُنشّفهم، بل ترشحُ أبدانُهم من رشح الندِّ والعنبر، وتندوا رؤوسهم من طلّ المسك الأذفر، كما يشاهدُ كلَّ ما ذكرناه أهلُ الكشف.

وكذلك الحكمُ في كلِّ سنةٍ من السنين في سائرِ الأنواع من الصلاة، والزكاة،

---

(١) في (أ): خاصر. وفي (ب): خاص، وفي (ج): خالص.

(٢) روى النسائي ١/١٠ في الطهارة، باب الترغيب عن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ قال: «السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب».

والصوم، والحجِّ، وغيرها لها مرتبةٌ في الجنّة، لا تُنالُ تلك المرتبةُ إلاَّ بفعلِ تلك السُّنَّة.

فإيَّاك يا أخي، والتَّساهلُ في فعل السُّنن كما عليه غالبُ طلبةِ العلم الآن، ويقولون: الأمر سهلٌ[1]، هذه سُنَّةٌ يَجوزُ تركُها. واللهُ يتولّى هداك.

(١٢١) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نكثرَ من النوم؛** فإنَّ النومَ أخو الموت، لا دُنيا تحصلُ منه ولا آخرة، وأكثرُ ما يكونُ النومُ في الليل والنهار سبعين درجة[2]، منها مُقدّماتُ النوم، والاستيقاظُ، وما زادَ على السبعين فهو معدودٌ من الإسراف.

واعلم يا أخي، أنَّ **كثرةَ النومِ، تُميتُ القلب** عن تعاطي أسبابِ الدنيا وأحوالها، ممّا لا بدَّ للعبد منه، وربَّما استحكمتْ في الإنسان حتَّى يصيرَ مخالفاً لنوم الطبيعة الذي جعله اللهُ تعالى راحةً للجسد، وزيادةً في النفس، فيفسدُ على العبد أمرَ معاشه، ويُفسدُ عليه صحَّةَ مزاجه الأصلي.

وأعظمُ مفاسده في الإنسان إضعافُ الرُّوح لكثرةِ ارتباطها بعالم الخيال، وانفصالها عن الجسد، لا سيّما إن كان مُظلماً كثيفاً بالأعمال الخارجة عن قوام السُّنَّة الإلهية، والطبيعة الكلية، فإنَّ من ذلك الارتباط يتولَّدُ ضعفُ الاعتقاد، وفسادُ القوة الخيالية المُصوّرة للأشياء في مرآة العقل، فلا يشهدُ شيئاً إلاّ قابلاً للتعقيد والإشكال، حتَّى يختلطَ حالُهُ عليه فضلاً عن غيره، فإن تمكَّنتِ العادةُ بالنوم في الأوقات المنهيِّ عن النوم فيها؛ كنومِ الإنسان بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، ومن العصرِ إلى الغروب، فقد عرَّضَ نفسه للهلاك، وفسادِ صحَّة المزاجِ المادي والصوري كالغنم، والبقر، والجاموس، ونحوها من مأكولِ الحيوان، وإنَّما قيَّدنا الحكمَ بالمأكول لنخرجَ غيرَه من الحيوانات المسخَّرةِ لنفعِ الخلقِ؛ كالخيل، والبغال، والحمير، فإنَّها أنعامٌ ذواتُ عقولِ حسَّاسة أكثرُ من غيرها، ولذلك كانت أكثرَ الحيواناتِ تعباً، وتكليفاً، ونفعاً، وأكثرُها تعقُّلاً وإدراكاً كما هو مشاهدٌ في حركاتها، ولفتات عينها، ورفع رؤوسها وخفضها، ومفاداتها لما في الطُّرق من الموانع والحفر.

---

(١) في (أ): مسهل. والمثبت من (ب).

(٢) الدرجة: تعادل أربع دقائق (كما مر في حاشية العهد ١١٠) أي ما يعادل تقريباً أربع ساعات ونصف.

قال شيخنا: ومن آفات مُطلقِ النوم في غيرِ وقتِ الصُّبحِ والعصر المتقدّم أنّه يُورثُ الغفلةَ، والنسيان، ويفسدُ حُكمَ المزاجِ النفساني، ويُورثُ كثرةَ البلغم، والسوداء، ويُضعفُ المعدة، ويُنتنُ الفم، ويربّي دودَ القرح، ويُضعف البصر، ويربّي الغشاوةَ على العين، ويُضعف الباهَ عن الجماع، ويُفسد الماء، ويُورثُ الأمراضَ المُزمنةَ في الولد حال تكوينه، وغير ذلك، ومن أقلّ مفاسدِ النوم بعد العصرِ والصبح أنّه يُضعفُ الإيمانَ بالبعث والنُّشور، وأحوالِ البرزخِ، ويوم القيامة، ويُكثرُ التخيلات الفاسدة، حتَّى لا يكاد يتعلّقُ شيئاً أبداً من مصالح دنياه وآخرته، ولا بأسَ بنوم القيلولة في أيام الصيف، ولو قبلَ صلاة الظهر، فإنَّ النومَ قبل الظهر دواءٌ للسهر الماضي، وبعد الظهر دواءٌ للسهر المستقبل، فاعلم ذلك؛ فإنّه نفيس، والله أعلم.

(١٢٢) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نمكّنَ أحداً ممن صحبنا أو صحبناه أن يتهاون في تعاطي أسباب الدنيا** إذا قوي يقينُهُ بالله عزَّ وجلَّ، بل يأخذُ في الأسباب ليلاً ونهاراً مع محاداة[1] إشارة شيخه في ذلك لا مُستقلاً.

وسمعتُ سيدي عليَّ الخواص رحمه الله يقول: أحبُّ العبادِ إلى الله تعالى من كان في سببه كالدَّابة التي يَحملُ الناسُ عليها الأمتعة، وتساقُ، لا تدري المتاعَ الذي على ظهرها لمن هو؟ ولا مع من هو؟ ولا تعلم هي بحالها مع من هي؟ ولا تعلم بنفاسة ما حملته ولا بخسته، وهي صابرةٌ على ما تُقاسيه من كثرة العمل، وعلى ما تلاقيه من شدّةِ الجوع والعطش، غير طامعةٍ في شيءٍ ترجيه. انتهى. فتأمّل ذلك.

(١٢٣) **أُخذَ علينا العهودُ أن نشرعَ بتزويج البكر إذا بلغت، فإننا** إن لم نفعل ذلك ربّما احترقت شهوتها، وساءَ خُلقها على الرِّجال، وطالَ لسانُها عليهم.

وسمعتُ أخي أفضلَ الدين رحمه الله يقول لبعضِ الإخوان: عجّلْ بتزويج بنتك ما استطعتَ، ولا تُقيِّدْ تزويجَها على أحدٍ مُعين، ولا بنظامٍ فيه تعنُّتٌ، فتنفر نفوسُ الناس عنها، ثم تقع بعد ذلك في أخبثِ الناسِ حالاً، وارفقْ بكلِّ من جاء يطلبها، ولا تحتقرْ صناعتَه، ولا رثاثَةَ حاله. انتهى. والله غفورٌ رحيم.

---

(١) محاداة: مماثلة، ومشاكلة. متن اللغة (ح د و) وفي (أ) محاذاة.

(١٢٤) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نمكّن أحداً من إخواننا يشهد على بنته بأنّ ما عندها من جهازها ملكاً لوالدها، أو والدها،** أو خالتها، بقصد حرمانِ الزوج ممَّا أحلَّه الله له، فإنّ ذلك حرام، ونفاق، وعلامةٌ على سُوء الاعتقاد، والبخل، وطول الأمل الذي ما فوقه بخل، ثم إنَّه لا يُباركُ لك يا أخي فيه، ومن شكَّ في ذلك فليجرِّبْ، والله أعلم.

(١٢٥) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُكلِّفَ الرجل ما لا يطيق** إذا تزوَّجَ بنتاً لنا أو أختاً، وذلك كأن نقدّر عليه نفقةً مُعينة، أو كسوةً معينة زائدةً على حالِ الزَّمانِ الذي نحن فيه، وليحذّرِ الأمَّ من التعنُّتِ على الزوج في فعلِ مصطلح النساء، الذي اندرسَ حكمُهُ باندراسِ الأسباب، وموت الدُّنيا، وذلك كأن تَشرطَ عليه أن لا تدخلَ بنتُها عليه إلاّ بطبخ الأطعمة الفاخرة، والمغاني[1]، أولا تزوُّجُها إلا بمهرِ أمِّها، فإنَّ الأمر رجع إلى القهقرى قهراً، والله غنيٌّ حميد.

(١٢٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نسعى لأحد قطّ في تولية حسبة،** ولا قضاية، ولا غيرهما من سائر الوظائف التي يغلبُ فيها عَدمُ الخلاص، ومساعدتُنا له عدمُ مُساعدتنا بالقلبِ والقالب، فإنّ كلَّ شيءٍ بسؤالٍ لا يُسدَّدُ صاحبُه فيه، لكن إن تولّى وتجوَّنَ[2] علَّمناه طريقَ الخلاص للذمَّة في تلك الولاية، ومعظمُها أن يقفَ في المرتبة بنيَّة نفع الناس، وتفريجِ كُربهم، ويجعلَ نفعَ نفسهِ بحكم التبعية، لا بالقصدِ الأول، ويخفِّفَ الظُّلمَ عن العباد ما أَمكن، ويرضى لنفسهِ باليسير الذي لا يَرضى به أمثالُهُ، وسيأتي بسط ذلك أن شاء الله تعالى[3].

وفي المثل السائر: من دهن رأسه بزيت السلطان لم يمتْ إلاّ أقرع.

وفي المثل أيضاً: إذا كان همُّ الناسِ إلى خلخالِ رجلهم، فهمُّ أعوانِ السُّلطان إلى أنفهم. فاعلم ذلك.

---

(١) المغاني: المعازف والمطربون.

(٢) تجوّن: ضلّ وأخطأ. تكملة المعاجم ٣٥٢/٢. وفي التصوف الإسلامي لزكي مبارك ٣٨٤/١ تجون: أي أسرف.

(٣) تقدم هذا في العهد (٨٤).

(١٢٧) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نمكّنَ أحداً من أصحابنا يدخل قطُّ على فقيرٍ، ولا عالمٍ، إلا وهو مُنكسرٌ خاضعٌ**؛ وذلك لينفحَهُ من علمه وصلاحه، فإنَّ من دخلَ على فقيرٍ بنيَّةِ الانتقاد، ليسمعَ منه كلمةَ شطحٍ أو دعوى مثلاً، لا يخرجُ إلاَّ ممقوتاً من الله عزَّ وجلَّ، ومقتُ الله تعالى للعبدِ قلَّ أن يُمحى، نسألُ الله اللطف.

وقد فشا هذا الأمرُ في غالبِ طلبةِ العلم في هذا الزمان، فيدخلونَ على الفقيرِ والمدرِّس مُظهرين له الزيارةَ والودَّ، ثم إذا سمعَ أحدُهم منه كلمةً فيها دعوى، خرجَ ينشرُها في النَّاس، ويصير يقول: وجدنا عند فلانٍ دعوى عريضةً. فإيَّاك يا أخي، ثم إيَّاك.

وسمعتُ شيخي سيدي محمدَ الشناوي[1] رحمه الله يقول: ما أتذكَّرُ قطُّ أنّي دخلتُ على صالحٍ أو عالمٍ، وخرجتُ بلا فائدةٍ قطّ؛ وذلك ما أدخلُ إلاَّ وأنا مُستفيد لا مُمتحِنٌ. رضي الله عنه.

(١٢٨) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نقدّمَ على أنفسنا أحداً في الدعاء إلا رسول الله ﷺ فقط**، لقوله ﷺ: «لا يُؤمنُ أحدُكم حتّى أكونَ أحبَّ إليه من نفسه وولده والناسِ أجمعين»[2].

ـ فمن قدَّمَ على نفسِه أحداً غيرَ رسول الله ﷺ من ولد، أو أخٍ في الله، أو من النسب، فهو دليلٌ على تَهَوّره، وقلَّةِ عدله، وكذلك من أهدى ثوابَ عمله لغيره، فإنَّ الذات الفاعلة لذلك الفعلِ لا ينبغي لعبدٍ أن يخرجَ عنها شيئاً من ثواب عملها لغيرها، فمن أخرجَ عنها شيئاً فقد ظلمها، وبتقدير أنَّ الله تعالى يُثيبها في ذلك العمل، فهيهات أن يكفِّرَ ما جنتْهُ من الزَّلل.

وتأمَّل قصةَ آدمَ عليه السلام، فإنَّ جميع التكاليف والطاعات التي كان يفعلها لم توفِّ بذنبٍ واحد، فكيف بمن يرتكب في كلِّ ساعة ذنوباً؟!

ويؤيِّدُ ذلك أن من حجَّ عن الغيرِ قبل أن يحجَّ عن نفسه لا يصحُّ بالإجماع،

---

(١) محمد الشناوي الأحمدي الصوفي، المُسلِّك، المربي، أخذ عنه كثير أجلهم الشعراني، وكان يلقن الرجال والنساء والأطفال ويرتب لهم المجالس، وكان يفتتح مجلسه بالعشاء ويختمه مع الفجر، مات سنة ٩٣٢هـ. طبقات المناوي ٣/٤٥٢.

(٢) تقدم تخريجه في العهد (٢).

ويقولون في المثل السائر: يا من يتصدق بالزَّلابية، أشبع أولادك كسراً[1].

اللّهُمَّ، إلاَّ أن يفيضَ الثوابُ على تلك الذات حتَّى يعمَّها، فللإنسانِ أن يتصدَّقَ على غيره بالزائد، كما في الأموالِ الظاهرة، ولكنْ قليلٌ من الفقراءِ من يعرفُ أنَّه حصل له ثوابٌ أم لا؛ لعدم كمال كشفه.

وكان أخي أفضلُ الدين رحمه الله يُدركُ أعمالَه التي يزيد ثوابُها ويفيض، والتي تجيءُ سواءً بسواء، والتي تنقص، وكان ينظرُ إلى عملي وهو صاعدٌ بالليل، وأنا في حارة، وهو في حارة ويقول لي: صعدَ لك الليلة عملُ كذا وكذا، وعملُكَ الفلاني كان أنورَ من العمل الفلاني.

وأخبرني مرّةً بردِّ دُعائي في حقِّ شخصٍ كان في السجن على مال السُّلطان، وقال لي: رأيتُ الليلة دعاءَكَ لفلان، وهو يصعدُ ويرجعُ إلى الأرض؛ لكونِ المدَّة المضروبة لحبسه لم يجئ أوانُها، وأخبرني أنَّه بقي من المدَّة خمسةُ أشهرٍ، فكان كما قال رحمه الله.

إذا علمتَ ذلك فقدّم يا أخي رسولَ الله ﷺ، ثم نفسَكَ، ثم والدتك، ثم والدك أبَ الروح، ثم أَبَ الجسم، ثم أولادَك، ثم إخوتك، ثم إخوانك الأحياء، ثم الأموات.

وتأمّل يا أخي ذكرَ نوحٍ عليه السلام لوالده في الدعاء بعد ذكر نفسه في قوله: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح: ٢٨].

وتأمّل قولَ إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] فذكر بنيه بعد ذكرِ نفسه؛ لكون أبوه لم يكن على دينه، والله أعلم.

(١٢٩) أُخذَ علينا العهودُ أن لا ننصحَ من علمنا عنده عِناداً في الدين، ويقعُ في المنهي عنه مجاكرةً لنا إذا نهيناه عنه، ويتركه إذا سكتنا عن النهي له، وهذا الأمر يَخفى على كثيرٍ من الفقهاء فضلاً عن غيرهم، لا سيما إن نهاه بعنفٍ ونفس، كقوله مثلاً: اجعل بطنَ نعلكَ بعضَه على بعضٍ، لمن رآه فعل ذلك في المسجد: يا كلب، يا فاسق، يا من لا يَخافُ من الله، يا من هو ليس بمسلمٍ، ونحو ذلك من الألفاظِ القبيحة التي هي أشدُّ قُبحاً مما ينهي هو عنه، فكما قامتْ نفسُهُ حتَّى خرجتْ عن الحدِّ، كذلك تقومُ نفسُ المأمورِ بالعنف.

---

(١) تقدم في العهد (١٠٣).

وقد سمعتُ مرَّةً قائلاً يقول لإنسانٍ في الشارع: حشاك يا فشكل[1]. فالتفتَ إليه وقال: انظروا إلى قلّةِ حياءِ هذا الفاعلِ التارك شيء ما يذكر المنافق الزربون. فانظر ما بين فشكل، وما بين هذه الألفاظ من القبح. فقلت له: فشكل ما معنى هذه الكلمة؟ فقال: والله، ما أعرف لها معنًى. فقلتُ: إذا كان هذا كلامُك في معنى كلمةٍ لم تعرفها، فما حالُكَ فيمن صرَّحَ لك بكلمةٍ قبيحة؟ فقال لي فشكل، فأيش اعمل، أمرته بمعروف. انتهى.

ثم اعلم أنَّه **لا يَنبغي لمن ليس عنده سياسةٌ ورقَّةُ حاشية أن يكونَ ناصحاً** أبداً، لأن فسادَهُ أكثرُ من صلاحه، ونصيحتُهُ عدم النصيحة؛ لأنَّها تُعرّضه لمقتِ الله عزَّ وجلَّ، فيرجع نظيرُ ذلك على الناصح، والله تبارك وتعالى يحبُّ من عبادِهِ من يُراعي حقوقَ عبيد سيده، وإن جهلوا، فإنَّهم خلقُهُ وعبيده.

وكثيراً ما يحصلُ لمن ينصحُ بلا سياسةٍ مقابلةُ المنصوحِ له بالأذى، فيقول: أنا الظالمُ الذي نصحتُ، فيجعل النُّصحَ الذي هو واجبٌ ظلماً، ومذموماً، وشراً، وأصلُ قوله ذلك من قلَّة سياسته، ومن هنا قرّرنا[2] مراراً[3]: أنَّ المُداراةَ معدودةٌ من النِّفاقِ المحمود، وحقيقتُها أن تُهدي إلى شرارِ النَّاسِ هديةً، وتُظهرُ لهم المحبَّة، وتليّن لهم الكلام، فهي لا تكون إلاَّ بإسقاط شطرٍ من الدُّنيا، عكسُ المُداهنة المذمومة، فإنَّها لا تكون إلا بشطرٍ من الدّين، فاعلم ذلك.

(١٣٠) أُخذَ علينا العهودُ أن ننصَحَ لله ولِرَسولِه ولأئمةِ المسلمين وعامَّتهم، فالنصيحةُ لله تعالى أن يعفوَ العبدُ ويصفح، فيُثني عليه بذلك، فيرجعُ ذلك الثَّناءُ على الله تعالى؛ لأنَّه تعالى هو الذي شرع ذلك، وندبَ إليه، والغشُّ لله تعالى أن يفعلَ العبدُ عكسَ ذلك، فلا يَعفو ولا يصفح، فيُذمُّ بذلك، فيرجع صورةُ الذمِّ إلى الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

---

(١) فشكل: الرث الهيئة، الفاشل، انظر معجم تيمور ٥/٦٣.

(٢) في (أ) و(ب): قدرنا.

(٣) انظر العهد (٨٨).

وفي المثل السائر: الولد الخرى يجلبُ اللعنة لوالديه، فكلٌّ عارفٍ يغارُ على الحقِّ تعالى أن يذكرَهُ أحدٌ بسوء.

وإذا رأى شخصاً معيلاً مثلاً يسخطُ على ربِّه إذا ضَيَّقَ عليه، أرسلَ له ما يأكل وما يشرب، خوفَ أن يقول: ربُّنا ما يعطي إلا للظلمة والتجار، أما الفقير فما عليه منه. فما حملَ العارفَ على العطاءِ لهذا الفقير إلا صيانةٌ لجناب الحقِّ تعالى، لا طلباً للشكر، ولا للثَّواب في الآخرة، فما نصحَ من نصحَ لله تعالى حقيقةً إلاَّ لإيثاره جنابَ الحقِّ تعالى على نفسه، كما أنَّ من طلب الثواب والثناء على العفو والصفح لنفسه دون الله تعالى، فما نَصَحَ لله، فإنَّه لولا شهوده الملك فيما أعطاه الناس مثلاً ما طلبَ ثواباً ولا شكراً.

أمَّا النصيحةُ لرسولِ الله ﷺ، فقد مضَتْ في أيامِ حياته، وما بقي له نصيحةٌ بعد موته إلاَّ أن نجعلَ اللام لامَ الأجلية، فكانَ الواجبُ على الصحابة أيامَ حياته أن ينصحوه إذا شاورَهم في أمرٍ لم يُوحَ إليه في شأنه شيءٌ، كما نصحوه يومَ بدرٍ، حين أرادَ أن ينزلَ بهم على غير ماء.

وكما نصحَهُ عمرُ في قتل أُسارى بدر.

وكما قال له ذو اليدين: أقصرتِ الصلاةُ يا رسول الله أم نسيتَ؟ ليعلم هل نُسخَ ذلك الأمرُ الذي لم يفعله، وهو السلامُ في الظهر من ركعتين، أو تركَ رسولُ الله ﷺ ذلك نسياناً(١)؟

وأمَّا النصيحةُ لأئمّة المسلمين وعامَّتهم فأنَّ لا يكتمَ عنهم شيئاً من أمرِ دينهم، وسواءٌ كان الأئمةُ حُكَاماً أو علماء، فإذا استفتوكَ يا أخي في أمرٍ جهلوه، فالواجبُ عليك إعلامُهم به، فيعودُ النفع عليهم، وعلى عامّةِ المسلمين.

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة ٤٨٩/١: ذو اليدين السُّلمي، يقال هو الخِرباق، قال أبو هريرة: صلى النبي ﷺ إحدى صلاتي العشي في ركعتين، فقام رجل في يديه طول، يدعى ذا اليدين، فقال: يا رسول الله، أقصرت الصلاة أم نسيت؟ وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: أن رسول الله ﷺ صلى الظهر، فسلم من ركعتين، فقال له خرباق: أشككت، أم قصرت الصلاة؟ فقال: «ما شككت ولا قصرت». وقال رسول الله ﷺ: «أصدق ذو اليدين؟» قالوا: نعم. فصلى ركعتين ثم سلم، فسجد سجدتين وهو جالس ثم سلم.

وإذا تعارضَ عندك أَمران؛ أحدُهما يُصلحُ دينَهم، والآخرُ يُصلحُ دنياهم، فنقدِّمُ لهم الأمرَ بما يُصلح دينَهم، واللهُ أعلم.

(١٣١) أخذَ علينا العهودُ أن نعظِّمَ الذاكرين اللهَ كثيراً والذاكرات، لأَنَّهم جُلساءُ الحقِّ تعالى كما ورد، ومن ثبتتْ عندنا ولايتُهُ لله، حرمتْ معاداتُهُ وهجره، لا سيِّما بغضه في حال كونه يذكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ في مجلسٍ أو فُرادى، فإنَّه حينئذٍ في حضرة الله الخاصة، وذلك من أَقوى علاماتِ النِّفاق، والبعدِ عن حضرة اللهِ عزَّ وجلَّ، ولم يجعلِ الحقُّ تعالى نفسَه جليساً لعبدِه في شيءٍ من الطاعات غير الذكر.

واعلم أنَّ **من أكثرَ من مُجالسةِ الحقِّ تعالى زاد حياؤه**، وطهرَ باطنُه من سائر الفواحش بالخاصية، فإنَّه يكون أمس من أفسقِ الفاسقين، فيصبحُ من أَصلحِ الصالحين، فلا تستبعدْ يا أخي تقريبَ الحقِّ تعالى لعاصٍ أبداً، وتقول: من أمس وفلانٌ فاسق، وأنا بحمدِ الله طولَ عمري على ما ترون، فإنَّ ذلك في غايةِ القُبح، وتزكيةِ النفس، فافهم.

فإنَّ المحبوبَ محبوبٌ، ولو جاءَ بقُرابِ الأرضِ خطايا؛ بل كثرةُ حضورِه مجالسَ الذكر دليلٌ على طهارةِ سريرته من سائرِ النقائص، فإنَّ الحقَّ تعالى أخبر أنَّه جليسُه، ولا يصحُّ لعبد ذلك إلا إن طهَّرَ باطنه، وصارَ كباطنِ الملائكة، فلله الحمدُ الذي أعلمنا بإمارةِ مَنْ هو مجالسُهُ لنُكرمَه ونحترمه، ونتجنَّبَ عداوته، فمن آذى وليّاً فهو أشقى العالمين.

وتأمَّل قولَه تعالى في عاقرِ الناقة: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [الشمس: ١٢] تعرف شقاوةَ من آذى الأولياء من بابِ أولى، فإنَّه تعالى إذا حَكَم بالشقاءِ لعاقرِ ناقة الله، فكيف بوليٍّ؟!

واعلم يا أخي، أنَّ هؤلاء الذين يقعُ من النَّاسِ الأذى لهم، لو كانوا مَنسوبين إلى الباشا، أو إلى أحد من أمراء البلد ما تجرَّأَ أَحدٌ أن يؤذيهم احتراماً لوجوه العظم، واللهُ أولى وأجلُّ بمراعاةِ أهلِ حضرته، فإيَّاك أيُّها المُتشبِّهُ بالفقهاء أن تتعرَّضَ لفقيرٍ أَحْدَثَ مجلس ذكرٍ في جامع، أو زاوية، وتتعلَّلُ بأن رفع أصوات الذاكرين يُؤذيكَ ويُؤذي المسلمين، فإنَّ ذلك من علامةِ نفاقك، ولو أنَّك كنتَ سالماً من النِّفاقِ، حَسَنَ الاعتقادِ

في الله عزَّ وجلَّ، مُحبًّا له، لتلذَّذْتَ بسماعِ ذكره، وحصلَ لك الشفاءُ من كلِّ مرضٍ مزمن. كما قال سيدي عمرُ بن الفارض[١]:

ويَطرَبُ من لم يدرها عند ذِكرها ... كمجنونِ نُعْمٍ كلَّما ذُكِرتْ نُعمُ
ولو نَضَحوا منها ثَرى قبرِ ميِّتٍ ... لعادتْ إليه الرُّوحُ وانتعشَ الجسمُ
ولو قَرَّبوا من حانِها مُقْعَداً مشى ... ويُعربُ عن مَعْنى مَذاقَتِها البُكْمُ[٢]
ولو عَبِقَتْ في الشَّرقِ أنْفَاسُ طيبِها ... وفي الغربِ مَزكومٌ لعادَ له الشَّمُّ
وفي سَكْرةٍ منها ولو عُمْرَ ساعة ... تَرى الدَّهرَ عبداً طائعاً ولكَ الحُكْمُ
ولا عيشَ في الدُّنيا لمن عاشَ صَاحياً ... ومن لم يَمُتْ سُكراً بها فاتَهُ الحَزْمُ
على نفسِهِ فليبْكِ من ضاعَ عمرُهُ ... وليس له فيها نَصيبٌ ولا سَهْمُ

واعلم يا أخي أنَّ **صياحَ الذاكرين، إنَّما هو من تجلِّي الحقِّ تعالى لقلوبهم** بما فوق طاقتهم، ولذلك خرَّ موسى عليه السلام صَعِقاً حين كان التجلِّي فوقَ ما كان يحتملُهُ، ولو أنَّه كان يَحتملُهُ ما صَعِقَ، ولكانَ في التَّمكُّن كنبيِّنا محمد ﷺ فلم يَبلغْنا أنَّه قطُّ صاح، ولا وقعَ مَغشيًّا عليه أبداً؛ لتمكينه.

وربَّما يكتمُ أحدٌ من الفقراء الصياحَ، ويزمُّ نفسَهُ، فيموتُ لوقته وساعته، كما حكى لي سيِّدي الشيخُ أحمدُ الضرير، أحدُ تلامذة سيِّدي عمرَ الروشني[٣] بتوريز العجم رضي الله عنه: أنَّ جماعةً من العلماء بتوريز اعترضوا على جماعتِهِ في الصياح، وعقدوا على ذلك عقدَ مجلسٍ، فنادى الشيخ: أيُّها الفقراء، من كانَ منَّا فليكتُمْ واردَهُ، ولا يصح، ولا ينطق. فافتتح الشيخُ الذِّكر، فغرقوا فيه، فصارَ الفقيرُ يكتمُ وتخفتُ نفسُه، فيموت، فمات منهم اثنا عشر رجلاً، وغُشي على نحوٍ من أربع مئة فقير، قال الشيخ أحمد المذكور: فأتوا بي إلى هؤلاء الموتى، فجسَّيْتُهم بيدي، فوجدتُ أمعاءَهم قد انفتقتْ، وقد احترقتْ أكبادُهم، كأنَّها شُويت على الجمر، فمسكتُها، فإذا

(١) الديوان صفحة ١٤٠.

(٢) في الديوان: وتنطق من ذكرى مذاقتها البكم.

(٣) عمر الروشني شيخ طريق الخلوتين على الإطلاق، رُحل إليه للأخذ عنه، عظمت منزلته، وكثرت أتباعه، واحتجب عنهم في خلوته، وكان ينقل فتاويه خلفاؤه، قال المناوي في الكواكب الدرية ٢١٨/٣: كان جلالي المقام، فلذلك كان يندر اجتماعه بالناس، مات في القرن التاسع.

هي تفتَّتُ تحت يدي، ثم إن الشيخَ أرسلَ وراءَ من كان تولّى أمرَ تلك الواقعة، وحشرَ العُلماء لعقد المجلس، وقال له: انظر هؤلاء الموتى، هل يقولُ عاقلٌ قطُّ بأنَّ هؤلاء متفعّلين؟ ولكن سهم الله في البعيد، فتطبَّقتْ عليه دارُه فهلَكَ، وأولادُه، وعيالُه، وخيلُه، و لم ينجُ منهم أحدٌ، وكان يوماً مشهوداً في توريز. انتهى، فاعلم ذلك، والله يتولّى هداك.

(١٣٢) أخذَ علينا العهودُ أن لا نمكّنَ أحداً من إخواننا يبحث في معنى المتشابه والمحكم، وإنَّما نأمرُهم أن يَصقلوا مرآةَ قلوبهم حتى تنوّرَ، وتصيرَ فارقةً بين الحقِّ والباطل.

والحقُّ تعالى لم يُطالبْ أحداً من عباده بإدراكِ معاني كلامه القديم على حكم المطابقة والحصر في نفسِ الأمر، ولو كلَّفَ عبادَه بذلك، ووقع، لم يقعْ في العالم خلافٌ بين مجتهد ولا غيره، ولتساوى علمُ التابع وعلم متبوعه.

ومعلومٌ بالإجماع أنَّ خطابَ الحقِّ تعالى بالأوامر وغيرها شاملٌ لكلِّ من دارَ عليه فلكُ الرُّبوبية من الأنبياءِ، والمرسلين، والملائكة، والأولياء، والصالحين، والأئمة المهتدين، والكفرة، والمنافقين، والطُّغاة، والظالمين، وسائر الخلق أجمعين، فمن ادّعى تخصيصَهُ بفهمه بقوم دون قوم، وردَّ كلامَ أحدٍ من المسلمين فكأنَّه يقول: إنَّ الحقَّ تعالى لم يخاطبْ هؤلاء بتكليف، وذلك من أقبحِ الصفات في المسلمين.

وقد بسطنا الكلامَ على ذلك في البابِ الثالث من كتاب «وصايا العارفين»، والله غفورٌ رحيم.

(١٣٣) أخذَ علينا العهودُ أن لا نمتنع من تزكية مسلمٍ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويؤمن بالله بحسب درجته، ولا ينبغي لنا أن نمتنعَ من التزكية له إذا دعينا إلى بيت الحاكم؛ فإنَّنا ما زكّيناه إلا بتزكية الحقِّ تعالى بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. فلم يستثنِ تعالى منهم أحداً كرامةً لمحمد ﷺ، ولو كان استثنى منهم أحداً، لم تكن لمحمدٍ ﷺ سيادةٌ على غيره من الأنبياء والمرسلين في ذلك، فافهم.

ولا تجرحُ قطُّ من أثبتَ الحقُّ تعالى عدالتَه، وزكّاه عند نبيه ﷺ، واستر إخوانَك المؤمنين في دينهم، وطرقِ أسباب معاشهم، ولا تقم عليهم ميزاناً، يقيم الله عليك الميزان، واحفظْ حرمَتهم، لا سيما إن كانوا متسللين على المعاصي، ويتستّرون فيها، وإذا تَجاهروا بها فاتركهم تحت مَشيئة الله، ولا تخبرِ الناس بتجاهرهم، وتكشف

عوراتهم عند من لم يطّلع على أحوالهم إلاّ منك، تكن ممّن يكشفُ العورات، وكنْ أَولى بالمؤمنين من أنفسهم، وقد قدّمنا في هذه «العهود»[١] إنَّك إن شككتَ في أمرِ أحدٍ عند التزكية، فلا تزدْ على قولك: إنَّه خير مني فقط، والله أعلم.

(١٣٤) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُمكّن أحداً من أصحابنا يُصغي لمن يحط على أحد من الأولياء، ولا نمكّنُهم من ذكرِ كراماتهم بحضرةِ من يُنكر عليهم، فيكون ذلكً سبباً لزيادة المقت للمُنكر، ولتنقيصِ ذلك الولي، فحُكمُ من فعل ذلك حكمُ من ذكر فضائلَ أبي بكرٍ، وعمر بين الرَّوافضِ، وقد فعلَ نحو ما ذكرناه القُشيريُّ رحمه الله، فإنَّه ذكرَ عقيدةَ الحلاَّج أوَّلَ «الرسالة» على الكتاب والسنة، ليزيلَ بعضَ ما في نفوسِ النَّاسِ منه من حيث ظنِّهم، ثم لَمَّا ذكرَ مناقبَ الرِّجالِ ذكره في الأواخر[٢]؛ حتى لا تتطرَّقُ التهمة لمن ذكره من الرجال، فعلمَ أنَّه لا ينبغي ذكرُ مناقب الشيخ محيي الدين، وابن الفارض، وابن سَبْعين[٣]، وأضرابهم بحضرة من يُنكر عليهم من الفقهاء، وإذا ذكرنا عن أحدٍ منهم أدباً فالأَوْلَى أن يُقال: قال بعضُ المحقّقين كذا وكذا. ولا نصرِّحُ قطُّ بذكرِ أسمائهم، فنكونَ سبباً لمقتِ المُنكرين.

وقد شهدتُ مقتَ جماعة كثيرة من جهة التعرّضِ لسيدي عمرَ بنِ الفارض رضي الله تعالى عنه، وقد أجبتُ مرّةً عن الشيخ محيي الدين وحصلَ لي بذلك ضررٌ كثير، فرأيتُ الشيخَ في المنام، وهو مع السيِّدِ آدم عليه السلام، فسلّمتُ على أبينا آدم وعلى الشيخ، فقال لي الشيخ محيي الدين: يا ولدي، خفف عليك فإنّي مُبتلًى بالإنكار عليَّ في حياتي، ومماتي أحقُّ بذلك القول. انتهى.

---

(١) انظر العهد (٣٣).

(٢) لم يفرد القشيري للحسين بن منصور الحلاج ترجمة مفردة، وإنما بث أقواله في كتابه بأكثر من ستة عشر موضعاً.

(٣) عبد الحق بن إبراهيم ابن سبعين الإشبيلي المرسي (٦١٣-٦٦٩هـ) من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود، درس العربية والآداب في الأندلس، وحج واشتهر أمره، وألف كتباً عدة، واختلف في أمره من القطبانية إلى التكفير. قال ابن دقيق العيد: جلست معه من ضحوة إلى قريب الظهر، وهو يسرد كلاماً تعقل مفرداته ولا تعقل مركباته. فصد بمكة، فترك الدم يجري حتى مات نزفاً.

(١٣٥) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نُعَلِّمَ عيالنا الآداب الشرعية، والعرفية،** ولا نُحوجهم إلى الخروجِ إلى فقيه، أو واعظ أجنبي يسمعونه، ويتعلّمون منه، فإنَّنا نحن المُطالبون بذلك، مع أنَّ في الخُروجِ آفاتٌ لا تُحصى، وأقلُّ ما هناك رؤيةُ الأشكالِ الجميلة من الشباب، فربَّما مالتْ نفوسُهنَّ إلى تلك الأشكال، وكرهتْ شيخوختنا، وثيابنا الدَّنسة، ووجوهَنا السود، وعلينا أن ننصحَ عيالنا، ونأمرهنَّ إذا خرجنَ لحاجة أن لا يَلبسنَ شيئاً من مَحاسن ثيابهن، ولا يَمسسن شيئاً من الطِّيب، ونُعلمُهنَّ أنَّ رسولَ الله ﷺ أخبرنا أنَّ من فعلَ منهنَّ شيئاً من ذلك لعنَهُ كلُّ شيءٍ مرَّ عليه، حتى يرجعَ إلى بيته، ونُعلمُهنَّ إذا دخلوا بيتَ أحد لعيادة، أو غيرها، أن لا يجلسنَ على فُرشِ أهلِ البيت إلاَّ بإذنهم، ويجلسونَ تحتَ الإيوانَ حتَّى يعزمَ عليهنَّ أهلُ البيت بالجلوس فوق الإيوان وغير ذلك، واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٣٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نقرأَ حديث رسول الله ﷺ حتى نُقدِّم بين يدي قراءته صدقةً،** إما من المال، إن كان أحدُنا غنياً، أو من أنواعِ التسبيح، والتهليل، والصلاة على رسول الله ﷺ، ونحو ذلك إن كنَّا فقراء. قال ﷺ: «على كلِّ سُلامى من النَّاسِ صدقةٌ». وذكر فيه الصدقةَ التسبيح، والتهليل، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ونحو ذلك[1]. فقد وسَّع ﷺ عليك يا أخي وما بقي لك عذرٌ في عدم الصدقة، قبل قراءةِ حديث رسول الله ﷺ.

(١٣٧) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُشدِّدَ في إزالة المنكر إلا إذا كان ذلك المنكر يهدم الدين،** كالمرافعة في الناس عند الحكام، والسعي في أخذ أموالهم بغير حقٍّ، وكالمراودة لزوجة أحدٍ عن نفسها، وكالغصب، وقطع الطريق، ونحو ذلك، أما مثلُ آلات اللهو المُختلفُ في تَحريمها بين المذاهب، كالطبل والمزمار، وسماع آلات الطرب، واللهو، والاجتماع في مواضعِ التنزهات، فلا يهدمُ الدين شيءٌ من ذلك، وكذلك موالد الأولياء؛ كمولد سيدي أحمد البدوي، وسيدي إبراهيم الدُّسوقي، وغيرهما، فإنَّ النَّاسَ كلَّهم يكون في حضرة ذلك الولي، ولا ينبغي لأمثالنا أن يُنكرَ في

---

(١) رواه مسلم (٧٢٠) وأبو داود (١٢٨٥) و(٥٢٤٣) عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه.

حضرة كبيرٍ شيئاً، لا سيما إن كان مُختلفاً في تحريمه بين العلماء.

وقد أنكر شخصٌ على فقيرٍ رآه في قبَّة سيدي أحمد البدوي جالساً مع إمرأةٍ أجنبية يَذكران الله عزَّ وجلَّ، فرأيتُ سيدي أحمدَ وهو ينظرُ شزراً، ويقول: أنا راعِي الحمى، فما فُضولُكَ أنت؟ ثم قال رضي الله عنه: وعزَّةِ الرُّبوبية، لولا أنَّك في حضرتي، وأخافُ أن يُشاعَ عنّي بين الأولياء أنّي سلبتُ الإيمان ممّن دخلَ إليَّ لسلبتُكَ الإيمان، فأخبرتُ بذلك المُنكرَ، فولّى هارباً، وخرج، وبلغني أنَّ أحوالَه كلَّها انعكست إلى وراء، نسأَلُ الله العافية.

واعلم يا أخي، أنَّ مصالحَ الموالدِ والمفترجات أكثرُ من مفاسدها بيقينٍ من تَنفيق سلع البياعين، ونحو ذلك، واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٣٨) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نأمنَ قطُّ على أنفسنا من تبرئها من الكمالات، أو في شيءٍ تدَّعيه من سائرِ مراتب الكمالات، حتّى شهودها أنها دون كلِّ جليسٍ مع إنها لو علمتْ أنَّ ذلك التواضعَ أعلى درجةً عند الله من الكبْر ما فعلته فهوْ علّة، وإن ادَّعتْ أنّها لا تشهدُ ذلك، فنفس دعواها أنّها لا تشهدُ علّة. فافهم ذلك؛ فإنَّه دقيقٌ، واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٣٩) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نأمنَ مكرَ الله واستدباره لنا طرفةَ عين، وليس ذلك من سُوءِ الظنِّ بالله تعالى، وإنَّما هو لعلمنا بأنَّه تعالى له الإطلاق، يفعل ما يشاءُ، وتقديم الخوفِ أولى بكلِّ مقرَّب، فضلاً عن أمثالنا، وسواءٌ أكان خوفُنا من وقوعِ المكر والاستدراج؛ لسببٍ وقعَ منّا، أو لغيرِ سبب، ومعلومٌ عند كلِّ من عنده رائحةُ قربٍ من الملوك، أنَّ الغالبَ على حضراتِ الملوك القبضُ، والهيبةُ، والخفر، وإنْ وقعَ هناكَ مُباسطةٌ من الملك، فهي بحكم العرضِ.

وقد حُكي أنَّ سيدي عبدَ القادر الجيلي رضي الله عنه كان يقول: أعطاني الحقُّ تبارك وتعالى أَربعين عهداً وميثاقاً، أن لا يمكرَ بي. فقال له سيدي أبو السعود ابن الشبل[1]: فما

---

(١) أبو السعود بن شبل: العارف المتصوف، أجل أتباع الشيخ عبد القادر الجيلي، قال ابن عربي في فتوحاته: إنه أعلا مقاماً من شيخه. وأثنى عليه السهروردي. الكواكب الدرية ٢/٢٠٨.

تجدُ قلبَك بعد ذلك؟ قال: غيرَ آمن؛ لأنَّ حضرةَ الحقِّ لها الإطلاق، وذلك لا أمانَ لأحد معه.

وقد سمعتُ هاتفاً في حال كتابتي لهذا العهد يقول: إن أردتَ أن لا يَمكرَ بك الحقُّ تعالى في ساعةٍ من ليلٍ أو نهار، فقل ثلاثَ مرَّات بعد المغرب، وبعد الصبح: اللَّهُمَّ، إنّي أعوذُ بك من المكرِ والاستدراج من حيثُ لا أشعر في ساعةٍ من ليلٍ أو نَهارٍ يا أرحم الراحمين. فمن قال ذلك لا يَمكرُ به قطُّ، ولا يَستدرجه. انتهى، فاعلم ذلك، واعمل به، والله يتولى هداك.

(١٤٠) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نجعلَ لنا قطُّ مع الله اختياراً**، ولا صحَّةَ أحوالٍ نكون معه عليها دون غيرها، لا من مراتبٍ ولا غيرها، وذلك لعلمنا أن الحقَّ تعالى ربَّما أعطانا ذلك الحال، ثم حوّله عنَّا لمكانِ اختيارنا وتدبيرنا، ثم ولو دامَ ذلك فإنَّ نجاتَنا ليست بتلك الأعمالِ والأحوال، إنَّما نجاتُنا برحمةِ الله عزَّ وجلَّ لا غير، فمثلُ ما العاصي مُحتاجٌ إلى الرَّحمةِ والعفو والصفح، فكذلك الطائعُ مُحتاجٌ إلى ذلك.

ومن وصيَّةِ سيدي الشيخ أبي الحسن الشَّاذلي[1] رضي الله عنه: فرَّ من مُختاراتك كلِّها إلى الله تعالى، فإنَّ من اختارَ شيئاً لا يدري أيصلُ إليه أم لا؟ ثم إذا وصلَ إليه فلا يدري أيدومُ ذلك أم لا؟ وإذا دامَ عليه إلى آخرِ عُمرِه فلا يدري أله فيه خيرٌ أم لا؟ فالخيرةُ فيما اختارَهُ الله والسلام، انتهى.

ثم اعلم يا أخي، أنَّ العبدَ لم يُكلِّفْه الله تعالى بردِّ الأقدارِ المتوجِّهة عليه لعجزه عن مثل ذلك، وإنَّما كُلِّفَ بأنْ لا يرمي ميزانَ الشريعة من يده طرفةَ عين.

وجميعُ الأعمالِ البارزة على يدِ العبد لا تَخرجُ عن ثلاثة أحوالٍ؛ لأنَّها إمَّا أن تكون محمودةً، وإمَّا أن تكونَ مذمومةً، وإمَّا أن تكون مُباحة، ولكلٍّ منها دواءُ، جاءت به نفحاتُ الشرائع:

---

(١) علي بن عبد الله الشاذلي أبو الحسن (٥٩١-٦٥٦هـ) رأس الطائفة الشاذلية، من أئمة المتصوفة، سكن شاذلة قرب تونس، فنسب إليها، رحل إلى بلاد المشرق، فحج، ودخل العراق، ثم سكن الإسكندرية، وتوفي بطريقه إلى الحج، كان ضريراً.

فدواءُ المحمود - واجباً كان أو مندوباً - الشكرُ لله تعالى في إجراء ذلك على أَيدينا، والاستغفارُ من شهودِ نسبته إلينا، والتقصيرُ فيه، لو كان الأمرُ في ذلك لنا فرضاً وتقديراً.

ودواءُ المَذموم - حراماً كان أو مكروهاً- الشكرُ لله تعالى من حيث التقديرِ، والاستغفارُ من حيث الكسب، ومخالفة الأوامر الإلهية.

ودواءُ المباح، الشُّكرُ لله تعالى من حيثُ كون الحقِّ تعالى وسَّعَ به علينا، والاستغفارُ من حيث كونه من أهوية نفوسنا، فإنَّه حقيقٌ برتبةِ الحقِّ تعالى لا برتبتنا؛ لأنَّ صاحبَه يفعلُ ما يشاءُ من غيرِ ترجيح، ففيه رائحةُ المُنازعةِ لأوصافِ الحقِّ في حضرة الإطلاق التي يَفعلُ منها ما يشاء، ويرجع منها عمَّا كان أوعد.

وقد رأيت هاتفاً يقول لي في جامعِ سيدي الشيخ أحمد الأباريقي[1] بروضةِ مقياسِ النيلِ بمصر المحروسة: يا عبدَ الوهاب، اسمعْ هذا الكلام الجامعَ لكلِّ كلام، ولميزان جميعِ ما جاءتْ به الكتبُ الإلهية. فقلتُ له في المنام: نعم. فقال: ليسَ للعبدِ أن يشغلَ قلبَه بالاختيار نَفَساً واحداً لفعل شيء، أو تركه في مستقبل الأنفاس، وإنَّما عليه أن يُعطي كلَّ ما أبرزناه على يديه حقَّهُ في حال شروعه في ذلك الفعل، فإنَّ كان طاعةً، حَمَدَنا عليها، واستغفرَنَا من تقصيرِه فيها، وإن كان معصيةً حَمَدَنا على تقديرها عليه، واستغفَرنا من مُخالفة أمرنا، وإن كان غفلةً أو سهواً، فعل ما هو اللائقَ بمقامه، وقد قرَّبنا لك طريقَ الأدب معنا في كلِّ ما نجريه على يديك، والسلام انتهى.

وكان أخي أفضلُ الدين رحمه الله جالساً بجنبي، فعلمَ بالهاتف من طريق الكشف، وأيقظني، وقال: قم، فاكتبْ ما أُلقي إليك. فاستيقظتُ، وكتبتُ ذلك، وكتبَهُ منِّي عدَّةٌ من الأصحاب، وقد شرحتُ هذا الهاتفَ آخرَ «الرِّسالة القدسية» فقد علمتُ أنَّه لا يبرزُ منَّا فعلٌ قطُّ إلاّ وله دواءٌ، والعبدُ كالبوابِ، لظهورِ الأفعالِ من أبواب جوارحه الظاهرة والباطنة، فيُعطي كلَّ فعلٍ حقَّه، وهو عبدٌ في كلِّ حالٍ انقلبت عليه، فلأيِّ شيءٍ يطلبُ بنفسه الفرارَ من شيءٍ دون شيءٍ من غير الأمرِ الإلهي، وهو جاهلٌ بالعواقب،

---

(١) أحمد الأباريقي له منزلة علية، ورتبة سنية، كان يكلم الكرام الكاتبين، ويتحدث معهم في أحوال الملأ الأعلى. انظر الطبقات الصغرى للمناوي صفحة ٢١٣.

كما قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] فاعلم ذلك[١].

(١٤١) أُخذَ علينا العهودُ أن نشكر الله تعالى على المنع، كما نشكره على العطاء على حدٍّ واحدٍ، فإنَّا رعيتُهُ وعبيدُه، وقد علمنا أنَّه أعلمُ بمصالحنا منَّا، وقد أمَّناه على أنفسنا، وهو تعالى أكرمُ من أن يخونَ عبداً استأمنَهُ على أمرٍ من الأمور، أو يغفلَ عبداً فوّضَ أمرَه إليه، ومن أمعنَ النَّظرَ وجدَ المنعَ عطاءً، فإنَّه تعالى ما يَمنعُ سائلاً قطُّ بُخلاً، تعالى اللهُ عن ذلك، وإنَّما يَمنعُهُ تأديباً ليعرّفه قدرَ النِّعمة، حتَّى يصيرَ يتلقَّاها بالتعظيم، أو لِيَدَّخِر له بالآخرةَ ما هو أعظمَ من ذلك، هكذا ينبغي أن يُعاملَ العبدُ كلَّ من علم بمصالحه من نفسه.

وتأمّل ولدَك لَمَّا يظهرُ لك كمالُ رشدِه، وأنَّه أعرفُ بأحوالِ الدنيا منك، كيف تُعطيه مفاتيحَ حواصلك، وأنت منشرحٌ لذلك، ولمَّا لم يظهرْ لك أنَّه أعرفُ منك، كيف لا تُمكّنُه من مفتاح مالك قطُّ، ولا تركنُ إليه، وظَنُّ هذا في الجنابِ الإلهي كفرٌ بالله العظيم، نسأل الله العافية.

واعلم يا أخي **أنَّه تعالى كلَّما منعَكَ ما طلبته، كلَّما رسَّخَك في مقامِ العبودية** الذي لا أكملَ في الدَّرجات منه، وكلَّما أعطاك النِّعمَ كلَّما تزلزلتَ إلى مُزاحمة صفاتِ ربوبيته؛ لأنَّك لا تَشكرُ على النِّعمِ، ولا تفرحُ بها إلا إن شهدتها لك، وكفى بذلك جهلاً، فمنعُكَ إيَّاها لأجلِ عدم شهودِكَ هذا المشهد، أرجحُ من شهودِها لك مع الشُّكرِ، فافهم واللهُ أعلم.

(١٤٢) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتمنّى قطُّ على الحقِّ أن يُعطينا ما فضَّلَ به بعضَنا على بعض، من علمٍ، أو حالٍ، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾ الآية [النساء: ٣٢] وربَّما أعطانا الحقُّ ذلك الحالَ عند عدمِ احتياجنا إليه، وسلبَهُ منَّا عند احتياجنا إليه لموضعِ اختيارنا، ولو أنَّ الحقَّ تعالى كان أعطانا ذلك ابتداءً من غيرِ سؤالٍ لم يسلبْه منَّا أبداً، واللهُ غنيٌّ حميد.

---

(١) ذكر الهاتف مع شرحه في كتابه «الجواهر والدرر» صفحة ١٠٠.

(١٤٣) أُخذَ علينا العهودُ أن ننظر إلى كلِّ شيءٍ في الوجودِ بعين التعظيم والاعتبار، وقد كنتُ جالساً مرّةً مع سيدي أفضلِ الدين رحمه الله، فجاء كلبٌ فشربَ من خرَّارة شراب، فخرّ مَغشياً عليه، فلمَّا أفاق قال: سُبحانك، تُبتُ إليك. فقلتُ له: ماذا رأيتَ؟ فقال: أرسلَ الحقُّ تعالى هذا الكلبَ ليريني رضاه عن ربِّه، وأنَّه أكثرُ منّي رضاً عنه، فإنَّ نفسي لا تطيبُ أن تشربَ من هذه الخرّارة، فكأنَّ الحقَّ تعالى يقول لي: انظر إلى رضا هذا الكلب عنّي، وطيبِ نفسه، وأنت تزعمُ أنَّك أكثرُ رضًا عنّي منه وأشرف، فذلك الذي غشي عليَّ منه، ثم أسرَّ إليَّ وقال: وذلك من سر القدر، رحمه الله.

فعَلِمَ أنَّ **بابَ التفاضلِ في الوجودِ عارضٌ** من حيث مَراتب الخلقِ في الشهود، وكلُّها شعائرُ الله ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، فنسبةُ الناموسةِ إلى حضرةِ الاسمِ الخالق، كنسبة العرشِ العظيم إليه على حدٍّ سواء.

وتأمّل يا أخي بعينِ البصيرة تجدِ الحقَّ تعالى مع كلِّ شيءٍ، وصانعَ كلِّ شيءٍ، فكيف تحقر خلقه، وتعيبُ صنعتَهُ بنفسك من غير تبعيَّة للشارع؟

وحاصلُ الأمر أنَّه لا ينبغي أن يغيبَ عنك شهودُ التعظيم لخلقِ الله تعالى بالبصر والبصيرة، حتى لا تقولَ قطُّ في حالِ غيظك من إنسان: أنتَ عندي أقلُّ من كلبٍ، أو فردةِ نعلٍ، على سبيل الإزدراءِ بالطبع لا بالشرع، واللهُ حكيمٌ عليم.

(١٤٤) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نغترَّ بملاطفات الحقِّ تعالى لنا، وقبول شفاعاتنا عند خلقه، وأعطائه تعالى لنا كلَّ ما سألناه فيه؛ لأنَّه تعالى لا يدخلُ تحت التحجير، وله الإطلاقُ، وكثيراً ما يُقرِّبُ العبدَ إلى أقصى الغايات، ثم في لمحِ البصر يَطردُهُ إلى حضرة الشياطين، نسأل الله العافية.

وكان سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه يقول: إذا أراد الحقُّ تعالى أن يُلاطفَ عبدَه، فتح قبالة قلبِه بابَ الرَّحمة والمنَّة والإنعام، فيرى قلبُه إذ ذاك ما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ من مطالعة الغيوب، والتقريب، والكلامِ اللطيف، والوعدِ الجميل، والدَّلال، والإجابةِ لكلِّ ما سأل، وتصديقِ الوعد، والوفاءِ به، وكلماتِ حكمةٍ ترمى إلى قلبه، وغير ذلك من النِّعم الجِسام، ثم أقلُّ من

لمحِ البصر يُوقعه في الاغترار، فإذا اغترَّ فتحَ عليه أنواعَ البلايا والمحن في النفس، والمال، والولد، والأصحاب، ويُزيلُ عنه جميعَ ما كان فيه من النِّعمِ، فيصيرُ العبدُ مُتحيِّراً مُنكسراً، إن نظرَ إلى ظاهرِه، رأى ما يسوؤه، وإن نظرَ إلى باطنِه رأى ما يُحزنُه، وإن سألَ اللهَ، كشفَ ما به من الضرِّ، لم يرجُ إجابةً، وإن طلبَ الرجوعَ إلى الخلق، لم يجدْ إلى ذلك سبيلاً، وإن عملَ بالرُّخصِ دون العزائمِ، تسارعتْ إليه العقوبات، وإن طلبَ الإقالَةَ لم يُقَلْ، وإن طلبَ أن يَسمعَ في حقِّه كلمةً طيبةً من الناس، لم يَسمعْها؛ وإنَّما يسمعُ منهم لعنه، وتبرُّءَهم منه، وإن رامَ الرضا عن الله عزَّ وجلَّ، والتنعّم بما به من البلاء، لم يُعطَ، فإذا ذابت نفسُه، وفنيتْ أوصافُ بشريَّته، سمعَ النِّداءَ من قلبه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص: ٤٢] وردَّ الحقُّ عليه جميعَ الخلع التي سُلبت منه وأَزيد، كما قال تعالى في حقِّ أيوبَ عليه السلام: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٤٣].

وإن امتحنَ اللهُ العبدَ ولم يثبِّته، ذهبَ به إلى الهاوية، فما لذلك الطلوع إلاَّ النزول، فالعارفُ من لا يركنُ قطُّ إلى شيءٍ من أحواله، والسلام.

(١٤٥) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نَنْظُرَ لنا خُلقاً محموداً إلاَّ على وجه الشكر لله تعالى**، أو ليُقتدى بنا في ذلك، فإن لم يكن مشهدُنا ذلك، أخفينا جميعَ أخلاقنا المحمودة، ونوينا بذلك وجهَ الله، وسترنا مع عبادِ الله الذين كنسوا بأرواحهم المزابل، ولم يتصدَّروا قطُّ في المحافل غيرةً منَّا على الحقِّ أنْ نُزاحمَهُ في صفاتِ الحمد في هذه الدار، وهذا أَعلى وأرقى ممن لا يتقيَّدُ بإظهارٍ ولا إخفاء، فافهم.

ومن كلام سيِّدي أبي الحسنِ الشاذلي رحمه الله: إذا أرادَ اللهُ بعبده خيراً، سترَ عنه كمالاتِ نفسه، وجعلَهُ عبداً مملوكاً، لا ربوبيةَ فيه تظهر، فإنَّ كلَّ شيء ألفتْهُ النفسُ من العلومِ والمعارف، فعلى العبد أن يرمِي به، وإن كان كشفاً وحالاً، وما يضرُّ ذا العبد إذا رضيه الحقُّ تعالى عبداً ولا علمَ ولا عمل. انتهى.

(١٤٦) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتكلَّمَ قطُّ بما كُشف لنا وقوعُه في هذا الوجود** من أمرِ الولاة، والرعية، والغلاء، والفناء، ونحو ذلك، إلا إن كان مطمحُ نظرنا اللوحَ

المحفوظ، فإن كان مشهدُنا ألواحَ المحوِ والإثبات، أو مناماً رأيناه، فالأدبُ كتماننا ذلك حتّى يظهرَ في الكون للعوام والخواص، صيانةً للخرقة التي انتسبنا إليها، والحقُّ تعالى كلَّ يومٍ هو في شأن في تغييرٍ، وتبديلٍ يحولُ بين المرءِ وقلبه، فربَّما غيَّرَ ما أخبرنا به الناسَ، وعزلَنا عن شهودِ ما وقعَ بعده، وعن ما تخيّلنا ثباتَه، فيسيءُ الناسُ ظنَّهم بأمثالنا، ونخجلُ عند من كنّا أخبرناه بوقوع أمرٍ.

فالواجبُ على من لم يكنِ استشهدَ اللوحَ المحفوظ أن يحفظَ ما كُشفَ له عن الإذاعةِ، ولا يتكلَّمَ به مع أحدٍ، فإن كان الثبات والبقاء، حَمِدَ الله وشكرَه على السترةِ بين الناس حين وقعَ ما أخبر به، وإنْ كان غيرَ ذلك، كان فيه زيادةُ علمٍ، ومعرفةٍ، ونورٍ، وتيقّظٍ، وتأديب.

وكان مطمحُ نظرِ سيدي عليٍّ الخوّاص رضي الله عنه إلى اللَّوحِ المحفوظ، فكان إذا أخبرَ بوقوعِ أمرٍ لا بدَّ من وقوعه على تلك الهيئة التي أخبرَ بها، ولو طال الزمان.

وكان سيِّدي الشيخُ أبو الحمائل السَّروي[1] رحمه الله مشهدُهُ ألواحُ المحو والإثبات، فما كان يقعُ ما يُخبرُ به النَّاسَ إلا قليلاً، ولو كان النَّاسُ الذين لا يعرفون أحوالَ الفقراء من الفقهاءِ وغيرهم، يُنكرون عليه ذلك، ويعتقدون أنَّه يُخبرُ عن زُورٍ، والحالُ أنَّه كان يُخبرُهم كما يُشاهدُ ذلك الوقت في ألواح المحو والإثبات، ولو أنَّهم سألوه عند تَغيُّرِ الحكم لأخبرَهم بزواله، فهو صادقٌ في الحالين، لكنَّهم لم يَسألوه، فمسكوا عليه القولَ الأول فقط.

واعلم أنَّ الحقَّ تعالى ربَّما مشّى للعبد ما أَخْبَرَ به إذا كان ممّن انتسبَ إليه، ولو بالدعوى، حتى لا يخذلَه بين عباده؛ لأنَّ من شأنه تعالى الكرمَ والسترَ.

وقد وقعَ لسيدي عبد الرزَّاق التُّرابي[2] أنَّ شخصاً شكا له من خايَرْبَك ملكِ

---

(١) محمد السروي، أبو الحمائل (وقيل ابن أبي الحمائل) عارف كامل زاهد واصل، كان عالي الهمَّة، طويت له الأرض، وكان يكثر الطيران، لقن الذكر الشعراني وهو طفل، توفي سنة ٩٣٢هـ، ودفن بزاويته بين السورين. الكواكب الدرية ٤٤٣/٣.

(٢) عبد الرزاق التُّرابي عظيم العبادة والتقشف، اعتقده الناس، له نظم رائق، وصنف رسائل في طريق القوم، مات سنة نيف وثلاثين وتسع مئة، وقبره في الجيزة يزار. طبقات الشعراني ١٤٧/٢.

الأُمراء بمصر[1]، فقال: اصبر، فهذا قربُ أجله. فخرجَ الرَّجلُ، فأخبر الناس، فوصلَ الخبرُ إلى مَلكِ الأُمراء، فأرسلَ خلفَ الشيخ، وقال للوالي: اكبس عليه، وأتيني به. فقال الشيخ: سمعاً وطاعةً. ثم واعدَهمُ الشيخُ على أنَّه يَسبقهم [إلى] جامع القلعة، فسبقهم، فما وصلَ حتَّى طُعن خايَرْبَك بجمرةٍ، فالتهوا عن الشيخ ونسوه، فما نزلَ ذلك اليوم حتى خَرجوا بخايَرْبَك على النَّعش، فسترَ اللهُ الخرقةَ، ولكنَّ وقوعَ الانتصارِ للخرقة نادرٌ في هذا الزمان، فإيَّاك ثم إيَّاك.

ومن دُعائي كثيراً إذا خرجتُ في شفاعةٍ عند أحدٍ من الأكابر: اللَّهُمَّ، إن أردتَ أن تُكبّرني بين عبادك، فمشّي لي ما أقول، وما أَشفعُ فيه، وإلاّ فأَطْفِئ اسمي من الوجود، وذلك من بابِ التفويض حتى لا يكونَ لنا شهوةٌ في مقامٍ بأنفسنا، واللهُ أعلم.

(١٤٧) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُمكّنَ أصحابنا قطُّ من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين ابن العربي؛ لأنَّ ذلك يُوقفهم عمَّا هم مُخلوقون له من الآداب الشرعية، ولا يَقدرون على التصريح بها، فيعتقدون ذلك، فيَخسرون في الدارين.

ورأيت بخطِّ الشيخِ محيي الدين على كتابه «نسب الخرق»[2] ما نصُّه: نحن قومٌ يَحرمُ النَّظرُ في كتبنا لمن لم يبلغ ما بلغنا، وأنشدَ:

تركنا البِحارَ الزَّاخراتِ وراءَنا   فمِنْ أَين يَدري النَّاسُ أينَ توجَّهنا

فافهم، فالأدبُ من كلِّ متصوفٍ في هذا الزمان، أن لا يُمكّنُ أحداً من إخوانه من مُطالعة غيرِ الكتاب والسُّـنَّةِ الواردةِ صريحاً عن رسولِ الله ﷺ، فإنَّها هي السيفُ القاطعُ بحدِّه كلَّ ضلالٍ، وصاحبُها على شرعٍ معصوم، وهذا كان السببَ

---

(١) هو خير بك بن مال باي الجركسي آخر كفّال حلب في دولة المماليك تآمر مع السلطان سليم على قانصوه غوري في معركة مرج دابق، أكرمه السلطان سليم فجعله كافل مصر بعد فتحه لها. در الحبب ٦٠٣.

(٢) نسب الخرقة وله عناوين أخرى: رسالة الخرقة، رسالة في سلسلة الخرقة، رسالة في خرقة المشايخ. وهي رسالة يذكر فيها ابن عربي نسبه الرومي واتصاله بطريق التصوف، وله بهذا أربع سلاسل لتسلمه الخرقة بدءاً من شيوخه، وانتهاءً بالنبي ﷺ. وانظر نسخها المخطوطة في كتاب مؤلفات ابن عربي صفحة ٦٠٧.

الدَّاعي لي على تأليف كتابنا المسمى بـ«كشف الغُمَّة عن جميع الأمّة»[1] وهو كتابٌ نفيسٌ، مُرتَّبٌ على أبوابِ الفقه، لخَّصتُ فيه الكُتب السنية وغيرها من سائر المسانيد التي تيسَّرت لي في بلاد مصرَ المحروسة، فعليك يا أخي بمطالعة مثله؛ فإنَّه وحيٌ من الله، إنْ نظرتَ فيه أثابَكَ الله، وإنْ كتبتَه أثابَكَ الله، وإن سمعتَه أثابَكَ الله، بخلاف كتب غلاة الصوفية.

وقد جاءني شخصٌ ممَّن يُكثرُ مُطالعةَ الشيخ محيي الدين، فقال لي: إنَّ العبدَ يبلغُ بالتصفية أن يلتحقَ بالحقِّ ويُساويه في الرُّتبة، فرجعته عن ذلك. فقال لي: أنت مَحجوبٌ. فهجرتُهُ، فجاءني بعد مدَّةٍ فقال: أُريدُ قراءة أبي شجاعٍ في الفقه[2]. فقلتُ: فلِمَ لم تقرأ على شيخِك؟ فقال: قلتُ ذلك له، فقال: أنا ما اشتغلتُ شيئاً في علم الفقه.

فغايةُ ما يصلُ إليه هؤلاء القوم من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين وغيرِه شقشقةَ لسانٍ بأمورٍ لا ميزان لها في الشريعة الظاهرة، ولا كلَّفَ اللهُ تعالى أحداً من الخلق بمعرفتها، ولا تعرَّضَ لها رسولٌ، ولا أحدٌ من الصحابة والتَّابعين، وإنِ ادّعى هؤلاء أن هذا من العلم اللَّدُنّي، قلنا لهم: من شرطِ العلم اللَّدُنّي أن يُوافقَ الشريعة، كما هو علمُ الخضر عليه السلام، فإنَّ موسى عليه السلام ما أنكرَ عليه قتلَ الغلامِ وغيره إلاَّ ظاهراً، وإلاَّ فهو يعلمُ أنَّ اللهَ تعالى ما يقدّر على عبدٍ بالقتلِ إلاَّ وقد استحقَّ ذلك، وإذا كنَّا نحن نعرفُ ذلك، فكيف يجهلُهُ نبيٌّ مُرسلٌ من أكابر أولي العزم؟! مع أنَّ إنكارَ موسى على الخضر كان في الأحكامِ لا في العقائد.

والكلامُ في ذات الله عزَّ وجلَّ، بخلافِ هؤلاء القوم، وتأمّل قولَه تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] قال موسى في جوابه: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ

---

(١) ولم يعزو فيه مؤلفه الأحاديث إلى مخرجها، ولا يذكر فيه إلاّ محل الاستدلال. بيّضه في رجب سنة ٩٣٦هـ. كشف الظنون ٢/١٤٩٢.

وللكتاب أكثر من طبعة أحدها طبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٠-١٩٥١.

(٢) مختصر أبي شجاع في فروع الشافعية، مشهور من أبسط كتب الفقه، يدرس للأطفال، وله عدة شروح، ألفه أحمد بن أحمد الأصبهاني العباداني البصري المتوفى سنة ٥٠٠هـ. انظر طبقات السبكي ١٥/٦.

﴿وَالأَرْضِ﴾ [الشعراء: ٢٤] وعدلَ عن الكلامِ في الماهية.

فعلم أنَّ الطعنَ إنَّما هو على هؤلاء العوام الذين يُطالعون كلامَ الأشياخ، ويفهمونَه على غيرِ وجهِه، **لا على الأشياخ**، ومن ادّعى من المتصوفةِ أنَّه يفهمُ كلامَ الأكابر المرموزة، قرأنا عليه كتاب «الإسرا»[1] للشيخ محيي الدين، أو كتاب «المشاهد»[2] فإن عرفَ يَمشي فيه خطوة، سلّمنا له دعواه، واللهُ واسعٌ عليم.

(١٤٨) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نقرَّ أحداً من إخواننا على الإنكار على طريق أحد من الفقراء، أو الفقهاء؛ لأنَّ الإنكار فرعٌ من النفاق، فلا يجوزُ الإنكار على أحدٍ من الفريقين.

أَمَّا الفقراءُ فإنَّ كلَّ شيخٍ جعل لأصحابه سياجاً خاصاً، يمشون فيه لضيقهم، ولو اتَّسعوا لكان سياجُهم هو بحر الشريعة الحاوي على كلِّ خليج، فكانوا يُقرُّون كلَّ طريقٍ وقولٍ في العالم المحمدي.

وأَمَّا الفقهاء فإنَّ طريقَهم هي أساسُ طريقِ القوم التي يترقّون منها إلى مَراتبِ الرجال، ولو أنَّ الفقهاءَ سلَّموا للأشياخ كما يُسلّم لهم الفقراء، لترقَّوا إلى مراتب الرجال، وكانوا هم المسلِّكين في طريق الله، ولكنَّهم اقتصروا على ظواهرِ النقول، ولم تنفذ بصيرتهم إلى أسرارِها، وآدابِها، وزاجرِها، فنقصوا عن درجة القوم، فاعلم ذلك.

---

(١) وهو كتاب: الإسرا إلى المقام الأسرى ويسمى اختصار ترتيب الرحلة إلى المحل الأدنى، وترتيب الرحلة، والرحلة، وكتاب المعراج، والأسرار واختصار ترتيب الرحلة من العالم الكوني إلى الموقف الأعلى. صنفه ابن عربي سنة ٥٩٤هـ. والكتاب يتناول المقامات الروحية لابن عربي، ويصفها بما يشبه المعراج السماوي. انظر نسخه الخطية في مؤلفات ابن عربي صفحة ١٧٩.

قال حاجي خليفة في كشف الظنون ١/٨٢: قصد ابن عربي اختصار ترتيب الرحلة من العالم الكوني إلى الموقف الآني، وتبيين انكشاف اللباب بتجريد الأثواب لأولي الأبصار والألباب، ومعراج الأرواح إلى مقام ما لا يقال ولا يمكن ظهوره بالعلم إلاّ بالحال.

(٢) مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الإلهية. وهي أربعة عشر مشهداً، صنفه ابن عربي سنة ٥٩٠ بعد زيارته لتونس تلبيةً لرغبة تلاميذ الشيخ عبد العزيز المهدوي. والكتاب نسخه الخطية الحدسية الحاصلة في صورة من صور المشاهدة. انظر نسخه الخطية وشروحات الكتاب في مؤلفات ابن عربي صفحة ٥٥٧.

(١٤٩) أُخذَ علينا العهودُ أن لا يمضي يوم وليلة حتى نذكر الله عزَّ وجلَّ باسم الجلالة الشريفة أربعاً وعشرين ألف مرّة على عددِ الأنفاس التي تكونُ في اليومِ والليلة، نوماً ويقظةً، ونذكرها في مجلسٍ واحد، أو مجالس على نيّة أنَّ الله تعالى يبسطُها لنا على جميعِ الأنفاس التي تمرُّ في النوم، والغفلة، والنسيان.

وإنَّما ذكرناها كذلك لأنَّ ملاحظةَ كلِّ نَفَسٍ يعسر على أمثالنا في هذا الزمان المبارك، وإذا فعلنا ذلك فنرجو من الله تعالى أن يُلحقنا بمن لم يغفلْ عنه نَفَساً واحداً في ليلٍ أو نهار من الأولياء المُكمَّلين، فإنَّنا قد أهديناها له تعالى جملةً أو جملاً.

ويقعُ لي أني أذكرَ اسمَ الجلالة أربعاً وعشرين ألف مرّة في نحو خمسة وأربعين درجة[١]، بأنفاسٍ مُتواليةٍ من غيرِ تخلل لفظ آخر، أو سكوت، فمن شاء فليعدَّها على سُبحة، أو حصىً، ومن شاء فليقلب المنْكاب[٢]، ويشتغل بالاسم العظيم حتى تمضي خمسةٌ وأربعون درجة، وهذه طريقةٌ ما رأيتُها لأحد غير سيدي عليٍّ الخوَّاص رحمه الله.

واعلمْ أنَّ **أقلَّ مراتبِ الرجل في النومِ واليقظةِ، أن يكونَ كالدِّيك**، أو أمِّ قُويق[٣] في مُراعاتهما ساعات الليل والنهار، كيف يليقُ بصاحبِ البيت أن يكونَ نائماً كالجيفة، والدِّيكُ مستيقظاً، أو أمُّ قويق، أو النَّاموسة، فتأمّل. فإن من نزلَ عن درجة الدِّيك، أو أمِّ قويق، أو الناموسة، فلا يُسمّى رجلاً إلا باللحية، فاعلم ذلك، واللهُ غنيٌّ حميد.

(١٥٠) أُخذَ علينا العهودُ أن نكفَّ بصرنا وبصيرتنا عن أن تطمح إلى النظر إلى عورةِ أحد من خلق الله تعالى، ولو من طريقِ الكشف، سواءٌ أكانت العورةُ ظاهرةً أم باطنة، ويُسمّى ذلك الكشفُ الشيطاني، إذ حضرةُ كشف السموات والأرض، في حضرة الشيطان، فلا نقع في كشفهما إلاّ ونحن من الشياطين، فافهم.

فإنّي سمعتُ كثيراً من الفقراءِ يَمدحون الأشياخَ الذين يطَّلعونَ على زلاَّت مريدِهم، وربَّما وضعَ بعضُ هؤلاء الأشياخ يدَه على فرجِ المرأة التي يُريدُ مريدُه يزني بها، وذلك من أقصى طبقاتِ سُوءِ الأدب عند كُمَّلِ العارفين؛ لأنَّه تبين بمنعه له عن الزِّنا لم يُكتب

(١) الدرجة كما مرّ أربع دقائق، فذكر اسم الجلالة (٢٤٠٠٠) مرة يستغرق ثلاث ساعات.

(٢) المنكاب: الساعة الرملية. معجم تيمور ٥/٤٠٦.

(٣) أم قويق: البومة. معجم تيمور ٥/١٨٤.

عليه، فما بقي هناك فائدةٌ إلاَّ هتك سَوءة مُريده، وذلك يُرجّحُ أَلمَه على ثواب منعه بدعواه، فافهم.

ولو كان كَشْفُ هذا الشيخ غيرَ شيطاني، لعرفَ كون الزنا مقدراً، أو غير مقدر، فإنَّ المقدَّرَ لا يفيدُ مدُّ اليد لمنعه، وغيرُ المقدَّرِ لا يَحتاجُ إلى السَّعي في ردِّه عن المُريد.

ثم إذا حقَّقَ الشيخُ نظرَه، وجدَ تلك السَّوءةَ التي كُشفت له قد تجلَّت فيه قبلَ المنظور، فإنَّ المؤمنَ مرآةُ المؤمن، ولا ينظرُ الإنسانُ في المرآةِ إلا صورةَ نفسه، لا صورةَ المرآة.

وتأمّل من عندَهُ شبقٌ، ومحبَّةٌ في الجِماع حتَّى لا يملُّ منه إذا رأى رجلاً خارجاً من عند امرأة أجنبية لا محرم لها هناك، كيف يخطرُ في باله أنَّه ربَّما زنى بها قياساً على نفسه هو لو دخلَ عليها.

وتأمّل من خُلِقَ عنّيناً، ولم يذقْ قطُّ لذّةَ الجماع، إذا رأى رجلاً خارجاً من عند أجنبية، لا يخطرُ في باله قطُّ أنَّه زنى بها؛ لعدمِ الميل إلى الجِماعِ في باطنه، فإنَّه ما هناك شيءٌ في باطنه يقيسُ عليه، إلا أنَّ ذلكَ الرَّجلَ لم يزنِ بها.

وسمعتُ سيدي عليَّ الخوَّاص يقول: لا يكملُ الفقيرُ حتَّى يصيرَ لا يرى في أحد عورةً قطُّ، ومادام يرى في النَّاسَ عورةً، فهو مُحتاجٌ إلى من يُكلّمه، ويُؤدبُهُ حتَّى يوصلَه إلى التأهُّلِ لحضراتِ الملائكة والأنبياء والأولياء؛ لأنَّها هكذا حضراتُهم وصفاتُهم، ولا يَصلُ الفقيرُ إلى حضرةٍ لا يرى فيها عورةً إلاَّ بعد تطهيرِ باطنه من سائرِ النقائص، وحينئذٍ يحكم للناسِ بعدم العيب؛ لأنَّ ذلك صورةُ باطنه.

ومن أخلاق رسولِ الله ﷺ أنَّه كان لا تَخطرُ الفاحشةُ قطُّ على خاطره، وكان عيسى عليه السَّلام إذا رأى بعينِه من أحدٍ شيئاً، ثم قال له: يا روحَ الله، ما هو أنا. يُكذّبُ حسَّه، ويُصدِّقُهُ(١). فاعلمَ ذلك.

(١٥١) **أخِذَ علينا العهودُ أن لا نكثرَ من مُجالسة الأكابر** أمراءَ كانوا، أو علماء،

---

(١) روى البخاري في صحيحه (٣٢٦٠) وابن حبان (٤٣٣٦) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «رأى عيسى بن مريم رجلاً يسرق، فقال له: أسرقت؟ قال: كلا والله الذي لا إله إلاّ هو. فقال عيسى: آمنت بالله، وكذبت عيني».

أو أولياء، فإنَّ ذلك يرفعُ الحياءَ والتعظيمَ المطلوبَ منَّا لهم، وكذلك لا نؤاكلَهم على سماطٍ، إلا أن يكونَ السِّماطُ عامًّا للناس.

ومن وصية سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه: إيَّاكم ومجالسةَ المجاذيب، وأربابَ الأحوال؛ فإنَّهم يَمقتون في أوقات على أقلِّ القليل، فربَّما مَقتوا من جالسهم، وهو مُتلطِّخٌ بحبِّ امرأةٍ في الحرام، واطَّلعوا، فوجدوا في قلبه خاطراً لمعصيةٍ من المعاصي القبيحة، فيمقتوه، فيخسر الدارين.

ومن وصية أخي أفضلِ الدين رحمه الله: إيَّاكم وكثرةَ مخالطةِ العلماء العاملين بعلمهم؛ فإنَّكم لا تُطيقون القيامَ بحقوقهم التي يطلبها مقامُهم منكم؛ من خدمةٍ، وقيامٍ، وتقبيل الأيدي والأرجل، وأن تكونوا تحت حكمهم، لا تَخرجوا عن ذلك في ساعةٍ من الأوقات. فقلتُ له: إنَّ العلماءَ العاملين لا يطلبون شيئاً من ذلك؛ لأنَّ علمَهم يمنعهم. فقال: مرادي بالعاملين الذين يَرونَ نفوسَهم عاملين بعلمهم دون أقرانهم، لا الذين كنسوا بأرواحهم المزابلَ، ورأوا أنهم من جملة الفاسقين، الذين استحقُّوا الخسفَ بهم، ولو أنَّ هؤلاء عملوا بعلمهم لرؤوا نفوسهم كما قلنا. فأطلعني على أمرٍ كنتُ عنه غافلاً.

ومن وصية سيدي عليٍّ الخوَّاص: إيَّاكم ومصاحبةَ الأمراء؛ لأنَّ عطبَهم أكثرُ من سلامتهم، وقلوبَهم غيرُ مملوكة، لا سيّما إن كانوا مُغرمين بشرب الخمر، ومحبَّةِ الفسق، والزِّنا، واللوط، ونحو ذلك، فإنَّ الإنسانَ منَّا مأمورٌ بتعظيم الأكابر من الأمراء، والاطِّلاعُ على عيوبهم يُورثُ عندنا إزدراءً لهم، فبعدنا عنهم أولى، والسلام.

(١٥٢) أخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكّنَ تلامذتنا أن يعتقدوا فينا أنَّنا أعرفُ أهل زماننا بالطَريق، فإنَّ ذلك من سُوء الأدب منّا مع إخواننا، ومع أكابرِ الأولياء الذين لا يجيءُ الواحدُ منَّا تحت إبطِ واحدٍ منهم، ومع وقوعنا أيضاً ووقوع إخواننا في الزُّورِ والبهتان، ويكفي إخوانَنا أن يعتقدوا فينا أنَّنا أَعرفُ منهم بطريق أهل الله تعالى في سائر ما يترقَّون إليه من الأدب، وهذا القدر يكفينا في مطلوبية شهودنا أنَّنا مشايخُ عليهم.

وفي قصَّة موسى والخضر كفايةٌ لكلِّ مُعتبرٍ، فإنَّ الخضرَ قد كان أعدَّ لموسى

عليهما الصلاة والسلام ألفَ مَسألةٍ، ما كان عند موسى علمٌ بمسألةٍ واحدةٍ منها؛ لأنَّها من علومِ الوجهِ الخاص.

فلا ينبغي لفقيرٍ قَطُّ أن يدَّعي أنَّه أعلمُ من أحدٍ من عامَّة المسلمين، وذلك لأنَّ عندَ عوامِ المُسلمين بل عند الحيوانات من العلمِ ما ليس عند خواصهم.

وقد وقع للشيخ محيي الدين ابن عربي[1] رضي الله عنه، أنَّه ركبَ البحر، فهاجتِ الريح، فقال: اسكن يا بُحير، فإنَّ عليك بحراً من العلم. فسكنَ البحرُ لقوله، ثم إنه طلعت له هايشة، وقالت: يا محيي الدين، أسألك عن مسألة، فإن أجبتَ عنها كنتَ عالماً، وإن لم تُجب عنها فأنت جاهل. فقال لها: ما هي؟ فقالت: إذا مسخَ اللهُ زوجَ المرأةِ ماذا تعتدُّ؟ هل تعتدُّ عدَّةَ الأحياء، أم عدَّةَ الأموات؟ فما درى الشيخ محيي الدين ما يقول. فقالت له الهايشة: تعملني شيخةً لك، وأنا أقول لك عليها؟ فقال: نعم. فقالت: إن مُسِخَ حيواناً اعتدَّت عدّةَ الأحياء، وإن مُسِخَ جماداً اعتدَّت عدّةَ الأموات. فمن ذلك اليوم ما سُمِعَ من الشيخ محيي الدين رائحةَ دعوى العلمِ حتى مات.

ووقع للحسن البصري أنَّه قال يوماً وخمسُ مئة محبرة تكتبُ عنه العلم: لا تَسألوني في هذا المجلسِ عن علمٍ من العلوم إلاَّ أخبرتُكم به، فقال له شخصٌ دون البلوغ: يا سيِّدي، الناموسة لها مصران والاَّ كرش؟ فما درى الحسنُ ما يقول، فحُمِلَ مَغشياً عليه، وماتَ بعد ثلاثة أيامٍ، فاعلم ذلك.

(١٥٣) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نكره أحداً من المسلمين لحظِّ نفسٍ، ولو فعلَ معنا ما فعلَ من الأذى، والتَّنقيص، وتمزيقِ العرض، وسعيه على إخراجنا من بيوتنا، وخلاوينا، وأوطاننا، إكراماً لمن هم عبيده تَبارك وتعالى، ولمن هم من أمَّته ﷺ. وفي المثل السائر: لِعَيْنٍ تُجازى ألف عين وتكرم[2].

وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه يُنشدُ[3]:

---

(١) لم أجد الخبر في الفتوحات المكية، ولا في فصوص الحكم.

(٢) وفي المثل العامي الدمشقي: كرمال عين تكرم مرج عيون. يعني من أجل عين تكرم مرجاً من العيون.

(٣) ديوانه صفحة ٣٨.

من نالَ منّي أو عَلِقتْ بذمّته   أبـــرأتُهُ لله شـــاكرَ منَّـــتهْ
أأرى مُعوِّقَ مؤمنٍ يومَ الجزا   أو أنْ أَســـوءَ مُحمَّداً في أُمَّتَهْ

هذا العهدُ علينا في حقِّ الأجانب من الأُمّة، فكيف بأولاده ﷺ وذريّته، وأولاد أنصاره وأصحابه؟! وكيف حالُ من يُؤذي الشُّرفاء، ويشتكيهم من بيوت الحكام؟! ما ذلك والله إلاَّ من علامات الشَّقاء، نسألُ اللهَ العافيةَ، فإنَّ من كرهَ شريفاً فكأنَّه كره عضواً من رسولِ الله ﷺ من غير تعيينٍ، فينسحبُ الأمرُ على بغضِ ذاته الشَّريف كلّها.

واعلم يا أخي، **أنّه لا يتمُّ لمحبِّ الدُّنيا عدمُ كراهةِ أحدٍ من الناس أبداً**، لأنَّه لا بدَّ له من أحدٍ يُزاحِمُهُ في أمرٍ من الأمور، حتّى يُزاحمه في مرتبة التسليك، وتلقينِ الذكر على مُصطلح أهل هذا الزمان في مُسلّكيهم، ووعّاظهم، فإذا برزَ مسلِّكٌ، أو واعظٌ على أحدِهم تكدَّرَ منه، ثم لا يقدرُ أحدٌ على وقوعِ الصَّفاء بينهما أبداً، وإن شككتَ في قولي فجرّبْ، فإذا كان الوعظُ في هذا الزمان قد صارَ إلى هذا الحال، فكيف حالُنا نحن؟ نسألُ الله اللطف، وما هكذا كان الأشياخُ رضي الله عنهم أجمعين.

وقد قال رسول الله ﷺ: «ازهدْ فيما في أيدي الناس يحبَّك النَّاس»[1] فأعداءُ الناسِ على حسب محبَّته في الدُّنيا، كثرةً وقلّةً، فإذا كملَ زهدُه لم يبقَ له عدوٌّ من أبناء الدُّنيا، إلا أن يكون مُجرماً، وأمَّا جميعُ النَّاس غيرُ المجرمين فيحبُّونه أشدَّ المحبَّة، فاعلم ذلك.

وخرج بقولنا (**لحظّ النفس**) أولَ العهد كراهتُنا لأحدٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ ذلك من كمالِ الإيمان، كبُغضنا للعصاة والفاسقين، ومَن جعله اللهُ تعالى أذًى على وجه الأرض، قليلَ الحياءِ من حيث تلك المعصية، لا من حيثُ أمرٍ آخر، ومحكُّ ذلك أن لا نزدادَ غضباً على ذلك العاصي وبغضاً إذا آذانا، فإذا كان يشربُ الخمرَ مثلاً، أو يزني، أو يظلمُ الناسَ، فننظرُ بغضَنَا له حينئذ، ونعرفُ ميزانه، فإذا آذانا، ونقص من مقامنا نظره، فإذا زادتْ بغضتُنا له عمَّا كانت قبل إيذائه لنا، فبغضُنا لغيرِ الله، وإن لم تزد بغضتُنا؛ بل الأمرُ على حاله، فبغضُنا لله، وهذه ميزانٌ تطيشُ على الذَّرِّ، ولا يزنُ بها إلا كُمَّلُ العارفين.

---

(١) انظر تخريجه في العهد (٢).

ثم إذا بغضتَ **يا أخي لله فلا تُبْغِضْ إلاَّ الصِّفات** لا الذَّوات، لأنَّ الذَّاتَ واحدةٌ من حيث إنها مُلك لله، وخلقه بيده.

وتأمّل قوله ﷺ في الثوم: «إنها شجرةٌ أكرَهُ ريحَها»[1]، وما قال (أكرهها)، فعلم أن بغضنا لإبليسَ وأتباعه من الكفارِ والعصاة، وعداوتُنا لهم إنَّما هي بعدٌ عن صفاهم، حتى لا نتبعَهُم في الضلال لا غير، ومحكُّ ذلك أن لا نصيرَ نتكدَّر عند رؤية ذاته، كما يفعلُ ذلك من يكرهُ النَّاسَ بحكم الطبع، لا بحكم الشرع، وربَّما رآه وهو يُصلّي، أو يتلو القرآن، فيتكدَّرُ منه، وذلك الوقت ليس لبغضِ الصفات محلٌّ؛ لأنَّها طاعةٌ لله عزَّ وجلَّ، فافهم ذلك، والله أعلم.

(١٥٤) أخذَ علينا العهودُ أن نجيب عن إخواننا في غيبتهم، ونحمل أحوالهم على أكمل الأحوال، ولو لم يكن من مَرتبتهم الوصولُ إلى ذلك المشهد الذي حملنا حالَهم عليه، ولا نُمكّنُ أحداً من الطَّعنِ فيهم، ما وجدنا لأفعالِهم محملاً، فإذا سمعنا أحداً يقول عن شخصٍ من العلماء أو الفقراء: فلانٌ كبيرُ النفس؛ ومن علامة ذلك أنّه لا يُجيبُ قطُّ أحداً إلى المشي في زفّة، أو حضورِ ختمٍ للدُّروس، أولا يزورُ أحداً، ونحو ذلك. نقول: إنَّما يمتنعُ من فعلِ ذلك إزراءً بنفسِه، أو لشدَّة حيائه من حضورِ المحافل التي تَجتمعُ فيها وجوهُ النَّاس، فربَّما خافَ أن تَبدوَ له عورةٌ في ذلك المجلس، وكشفُ العورةِ حرامٌ، والواجبُ لا يُجوِّزُ لنا كشفَ العورةِ بقرينةِ إسقاطِ وجوبِ الحضور إلى وليمةِ العرس، إذا كان هناك مُنكَرٌ لا يقدرُ على إزالته، إذا حضرَ.

وقد وقعَ لشخصٍ يدرسُ في جامعِ الأزهر أنَّ بعضَ من يَعتقدُه قال فيه: إنَّه أعلمُ من الإمام الشافعي. فعرضوا ذلك عليه، فقال: نعم، الشافعيُّ نقطةٌ من بحرِ علمي. فالتقطَ هذه الكلمةَ بعضُ الأعداء، وأشاعها في مصر، فلمَّا وصلتْ إليّ أجبتُ عنه، وحملتُ قولَه على أنّه شهدَ الوجودَ كلَّهُ من جملةِ نِعَمِ الله عليه من الملائكة، والأنبياء،

---

(١) روى مسلم في صحيحه (٥٦٥) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنهم أكلوا الثوم بعد فتح خيبر، فقال رسول الله ﷺ: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة شيئاً فلا يقربنّا في المسجد». فقال الناس: حرّمت حرّمت. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «أيها الناس، ليس بي تحريم ما أحلّ الله لي، ولكنها شجرة أكره ريحها».

والصحابة، والتابعين، وكُمَّلِ العارفين، والعلماء العاملين، والملوك، والأمراء، وجميع المسلمين، والمؤمنين؛ لارتباط نظام الوجود بعضه ببعضٍ، فلا يصحُّ وجودُ نعمةٍ إلا بمساعدةِ جميعِ الوجودِ ومعاونته، فانظرْ إلى الإمامِ الشافعي، وقابلْهُ بجميع الوجودِ ممّن ذكرنا، ومَنْ لم نذكر، تجدْه نقطةً من بحر نعمه تعالى على هذا المدَّعي، ونقطةً من بحرِ علمه الذي اطَّلع عليه في سائرِ الأدوار من الصحابة، والتابعين، ومَنْ بعدهم إلى وقتِه الذي قال ذلك فيه؛ لأنَّ أقوالَهم أكثرُ من مئة ألف مُجلّد، وأقوالُ الشافعي التي استنبطها أكثرُ ما تكون مجلداً، وبقيَّةُ كلامِهِ من حديث رسول الله ﷺ، والشافعيُّ لم يختصَّ بذلك، ونحن في علمه سواء. فاعلم ذلك، واعمل عليه، والله يتولّى هُداك.

(١٥٥) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نُسيءَ الظنَّ بأحدٍ من المسلمين**، بل يجبُ تحسينُ الظنِّ فيهم ما أَمكن على قدرِ ما فينا من الصِّفات المحمودة.

واعلم يا أخي أنَّ الحقَّ تعالى لا يَسألُ عبداً في الآخرةِ قطُّ لِمَ حسَّنتَ ظنَّك بعبادي؟ وإنَّما يَسألُهُ عن سُوءِ ظنّه بهم، ولا تَصلُ يا أخي إلى مقامِ حُسْنِ الظنِّ بجميع الناس إلا إن طَهُرَ باطنُك من جميع النقائص، وما دام هناك نقيصةٌ فسُوء الظنِّ من لازمِكَ؛ لأنَّك لا تقيسُ الناسَ كلَّهم إلاَّ على نفسك.

وفي الحديث: «المؤمن مرآةُ المؤمن»[1]، فاعلم ذلك؛ فإنَّه نفيس.

ثم لا يَخفى **أنَّ من سُوءِ الظنِّ قولَكَ**: لولا أنّي أخافُ أنَّ فلاناً يُسيءُ الظنَّ بي إذا فعلتُ كذا لفعلته. فإنَّك أسأتَ الظنَّ به، وجعلتَه من الذين يَسيئون الظنَّ بالناس.

وكذلك **من سُوءِ الظنِّ حملُكَ لمن لا يَزورك**، ولا يتردَّدُ إليك أنَّه إنَّما فعلَ ذلك تكبُّراً عليك، بل الواجبُ أن نحملَه على أنَّه قصدَ بذلك عدمَ حصولِ المنَّة عليك في مشيه، وإنْ وجدتَ في قلبك خلافَ ذلك.

واعلم أنَّ عتبَكَ عليه إنَّما هو لرؤية نفسك عليه، فأنتَ أَوْلى بالذَّمِّ، ومَنْ أنت حتى يزورك الناس؟! فلو كنتَ ترى نفسَك دون أخيك، لفرحتَ بعدمِ مشيه إليك؛ لأنَّه عتقَكَ من المنَّة، وسدَّ عليك بابَ المكافأة، فإنَّ مشيَ النَّاسِ إليك مرّة، لا يُكافئُها مشيُكَ لهم ألفَ مرّة.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٨) في الأدب، باب في النصيحة، وإسناده حسن.

وكذلك **من سُوءِ الظنِّ حملُكَ على من نقصك** في مجلسٍ، أنَّه قصدَ بذلك تنقيصَك بين الناس، وإنَّما كان الواجبُ عليك أن تحملَه على أنَّه قصدَ بذلك سترَتَكَ في هذا الزمان، وعدم نظر الناس إلى صلاحك، وكمالك، أو سدَّ بابَ العُجب والزهو عنك؛ لأنَّ العبدَ ربَّما استحسنَ حاله إذا شكَرَهُ الناس، فيهلك.

وكان هذا التنقيصُ من دأبِ أخي أفضلِ الدين رحمه الله، وكان كثيراً ما ينقّص إخوانَه خوفاً عليهم من الإعجاب بأحوالهم، والأعمال بالنيات.

وكذلك **من سُوءِ الظنِّ تصديقُكَ لمن قال لك**: فلانٌ اغتابك. وإنَّما الواجبُ عليك أن تقول للناقل: تكذبُ، وأنا أُجلُّ مثلَه أن يستغيبَ مثلي، أو يقعَ في غيبةٍ مطلقاً، لا سيما إن كان الرجلُ مشهوراً بالصلاح.

وكذلك **من سوءِ الظنِّ أيضاً قولك**: لولا أنِّي أخافُ أن تكبر نفس فلانٍ، إذا تواضعتُ له، لتواضعت له. وذلك من تلبيسات النفوس، فأعطِ أخاك حقَّه من التَّواضع له، وخفضِ الجناح، وخلِّصْ نفسَك، فإذا خلصتْ خذْ بيدِ أخيك، واسألِ الله له بظهرِ الغيب أن لا يحرِّكَ الكِبْرَ في نفسه؛ بسبب تَواضع الناس له، بل لو تأمّلتَ لوجدتَ قولَكَ هذا في غايةِ الكِبْر؛ لأنَّك أَثبتَّ لنفسك مقاماً أعلى من مقامِ أخيك، ثم تنزَّلتْ له منه، ولولا شهودُكَ ذلك ما صحَّ لك لفظ التواضع والتنازل، هذا تواضعُ المؤمنين، وأمَّا تواضعُ العارفين فلا كِبْرَ فيه؛ لأنَّهم لا يَشهدون لهم مَقاماً على أحد من المسلمين، حتّى يتنزَّلوا منه، ثم إذا رأَوا نفوسَهم دون رتبِ الخلق أجمعين، لا يَشهدون ذلك مقاماً أعلى من المتكبّرين، فافهم. وكذلك

(١٥٦) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نستكبرَ على من استكبرَ علينا، ولا نتمشيخَ على من تَمشيخَ علينا، لا سيما الفقراء الذين طَعنوا في السنِّ، وصحبوا الأشياخ كثيراً، ولم يشمُّوا من طريق القوم شيئاً، فإنَّ التواضعَ لهم حتَّى نَصطادهم من أوجبِ الأمور، وكذلك حُكمُ الفقهاءِ المُجادلين يجبُ التواضع لهم، والتَّكبيرِ لهم في المَجالس، والتَّواضعُ لهم حتّى يصحّ اصطيادهم بعد ذلك، فإنَّ علمَهم موضوعٌ في نفوسهم لا في قلوبهم، والنَّفس محلُّ الظُّلمةِ والتلبيس، فلو لم نتواضعْ للمُجادل لفرَّ من مجالستنا وفاتنا، وهو الخير.

فيجبُ علينا أن نتلطَّفَ في تربية كلِّ من رأينا عنده نَفَساً، ولا ندعْهُ يُلْحِقُ بنا قطُّ أننا نطلبُ المشيخةَ عليه، فربَّما قامت نفسُه، فصارتْ كالتُّرسِ بيننا وبينه.

وكان هذا دأبُ أخي أفضلِ الدين، كان يُربّي كلَّ من رأى عنده نَفَساً بتعليمه الآداب في صورةِ الاستفهامِ منه، ثم يعطفُ عليه بالجوابِ؛ كأنَّه يعرضُهُ عليه، هل يرضاه أم لا؟ فيظنُّ الحاضرون أنَّه يتعلَّمُ من ذلك الشخص، والحالُ أنَّ ذلك الشخص هو الذي يتعلَّمُ منه، فكان يُفيدُ النَّاسَ الأحكام، ويرشدُهم إلى الصوابِ من حيث لا يشعرون أنَّه يُعلّمهم.

وهو دأبي بحمدِ الله تعالى الآن مع الفُقهاء والفقراء الذين جلسوا في الزوايا لإرشادِ المُريدين، فأُطلعُ الواحدَ منهم على علومٍ لم تكنْ عنده بحضرة تلامذته، وأنا بين يديه أَسألُهُ، فلا يشعرُ هو ولا هم، فلا نزالُ نسارقهم شيئاً فشيئاً كلَّما زرناهم، رجاءَ أن يَفيضَ اللهُ تعالى لنا عند قيامِ نفوسنا من يربِّينا كذلك إذ غالبُ النفوس الأبية لا تنكبس[1] أن تتعلَّمَ من أمثالي، ولا أن يُشاعَ عنها ذلك، واللهُ في عونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عونِ أخيه.

وكان سيِّدي أحمدُ ابنُ الرفاعي رحمه الله يقول: من تمشيخَ عليكم، فتتلمَذوا له، فإنْ مدَّ لكم يدَه لتقبِّلوها، فقبِّلوا رجله. ثم قال: يا أولادي، انظروا إلى النَّخلةِ لما قامتْ بصدرها، وأشرفت على الجيران، جعل الله تعالى ثقلَ حملها عليها، ولو حملتْ مهما حملتْ لا يُساعدُها أحدٌ، وانظروا إلى شجرةِ اليقطين، لمَّا مدَّتْ خدَّها على الأرض، وتواضعتْ، جعلَ اللهُ حملَها على غيرِها، ولو حملتْ مهما حملتْ، لا تحسُّ بثقله، فاعتبروا. وكانت هذه الوصيةُ في مرضِ موته، ففارقهم عليها رضي الله عنه، فاعلم ذلك.

(١٥٧) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نرى نفوسنا أحقَّ بما عندنا من المالِ والثياب، وجميع الأمتعة من أحدٍ من إخواننا** الذين هم أحوجُ إلى ذلك منَّا، بل أقلُّ المراتبِ أن يرى الحقَّ في ذلك مشتركاً بيننا وبينهم على حدٍّ سواء، عملاً بقوله ﷺ: «لا يؤمنُ أحدُكم - يعني الإيمان الكامل - حتَّى يُحبَّ لأخيه - المسلم -، ما يُحبُّ

(١) لا ترضى، وتتأبّى.

لنفسه»[1]

وإنّما لم نُؤثر أصحابَنَا على أنفسنا بل أشركنا إخوانَنَا معنا، عملاً بقوله ﷺ: «ابدأ بنفسك»[2].

وكيلا نقعَ في ظلمِ النَّفسِ أيضاً، فإنَّ الإبداء إنَّما شُرعَ للعبدِ مادام قد وقيَ شحَّ نفسه، فإذا لم يُوقَ شُحَّها، فالبداءةُ بنفسِه أولى، وقد وقينا ذلك بحمدِ الله مع إيثارِ العبدِ على نفسه، لم يُمكنه الدوام عليه.

ومن كلام سيدي أحمد ابن الرفاعي: لا تصحبْ من يؤثرك على نفسه؛ فإنَّه لا يدوم. فاعلم ذلك؛ فإنَّه نفيس.

(١٥٨) أُخذَ علينا العهودُ أن نخلصَ الصُّحبةَ لله عزَّ وجلَّ في حقِّ كلِّ من صحبناه، فإنَّ الصحبةَ لغيرِ الله لا تدوم، ومن العللِ صحبتُنا لإنسانٍ بقصدِ حصول انتفاعه بعلمنا؛ بل نقصدُ وجهَ اللهِ بالصُّحبة، ونجعلُ غيرَ ذلك بحكمِ التبع لا بالقصد الأول، مع أنَّ في قصدِنا أيضاً انتفاعَ صاحبنا رائحة الدعوى المقامِ عليه في الصورة، وإن كنَّا نرى نفوسنا دونه في نفس الأمر، فاعلم ذلك.

(١٥٩) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نزهد في الدُّنيا لنعيم التَّرْك، وخلقِ اليد، وراحة القلب كما يفعلُ العبّادُ الذين لم يَسْلكوا طريقَ القومِ، فنخرجُ من لذَّةٍ إلى ألذّ منها أو مثلها، كحمارِ الرَّحى، فإنَّه لولا اللذّةُ التي يَجدُها الزاهدُ حين يخرجُ من حبِّ الدُّنيا ما خرجَ منها، فكأنَّ هذا الزاهدَ مابرحَ عن حظِّ نفسِه وحجابه عن ربِّه، وإنَّما يكون زهدُنا كزهد العارفين، فنعلّقُ القلبَ بمحبَّةِ ربِّنا وحده، ونمسكُ الدنيا بحذافيرها بعد ذلك، ونتصرَّفُ في كلِّ شيءٍ منها فيما خُلِقَ له من المنافع، وذلك لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد امتنَّ علينا بأنَّه سخّر لنا ما في السمواتِ وما في الأرضِ، ولولا حاجتُنا إلى كلِّ شيءٍ فيهما ما صحَّ وجهُ الامتنان، فافهم ذلك، واعمل عليه تكنْ من الراسخين

---

(١) رواه البخاري ١/٥٣، ومسلم (٤٥)، والترمذي (٢٥٧١)، وابن ماجه (٦٦).

(٢) روى مسلم (٩٩٧) عن جابر بن عبد الله قال: قال النبي ﷺ: «ابدأ بنفسك فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإن فضل عن أهلك شيء فلذي قرابتك،....».

في العلم، ودعْ عنك من يقولُ بذمِّ الدنيا على الإطلاق، فإنَّه جاهلٌ بما قلنا، فإنَّ الذمَّ ما دخل إلا من النيّة، فلو نوى العبدُ بإمساك الدنيا خيراً كانت محمودةً، لكن لابدَّ من خروج محبَّتِها من قلبه قبل ذلك، حتى يخرجَ عن محبَّةِ حُكم الطبعِ، الذي فتح عينيه عليه في الدنيا، كما سيأتي إيضاحه إن شاء الله تعالى في هذا الكتاب[1].

واعلم يا أخي، أنَّ بيتَ الفتنة أربعةُ أمورٍ: النساء، والجاه، والمال، والولد. والكاملُ الذي لا يَهربُ منها، ولا من شيءٍ، بل يُحبُّ ذلك بتحبيب الله عزَّ وجلَّ، ويقلب حكمَ محبَّة الطبع لله.

١- **فأمَّا محبَّةُ النساء** فطريقك يا أخي أن تُحبَّهنَّ بتحبيب الله؛ لكونهنَّ بعضك، فإنَّهنَّ خُلِقنَ منك، فإذا أحببتهنَّ فكأنَّك ما أَحببتَ إلاَّ نفسك، ويُؤيِّدُ ذلك حديثُ «ابدأ بنفسك»[2] لا سيَّما والنساء محلُّ الانفعال والتكوين، والتوالد، وما ظهرَ ملكُ الحقِّ تعالى، وظهرتْ أحكامُه إلاّ بذلك، فمن أحبَّ النساء هكذا فقد أحبَّهنَّ لله لا لنفسه، وكانت محبَّته لهنَّ نعمةً من الله عليه لا نقمة؛ لأنَّهنَّ رددنَهُ إلى الله تعالى، وإلى محبَّتِه، فإنَّ حبَّهُ لهنَّ قد رجعَ إلى الله؛ لكونهنَّ مَظهراً لظُهورِ كمالِ الحقِّ تعالى في الوجود لا لغيره، وإلى ذلك الإشارةُ بحديث «حبِّبَ إليَّ من دُنياكُمُ النساء»[3]، وتُسمىّ هذه المحبَّةَ المطلقة.

ولنا محبَّةٌ أخرى مقيَّدةٌ، وهي محمودةٌ أيضاً مثلُ محبَّةِ رسول الله ﷺ لعائشة، أو لأبي بكر رضي الله عنه، وإنَّما كانت مقيدةً؛ لأنَّها إنَّما حصلتْ من أَجْلِ المناسبةِ الروحانية بين الشخصين في أصل النشأةِ، والمِزاج الطبيعي، والنظر الروحي، ولذلك كانت لا تزول، ولا تتغيَّرُ دُنيا ولا أخرى.

٢- **وأمَّا محبَّةُ الجاه** الذي هو الرِّياسة على بني الجنس، فلا تزول من بني أدم؛ لأنَّها في أصل النَّشأةِ والجبِلّة، كالشُّحِّ، والبخلِ، والجُبن، ونحو ذلك، وإنَّما الكاملُ من الرجالَ يقلِبُها بالنيَّةِ الصالحة، فيحبُّ الرياسة لله عزَّ وجلَّ من حيث أنَّها من

---

(١) لم يوضح الشعراني رحمه الله هذا، وانظر العهد الأول

(٢) تقدم في العهد (١٥٧).

(٣) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨٧/٧، ورواه النسائي ٦١/٧ بلفظ: «حبب إلي: الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة».

صفات الحقِّ تعالى لا غير، إذ هو الحقيق بالرياسة على جميع العالم.

وأمَّا قولُ من قال: آخرُ ما يخرج من رؤوس الصدّيقين حبُّ الدُّنيا[1]. فليس المرادُ به ما يَتبادرُ إلى الأذهان من أنَّها تخرجُ بالكلّية، إنَّما المرادُ أنَّهم يخرجونَ عن حبِّ إضافتها إلى أنفسهم، ويحبُّونها من حيث كونها لله، وسببُ تأخُّرِ خروجها من رؤوس الصديقين عن سائرِ الصِّفات المذمومة التي تخرجُ، كونُ النُّفوسِ كثيرةَ التعشُّقِ إليها، فإنَّ الحقَّ تعالى إذ أعتنى بعبد، لم يزلْ يُخرجُ من نفسه الصِّفات المذمومة التي يدَّعيها لنفسه شيئاً فشيئاً إلى أن يصيرَ يرى نفسَه ليست له فضلاً عن غيرها، فإذا انتهى ذلك الخروج، وعلمَ من نفسه عند ذلك ما لم يكن يعلمُهُ قبل من الدَّعوى لأوصافِ الحقِّ تعالى أحبَّ الرِّياسةَ حينئذ؛ لكونها من أوصاف ربِّه، لا فخراً وتكبراً على الخلق، فافهم.

٣- **أمَّا محبَّةُ المال** فإنَّ العارفَ كذلك يقلبها لله عزَّ وجلَّ، فيحبُّ المالَ بتحبيب الله ذلك له، مشاهدةً لا بحكم الطبع وشحِّ النفس، وذلك أنَّ العارفين لَمَّا رأوا المال يُمَالُ إليه بالطبع - ولذلك سُمّي مالاً - فهموا أنَّ الله تعالى ما جعله في الأرض إلاَّ ابتلاءً لهم، فلمَّا رأَوه بهذه الصفة، طلبوا وجهاً إلهيًّا يحبُّون المالَ به، لكون مرتبتهم تعطي أنَّهم لا يُحبُّون قطُّ شيئاً إلاَّ إنَّ جمعهم على الحقِّ تعالى، ولا بُدَّ لهم من حبِّ المال كما قلنا في الرِّياسة، من حيث أنَّ ذلك مَرْكُوزٌ في أصل الجبلّة، فنظروا في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ [الحديد: ١٨] فما رأَوه تعالى ذكر إلاَّ أصحاب الجدّة[2] والمالَ، فأحبُّوا المال محبَّةً ثانيةً حتَّى يكونُوا من أهلِ هذا الخطاب فقط، فيتلذّذوا بسماعه حيث كانوا، ونظروا أيضاً في نحو قوله: «إنَّ الصدقة تقع بيد الرحمن»[3] الذي هو كنايةٌ عن شدَّة القرب منه، فأحبُّوا ذلك المال حتى يتصدَّقوا أو يتشرَّفوا بمُناولتهم للحقِّ تعالى بعين الإيمان، فحصل لهم بذلك شرفُ توجّه الخطاب إليهم من الله بقوله: ﴿أَقْرَضوا﴾ وشرفُ مناولة الحقِّ تعالى منهم، فكانت لهم وصلةُ الخطاب والمناولة، وهذا الشرفُ ليس يحصل لأحدٍ من الفقراء؛ لأنَّهم ولو كانوا

---

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين ٣/٢٧٥ من غير عزو. وفي (ب): حب الرئاسة.

(٢) الجد: الحظ والغنى. وفي (ج): أصحاب الجنّة.

(٣) رواه ابن كثير في التفسير ٣/٢٥٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٣/١١١، وقال: رواه الطبراني في الكبير.

يتناولون من الحقِّ تعالى ما أخذه من المتصدّق؛ لكن ذلك ليس فيه شرف، لكون الفقير في ذلك آخذاً لا معطياً، وفي ذلك الذُّلُّ لا العزُّ، فتأمّل.

فلأجل ما قدَّرناه بادرَ كُمَّلُ العارفين إلى تحصيل الدُّنيا بقصدِ الإنفاق في وجوه الخير، حتَّى يَودَّ أحدُهم أن لا ينفكَّ عن الصدقة على الفقير ليلاً ولا نهاراً، فافهم ذلك.

٤- **وأمَّا محبَّةُ الولد** التي هي من أكبرِ أركان الفتنة، فيقلبها العارفُ كذلك بالنيَّة المحمودة؛ وذلك لأنَّ الولدَ سرُّ أبيه، وألصقُ الأشياء به، والعارفُ من مرتبته إيثارُ جنابِ الحقِّ تعالى على جانب طبعه وهواه، فهو يحبُّ ولده بتحبيب الله تعالى؛ لكونه خُلِقَ منه كالنِّساءِ سواء، فما أحبَّ حينئذ إلاَّ نفسَه، وقد جعلَ اللهُ الولدَ من أعظم ما يَمتحنُ تعالى به عباده، لينظرَ هل تحجبُ الوالدَ المحبَّةُ لولده عن إقامة الحدود التي قدَّرها الحقُّ تعالى على ولده من غير رأفة عليه أم لا؟

ثم من أعظمِ الامتحان جعلُ الحقِّ تعالى الولدَ في صورةِ خارجة عن الأبِ كالأجنبي عنه، وما هو أجنبي. كما أشارَ إلى هذا الامتحانِ رسولُ الله ﷺ بقوله: «وايمُ اللهِ، لو أنَّ فاطمةَ بنتَ محمد سرقتْ لقطعتُ يدها»[1].

وجلدَ عمرُ رضيَ الله عنه ابناً له حتَّى مات[2].

---

(١) أخرجه البخاري ١٢/٧٦ في الحدود، باب إقامة الحدود، ومسلم (١٦٨٨) في الحدود، باب قطع السارق.

(٢) قال ابن الجوزي في كتابه تاريخ عمر بن الخطاب صفحة ٢٦٧: عن عبد الله بن عمر قال: شرب عبد الرحمن بن عمر، وشرب معه أبو سروعة بن الحارث ونحن بمصر في خلافة عمر بن الخطاب، فسكرا، فلمّا صَحَوا انطلقا إلى عمرو بن العاص وهو أمير مصر، فقالا: طهرنا؛ فإنّا قد سكرنا من شراب شربناه... ثم جلدهم عمرو بن العاص، فسمع عمر بن الخطاب، فكتب إلى عمرو: أن ابعث إليّ بعبد الرحمن بن عمر على قَتَب. ففعل ذلك عمرو، فلمّا قدم عبد الرحمن على عمر جلده وعاقبه من أجل مكانه منه، ثم أرسله، فلبث شهراً صحيحاً ثم أصابه قدرُه، فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر، ولم يمت من جلده.

قال ابن الجوزي: ولا ينبغي أن يُظنَّ بعبد الرحمن بن عمر أنه شرب الخمر، وإنّما شرب النبيذ متأوّلاً، وظنّ أنّ ما شرب منه لا يُسكر، وكذلك أبو سروعة، وأبو سروعة من أهل بدر، فلمّا خرج بهما الأمر إلى السكر، طلبا التطهير بالحد، وقد كان يكفيهما مجرد الندم على التفريط، غير أنهما غضبا لله سبحانه على أنفسهما المفرطة، فأسلماها إلى إقامة الحد. وأما كون عمر أعاد الضرب على ولده فليس ذلك حداً، وإنما ضربه غضباً وتأديباً، وإلاّ فالحد لا يُكرر.

وجادَ ماعِزٌ والمرأةُ بإتلاف نفوسهما[1] حين وقعا في الزنا، إيثاراً لجنابِ الحقِّ تعالى على جناهما، ولكنَّ الجودَ بإقامة الحدِّ على الولدِ أعظمُ في البلاء، كما لا يخفى لكونه ثمرةَ الفؤاد، وأين ذلك ممن خُلِقَ من الضلع، أو من شيءٍ خارج؟!

فقد علمتَ من هذا التقرير أنَّ كلَّ من راعى هذه الفتن الأربع، ووزنها بهذه الميزان فلا خوفٌ عليه من الدخول في الدُّنيا، ولو ملكها بأسرها؛ لأنَّه قَلَبَ الفتنةَ والمحنةَ إلى النعمة، وردَّ الأمورَ لأهلها، وأحبَّها لأجلِ ربِّه لا لأجلِ هواه، وهو مشهدٌ نفيسٌ.

فإيَّاك يا أخي أن تظنَّ بأحدٍ من الأولياء الذين دخلوا في الدُّنيا وخزنوها عندهم، أنَّ ذلك محبَّةٌ في ذاتها قياساً عليك، فإنَّ ذلك سُوءُ أدبٍ في حقِّهم، ولو قُدِّرَ أنَّهم بخلوا عن سائلٍ، فليس ذلك محبَّةً في المال، وإنَّما هو لكشفِهم أنَّ ذلك الذي طلبَهُ السائلُ ليس برزق له، فاعلم ذلك.

(١٦٠) أُخِذَ علينا العهودُ أن نُنبِّهَ إخواننا من الفقراء، والعيال، والأولاد، على إحضار قلوبهم مع الله عزَّ وجلَّ عند كلِّ طعامٍ وشراب؛ لأنَّهم حقيقةً على مائدةِ الحقِّ تعالى، وهو ينظرُ إليهم، وإلى قناعةِ أنفسهم، أو شراهتها، ونحذِّرهم من الأكلِ وهم غافلون بالقلوب كالبهائم السارحة، ونأمرُ النَّقيبَ أن يُنبِّه الفقراءَ على ذلك، ونأمرُ أمَّ الأولاد أن تُنبِّه الأولادَ والخدمَ على ذلك، كلَّما مُدَّ السماط، حتى يكونَ ذلك عادةً لهم، والنَّاس على دين مَليكهم.

ونحذِّرُ إخوانَنا حَفَظَةَ القرآنِ وغيرَهم أن لا يفتحوا عليهم قطُّ بابَ الإجابة إلى بيوت الناس ليقرؤوا القرآن عندهم، ويُطعموهم الطعام الذي طبخوه لعزاء، أو نذرٍ، أو غير ذلك، بل نأمرُهم أن يقولوا لكلِّ من طلبهم إلى بيتِه لذلك: إنْ كنتَ خرجتَ عنه لنا، فاحمله إلى عندنا لنأكلَه، وإن كنتَ ما خرجتَ لنا عنه إلا بشرطِ رواحنا إلى بيتك، واستعمالنا في قراءةٍ وذكرٍ؛ فالنَّاسُ سوانا كثير، ويُقبِّلونَ يدَك على ذلك.

---

(١) رجم رسول الله ﷺ ماعز بن مالك، والمرأة الغامدية بعد أن قرَّا بالزنا، في حادثتين مختلفتين أخرجه مسلم (١٦٩٥) في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا. وأبو داود (٤٤٣٣).

(١٦١) أخذَ علينا العهودُ أن لا نقربَ من الأمراء، وأكابر الدولة إلا لضرورة ترجح على البعد منهم، فإنَّهم لا يُحبّون فقيراً قطُّ إلا لمصلحة نفوسهم الدنيوية، ولا يُطعمونه لقمةً إلاَّ وتحتها ألفُ بليةٍ، وأقلُّ ما هناك أنَّهم يُكلِّفوا الفقيرَ بتخضُّعِهم له، وذلِّهم بين يديه، أن يردَّ عنهم المقدراتِ الإلهية إذا نزلَتْ من السماء، مع اعوجاجهم وظلمهم ليلاً ونهاراً، أو يقولون: يا سيدي الشيخ، الحملةُ عليك. فينتحي لذلك، ويعارضُ الأقدار، فترجعُ عليه عقوبةً له.

وأمَّا إذا عُزلوا من ولايتهم، وعليهم أموالٌ للسُّلطان، فهي الدَّاهيةُ العظيمة على الجيران والمعارفِ، لا سيّما إن هربوا، فإنَّهم يَسحبون الفقيرَ، ويقولون له: أين فلان؟ وأنت تعرفُ طريقه؛ لأنَّك شيخه؟ وأين ودائعُهُ التي أودَعها عندك؟ ويُبهدلونه غاية البهدلة، كلُّ ذلك في قبول هديته، والأكلِ من سماطه، فلا يجيءُ عطر ذلك الأمير فُساه عليك، وعلى أهل بيتِكَ وجيرانك، وقد جرَّبنا ذلك، ولكنَّ الله سترَ من فضله، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

(١٦٢) أُخِذَ علينا العهودُ أن نقوم لحملة القرآن والعلم، ونأمرَ أصحابَنا بذلك إذا وردوا عليهم، ولو كرهَ العلماءُ من الفقراء ذلك، فعلينا التعظيم، وعليهم الكراهة لحديث: «من أحبَّ أن يَمْثُلَ له الناسُ قياماً فليتبّوأ مقعدَه من النار»[(١)].

ونحذِّرُ إخواننا من أن يقولوا: الفقهاءُ مَحجوبون. ونعلِّمُهم أنَّ نفس شهودِهم أنَّ الفقهاءَ محجوبون، من جملة حجابهم هم، إذ ما من طريقٍ إلاَّ وهي مُتصلَّةٌ بحضرةِ الحقِّ تعالى، وسيأتي بسطُ ذلك في مواضع إن شاء الله تعالى[(٢)]، والله أعلم.

(١٦٣) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نحتقرَ شيئاً من الفتن، ولا نأمن على نفوسنا أن تقع في كلِّ معصيةٍ على وجه الأرض، فمن احتقرَ شيئاً من ذلك، أو أمِنَ على نفسه فهو من الجاهلين.

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٩) والترمذي (٢٧٥٦).

يمثل: مثل الناس للأمير قياماً: إذا قاموا بين يديه، وعلى جانبيه وهو جالس. نهى عنه لأن الباعث عليه الكبر، وإذلال الناس.

(٢) لم يبسط الإمام الشعراني رحمه الله القول، و لم يذكره.

وكذلك لا نستحقرَ كيدَ إبليس، ونقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً﴾ [النساء: ٧٦] ونحن بحمد الله أقوى منه. فإنّ ذلك تهوُّرٌ، فإنَّه عمل على أَبينا آدم، وغيره من الأكابر، فما سمِّي كيدَه ضعيفاً، إلاّ إذا قاومَ الأمر الإلهي، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ [يوسف: ٢١] فكيف على إبليس؟.

وقد استعاذَ الأنبياءُ عليهم السلام من إبليسَ مع عصمتهم، واستعاذوا من فتنةِ الدَّجال مع كونهم يعلمون أنّه لا يضرُّ وينفعُ إلاّ الله وحده.

وسمعتُ سيدي عليَّ الخوَّاص يقول: فتنةُ الدّجَّال هي خوفُ تصديقه فيما يدَّعيه من صفات الربوبية إذا أدركوه، وأن لا يسلكوا مسلكَه في دعوى الربوبية في أنفسهم على أحدٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ، وعندي أنَّ أعظمَ فتنةٍ تكون منه تكفينا في شهوده بالجمع بين العيدين، وشهود باطنه عين ظاهره في حال لعننا له، فافهم ذلك، والله أعلم.

(١٦٤) أُخذَ علينا العهودُ أن نساوي بين المسلمين في التوقير والحرمة من حيث الإسلام، فإنّ الإسلام قد ساوى بينهم، إذ هو كالشخص الواحد، والمسلمون كالأعضاء له، ثم بعد شهودنا هذا المشهدِ نُنزِلُ كلَّ إنسانٍ منزلتَه العارضة التي ميّزه الشرعُ بها، ونقدّمُ من إخواننا أهل الشجاعة والمروءة والخدمة لإخوانهم، ولا نُساوي بينهُم وبين أهل الكسل والخمول في البرِّ والإكرام، نعكسُ الحكمة ونظلمها، ونغيِّرُ همَّة الشجاع منهم.

وإذا تشوشَ أحدٌ من الفقراء في تقديم أهل المروءة عليه، أمرناه بالأفعال التي يفعلها ذلك الذي قدّمناه عليه من العجين والخبز والطبيخ، ونحو ذلك، فإن فَعَلَ هذه الأمور ألحقناه بذلك الذي كنا قدمناه عليه، وإن لم يفعلها أخَّرناه.

وأعلّمك يا أخي ميزاناً تعرف به أهلَ الإيمان وتميُّزُهم عن أصحاب النفوس، وهو أنّك إذا رأيتَ من أحدٍ الإقدام على الأهوال والشدائد في دينِ الله عزَّ وجلَّ، وفي غير دين الله على حدٍّ سواء، فذلكَ من قوَّة النفس، لا من قوة الإيمان، وإن رأيتَ منه الإقدامَ على الأهوال في دينِ الله عزَّ وجلَّ وحدَه، إقامةً للدين، وتأديةً لحقِّ الله، فاعلم أنَّه مؤمنٌ صادق، فتأمّل ذلك واعمل عليه، والله يتولى هداك، وهو على كلِّ شيءٍ قدير.

(١٦٥) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكّن أحداً من إخواننا الذين هم تحت العهد والتربية من النظر إلى زينة الدنيا، وأحوال المترفين فيها في ملابسهم، ومراكبهم، ومأكلهم، وبيوقم، ونظامهم، ولو كانوا من أبناء الفقراءِ، وسلالةِ الصالحين، فـ: «إنَّ الدُّنيا حلوةٌ خضرة»(١)، وربَّما ازدرى إخواننا برؤيةِ أبناء الدُّنيا ما هم فيه من النِّعم، فيعرِّضوها للزوال.

وقد ذكرنا في كتاب «وصايا العارفين»: **أنَّ الزينةَ في الدُّنيا على ثلاثة أقسام**: زينةُ الله، وزينةُ الشيطان، وزينةُ الدُّنيا. فزينةُ الله كلُّ محمود، شملته النيَّةُ الصالحة، وزينة الشيطان كلُّ مذموم، لم تشمله نيةٌ صالحة، وزينةُ الدُّنيا ذاتُ وجهين، وجهٌ إلى الإباحة والندب، ووجهٌ إلى الكراهة والتحريم، فأضفْ كلَّ زينة إلى صاحبها ولا تخلط، فإنَّ الزينةَ جاءت مُبهمةً في مواضعَ من القرآن، وفي مواضعَ مُعيَّنةً مُضافةً. قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِه﴾ [فاطر: ٨].

وقال تعالى: ﴿زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨].

وقال: ﴿كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٨] واللهُ تعالى أعلم.

(١٦٦) أُخذَ علينا العهودُ أن نعتذر للمؤمنين إذا وقعنا في شيء يوجب الاعتذار، رفقاً بهم ورحمةً، وأمَّا الاعتذارُ بين العارفين فهو غيرُ لائقٍ بهم؛ لأنَّ أصلَه إنَّما هو سُوءُ الظنِّ، فإنَّ المعتذرَ يظنُّ أولاً بمن يعتذرُ إليه أنَّه أساءَ به الظنّ في ذلك الأمر لا بدَّ له، وإلاَّ فما كان الأمر يحتاجُ إلى اعتذارٍ، فالمعتذرُ يُريدُ باعتذاره جبرَ التي توهَّمَ حصولَه، ويطلبُ به تزكية نفسه، حين توهَّمَ تنقيصَها، ويقعُ بذلك في سوءِ الظنِّ بالناس.

فالعارفون يقبلونَ الاعتذار، ولا يقعُ منهم اعتذارٌ إلاَّ لمن هو في حجابٍ عن مشهدهم، لأنَّ كلَّ عارفٍ يحملُ صاحبَه على أحسنِ المحاملِ، فلا يحتاج إلى اعتذارٍ، فاعلم ذلك.

(١٦٧) أُخذَ علينا العهودُ أن نجهر بأعمالنا الصالحة في كلّ موطن يقتدى بنا فيه، فربَّما تشبَّه أحدٌ بنا، فيحصلُ لنا ثوابُ عمله إن شاء الله تعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٤٢)، والترمذي (٢١٩٢)، وابن ماجه (٤٠٠٠). عن أبي سعيد الخدري.

قال ﷺ: «من دلَّ على خيرٍ، فله مثلُ أجرِ أهله»(١).

وكان الشيخ أبو مدين رضي الله عنه يأمرُ أصحابَه بإظهار العبادات والكرامات، ويقول: اجهروا بالطاعاتِ كما يتجاهرُ غيرُكم بالمعاصي، لتكون تلك بتلك، ويتعادلَ الوجود، لا سيّما في مواضع المعاصي، فإنَّ كثرة الطاعاتِ في حارةٍ أو بلدٍ يدلُّ على أنَّ نار معاصي أهلِها كثيرةٌ حتى احتاجتْ إلى طفيها بهذه الطاعاتِ الكثيرةِ، ولو كان أهلُ تلك البلد أو الحارة على تقوًى من الله، لم يحتاجوا لطفي، فافهم.

فاعمل يا أخي بما ذكرناه من إظهارِ الطاعات بشرطه، ودعْ عنك قولَ من يقول: **إنَّ إخفاء الأعمال الصالحة أولى؛ فإنَّ ذلك مذمومٌ من وجوه منها:**

ما في ذلك من رائحةِ الاعتماد على العمل، ودعوى العبدِ أنَّه الفاعلُ لذلك العمل دون الله، ولولا ذلك ما خافَ على دخول الرياءِ فيه، ولا خافَ من عدم قبوله، ولو أنَّه شهد أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ هو الخالقُ للفعل وحده، وجوارحُ العبد كالبابِ الذي يخرجُ منه، لم يصحَّ له دخولُ الرياء في عمله قطُّ، إذ لا يُرائي أحدٌ قطُّ بفعل غيره، ولا يعجب به، ولا يتكبّر، فانظرْ بركةَ التوحيد.

ومنها: **أنَّه حرَّمَ بإخفائه العملَ بركةَ هدي رسول الله ﷺ**، وبركةَ إظهار إشعار دينه، وفاته أجرُ دلالته على الخير، ولو أنَّه أظهرَ الأعمالَ، لكان متأسّياً بالأنبياء في شفقتهم على أممهم.

واعلم يا أخي، أنَّه لا يتمُّ لك الدلالة على الخير إلاَّ حتى تكون مقداماً للعالمين في ذلك العمل، ولو كنتَ في مرتبة الشهود، فتنزل لصورة الحجاب لأجل المُقتدين بك، فإنَّه أكثرُ نفعاً وأجراً، فإنَّ رسول الله ﷺ لو وقف في رتبتِه التي كان مُتحقّقاً بها، ولم ينزل إلى مرتبتنا ما عقلَ أحدٌ أن يأخذَ عنه ﷺ شيئاً من الأسرار، فاعلم ذلك، والله أعلم.

(١٦٨) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نبدأ أحداً من إخواننا بالصلح، إذا غضب بغير حقٍّ، لئلا تكبرَ نفسه بغير حقٍّ، وتذلَّ نفوسُنا في غير محلٍ، هذا حكمُ أصحابنا، وأمَّا الأجانبُ فنبدؤهم بالصلح دائماً، ونقول ولو كنا مظلومين: نحن ظالمون عليكم. والرجلُ

---

(١) رواه مسلم (١٨٩٣)، وأبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (٢٦٧٣) عن أبي مسعود البدري.

هو الذي يبلغ الناس، لا الذي يبلغونه هو، فافهم.

وهذا العهد أخذَهُ عليَّ والدي سيّدي خضر، الذي كفلني يتيماً رضي الله تعالى عنه، فاعلم ذلك فإنَّه نفيس.

(١٦٩) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نقبل هديةً ولا عطاءً لأنفسنا ممن نعلم بالقرائن، أنَّ تلك الهديةَ، أو ذلك العطاء عظيمٌ عنده**، بحيث يصيرُ كلُّ قليلٍ يتذكَّرُ ذلك العطاء، أو يخطرُ على باله، فإنَّه لولا هو عظيمٌ عنده ما خطرَ له بعد العطاء إلى أن يموت.

وتأمَّلِ الملوكَ، وأكابرَ كرام الدُّنيا كحاتم طيء، ومعنِ بن زائدة، وأبي زيد الهلالي، وغيرهم إذا أعطوا أحداً شيئاً كدينارٍ مثلاً، لا يعودُ يخطرُ قطُّ على بالهم، كما أنَّ من أعطى فقيراً بعرة لا تكادُ تخطرُ له على بالٍ من حيث المنَّة على ذلك الفقير. ولذلك ورد، فإن كان أحدُكم ولا بدّ سائلاً فليسألِ الصالحين، أو ليسألْ ذا سُلطان كلٌّ ذلك لخفة المنّة في عطائهم دون غيرهم، فإنَّ من يخَطرُ له ما أعطاه بعدَ العطاءِ قريبٌ من المنِّ، والمنُّ يُحبطُ الأعمال، ويُبطل الصدقات.

وقد دُعي الجنيدُ[1] إلى طعامٍ عند بعض التجار، فلمَّا مُدَّ السِّماطُ، وقفَ التاجر على رؤوس الفقراء وقال: كلوا بطيبة نفسٍ؛ فإنَّ كلَّ لقمة يأكلُها الفقيرُ عندي تُساوي خمس مئة دينار. فقال الجُنيد للفقراء: أمسكوا؛ فإنَّ صاحبَنا دنيءُ الهمة والمروءة، يُعادلُ لقمةَ الفقراء بشيءٍ من الدُّنيا، ثم خرجَ، ولم يذقْ له طعاماً رضي الله عنه.

(١٧٠) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نقبل من أحد صدقةً لنفرّقها على الفقراء** إلا إن كنّا نعلمُ من أنفسِنا أننا أتمُّ نظراً من العاطي، فإنَّ من لم يُرسِلِ النَّاس بصدقاهم أكثرُ مما يُرسلون ها نفوسهم، فعدمُ قبولها أَولى، ويفرّقُ المتصدِّقُ هو بنفسه إن شاءَ.

---

(١) الجنيد بن محمد البغدادي، أبو القاسم الصوفي، من العلماء بالدين، مولده ومنشؤه ووفاته ببغداد، كان يعمل بالقوارير والخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله؛ الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه، والشعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعاينة، وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد، قال ابن الأثير عنه: إمام الدُّنيا في زمانه، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة، محمي الأساس من شُبه الغلاة، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع توفي سنة ٢٩٧هـ.

وسواء كانت الصدقةُ ناجزةً كالدَّراهم، أو نسيئةً كالمُتخلّصة من ريعِ الوقف، فليس لفقيرٍ أن يتولّى النَّظرَ على وقفٍ إلا أن يكونَ أتمَّ نظراً من الواقف، والله أعلم.

(١٧١) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نقبل من أحدٍ مالاً لنفرِّقَهُ على الفقراء إلاّ إن كنّا نعلمُ أنّه لا يُفرِّقُ قلوبَ إخواننا الفقراء فإن كنَّا نعلمُ أنّه يُفرّقُ قلوبَهم رددناه وجوباً حفظاً لقلوبهم، فإنَّ الله تعالى أمّننا عليهم، ومتى أعطيناهم ما يُفرِّقُ قلوبَهم فقد خناهم، فمن شاءَ فليتكدَّر، ومن شاءَ فليفرح، فإن كان الفقراءُ المذكورون تحت العهدِ والتربية، وتكدَّروا لردّنا المال عليهم، فقد نقضوا عهدَهم معنا، ووجبَ تجديدُ العهد، أو طردهم عن مُجالسة الإخوان؛ لئلا يفسدوا حالَهم، كذلك وسواءٌ في ذلك مالُ الزكاة وغيرها؛ كالوصية والهبة؛ بل ينبغي ردُّ أوساخِ الناس مُطلقاً من حيث الوسخ، فإنَّ من أخذَ من غنيٍّ زكاتَهُ، فكأنَّه أخذَ بوله، وغائطه، وصنانه، وعرقه، ومخاطه، وبصاقه، تلطَّخَ به باطناً وظاهراً، فقذر نفسه، وطهّر الغني، فافهم، وقد أوضحنا ذلك في كتاب «وصايا العارفين» والله غنيٌّ حميد.

فإذا كان هذا حالُ مالِ التجَّار مع حلّ كسبهم في الغالب، فما حالُ مالِ أرباب الدولة، وغلبة الحرام على أموالهم؟ فإنَّ القرائن تعطي أن أحداً منهم لا يكفيه ما عَيّن له في ديوانِ السُّلطانِ نفقةً على نفسه، وعياله، وخدمه، ولو أقلَّ النَّفقات، كالخبز والزيت، فكيف يَفضلُ عنهم شيءٌ مع أكلهم الطّيبات، ولبسهم، وخدمهم المحررات، ونكاحِهم المنعَّمات، وركوبهم الخيول المسوّمات؟ فما بقي إلا أنّهم يقبلون الهدايا من الملتزمين، والفلاحين، والسوقة، والمباشرين، وفي الصحيح: «هدايا العمال غلول»[1].

وكان ﷺ يقول للعامل: «هلاَّ جلستَ في بيتك من غيرِ عمالة، لتنظرَ من يهدي لك»[2] فمن أكلَ من مالِ أرباب الدولة إلاَّ من الفقراء أو العلَماء شيئاً فليستعدَّ لمشاركتهم في جميعِ المصائب التي هم بصددها في الدُّنيا، والبرزخ، والآخرة، فإنَّ كلَّ من أكلَ من الغفارة، فالواجبُ عليه ردُّ الغارة، فافهم.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤٢٤/٥ عن أبي حميد الساعدي، وإسناده ضعيف انظر مجمع الزوائد ٢٠٠/٤.

(٢) لم أجده بلفظه، وروى حديث الغلول أحمد في المسند ٤٢٣/٥، والبخاري (٢٥٩٧)، ومسلم (١٨٣٢)، وأبو داود (٢٩٤٦).

وقد وقع لي وأنا مُقيمٌ في جامع سيدي الشيخ أبي العباس الغمري رضي الله عنه، أنّي فرّقتُ مالاً جاءَ من جهة السلطان ابن عثمان أوائل دخوله مصر المحروسة، فرأيت واقعةً وأنا أُفرّقُ، من جملتها أني رأيت نفسي جالساً على جملٍ ميت في بركةِ فرثٍ ودمٍ وقيح، وأنا أقطعُ منه بيدي، وأُعطي الناس، وأقول لهم: هذا ميتة. فيقولون: ولو كانَ ميتةً، فلمّا سُرّي عني، وجدتُ أكمامي مُتلطّخةً دماً، وفرثاً، وقيحاً، كما رأيتها في الواقعة، وأطلعتُ عليها سيدي الشيخَ أبا الحسن الغَمري شيخ الجامع، فتعجَّبَ غايةَ العجب، حيثُ خرجَ ما كان في الخَيال محسوساً، ثم إنَّ ذلك الأثرَ غسلتُه مراراً، ولم يزل حتى تقطَّعتْ ثيابي، فمن ذلك اليوم عزمتُ أن لا أخذَ للولاة قطُّ مالاً لأُفرّقَهُ على الفقراء، بل نأمرُ من جاءَ به أن يُفرِّقَهُ هو بنفسه إن شاء؛ لأنَّ من تَعبَ في جمعه هو الذي يَنبغي أن يَتْعَبَ في تفرقته، واللهُ عليم حكيم.

(١٧٢) **أُخذَ علينا العهودُ ما دمنا قاصرين عن درجات الرجال أن لا ندخلَ في حملة من ليس عنده فينا كمالُ اعتقاد،** فإنَّ ذلك يُؤدّي إلى القتلِ في الغالب؛ لما فيه من طلبِ معارضةِ وقوعِ الأقدارِ، ومنازعةِ أصحاب النوبة فيما يطلبونَ وقوعه في ذلك الوقت، فإذا مَنَّ اللهُ تعالى علينا ببلوغِ درجاتِ الأكابر حملنا حملةَ كلِّ مُعتقد ومنكرٍ على حدٍّ سواء، وصرفنا طريقتنا في ذلك على أحسنِ وجه إن شاء الله تعالى.

وإنَّما لم ندخل في حملة من ليس عنده كمالُ اعتقاد؛ لأنَّه لا يستحقُّ التحمّل عنه من القاصرين، لشدَّة الحملة عليهم، بخلاف المعتقد فيهم، فافهم، والله أعلم.

(١٧٣) **أُخذَ علينا العهودُ أن نسرَّ بجميع صدقاتنا المندوبة وهدايانا المحبوبة** ما أمكن، ونكرهَ إظهارَ ذلك لنا وللإخواننا ؛ فإنَّ فيه إظهارَ منَّة لنا على الإخوان، ورفعَ درجتنا عند الناس، فلا يفي أجرَ عطايانا بإثم تنكيس رؤوسهم بين الناس، ومحكُّ التحقيق بهذه الدرجة أن يصيرَ العبدُ بحيث لو سأله فقيرٌ لا يعرفه جميعَ ما بيديه من الدُّنيا، أعطاه له، ثم لا يخطرُ في باله أن يحدِّث بذلك أحداً من أصحابه وجيرانه، ومتى نازعته النَّفسُ إلى أعلام أحد من الخلق بذلك الذي أعطاه ستراً ولو تعريضاً فليس هو من أهل التحقق بهذا العهد، لأنَّ المعاملةَ مع الله وهو عالمٌ بما أعطى، فأيُّ فائدةٍ لإعلام الخلقِ لولا الرياء،

وعدم الإخلاص؟ والله أعلم.

(١٧٤) أخذَ علينا العهودُ أن لا نُوسعَ على عيالنا وخدمنا وأنفسنا كلَّ ذلك الوسع، بحيث نخرجُ إلى حدِّ الإسراف، بل نقتصدُ في ذلك.

واعلم أن دوامَ التوسعة على عياله، ونفسه، فقد فتحَ بذلك بابَ ازدراء النِّعمَ، والجهلِ بمقدارها، فإنَّ النعمَ إذا كثرتْ في بيتٍ ازدرى أهلُه النِّعمةَ على طول. وإنَّما يعظِّمونها ويعترفون بها أوائل حصولها بعد الضيقِ فقط، ثم يقعُ التهاونُ بها، وإذاً تهاونوا بها، فقد تعرَّضوا لتحوّلها عنهم، وذلك كالذي يطبخُ كلَّ ليلةٍ اللحمَ الضاني، أو غيره، أو الدجاج والحلو، ويجمع بينها، وكلَّما اشتهوا شيئاً، أو طلعَ في السُّوقِ شيءٌ جديدٌ، اشتراه لهم بغيرِ سؤالٍ منهم ابتغاءَ مرضاتهم.

وتأمّل يا أخي، أولادَ من كان يفعلُ ذلك من الأُمراء أو المباشرين وأكابر التجَّار كيف تحوَّلتْ عن غالبِ أولادهم النِّعمُ، بل عنهم قبل موتهم، وصارَ يشتهي أحدُهم دجاجةً، أو قطعةَ لحمٍ.

وجميعُ ما يرثُه أولاد هؤلاء من المالِ والعقار يُضيِّعونه في المعاصي والقمار بسهولة وطيبِ نفسٍ، وذلك لهوانه عليهم، وعدم تعبهم في تحصيله، وكونهم ما فتحوا عيونهم إلاَّ على تلك المعايش والنعم.

واعلم يا أخي **أنَّ الحقَّ تعالى قد أَمَّنَ كلَّ رجل على عياله،** ومِنَ الأمانةِ أن لا يَسعى في أسبابِ تحويل النعم عنهم بكثرةِ الشهوات، ولا في نقصِ درجاتهم في الآخرة بأكل الطيبات، فإن فعل ذلك فقد خانَ الأمانة، وضيَّعها.

وقد رأى رسولُ الله ﷺ كسرةً يابسةً في بيت عائشة تحتَ جدارٍ، وقد علاها الغبارُ، فأخذها ﷺ ونفخ عنها الغبارَ، ثم وضعَها على عينيه وقال: «يا عائشةُ، أَحسني مُجاورة نِعمِ الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ النَّعمةَ قلَّ ما نفرتْ عن أهلِ بيتٍ فكادتْ ترجعُ إليهم»[1].

ومن هذا الذي قررناه من سدِّ باب ازدراءِ النِّعمِ أمرنا رسولُ الله ﷺ أن لا نأكلَ إلاَّ على جوعٍ، ولا نشربَ إلا على عطشٍ؛ لكون الجيعان أوالعطشان يتلقّى النِّعمةَ بكلِّ شعرةٍ فيه، فانظر ماطوى ﷺ لنا من الأسبابِ التي بفعلها تدومُ النعم على العباد، وأيضاً

(١) تقدم تخريجه في العهد (٥٦).

غيرةً على الحقِّ تعالى أن تُزدري نِعَمُه، فافهم

(١٧٥) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نتكلّف قطُّ للضيف** ولو لأعزِّ أصحابنا ومن نعتقدُ فيه؛ سدًّا لبابِ التكلّف الذي تبرَّأ منه رسولُ الله ﷺ في قوله: «نحن معاشرَ الأنبياء بُرآءٌ من التكلّف»[1].

واعلم يا أخي أنَّ كلّ من فتحَ بابَ التكلُّفِ للضيوف كرِهَ لقاءَهم، وصارَ يتوارى منهم، وأخطأ السُّنة.

وتأمَّل يا أخي إذا طبخ الإنسان لضيوفه ذبيحةً، واستوت على العصر، فأكلوها، ثم جاء جماعةٌ أخرى، فخبزَ وطبخ ذبيحةً أخرى، فاستوت على المغرب، فأكلوها، ثم جاءَ جماعةٌ أخرى يستحقُّون الذَّبح، فذبح لهم وعجن وخبزَ على نصف الليل، وواظبوه على ذلك جماعة واحدة، كيف يَهربُ بعد ذلك من الضِّيوفِ؛ بل يعزمُ على الرَّحيلِ إلى بلدة أُخرى؛ لما حصلَ له من المشقَّة، ولما حصل للعيال الذين يتولَّون الطبخَ والعجين، وأمَّا حاتمُ طيء، ومعنُ بن زائدة، وأبو زيد الهلالي سلامة، ونحوهم فأؤلئك كانوا أصحابَ مراتبٍ في الدُّنيا، لا يقدرُ أحدٌ الآن من ملوك الدُّنيا فضلاً عن غيرهم من مشايخ القُرى والفلاحين يتبعهم على ذلك الكرم، وكان أبو زيد ينشدُ ويقول:

ومن يجعلِ الطرقاتِ أطنابَ بيته ولم يُكرمِ الأضيافَ ذاك ظلومُ

وكان كثيراً ما يَنحرُ للضيفِ الواحد الناقةَ، فإذا أصبحَ ذبحَ له أُخرى، فقيل له مرَّةً: إنَّ اللحمَ بات عندك كثيراً. فقال: إنَّه ليس من إكرام الضيفِ إطعامُهُ من اللحم البائت. وكان لا يتعشّى قطُّ إلاَّ بعد العشاء.

وحكى لي سيدي الشيخ يوسف الحُريثي[2] رحمه الله أنَّه رأى الأميرَ حشيش ابن الغياثي في بلادِ الشرقية، وعلفُ دجاجهِ كلَّ يومٍ ثلاثةُ إرْداب ونصف قمحاً، وكان خدَّامُ الدجاج الذين يجمعونَ البيض خمسة عشر رجلاً، فقسْ حالَه على أكبرِ أُمراء مصر

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٢) يوسف الحريثي إمام مشهور بالديانة، معروف بالاجتهاد، كان على قدم عظيم في اتباع السنة والتهجد، ويميل إلى إخفاء عبادته. مات سنة ٩٢٤هـ، ودفن بجامع البشيري. الكواكب الدرية ٣/ ٤٧٠

الآن لا تجدْ يجيءُ ربعَه؛ بل يشتري الدجاجَ لسماطه كلَّ يومٍ.

وقد روى الطبراني[1] أن بعضَ الصحابة دخلَ على أنسِ بنِ مالك رضي الله عنه، فأخرجَ له خلاًّ وخبزاً، وقال: كُلْ يا أخي، ولولا أنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يَنهى عن التَّكلُّف، لتكلَّفْتُ لك فوق ذلك.

ودخلَ الحسنُ البصري على عمرَ بنِ عبد العزيز أيامَ خلافته، فأخرج له نصفَ رغيفٍ، ونصفَ خيارة، وقال: كل يا حسن، فإنَّ الحلالَ في هذا الزَّمانِ لا يحتملُ السَّرَفَ، رضي الله عنهما.

(١٧٦) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتكدَّرَ من الولاة والحكام إذا ردّوا شفاعتنا، أو خانوا عهدنا**؛ لأنَّ قلوبَهم لا تحتملُ دخولَهم تحت تَحجيرنا، وإن كنَّا نحن أعلمُ منهم بأحكام الشَّرائع، فاعلم ذلك، والله يتولى هداك.

(١٧٧) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتكدَّرَ ممن ترك صحبتنا أو صحب غيرنا**، لأنَّ صحبتَنا إن كانت خيراً له، فهو الذي تركَ، وإن كانت شراً، فقد استراحَ منَّا، وإن كانت لا خيرَ ولا شرَّ فذلك أمرٌ سهلٌ لا يحتاج إلى غيظٍ ولا تكدير، فهكذا تكون علامةُ الصُّحبةِ لله تعالى، ومتى حصلَ عندنا تكديرٌ بانقطاعِ أحدٍ عنَّا، فصحبتُنا لغيرِ الله عزَّ وجلَّ، فينبغي الفرحُ لزوالها، والله عليمٌ حكيم

(١٧٨) **أُخذَ علينا العهودُ أن نعفو ونصفح عن جميع هذه الأمَّة المحمدية**، ولو فعلوا معنا ما فعلوا من الأذى، ولا نقول ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، إلاَّ على سبيلِ التلاوة فقط لا العمل؛ فإنَّ الله تعالى قد عرّض لنا بالعفو والإصلاح بعدها، وقال: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ﴾ [الشورى: ٤٠] وقد اخترنا أن نكونَ من أهلِ ذلك، ومحكُّ ذلك أن لا نشكوَ من آذانا لأحد من أصحابنا ولا نعتبُ عليه.

وتأمّلْ يا أخي في ﴿سَيِّئَة﴾ المجازاة ﴿سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، كيف سماها ﴿سَيِّئَة﴾، وأكَّدها

---

(١) الذي رواه الطبراني في الأوسط ٦/١٠٤، والكبير ٦/٢٣٥: عن شقيف بن سلمة قال: دخلنا على سلمان، فقرب إلينا ما كان في البيت، وقال: لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف للضيف، لتكلفت لكم.

﴿بمثلها﴾ تنفيراً عن المجازاة.

ونرجو من الله تعالى أن لا يُطالبنا أحدٌ من عباده بحقٍّ في الدارين، لا في مالٍ، ولا عرضٍ، كما فعلنا مع عباده ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

فكلُّ من آذانا من الخلقِ نُقيمُ له العذرَ؛ لأنَّه لا يخلو: إما أن يكونَ ذا علمٍ، أو ذا جهلٍ، فإن كان ذا علمٍ، فقد استند في ذلك الأمرِ الذي تأذّينا به إلى علمه واجتهاده، وما قام في مُخيّلته فيُعذر، وكذلك إذا كان ذا جهلٍ، يُعذرُ أيضاً لجهله، وقد قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] والله غفورٌ رحيم.

(١٧٩) أُخذَ علينا العهودُ أن نقضي حوائجَ الخلق في هذا الزمان بالقلب من حيث لا يشعرُ الناس، لا صاحب الحاجة، ولا من هي عنده؛ فإنَّ هذا الزمانَ قد صارت فيه بيوتُ الحكّامِ من القضاة وغيرهم كأنَّها جمرةُ نارٍ، وصرتَ تقولُ لأحدهم: ساعدني في حاجتي لله تعالى، ولأجل محمد ﷺ. يقول لك: معكَ شيءٌ من الفلوس. نسأل الله اللطف.

وكان سيدي عليٌّ الخوّاصُ رحمه الله يقول: كانَ للناس بقيّةُ رغبةٍ في الأجرِ والثوابِ في الآخرة، فزالتْ في سنة إحدى وعشرين وتسع مئة.

وقال لي رحمه الله: كلُّ من جاءَكَ يطلبُ قضاءَ حاجة، فتوجّه إلى الله تعالى في قضائها بقلبك، فإن لم تُقضَ، فقل لصاحبها: أعطِ الحكّامَ وأعوانَهم ما معك من الحطامِ، يَقضونَ لك الحاجة، ثم قال لي: وإذا قضيتَ الحاجة بقلبك، فإيَّاك أن تُعلمَ صاحبَ الحاجة بذلك، فإنَّ ذلك معدودٌ من صدقة السرّ.

وقد رأيتُ أخي سيدي أفضلَ الدين رحمه الله يقضي حوائجَ الناسِ سرًّا، ويُرسلُهم إلى بعضِ الإخوان الظاهرين من فقراء البلد، ويحسّن لهم الاعتقاد فيه، ويقول: اشكروه على قضائها، فقلت له: سمعتُ سيدي عليّ الخوّاص يقول: إنَّ التستير من بقايا النفوس. فقال: وهل نفس مثلي ماتت؟ ولكن أحبُّ إن أُعمم إخواني، وأُكبرَهم في هذا الوجود جهدي، والله على كلِّ شيءٍ شهيد.

وسمعتُ مرَّةً شخصاً يقول له: يا سيدي، مقصودي تُؤدبني. فقال: يا أخي، النَّجاسةُ هل تُطهِّرُ غيرها؟ والله يا أخي، إنّي أرى نفسي تنجّسُ كلَّ من صحبته. فقال له الشخص: وأنا أريدُ منك أن تُوصلني إلى هذه الدرجة. فقال له: إن كان هذا قصدَكَ فنعم. رضي الله تعالى عنه.

(١٨٠) **أُخذَ علينا العهودُ أن نميلَ إلى الضعف في سائر أحوالنا دون القوة**، فإنَّها طريقُ السَّلامة، ولا نُمكّنُ أحداً قطُّ من مدحنا لا في غيبتنا، ولا في حضورنا، ولا نلتفتُ لقولِ مَن يقول: العارفُ يأخذ ذلك المَدحَ من الحقِّ تعالى فيفرح؛ لأنَّا نقول: أينَ العارفُ حتَّى يسلمَ له ذلك؟

وبتقدير وجود مرتبة العرفان، فإنَّ من شرط العارف شدَّةَ الخوف. قال ﷺ: «أنا أعرفُكم بالله، وأخوفُكم منه»[1]، ومن خاف مثلَ هذا الخَوف، اتَّهم نفسَه في كلِّ مرتبةٍ ادَّعتها، فهذا هو القدمُ المحمَّديُّ الذي درجَ عليه السَّلفُ الصالح، والله غنيٌّ حميد.

(١٨١) **أُخذَ علينا العهودُ أن نلحَّ بالاستغاثة عند حلول البلاء**، ونسألَ الله تعالى الإقالةَ، ولا نتجَلَّدُ ولا نتصبَّرُ له كما يفعل بعضُهم؛ فإن ذلك كالمقاومة للقهر الإلهي، وربَّما زادَ المرضُ والألم علينا حتّى يفنى بصبرنا، فنسألُ الله قهراً بفرار أمثالنا إلى محلِّ العجز وإظهار التألُّم من قرصةِ البرغوث أولى، ولو كنَّا أقوى من ذلك؛ فإنَّه تعالى يحبُّ من عباده إظهارَ الضعف، وكَثرةَ سؤال العفو والعافية، وتقولُ الملائكةُ للعبد إذا تصبَّر ولم يَضجر: أنت فرعون؟! وكذلك أعوانُ الولاة يقولون لمن يُضرب في جريمةٍ من الجرائم ولم يَصح: والك، عيّط يُطلقوك. فاعلم ذلك.

(١٨٢) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نستعمل أسماء[2] السُّهروردي[3] ولا أسماء**

---

(١) قال في المقاصد: قال شيخنا: صحيح. وقد ترجم البخاري في صحيحه بقوله ﷺ: «أنا أعلمكم بالله» عن عائشة. انظر كشف الخفا ١/٢٣١ (٦٠٧).

(٢) علم الأسماء: هو علم الأسماء الحسنى، وخواص تأثيرها، فبها يُنال كل مطلوب، ويتوصل بها إلى كل مرغوب، وبملازمتها تظهر الثمرات، وصرائح الكشف والاطلاع على أسرار المغيبات.

ويعتمد على البحث عن خواص الحروف: إفراداً وتركيباً، وموضوعه الحروف الهجائية، ومادته الأوفاق والتراكيب، وصورته تقسيمها كمًّا وكيفاً، وغايته التصرف على وجه يحصل به المطلوب إيقاعاً وانتزاعاً، ومرتبته بعد الروحانيات، وعلم الحروف هو ما يسمى بعلم السيمياء.

وهذا العلم فيه من الطلسمات ما فيه، وجنح علماؤه الغلاة إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر، وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهرُهُ أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان.

والعلاقة بين الاسم والحرف والعدد أمر عسر على الفهم، إذ ليس من قبيل العلوم والقياسات، وإنما مستندُهُ عندهم الذوق والكشف. كشف الظنون: ٨٦، ٦٥٠.

(٣) يحيى بن حبش أبو الفتوح شهاب الدين السهروردي (٥٤٩-٥٨٧هـ) فيلسوف سافر إلى حلب فنسب =

البُوني[1] **ولا غيرِها بقصد شيءٍ يحصل لنا من أمرِ الدُّنيا والآخرة،** فإنَّ أسماءَ الله تعالى مُعظَّمةٌ عن استعمالها في مثل ذلك، ولا يقبلها[2] إلا هي، فمن أرادَ قراءتها فليجرّد نيَّتَها عن حظوظِ النفس في الدارين، وليقرأْها تسبيحاً لله تعالى، وإظهاراً لمجده وعزِّه لا غير.

وكيف ينبغي لعاقلٍ أن يَحبسَ نفسَه جيعاناً، عطشاناً لطلبِ أغراض خسيسة، لو أُعطِيَها العبدُ بلا سؤال، كان من الأدبِ عدمُ قبولها، فكيفَ بمن يستخرجها بمعصارِ التوجّه ليلاً ونهاراً، وأصل الاشتغال بذلك على نيَّة الدُّنيا عدمُ السُّلوك على يدِ شيخٍ كامل، فلو أنَّ أصحابَ الحروفِ والأسماء سلكوا على يد كاملٍ،لأعلمهم طريقَ الأدب مع الله تعالى.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنه يقول: وعزَّةِ ربّي، إن المُشتغلينَ بهذه الأسماء، والرياضياتِ يقربون من عبدةِ الأوثان، وهم من الذين يعبدون الله على حرفٍ،حتَّى ولو صَحَّ وصولُهم إلى مقامِ الولاية، فحكمُهُم كالرُّطبِ المعمول، والله عليم حكيم.

(١٨٣) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نغفلَ عمَّا يدخل باطننا من الحرام والشّبهات، وأن نضيّقَ على نفوسنا ما أمكن رجاءَ أن يُوسّعَ اللهُ علينا في ذواتنا وصفاتنا، ويُخمدَ صفاتنا المذمومة عن الاستعمال، ويُحرّكَ المحمودة، فإنَّ أَكْلَ الحرام يخمدُ المحمودة، ويُحرِّكُ المذمومة.

فالعارفُ من يأتي البيوتَ من أبوابِها الشرعية، ولا يكن مهما لقيَهُ، لَفَّهُ كالبهائم، ويقول: و﴿خَلَقَ لَكُمْ...﴾[3] [البقرة: ٢٩].

فكلٌّ من أكلَ الحرامَ والشبهات، وطلبَ وقوعَ أعمالِ الصالحين على يده وجوارحه، فقد أخطأَ الطريق، وإذا كان المَلَكُ لا يَرضى قطُّ أن يدخل قلباً فيه صفةٌ مذمومةٌ مستعملة من سائر صفات الشياطين، فكيف بربِّ الأرباب؟ «يا داوود طهر لي بيتاً...»

= إلى انحلال العقيدة، وكان علمه أكبر من عقله فأفتى العلماء بإباحة دمه، وخنق بسجن القلعة، له كتب عدّة، وشعر.

(١) أحمد بن علي، أبو العباس البوني صاحب المصنفات في علم الحروف، مغربي الأصل، توفي بالقاهرة سنة ٦٢٢هـ. له شمس المعارف الكبرى، والوسطى، والصغرى، وغيرها.

(٢) في (ب) و(ج): ولا يقابلها.

(٣) والآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾.

الحديث[1].

وقولُ بعضهم: الفقيرُ لا يردُّ ولا يسألُ، ولا يدَّخرُ محلَّه في الحلال البيّن. أمَّا الشبهات فيردُّها بنصِّ الشارع، فافهم.

وقد كان بشرُ الحافي[2] يردُّ، ومعروف الكرخي[3] لا يردُّ، فقيل لبشرٍ: لِمَ تردُّ وأخوك معروف لا يَردُّ؟ فقال بشرٌ: إنَّما أردُّ خوفاً من الشبهات، فإنَّ المكتسبَ لو تَبعَ الحلَّ في بيعِه، وتحرَّزَ من بيع سلعته لمن في ماله شُبهةٌ، ما فَضَلَ عن نفقة عياله شيءٌ يُعطيه لبشرٍ، ولا غيرِه. وقيل لمعروف: لِمَ لا تردُّ كما يَفعلُ بشرٌ؟ فقال: لأنَّا ضيوفٌ في هذه الدار عند الله عزَّ وجلَّ، فما قدَّمَهُ الحقُّ تعالى لنا قبلناه، وليس للضيفِ أن يردَّ على أهلِ المنزل ما قدَّموه له، ويطلب غيره. انتهى.

وسألتُ أخي الشيخ إبراهيم الذَّاكرَ لَطَفَ الله به: أيُّ الرَّجلين أكمل عندك؟ فقال: بشرٌ أكمل. فقلتُ: لماذا؟ فقال: لأنَّ المعرفةَ لا تُطفئُ نورَ الورع. فقلتُ له: وهذا مذهبي أيضاً، ولكنَّ اللائقَ بمقامِ هذين الشيخين عدمُ الوقوف مع حالِهما المذكور، ولعلَّ ذلك كان أوائلَ دخولهما الطريق. فقال: وهو كذلك، واللهُ أعلم.

(١٨٤) أُخذَ علينا العهودُ أن لا ندعو قطُّ على من ظلمنا بسبب ظلمه لنا، ولا نقولَ قطّ: اللَّهُمَّ، من كادنا فكدْه، ومن بغى علينا فخذْه، ونحو ذلك؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ لَمَّا دعا على قريشٍ بالهلاك، أنزلَ الله عليه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] فاستحيا من الله، وتركَ الدُّعاءَ عليهم، وصارَ يَدعو لهم بالهداية.

وقد قدّمنا في هذه «العهود»[4]، أنَّ كلَّ عارفٍ بالله عزَّ وجلَّ يرى نفسَهُ قد استحقَّتِ الخسفَ به لولا عفو الله، وأنَّ جميعَ ما يقعُ به من البلايا والمحن، يَراه دون ما

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٢) بشر بن الحارث المروزي الحافي أبو نصر (١٥٠-٢٢٧هـ) من كبار الصالحين، له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث سكن بغداد، وتوفي بها.

(٣) معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ، أحد أعلام الزهاد المتصوفين، وكان من موالي الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم، اشتهر بالصلاح، وقصده الناس للتبرك به، كان الإمام أحمد بن حنبل يختلف إليه، نشأ وتوفي ببغداد سنة ٢٠٠هـ.

(٤) انظر العهد (١٥)، والعهد (٤٠).

يَستحقُّ من العقوبة، ويقول: من استحقَّ النار، فصُولحَ بالرماد، لا ينبغي له الغيظُ.

فيجب علينا الصبرَ على جور الحكام وظلمهم، ونرى أنَّهم ما ظلمونا وسُلِّطوا علينا إلا جزاءً لعملٍ سابقٍ منّا، وليس بيديهم حلٌّ ولا ربطٌ، ولا جورٌ ولا ظلمٌ، فإنَّهم لا يتحرَّكون إلاَّ إنْ حرَّكتهم الإرادةُ الإلهية، وهكذا يشهدُ كلُّ عارفٍ بالله يقيناً لا ظنًّا وتقليداً.

وتأمَّل يا أخي، الزَّبانية إذا سحبوا العبدَ إلى جهنَّمَ كيفَ يَعذرُهُم، ولا يُسمِّيهم ظلمةً، ولا ينسبُ إليهم حلاً ولا ربطاً[1]؛ لانكشاف[2] الأمورِ هناك، وهذا الحال مشهور للعارفين في هذه الدارِ، مثلَ ما يُكشفُ للمحجوبين هناك سواء، ولذلك قلَّ تكديرُهم ممَّن يظلمهم ويؤذيهم.

ثم مما يَخفى على كثيرٍ أنَّ الإنسان يُعاقب في تهمة، فيصيرُ يحلفُ بالله العظيم إنَّه مظلومٌ، لظنِّه أنَّهم عاقبوه من حيثُ تلك التُّهمة، وهو صادقٌ في أنَّه ما فعلَ ذلك، وإنَّما قَدَّرَ عليه الحقُّ تعالى العقوبةَ من حيثُ عملٍ آخرَ صدرَ منه فيما مضى، أحصاه اللهُ ونسيه هو.

وكذلك كثيراً ما يُمتحنُ العبدُ بسبب دعواه الصبر على المحنِ والبلايا، فيبيِّنُ الله له كذبَ دعواه، وأنَّه أضعفُ من دودة، ولكنَّ هذا لا يقعُ إلاَّ لمن أراد اللهُ خذلانه بين الناس، وإلا فتبين له ضعفُهُ من غيرِ هتك ستره، فإنَّ الله تعالى ستِّيرٌ لمن شاء، وقد وقعَ هذا كثيراً للأكابر فضلاً عن غيرهم، حتى صارَ يدورُ على أطفالِ المكاتبِ ويقول: ادعوا لعمِّكمُ الكذاب[3].

وقد يُبتلى العبدُ أيضاً بالعقوبة من حيث شماتتهِ بأحدٍ عُوقِبَ، ولو عدوًّا. فاعلم ذلك.

---

(١) تأمل قوله تعالى في سورة غافر ٦٩: ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون*إذ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلِ يسحبون*في الجحيم ثم في النار يسجرون*ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون*من دون الله قالوا ضلُّوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئاً كذلك يضل الله الكافرين﴾.

وإلى قوله تعالى في سورة الزخرف ٧٧: ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربُّك قال إنكم ماكثون﴾.

(٢) في (أ): لاتساق.

(٣) هو سمنون بن حمزة، سمّى نفسه الكذاب لقوله:

وليس لي في سواك حظٌّ فكيف ما شئت فاختبرني

فحُصر بوله، واستمرَّ أياماً، فكان يطوف على المكاتب، ويقول للأطفال: ادعوا لعمكم الكذاب. الكواكب الدرية ٦٣١/١.

(١٨٥) **أُخذَ علينا العهودُ أن نَرفُقَ بالمسيئين من هذه الأمة المحمدية**، وأن نكون أرحمَ بهم من أنفسِهم فضلاً عن والديهم، تخلُّقاً بأخلاق رسول الله ﷺ، وأخلاقِ الله عزَّ وجلَّ، كما وردَ «إنَّ الله أرحمُ بعبده من والديه»(١).

كما قال الله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

وفي بعض الكتب المنزلة: أرحم ما أكونُ بعبدي، إذا أدبر عني.

فالكاملُ من يُقيم العذرَ لعُصاة هذه الأمّة قبل إنكاره عليهم، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨].

فما دامَ الحقُّ تعالى يخلقُ لهم المعصيةَ، فلا يُمكنهم أن يتوبوا. فإذا رجعَ الحقُّ تعالى عن خلقِ المعصية لهم، تابوا لا مَحالة، حتَّى لو أرادوا المعصيةَ لا يجدون ما يَعصون به، فافهم واعتبر.

ولا تأمرُ أحداً قطُّ أن يرجعَ عن معصيته حتَّى ترحَمَهُ بقلبك، وتنظرَ سرَّ ذلك التقدير، ثم انهَهُ عن ذلك، وفي الحديث: «الرَّاحمون يَرحمهم الرَّحمن، ارحموا مَنْ في الأرض، يرحمْكم من في السماء»(٢). فتأمّل ذلك، واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٨٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نبادر إلى صلاة الجماعات، ونوافلِ العبادات**، وسنَن الخيرات، لكن مِنْ غير تقييد فيها، ولا اتّكال عليها، فإنَّ ذلك يُخرج مقام العبودية، ومن هنا هربتْ أكابرُ الرِّجالِ من المَلامتية(٣) من كثرةِ النوافلِ، فلا يأتونها إلاَّ في حين على نية فعلِ السُّنة المحمدية، لا جبراً للخللِ في فرائضهم، فإنَّ خلَلَهُم لم يزل مشهوداً لهم في كلِّ عبادةٍ من حيث مقام العبودية، فما معهم شيءٌ خالٍ عن الخلل، حتَّى يجبروا به فرائضهم.

قد سألتُ شيخنا رضي الله عنه: لِمَ قلَّت نوافلُ أكابر الرجال؟ فقال: خوفاً أن يخطرَ على بالهم رائحةُ المنَّة في كونهم زادوا على ما كُلّفوا، فلذلك اقتصروا على أداءِ الواجبات؛ لكونهم فيها عبيدَ اضطرار، لا رائحةَ للمنَّةِ عندهم، رضي الله عنهم أجمعين،

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٢) رواه الترمذي (١٩٢٥)، وأبو داود (٤٩٤١) عن عبد الله بن عمرو.

(٣) الملامتية: طائفة من المتصوفة، اهتمُّوا بإصلاح باطنهم، ومحاسبة أنفسهم، دون اعتناءٍ بإصلاح ظاهرهم.

واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٨٧) أُخِذَ علينا العهودُ أن نداوي نفوسنا ونُحْسِن إليها ما أمكن جزاءً لما قاسته منّا في بَداية الأمر من الجوع، ومخالفة أهويتها، كما قال سيدي عمر بن الفارض[١]:

فأوردتُها ما الموتُ أيسرُ بعضه وأتعبـــتُها كيما تكونَ مُريحتي
فعادتْ ومَهما حُمِّلته تحمَّلَتْـــهُ مِنّي فإن خفَّفْتُ عنها تأذَّت

واعلم يا أخي أنَّ كلَّ من خرجَ عن نفسه لله تعالى، صارتْ نفسُه لله تعالى، كما هو الأمر عليه، فليس له من نفسه شيءٌ، والواجب عليه حينئذ إكرامُها وخدمتُها تعظيماً لمن هي منسوبةٌ إليه، ومن إكرامها إطعامُها اللذيذ، وإلباسُها الناعم، وسقيها البارد الحلو، وعدم تقديم ضدِّ ذلك بين يديها، هذا مشهدُ الأكابر الذين تنعَّموا في الدُّنيا بالدُّنيا، كسيدي عبد القادر الجيلي، وسيدي عليِّ بن وفا[٢]، وسيدي الشيخ شمسِ الدين الحنفي الشاذلي[٣]، وسيدي مدين، وأضرابهم، ووقائعهم مشهورةٌ.

ومشهدي أنا - ونعوذُ بالله من قول أنا - زيادةٌ على هذا المشهد، وهو أنّي أُقدِّمُ [له] استعمالَ النفيس من الطعام، والثياب، والشراب قياماً بحقّه وإعطاءً لرتبته حقَّها، فإنَّ الله تعالى رفعَ رتبتَه بين النَّاس كلِّهم من الملوك، والأمراء، والتجار، وغيرهم، فأنا أَستحي من النَّفيس أنْ أُقدِّمَ عليه شيئاً دونه، وأخجلُ من ذلك كما أخجلُ من عدمِ القيامِ بواجب مَلِك، أو أميرٍ، أو كبيرٍ، على حسب تفاوت ذلك الطعام، أو الشراب، أو الثياب، أو الفراش، ومُرادي بتقديم النَّفيس ما إذا كان حلالاً، وإلاَّ فتقديمُ الخسيسِ

---

(١) تقدم في العهد (٨٤).

(٢) علي بن محمد بن محمد بن وفا، أبو الحسن القرشي الشاذلي المالكي (٧٥٩-٨٠٧هـ) مولده ووفاته في القاهرة، له مؤلفات. قال السخاوي: وشعره ينعق بالاتحاد المفضي إلى الإلحاد، كثر أتباعه، فرتب لهم أذكاراً بتلاحين يستميل بها قلوب العوام، وقال المقريزي: كان جميل الطريقة، مهيباً معظماً.

(٣) محمد بن حسن بن علي البكري الشاذلي أبو عبد الله الشاذلي الحنفي (٧٦٧-٨٤٧هـ) صاحب السيرة الصالحة، والدعوة إلى الله العامة، حفظ القرآن، وسمع الحديث، وحببت إليه الخلوة، وشفع عند السلاطين، وكانت له منزلة في قلوبهم، ومرض سبع سنوات ملازماً لفراشه قبل موته.

أولى؛ لأنَّه أخفُّ كلفةً وإثماً، فإن كثر جبر الحاضرين لاستعمال النَّفيس بحيث لم يَستعملِ الخسيسَ إلاَّ نادرٌ من الناس، قدَّمناه على النَّفيس، واستعملنا منه حتَّى نعرف أنه رضي، كما نصلح من كان بيننا وبينه عداوةٌ حتَّى يرضى، فاعلم ذلك، واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٨٨) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نَنذرَ قطُّ نذراً، ولا نُقيّدُ على أنفسنا بورْدٍ** معين في وقت معين لقصدٍ معين، ولا أن نُعاهدَ ربَّنا قطُّ على فعلِ شيء، أو تركه في المستقبل، فإنَّ في النذر، وفي التقيد المذكورين إلزاماً لأنفسنا بهوانا أن تفعلَ أموراً ليست في يدنا، ولا نعلم هل يُقدِّرُنا اللهُ تعالى على الوفاء بها أم لا؟ مع أنَّ الحقَّ تعالى قد وسَّع علينا، ولم يُضيّق بإخراج ما نذرناه، وأباح لنا أكلَه، ولِمَ ننذرُ؟ فلمَّا نذرناه أوجبَ علينا إخراجَهُ، وحكم بعصياننا لو لم نخرجْهُ عقوبةً لنا في مُزاحمتنا له في التشريع، وإلزامنا نفوسَنا بشيءٍ كان قد أباحَهُ لنا، وذلك من سوءِ الأدب، وكذلك لم يُضيّقْ علينا في قراءة شيءٍ من الأوراد إلاَّ نادراً توسعةً لنا ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢].

وأما ذمُّ المعاهدةِ لله تعالى على فعلِ شيءٍ أو تركه فلأنَّه ربَّما كان في علمِ الله تعالى تقديرُ ذلك الذي عاهدناه على تركه، فنقعُ في نقضِ العهدِ، ويصيرُ علينا معصيتان، معصيةُ عينِ الفعل، ومعصيةُ النقض، ولولا العهدُ لكانت معصيةً واحدةً، فما على العبد إلاَّ أن يزنَ كلَّ فعلٍ بميزان الشريعة، ويُعطيه حقَّه من حمدٍ واستغفارٍ كما تقدَّم تقريرَه في هذه «العهود»[1]، فإنَّ الأفعالَ قبل ظهورها ليس لها حكمٌ، ويكفينا العزمُ على أن لا نعودَ نعصي ربَّنا لو كان الأمرُ بيدنا، فاعلم ذلك، واللهُ غفورٌ رحيم.

(١٨٩) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نُؤدِّبَ أحداً من أولادنا، وخُدّامنا، وإخواننا، وجيراننا، وقرابتنا، وسائر من أمرنا الله تعالى بالإحسان إليه بقطعِ رزقه بالأوهام،** بل نُعوِّدُ نفوسَنا الإحسانَ إلى كلِّ برٍّ وفاجرٍ، ومَنْ أحسنَ إلينا، ومن أساء، وأن نبدأَ بالقريبِ، ولو كتَمَ، ونؤخِّرُ البعيدَ من النَّسبِ ولو نَشَرَ، ولا نَعطيه إلاَّ ما فضلَ عن

---

(١) انظر العهد (١٢٨).

القريبِ، وهذا الأمر يقعُ فيه كثيرٌ من الناس، فترى قرابتَهم في غايةِ الضيق، وأصحابَهم الذين ينشرون صيتهم في غاية الوسْعِ من هداياهم وافتقاداهم، لكون القرايب يكتمون في الغالب، ولا يرون لقريبهم جميلةً فيما يُعطيه لهم[1].

وتأمَّل يا أخي عطاءَ الحقِّ تعالى، كيف هو سابغٌ على جميعِ خلقه؛ طائعهم وعاصيهم، مؤمنِهم وكافرهم، لا يمنع أحداً شيئاً وعَدَهُ به، وبتقدير أنَّه تعالى يؤدِّب عبداً في حين بتضييقِ الرزق، فذلك له تعالى لحضرةِ إطلاقه، وعدمِ التحجير عليه بخلاف العبيد، واللهُ غنيٌّ حميد.

(١٩٠) أُخِذَ علينا العهودُ أن نبدأَ في رفع حوائجنا كلِّها أولاً إلى الله تعالى بتوجُّه الباطن، فإن لن تُقضى رفعناها لخلقه، فإن لم تُقضَ تربّصنا لها وقتاً آخر، ثم إذا قُضِيَتْ على يدِ أحدٍ من الخلق، شكرنا اللّه تعالى أولاً، ثم مَن قضاها من خلقه، وإن لم تُقضَ على يدهم شكرنا الله تعالى وسكتنا، ولم ننسب إلى الخلق شيئاً، ولو عاونوا على عدمِ قضائها.

ومِنْ أسرعِ النَّاس إجابةً عند الله تعالى أصحابُ النيَّات الذين لا غلَّ عندهم، ولا مَكر، ولا خداعَ، ثم أكابر الدولة، ثم أكابر العلماء العاملين، والتجار، والمُعلّمين، فإنَّ الله تعالى يستحي أن يردَّ مثل هؤلاء، والله أعلم.

(١٩١) أُخِذَ علينا العهودُ أن نجتمع بكلِّ واعظٍ برز في زماننا من بلادنا، أو ورد علينا، ونحضَرَهُ، ونسمعَ ما يعظُنا به، فإنَّ الله تعالى ما أظهرَهُ سُدًى.

وقولُ من قال: نحن بحمدِ الله تعالى لا نحتاجُ إلى وعظه. دعوى وحظُّ نفسٍ.

وقولُ من قال: لا نمضي إليه خوفَ أن نسمعَ منه شيئاً لا نستطيعُ العملَ به، من تلبيسات الشيطان، ولو فُتحَ هذا البابُ لأدَّى إلى كراهةِ سماعِ القرآنِ والحديث، ولعجزَ النَّاس كلُّهم - إلاَّ من شاء الله - عن العملِ بالقرآن والسنة كاملاً، لا قائلاً بذلك.

وأعلِّمُكَ يا أخي مِيزاناً إن وجدتَه في نفسك، فأنت مُستغنٍ عن نصحِ غيرك، لترقِّي نفسِك إلى درجةِ الروحية البريئة عن تعدِّي الحدود، وذلك أن تصيرَ نفسُك

(١) جاء في الهامش: مطلب: في أن الغالب على الأقارب كتمان محامد قريبهم، نسألُ الله السلامة.

تحت كلِّ جليسٍ، وتدخلَ تحت حكم العدوِّ والحاسد طوعاً من غيرِ كراهة ولا اشمئزازٍ، فإذا انقادت هذا الانقياد للعدوِّ فقد انقادتْ إلى الله تعالى بالخاصيَّة، واستغنت بنُصح الحقِّ تعالى عن نُصحِ جميع خلقه.

ثم إذا رأينا الواعظَ زاهداً في الدُّنيا، مائلاً إلى سترِ عورات النَّاسِ، محبًّا لكلِّ من برز وجلسَ للوعظ زمانه ومكانه، صحبناه لبيان صدقه، وإن رأيناه بالضدِّ، فارقناه بجميلٍ، وسألنا الله تعالى أن يكشفَ عنه حجابَ نفسه، واللهُ عزيزٌ حكيم.

(١٩٢) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُؤْثِرَ أحداً على أنفسنا عند قوَّةِ شُحِّها وبخلها، فنداويها بالإيثار حتَّى تسكن، فإذا سكنتْ، واتَّضح لها أن جميعَ ما نؤثر به ليس من رزقنا، وإنَّما هو أمانةٌ من الحقِّ تعالى لذلك الذي أعطيناه له، تركنا إيثار أنفسنا، وقدَّمنا غيرَنا على أنفسنا، وعليه يُحمَلُ قوله ﷺ: «ابدأ بنفسك»[1] كما يُحملُ مدحُ الحقِّ تعالى للمؤثرين على أنفسهم على ما إذا لم يقو شحَّ نفوسهم كما قدّمنا[2]، ولولا ذلك المدحُ ما نجوا من تلك الورطة، ولا خَرجوا من البخل، فافهم. فلكلِّ حال مقال.

واعلم أَنَّ الكريمَ والجوادَ والسخيَّ لم يُعطوا أحداً من رزقهم شيئاً، إنَّما هُم خُزَّانُ النَّاس، وموصلون لهم أرزاقَهم حتَّى لو قُدّرَ أنَّ أحداً منهم منعَ وبخلَ، لأوصل الله تعالى أصحابَ تلك الأرزاق إليها، ولو بالغصبِ والسرقة والنهب من بيت الكريم، فليحذرِ الكريم من رؤية منّته على أحدٍ، فيُكَبُّ على وجهه، فإنَّما هو وكيل في مال سيدٍ كريم.

(١٩٣) أُخِذَ علينا العهودُ أن نكرمَ النَّاسَ على حسب نفعهم في الكون، كالطبيبِ، والشيخِ، والعالِمِ، والطّباخِ، والجزارِ، والخبازِ، والنوتي[3]، والتراس[4]، وعرب الشعارة، ومقدم الوالي، والأمير، والمباشر، وزبَّال الحمام، فإنَّ هؤلاء حمالو

---

(١) تقدم تخريجه في العهد (١٥٧).

(٢) انظر العهد (١٢٨) و(١٥٧).

(٣) النُّوتي: الملاح الذي يدير السفينة في البحر. المعجم الوسيط.

(٤) التّراس: سائق الحمير عند أهل مصر. معجم تيمور ٢/٣٠٦.

أعباء المملكة على كواهلهم، وحكمُ غيرهم كالزوائد، فمن الواجب علينا أن نزيدَ لهم البشاشةَ وطلاقةَ الوجه ما أمكن زيادةً على غيرهم، فلولا الطبيبُ لسقمتْ أبدانُ النَّاس، ولولا المُسلِّكُ لسقمتْ أرواحُهم، ولولا العالم لذابَ نظامُ دينهم، ولولا الطباخ ما اطمئنَّ غالبُ النَّاسِ في حرفهم، ولكان شملُهم يتشتَّتُ من الجوع، ولولا الجزَّار لتقذَّرتْ ثيابُ العلماء والأكابر من مخالطة النجاسات، ولولا الخبازُ لاحتاجَ كلُّ إنسانٍ أن يُباشر الزبلَ والدخان، وحصلَ له غايةُ المشقَّة، ولولا النوتي لبقي صاحبُ الحاجةِ في هذا البرِ ينظرُ إليها، لا يستطيعُ الوصولَ إليها، ولما استطاعَ النَّاسُ حمل أمتعتهم الثقيلة من البلاد البعيدة، وكذلك الترَّاس، ولولا عرب الشعارة والمقدّمون في طريق الحجاز لأكلَ غالبَ النَّاس السباعُ، وماتوا عطشاً وجوعاً، ولولا مقدم الولي ما انزجرتِ العتاة، ولنزلوا على حريم الضعفاء والمساكين وغيرهم، وفسَقوا بهم، ولأخذَ القويُّ مالَ الضعيف، ولولا الأمير ما انتظمَ شملُ العباد، ولولا المُباشر يضبطُ أموالَ النَّاس للإستدارين[1] وجهات الظلم لذابَ الفقيرُ، وأخذوا ماله، وأنكروا أنهم أخذوه، ولولا زبَّالُ الحمام لأخرجَ غالبُ النَّاسِ صلاةَ الصبح وغيرها، وبقوا على جنابتهم، وقس على ذلك، والله غفورٌ رحيم.

(١٩٤) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نتعشَّقَ قطُّ لوارد من الواردات**، ولا نلتفتُ له على سبيل الاستحسان، ولو ولّدَ عندنا علماً، أو عملاً، أو صفاءً للنفس، أو خشوعاً في القلب، أو ذلّةً في الروح، أو سعةً في السرِّ، أو بكاءً، أو خوفاً ونحو ذلك، فإنَّ هذه كلَّها غيرُ الله تعالى، فلا نلتفتُ لواردٍ قطُّ إلاَّ لنعطيه الأدب المشروع له لا غير.

وأعلّمُكَ ميزاناً تعرفُ به كونَ الواردِ من قِبَل الحقِّ أو من قِبَل غيره، فإن دامَ ذلك الواردُ على العبدِ من حين وَرَدَ إلى أن ماتَ العبدُ، فهو من الحقِّ تعالى، وأدبُ العبد حينئذ استصحابُ الخوف، فربّما كان ذلك مَكراً من الله تعالى، وإن زالَ الواردُ، فليسَ هو من الحقِّ، إنَّما هو لمحةٌ من وليٍّ أو مَلَك، وإن عارضنا أحياناً وغابَ عنَّا أحياناً علمنا أنَّ أصلَه إصلاحُ الطعمة لا غير، فإنَّه على قدرِ حياةِ الأرضِ

---

(١) الإستدار: لقب يطلق على من يتولّى قبض المال السلطاني وصرفه، وتمثيل أوامر السلطان فيه. معجم الألفاظ التاريخية. وفي (أ): للاستادين.

وانتعاشها يُفْلَحُ الزَّرعُ.

قال شيخنا رضي الله عنه: ومن علامة تعشُّقِ الوارد أن يَعْسر على العبد فراقه، فمتى عسرَ فراقُه كان من حظِّ النفس، فإذا زال فقد استرحْنا منه، والله غنيٌّ حميد.

(١٩٥) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتسلسلَ في الاشتغالِ بمخالفة النفس في كلِّ خاطرٍ، فإنَّ في ذلك اشتغالاً بغير الله عزَّ وجلَّ، وليستْ هذه الطريقُ طريقَ العارفين، إنَّما هي طريقُ العبَّادِ من السَّلف الذين سَلَكوا بغيرِ شيخٍ، لعدم ظهورِ أشياخِ الطريق إذ ذاك، فلم يسلكوا، وهي طريقٌ مبنيَّةٌ على التدبير والاختيار، ومعلومٌ أنَّ النفسَ لا تُدبِّرُ وتختارُ لنفسها إلاَّ ما فيه بقاؤها، وما درجَ العارفون إلاَّ على عدم الاختيار والتدبير، وعدمِ الركون إلى حالةٍ دون أخرى.

وفي المثل السائر: من رمى سلاحه حرم قتاله، وليس سلاحُ العبدِ إلاَّ شهودَ أعماله، واختياره حالة دون أخرى، والله أعلم.

(١٩٦) أُخذَ علينا العهودُ إذا بلغنا الأربعين سنة من العمر، أن نطوي فراشنا، ونُقبلَ على أعمال آخرتنا، ولا نغفلَ عن كوننا مُسافرين ليلاً ونهاراً، حتَّى لا يكونَ لنا قرارٌ، ولا ركونٌ، ولا راحةُ سرٍّ، ولا كثرةُ متاعٍ، ولا زينةٌ، ولا فرحٌ بشيءٍ من الدُّنيا، ولو أولاداً وجاهاً، وعلماً وكشفاً، وذوقاً، ونحو ذلك، لأنَّ ذلك كلَّه اشتغالٌ بغير الله تعالى.

والله تعالى ما أمرنا بالاشتغالِ بشيءٍ إلاَّ إذا كان يَجمعنا عليه، فإن حجَبَنا عنه تعالى تركناه، وزهدنا فيه، فإنَّ من استندَ لغيرِ الله خانَه ذلك الشيءُ، فكأنَّ المستندَ إلى ذلك ما حصلَ على شيءٍ طولَ عمره.

وقد دخلوا على الشبليِّ وهو مُحتضرٌ، فوجدوه يقول: يجوز يجوز. فقالوا له: ما هذا القولُ؟ فقال: تخاصمتْ روحي وبدني إليَّ، فقالا: ما تقول في شريكين دخلا في الشِّركةِ على أن يتَّجِرا ويربحا، ففنيَ عمرُهما ولم يربحا شيئاً، فهل يجوزُ أن يفترقا؟ فقلتُ: يجوزُ، فكرَّرا عليَّ القول، فقلتُ: يجوز، فاعلم ذلك.

(١٩٧) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نرى نفوسَنا قطُّ على أحدٍ من تلامذتنا فننصحهم

ونعلِّمهم الآداب ونراهم أحسنَ حالاً منا، وأقلُّ ما نشهدُ أنَّهم معذورون عند الله بالجهلِ، بخلافنا علَّمنا اللهُ العلومَ والآداب، ولم نعملْ بها، أو عَمِلنا بها عملاً لا إخلاص فيه، ونحو ذلك.

وسمعتُ أخي أفضلَ الدين رحمه الله يقول: لا يكملُ الفقيرُ حتَّى يستترَ عن تلامذته وأقرانه، بحيثُ لا يَظهر له عندهم قطٌّ رتبةٌ، فيعلِّمُهم ويرشدُهم إلى أن يرقِّيهم مَراقي الرجال، وهم لا يشعرون بأنَّ ترقِّيهم على يديه.

وكان سيدي إبراهيم المتبولي يقول: وعزَّةِ ربّي، ما لي صاحبٌ إلى الآن.

وكان سيدي محمد أبو الحمايل يقول: ما عرفني أحدٌ قطّ سوى الشنَّاوي.

وكان سيدي أحمد الزاهد يقول: ما عَرفني أحدٌ من أصحابي إلى الآن. فقيل: ولا الشيخ مَدين؟ فقال: ولا الشيخ مدين، وذلك أنَّه لا يعرفُ الشيخَ إلاَّ من شَرِبَ من ساقيته.

فعُلِمَ أنَّ كلَّ من ربَّى المُريدين وعلَّمهم، ولم يَشعروا به، خرج من الدُّنيا ولم ينقصْ له رأسُ مالٍ، وهي طريقُ السَّلفِ الصالحين من الصحابة والتابعين، وتابعِ التابعين التي اندرستْ معالُمها، فكانوا لا يعرفون قطٌّ شيئاً يُقال له التلميذ، ولا شيئاً يقال له سيدي الشيخ، إنَّما كانوا إخواناً مُتناصحين، ينصحُ بعضُهم بعضاً من غير تمييز، ولا جلوسِ أحدِهم على سجادةٍ كما[1] جلس، ولا وقوف النَّاس بين يديه غاضِّينَ أبصارهم، ولا غير ذلك، فإنَّ هذه الأمورَ لا تليق إلاَّ بالملوك، وأحسنُ الهدي هديُ محمد ﷺ، وهديُ أصحابه والتابعين لهم، فإنَّه أكملُ مِنْ هدي مَنْ بعدهم من أشياخِ الطريق، وثمَّ كاملٌ وأكمل، وفاضلٌ وأفضل، فافهم، والله يُتولّى هداك.

(١٩٨) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نمشيَ في دهاليز المساجد ولا صحونها قطُّ بتاسومةٍ[2] وحلفاية[3]، فإنَّ ذلك معدودٌ من سوءِ الأدب مع الله تعالى، وأمَّا المشيُ

---

(١) في (أ): كلما جلس.

(٢) التاسومة: حذاء معمول من الليف. المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب لدوزي ص٨٩.

(٣) الحلفاية: قال النبهاني في جامع كرامات الأولياء في ترجمة أحمد الحلفاوي: والظاهر أن الحلفاية هي التاموسة التي تلبس في الرجل.

بالتاسومة على حصرِ المساجد وبُسُطها فلا أقدرُ أَصفُ سوءَ أدبِ فاعله؛ لأنَّ ذلك فعلُ من خرجَ عن سياجِ الأدب بالكلّية مع الله تعالى إلى حضرةِ الخلق والبهائم، فهو بالبهائم أشبهُ، فإنَّ المسجدَ من أخصِّ حضراتِ الحقِّ تعالى، وهو محلُّ مُناجاته، وموضعُ حياة الملائكة والمقرَّبين وصالحي المؤمنين، وكيف يُناسبُ أمثالُنا أن يمشي بنعلٍ يفرقعُ به بين السَّاجدين حتَّى يمرَّ قريباً من وجوههم وجباهم في حضرةٍ مطهرة؟ ولم يبلغنا عن أحدٍ من أئمة المذاهبِ وغيرهم أنَّ أحداً منهم مشى قطُّ بتاسومة في المساجدِ مع شدَّةِ ورعهم وخوفهم من الله عزَّ وجلَّ، بل رأيتُ مرَّةً في ثوب أخي أفضلِ الدين رحمه الله أثرَ دنسٍ، فقلت له: ألا تغسلُه؟ فقال: ذاتي نفسُها مُدنَّسةٌ بالمعاصي؛ ولكن نغسلُهُ أدباً مع الشرع.

واعلم يا أخي، أنَّ الموسوس إذا شكَّ في فعله الأمورَ المحسوسة التي يشاهدُها ببصره فلا يبعدُ أن يشكَّ في الأمورِ المغيَّبة التي أمره الله بالتصديق بها، كمنكرٍ ونكير، وعذابِ القبر، والحشر والنشر، وغير ذلك، فربَّما لا يهتدي لأنْ يقولَ لمنكرٍ ونكير: ربِّي الله، أو ديني الإسلام، أو محمدٌ نبيٌّ. لكثرةِ الشكِّ الذي في باطنه؛ بل هذه الأمورُ أولى بالشكِّ من الأمورِ المحسوسة، لأنَّ بصيرةَ الموسوس مطموسةٌ، وبصرَهُ لا يصدِّقُهُ، حتَّى أنَّه يغسلُ العضوَ عشر مرات وأكثر، ولا يُصدِّقُ نفسَه أنَّه غسلَ مرَّةً واحدةً، ومن شأنِ إبليسَ أنَّه يدرجُ العبدَ درجةً درجةً إلى أن يُوصلَه إلى الكفر.

وقد وقعَ لي مع شيطاني مرّاتٍ أنَّه كان يُنبِّهني لقيامِ الليل، حتَّى أنه ربَّما صفَّرَ في أُذني بقرنٍ يُشبه قرنَ الحاوي[1]، حتَّى يطنَّ البيتُ منه، فأقومُ، ويُوهمني أنَّه أسلمَ بحكم الإرثِ لرسولِ الله ﷺ، فما أشعرُ إلاَّ وقد أدخلَ عليَّ قبضاً في قيامِ الليل، وصلاةِ الصبح في جماعة، ومدَّ لي بساطَ غرورٍ، فلمَّا شعرتُ به قال: خذ حذرَك؛ فإنّي عملتُ على أبيكَ أدم، وعلى أغلظ شاربٍ منك، فإيَّاك أن تُصغي إليَّ، وزنْ كلَّ خاطرٍ بالسُّنة فما جعلَتْهُ محموداً فافعله، وما جعلَتْهُ مذموماً فاتركه، ولو وجدتَ في نفسِكَ انشراحاً له. ثم قال لي: ولولا علمتُ محبَّةَ رسول الله ﷺ ما نصحتُك هذا

---

(١) الحاوي: معالج الحيات وراقيها. متن اللغة (حوي).

النصح. انتهى. فأخذت حذري منه أكثرَ ممَّا كنتُ.

فعُلِمَ أنَّ من أحبَّ الدُّنيا، ورجحَ في قلبه الذهب على الزبل فهو في حضرة الشيطانِ لا يخرج، ومن هو في حضرةِ الشيطانْ كيف يصحُّ طهارةُ صفاته؟

فالعارفُ من أتى البيوت من أبوابِها، وسَمِعَ للفقراء ما يُرشدونه به حتَّى يُخرجوه من حضرةِ الشيطان، فيزولُ عنه بخروجه منها كلُّ شكٍّ وتلبيس، واللهُ عليمٌ حكيم.

واعلمْ يا أخي أن عينيَّ ما رأتْ قَطٌّ أحداً أكثرَ تعظيماً للمساجد من شيخي سيدي عليٍّ الخوّاص رضي الله عنه، كان إذا دخلَ المساجدَ اصفرَّ لونُه، ثم يصيرُ يجمعُ بيده ما فيها من القمامات، وكان ينحتُ ما في أخليتها من الأوساخِ والقذر، ويحملُه على رأسِه إلى الكوم، وقد كنتُ معه مرَّةً في جامعِ الحاكم نُصلّي على جنازةٍ، فجاء له سيدي أبو العباس الحريثي يُسلِّمُ عليه، وفي رجله تاسومةٌ يفرقع بها، فصعقَ فيه الشيخ، وقال: لا تُسلِّمْ عليَّ ولا أُسلِّم عليك، إذا كان هذا أدبَكَ مع الله في بيته، فكيف أدبُكَ معه خارجه؟ فقلتُ له: إنَّه رجلٌ صالحُ، تغلبُ عليه السذاجة. فقال: صحيح، ولكن أردتُ أُنبِّهُهُ على شيءٍ هو عنه غافل، وقبيحٌ على من يتصدَّرُ لتربيةِ الفقراء وتعليمهم الأدبَ مع الله أن يَحملَ هو مثلَ ذلك، فتأمَّل ذلك، واعملْ عليه.

(١٩٩) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نجلسَ قطُّ في المسجدِ ولا غيره من رحباته، فضلاً عن المحراب، إلاَّ ونحن في غايةِ الحياءِ والخجل، فإنَّ في الحديث الصحيح: «إنَّ اللهَ في قبلةِ أحدِكم»[1]. وكيف يجلسُ الإنسان في مكانٍ يتخيَّلُ الحقّ تعالى فيه، فافهم ذلك.

وما جَوَّفَ أهلُ الأدبِ من السَّلفِ المحرابَ في الحائط إلاَّ حتَّى يَحجزوا النَّاس عن المرورِ بين يدي المصلي كالسترة، ولذلك كره بعضُ العلماء الوقوفَ في طاقةِ المحراب، وأمروا الإمامَ أن يقفَ خارجها لهذه النُّكتةِ؛ لأنَّه إذا وقف في الطاق وقف موضع

(١) لم أجده بلفظه في المصادر التي بين يدي. وقد روى البخاري في صحيحه (٤٠٣) باب ليبزق عن يساره أو تحت قدمه اليسرى عن أنس بن مالك قال: قال النبي ﷺ: «إن المؤمن إذا كان في الصلاة فإنما يناجي ربّه، فلا يبزقن بين يديه ولا عن يمينه، ولكن عن يساره، أو تحت قدمه».

تخيل الحقِّ تعالى، وكان ﷺ إذا صلّى انحرفَ عن مكانِ الصلاة قليلاً تشريعاً لأمَّته، فاعلم ذلك.

(٢٠٠) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نشتغلَ بالردِّ على أحدٍ من أهل الفرق الإسلامية** بحيث نكفِّرُهم، فإنَّ دينَ الإسلام يجمعهم، وإنَّما الواجبُ علينا أن نبحثَ عن أدلَّتِهم التي انتزعوا منها منازعَهم، وانتحلوا منها نحلَهم، هكذا درجَ الأكابرُ من أهل الطريق، واللهُ حكيمٌ عليم.

(٢٠١) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتكدَّرَ ممّن ردَّ علينا ذوقَنا وفهمَنا**؛ لعدم عصمتنا، ولأنَّ الأصلَ في علوم الأذواقِ كلِّها الردُّ، وجميعُ ما قَبِلَه النَّاس منها على خلاف الأصل، وذلك لدقَّة مراقي الذوقِ لا لفساده، فإنَّه ما ثَمَّ لنا ذوقٌ قطُّ بخلافِ الشرائع، فإنَّ الذائق لا يكون إلاَّ على بصيرةٍ من ربِّه.

وإنَّما وقعَ الإنكارُ على الشيخ محيي الدين ابن العربي رحمه الله لخرقِ في مقامِ الذوق إلى حدٍّ يَختلفُ فيه عن سائر الأولياء، فضلاً عن غيرهم، فلذلك وقعَ الإنكارُ عليه حيًّا وميتاً.

وقد رأيتُه رضي الله عنه مرَّةً حين وقعَ لي من جهةِ الانتصار له بعضُ أذًى، وقال لي: يا ولدي، خففن عليك؛ فإنّي مُبتلًى بالإنكار عليَّ حيًّا وميتاً، وجميعُ من يُؤاخذني من جريرتي إنَّما هو غيرةً من الله عزَّ وجلَّ؛ لانتسابي إليه.

وكان رضي الله عنه يقول: جعلَ اللهُ أهلَ الجدالِ لهذه الطائفة نظيرةَ الفراعنة للرُّسل.

فإيَّاك يا أخي والإنكارَ، وسلِّمْ لكلِّ شيخٍ مقالَته، ولو لم تفهم معناها، ما لم يعارضْكَ في ذلك الكتابُ والسُّنة، أو الإجماع، واللهُ غفور.

ومن هنا أجمعَ الطائفةُ على عدمِ العمل بهاتفٍ أو واردٍ إلاَّ إنْ وافقَ الشريعة، فإن خالفها رموا به، وذلك لعدمِ العصمة، وربَّما كانَ الهاتفُ شيطاناً أراد أن يُلبسَ علينا الحقَّ بالباطل.

ومن وصيَّةِ أخي أفضلِ الدين رحمه الله لي: إيَّاك أن تردَّ سائلاً بلا جواب، فتُخلَّ بحقِّه، فإنَّه ما من سائلٍ إلاَّ وقد شخص سؤالُهُ في قلبه، ولكن عجزَ عن الإفصاحِ عنه

بلسانه، فتنزل له في العبارة، واضربْ له الأمثلةَ حتَّى يفهم، ولا تقل له قطُّ: ما أنتَ من أهل هذا الكلام. رضي الله تعالى عنه.

(٢٠٢) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُظهِرَ لنا منقبةً ولا كرامةً، ولا نبيِّنَ للناس شيئاً من علومنا ومعارفنا التي خصَّنا الحقّ تعالى بها، إلاَّ بنيَّةٍ صالحة، كأن نُبيّنُ ذلك لمن يريدُ الأخذَ عنَّا، حتَّى يأخذَ أمرَنا ونهينا له بعزمٍ وحزمٍ، ودليلُنا في بيان ذلك قوله ﷺ: «أنا سيِّدُ ولدِ آدم يومَ القيامة ولا فخر»[١] أي لا فخرَ لي بالسيادة، وإنَّما الفخرُ لي بالعبودية كما مرَّ تقريره، فما قصدَ ﷺ بقوله: «أنا سيدُ ولد آدم يومَ القيامة» إلاَّ إعلامَ أمَّتِه بأنَّه أحقُّ النَّاس بالشفاعة، وبأنَّه أول شافعٍ ومشفَّعٍ؛ ليكونوا على بصيرةٍ من ذلكَ، فيأتونه أولاً، ولا يذهبون إلى نبيٍّ بعد نبيٍّ يسألونه الشفاعةَ، فقصد ﷺ تقريبَ الطريقِ على أمَّته، وتركَ التعبِ في ذلك اليومِ العظيم، ولولا هذا الغرض ما صرَّح بالسيادةِ عليهم، لأنَّ مقامَهُ ﷺ في الأدب يجلُّ عن مثلِ ذلك، فلولا إعلامُهُ لأمَّته بهذه السيادة لكانوا يأتون لنبيٍّ بعد نبيٍّ كغيرهم من الأمم، كما مرَّ بسطُهُ في هذه «العهود»[٢].

فهكذا يكونُ تبيّنُ المراتب، ومن ذلك قولُ الشيخ لتلميذه: اسمعْ منِّي هذا الكلام الذي لا تجدْه عند أحد غيري في هذه البلد. حين يرى التلميذَ لا يعتني بذلك الكلامِ كلَّ الاعتناء، فلا يمدحُ الشيخُ كلاماً إلاَّ لأعمى القلبِ من المُريدين.

واعلم أن قول الشيخ عن كلامه إنَّه لا يوجدُ عند غيره صحيحٌ، سواء علمَهُ من طريقِ الكشف، أو كان توريةً، فإنَّ كلَّ شيءٍ برزَ في هذا الكون لا مثلَ له حقيقةً، إنَّما ذلك المثلُ نظيرُهُ لا عينه، إذ لا بدَّ من زيادةٍ أو نقصٍ في الصفات، والذواتِ، والأعمال بالنيات. والسلام.

(٢٠٣) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُقرَّ أحداً من إخواننا الذين تحت التربية أن يحتجَّ بالإرادة الإلهية، ويعارضَ بها ما ننصحُهُ به من الآداب، فإنَّ ذلك حرامٌ، وإن كان

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦١٨) في المناقب عن أبي سعيد الخدري.

(٢) لم أجد ما ذكره.

حقًّا، ثم لا يفلحُ أبداً مادامَ يحتجُّ على شيخِه بالإرادة لتهاونه حينئذ بالمأمورات، وعدمِ ندمه على الوقوع في المحرَّمات، ولو نفعتْ هذه الحجَّةُ لنفعت أوَّلَ واقعٍ في النهي، وهو إبليس لعنه الله، فإنَّه حاجَّ الحقَّ تعالى وقال: يا ربِّ، كيف تأمرُني بالسجودِ لآدم، و لم تُرِدْ وقوعَه، فإنَّك لو أردتَهُ لوقعَ، ولو قهراً عليَّ؟ فقال له الحقُّ تعالى: متى علمتَ منّي أنّي لم أُرِدْ منك السجود؟ أعلمتَ ذلك بعد أن وقعت منك الإبائة، أو قبلَ ذلك؟ فقال إبليس: ما علمتُ ذلك إلاَّ بعد وقوعِ الإبائةِ منّي. فقال له الحقُّ تبارك وتعالى: بذلك أخذتُكَ. فسكتَ إبليس، وعلمَ أنَّ المعاصي لا تقعُ في عبدٍ إلاَّ في حالِ غفلة، أو سهوٍ، أو بتأويلٍ، كما وقعَ لآدم عليه السلام، ولا يُمكن أن يُعصى اللهُ تعالى على الكشفِ والشهود أبداً.

فانظر يا أخي واعتبر، وتأمّلْ كيف وقعَ إبليسُ في سلاسلِ القدرِ مع حذقه، ودقّةِ حيله، ونظره ما تحته، وتقديم العذر لجميعِ الخلائق باطناً، فإنَّه إذا كان الذي يوقعُ بين النَّاسِ كلِّهم وقع، فكيف بغيره؟

ومن أمثال سيّدي أفضلِ الدين رحمه الله: إذا كان الحلوُ ضربَ مَقارع، فكيف بالحامض؟

وتأمَّل يا أخي، في قصَّة آدم وحواء عليهما السلام، كيف لزما الأدب وقالا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف ٢٣] فنسبا الظُّلمَ إلى نفسيهما، مع علمهما بما الأمرُ عليه من القضاءِ والقدر، و لم يحتجَّا بالإرادة كما احتجَّ إبليسُ، وبذلك اصطفاهما الله تعالى، فالكاملُ من تبع أبويه، والسلام.

(٢٠٤) أُخذَ علينا العهودُ أن ندورَ مع الزمان، ولا نزدري من رفعَهُ الله عزَّ وجلَّ علينا، ونقول: نحن نعرفُ أباه، وهو زبالٌ، أو طباخٌ، أو فلاح، أو نوتي، أو ترَّاس، أو نصراني، أو يهودي، ونحو ذلك، فإنَّ اللهَ تعالى ما رفعَهُم علينا إلاَّ تحقيقاً لما وعدهم به، فأيُّ فائدة لتكبُّرنا عليهم؟ وأحدٌ لم يسمع منَّا ذلك؛ بل ربَّما مقتنا اللهُ عزَّ وجلَّ لمعارضتنا لما اختاره.

واعلم أنَّ كلَّ من أقامَ هذا الميزان اليوم حُرِمَ النَّفعَ الدُّنيوي والأخروي من جميع الخلق، فالعاقلُ من عرفَ زمانه، ولزمَ شانه، واللهُ غنيٌّ حميد.

(٢٠٥) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نتقدَّمَ قطُّ لصلاة جنازة إلاَّ إنْ كنَّا نعلمُ بالتَّعريف الإلهي أنَّ الله تعالى قد غفرَ لنا جميعَ ما اقترفناه من الكبائر والصغائر؛ لأنَّ صلاةَ الجنازة شفاعة، ولا يَنبغي أن يشفعَ إلاَّ المقرَّبون الذين لا ذنبَ عليهم، فإنْ لم نعلمْ أنَّ الله تعالى قد غفرَ لنا، تأخَّرْنا عن التقدُّم، وصلَّينا مأمومين؛ لأنَّ المعوَّلَ على الرؤوس لا على الأتباع، والذَّنبُ لا حرجَ عليه، فافهم.

فإن قُدِّرَ أن الحاضرين كلَّهم امتنعوا لهذا المشهد، تقدَّمنا مُستغفرين لنا وللميِّت قياماً بفرض الكفاية، وحقِّ الميِّت، فاعلم ذلك، والله سميعٌ عليم.

(٢٠٦) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نسأل اللهَ قطُّ أمراً من الأمور إلاَّ مع التفويض إلى الله، لتكونَ عاقبةُ ذلك الأمرِ محمودةً علينا، إن شاء الله تعالى، فإنَّنا جاهلون بما يُصلحنا، وبما فيه نجاتنا، والحقُّ تعالى لا يَغشُّ من فوَّض إليه أمره أبداً، حاشا أحكم الحاكمين.

وسمعتُ شيخنا يقول: من أقبحِ ما يكونُ من العبدِ من سُوءِ الأدب أن يسألَ ربَّه شيئاً ويُلحَّ عليه فيه، فإذا أَعطاه له تقلّقَ منه، وسألَ ربَّه زواله، سواءٌ أكانَ من الأعمالِ الدُّنيوية، أو الأُخروية، وذلك لكثرةِ ما ينفتحُ عليه بسببِ ذلك من التعب والنَّصَبَ، وثوران الحُسَّدِ من الأقران وغيرهم، حتَّى يصيرَ يقول: واللهِ، ما كان لي حاجةٌ بالشيءِ الفلاني، ويا فوزَ من لم يكن كذلك، ونحو ذلك، وكلُّ ذلك آفتُهُ عدمُ التفويض إلى الله تعالى في حال سؤاله حصوله، بل لو أنَّه تركَ السُّؤالَ من أصله حياءً من الله عزَّ وجلَّ لأعطاهُ فوقَ ما يُؤَمِّل، وضمن له حسنَ عاقبته، وهذا وإنْ كان الحقُّ تعالى يُحبُّ من عبادِهِ إظهارَ الفاقة، والسُّؤال، فغيرُ هذا العبدِ قائمٌ به، فإنَّ السائلين لله تعالى أكثرُ من المفوّضين، فتركُ السُّؤالِ أولى، هذا فيما يتعلَّقُ بمصالحِ نفسِ الصالح، أما مَصالحُ غيرِهِ من النَّاسِ فلا منعَ منه، إلاَّ إن كان يحصلُ لذلك الرجلِ منه شرٌّ في دينه ودنياه.

وتأمَّل يا أخي حياءَ رسولِ الله ﷺ في كونه لم يسألْ قطُّ ربَّه الرُّؤية، مع أنَّه كان بالأشواق إلى رُؤية الباري جلَّ وعلا أكثر من السيِّد موسى عليه السلام، فمنحهُ الحقُّ تعالى الرُّؤية في مكانٍ لم يصلْ إليه نبيٌّ مُرسل، ولا مَلَكٌ مقرَّبٌ؛ لحيائه وتفويضه

ﷺ، وقال للسيد موسى: ﴿لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. حيث لم يكن في سُؤاله تفويض، ولو أنَّه قال: أرني أنظرْ إليك، إن كان لي في ذلك خيرٌ، لم يقع له ما وقع، ولا قُطعَ بسيفِ الأسف، فإنَّ الحقَّ تعالى أشفقُ على عبدِه من والديه، وأولى من وفَّى بالشروط، فاعلم ذلك.

(٢٠٧) أُخذَ علينا العهودُ أن ننظرَ إلى جميعِ النِّعمَ والمحن بوجهين ظاهراً وباطناً، ولا نقفَ مع ظاهرِ نعمة، ولا ظاهر نقمة، فربَّما أتتِ النِّعمُ في المحن، وربَّما أتتِ المحنُ في النِّعم، فإذا نظرناً إلى باطن النِّعم، وجدناها مشتملةً على جملةٍ من البلايا، وأقلُّ ما فيها أنَّ الحقَّ تعالى يُطالبُ صاحبَ النِّعمة بالقيام بحقِّها: من دوامِ الشُّكرِ عليها بالأعمالِ لا باللسان. قال تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً﴾ [سبأ: ١٣] و لم يقل (قولوا)، ونحن أولى بذلك من أُمَّة داود، فافهم.

وكذلك يُطالبُ صاحبَ النِّعم بإضافتها إلى الله تعالى دائماً، ولا يُضيفها إلى أحد من الخلق نَفَساً واحداً.

وكذلك يُطالب بصرفِها في المواطن التي ندبَ الحقُّ تعالى العبدَ أن يصرفها فيها، ومن كان شهودُهُ في النِّعمة هكذا، متى يتفرَّغُ للالتذاذ بها؟ وكيف يعدّها نعمة؟

وإذا نظرنا إلى باطن النِّقم والرزايا وجدناها من أعظم النِّعمِ علينا، وذلك لأنَّها ثوَّرت عندنا النَّدمَ والذلَّ، وخفضَ الجناح، فتردُّنا إلى حضرةِ ربِّنا، بعد أن كنَّا شردنا عنها بالزهوِّ والإعجاب بطاعاتنا، ورؤية علومنا ومعارفنا واستقامتنا، وسلامة أعراضنا، وغير ذلك، والله تعالى ما وضعَ لنا الطاعاتِ والعلومَ والمعارف إلاَّ ليردَّنا بها إليه، فلمَّا عكسنا القضيةَ ابتلانا بارتكابِ النقائص، ليردَّنا بها إليه. وفي المثل: من لا يجيءُ بشراب الليمون يجيء بحطبه.

وتأمَّلِ الأنبياءَ، وكُمَّلَ الأولياء لَمَّا طابَ عنصرُهم، لم يُبتلَ أحدٌ منهم بشيءٍ من القاذورات، لينكّس بها رؤوسهم؛ لأنَّ نفوسَهم صارت بالتكاليف في غاية الذُّلِّ، فلم يبتلوا بشيءٍ من النقائص.

وتأمَّلْ من لم يطبْ عنصرُه من العبّادِ والظلمة إذا أُعجبوا بأعمالهم، وحسنِ أحوالهم، كيف يصيرُ النَّاسُ لا يقدرونَ لهم على رضا؛ لرؤيتهم أنَّهم فوقَ النَّاس بدرجاتٍ،

وإذا أَمروا أحداً بمعروف، أو نهوه عن منكرٍ، أمروه بعنف، ونهوه بازدراء، بل حضر عندي مرَّةً سيّدي هارونُ ابنُ أميرِ المؤمنين، وشخصٌ من هؤلاء المُعجبين، فصار يَعلو على سيدي هارون بالألفاظِ المصرَّحة بتفضيله على سيّدي هارون، وسيدي هارون يُسلِّمُ له ذلك، فمثلُ هؤلاء هالكون وهم لا يشعرون، فإذا أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يرحمَ مثل هؤلاء ابتلى أحدَهم بزنًى، أو فحشٍ بصبي، أو بجاريةٍ، ثم يهتكُهُ بين الجيران والمعارف، ويُسلّطُ عليه من يسحبُهُ إلىِ بيت الوالي، فيكتبوا اسمَه في سجلِ المجرمين، ثم يُجرِّسُهُ الوالي بذلك الصبي أو بتلك الجارية على كتفه داير البلد، والخلقُ ينظرون، فيصير بعد ذلك يرى نفسَه أحقرَ من نقطةِ عَذِرَة[1]، ويودُّ أنَّ الأرضَ تبتلعه، فكانت هذه البليةُ عليه أبركَ من سائر طاعاته وأعماله التي تقدَّمت.

ومن كلام سيدي الشيخِ أبي الحسنِ الشاذلي رضي الله عنه يقول: معصيةٌ أورثتْ ذُلاً وانكساراً خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزًّا واستكباراً.

وكان سيدي أفضلُ الدينِ رحمه الله تعالى يقول: إذا رأيتَ فقيهاً يُزاحمُ في مراتب الفقر فإيَّاك ومُنازعته، وكِلْهُ إلى الله تعالى، فإنَّك إذا جادلتَهُ تعبت، وأقام لك أدلَّةً لصحَّة حاله، بقاله دون ذوقه وحاله، فلا يزدادُ إلاَّ مقتاً، وقد كثر المتصدّرون لذلك، وصاروا يُلقّنون الذِّكرَ للمُريدين، ويدّعون الطريق، ويزاحمُ أحدُهم على رغيف، نسأل الله العافية.

(٢٠٨) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُظهرَ التخلُّقَ قطُّ بأسماء العظمة والكبرياء، والعزِّ ونحوها** خوفاً من أنَّ الله يقصمنا، كما قال تعالى: «العظمةُ إزاري، والكبرياءُ ردائي، فمن نازعني واحداً منهما قصمتُهُ»[2]. فلا نتخلّقُ إلاَّ بالأسماءِ المأذون لنا في التخلّق بها، كالرحمن الرحيم، والرَّؤوف الكريم، والعفو الغفور، والجواد، والصبور، ونحوها، فثمَّ أسماء حرم وغير حرم، فافهم.

---

(١) العَذِرَة: الغائط.

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد ١٣/٢٩٠ عن أبي هريرة، وفيه: «فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم».

وسمعتُ سيدي عليَّ الخواص رحمه الله تعالى يقول: إيَّاك وإقامةَ الميزان على أحد، فإنَّ لله تعالى أرباباً في صورةِ عبيد، وعبيداً في صورة أرباب ، فإنَّ الحقَّ تعالى كثيراً ما يخلعُ على عبده خلعةَ العبودية، فيبرز فيها عبداً في نفسه، سيِّداً في عيون الحاضرين. انتهى.

ولما خُلعتْ العبوديةُ على أبي يَزيد البسطامي رضي الله عنه صارَ النَّاسُ يقومون له، فيتبرَّكونَ بأثوابه، فقال له بعضُ الفقراء: كيف تُمكِّنهُم من ذلك؟ فقال: ليس تَبرُّكهم بي، وإنَّما يتبرَّكون بحليةِ ربِّي التي حلاّني بها، وأما أنا فإنّي عبدٌ ذليلٌ، لا أَملكُ لنفسي نفعاً ولا ضراً، ولا موتاً ولا حياةً، ولا رزقاً، فكيف أرى بيدي حلاً أو ربطاً لغيري، ولا أقدرُ أجرُّ ذلك لنفسي. انتهى.

(٢٠٩) أُخذَ علينا العهودُ أن نكبرَ بإخواننا من الفقراء والفقهاء إذا اجتمعنا بأحدٍ من الأمراء، أو انقادَ لنا، وصارَ طوعَ يدنا، وأن لا نُظهرَ لأحدٍ من أقراننا عنده نقيصةً، وذلك ليُعاملنا الله تعالى بنظيرِ ما عاملنا به إخواننا، ولنخرجْ من صحبة ذلك الأمير مَستورين، فإنَّ هتكَ أستارِنا عند من يعتقدنا من الأكابرِ أصعبُ من القتل، فكلُّ مَنْ جرَّحَ إخوانه عند كبيرٍ، جازَاه الله تعالى بذلك، وقيَّضَ له من يجرّحه، ويخرجُ أضغانَه حتَّى يَصيرَ سُبَّةً من السبب.

وهذا الأمرُ يقعُ فيه كلابُ الدُّنيا، فيجرِّحون إخوانَهم عند ذلك الكبير الذي اجتمعوا به؛ لأجل سُحت الدُّنيا، خوفاً أن ينظرَ إلىَ غيرهم ممَّن هو أكملُ منهم في البلد، فلا يزالون يصرفون وجهَهُ عن العلماء والفقراء حتَّى يُهلكوه من حيثُ لا يشعر، ويصفون العلماءَ والصالحين بالصفات السيئة من صفاتِ نفوسهم قياساً عليهم، ثم إذا حصلَ لذلك صدمةٌ، لا يقدرُ أحدٌ منهم يردُّها عنه، فيجيئوا إلى الفقراء والعلماء، ويُقبِّلونَ أقدامهم، ويُحمِّلونَهم الحملات، والفقراءُ لا يدخلون إلاَّ في حملةِ مَنْ يَعتقدُ فيهم، وهو مَربوطٌ عليهم، وإلاَّ فالقلوبُ محلولةٌ منه على رَغم أنفهم، وهؤلاء الفقراء الذين أكلوا صدقته وإحسانه هم الذين كانوا سبباً لانحلال العلماء والصالحين من كبيرهم بإظهارِهم له نقائصَهم.

ثم إنَّ هؤلاء يدَّعون أنَّهم يُحبُّون ذلك الأمير لله، وهم كاذبون، فإنَّه ثمَّ في البلد

من هو أعلى درجةً منه، وأكثرُ نفعاً لهم في آخرتهم، وما من هؤلاء أحد يتردَّدُ إليه، ولا ينشرُ له صيتاً، فتأمَّل تجدِ الأمرَ أوضح من نارٍ على علم، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٢١٠) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نزيدَ في الأكل والشرب على السُّنَّة المحمدية، فنقوم عن الطعام ونفسُنا تشتهي ذلك الطعام والشراب، وقد قال أئمةُ اللغة: أكثرُ الأكلِ تسعُ لقمٍ لقوله ﷺ: «حسبُ ابنَ آدم لُقيماتٌ يُقمن صُلبَه»[1] واللُّقيماتُ من الثلاث إلى التسع، انتهى.

وهذا محمولٌ على أكلِ العبَّاد، وأصحابِ الرياضات، وأمَّا أصحابُ الأعمال الشاقة، والحِرف النافعة كـ ﴿الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فلهم الأكلُ على قدرِ حاجتهم حتَّى يَعملوا تلك الأعمال، ولو زادوا على التِّسعِ؛ لأنَّ الأعمال الشاقَّة تخرجُ الأكلَ عرقاً، وكذلك الذِّكرُ يحرقُ كلَّ شيءٍ في الجوف.

وكان شيخُنا يقول: نحن لا نحتاج إلى خلٍّ ولا فجلٍ ولا شيءٍ ممّا يُهضمُ الأكلَ، فإنَّ الذكرَ لا يدعُ عند صاحبه شيئاً من الكثائف.

ومحكُّ بيانِ اقتصارِ الآكل والشارب على السُّنَّة المحمدية الصرف التي لا يُخالطها حظٌّ ولا شهوةٌ للنفس، أن لا يوجدَ لبوله، ولا غائطه، ولا ضراطه، ولا فسائه رائحةٌ منتنة، فإن وجد ذلك فهو دليل على تعدّيه السُّنة، ثم يقلُّ النتنُ ويكثر، بحسب الزِّيادة على السُّنَّة، قلَّةً وكثرةً، فإنَّ الشهوةَ البهيمية كلَّما قويت زاد النتان.

وتأمَّل ما يخرجُ من اليهود، تجدْه أنتنَ من غيره؛ لكثرة شرههم في الطعام.

وتأمَّل ما يخرجُ من رهبان النصارى تجدْهُ أخفَّ رائحةً ممَّا يخرجُ من المسلمين؛ لكثرةِ جوعهم، وقلَّة أكلهم للشهوات والطيبات، وقد شاهدتُ غائطَ راهبٍ، فوجدته بعراً لا رائحةَ له.

وكذلك شهدتُ بولَ أخي أفضلِ الدين وغائطَه، وروائحُه لا ريح لها، وكان هو الذي يُخبرني في بعض الأوقات يَخرجُ ريحُه ويقول: شممتَ له رائحةً؟ فأقول: لا. فقلتُ له يوماً: ما سببُ عدم الرائحة في ذلك؟ فقال: ومن أين يأتي النتانُ لفضلاتي، وأنا لا آكلُ إلاَّ عند الاضطرار، ثم إذا أكلتُ لا آكلُ قطُّ بشهوةٍ بهيمية، وإنَّما آكلُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨١) والحاكم في المستدرك ٤/١٢١، وصححه، ووافقه الذهبي.

امتثالاً لأمرِ الله عزَّ وجلَّ، لكونه أمَّني على جثتي، وأمرني بالقيام بحقِّها، ولا أتذكَّرُ قطُّ أني أكلتُ لنفسي، إنَّما أكلتُ لكونها مُلكاً لربي. انتهى.

وكان الإمامُ البخاريُّ رضي الله عنه يُقلِّلُ الأكلَ بالتدريج، حتى انتهى أكلُه إلى لوزةٍ أو تمرةٍ واحدةٍ، فسألوه عن سبب ذلك. فقال: إنَّما فعلتُ ذلك حياءً من الله عزَّ وجلَّ أنْ يكثر ترددي إلى الخلاء، ويكشف سؤتي.

وكان الإمام مالكُ بنُ أنس رضي الله عنه لا يأكلُ إلاَّ كلَّ ثلاثة أيامٍ مرَّةً، ويقول: استحي من الله أن يَراني على الخلاءِ مكشوفَ السَّوأة.

وأخبرني أخي الشيخ الصالح إبراهيم الذَّاكر عن شيخه الشيخِ تاجِ الدين الذَّاكر المديني: أنَّ سيِّدي تاج الدين انتهى أكله إلى حدٍّ صار يتوضَّأ كلَّ أسبوعٍ مرَّة. فأخبرتُ بذلك سيِّدي الشيخَ شهابَ الدين الوفائي فسحَ الله في أجله، فقال: لم تكن قلَّةُ الطهارة من سيِّدي الشيخ تاجِ الدين لقلَّة أكله، وإنَّما كان من غلبةِ حالٍ تحرقُ كلَّ شيءٍ نزلَ في جوفه، ثم قال لي: وأنا ممَّن شهدَ الشيخَ من ناحية الجيزة، وقد عزمَ عليه أهلُها تسعةَ أيام، وسفرةٌ توضع وأُخرى تُرفع على مصطلح الأرياف، ما بين رزٍّ بلبن، ولحمِ ضاني، ودجاج وبسيسة[1] بسمن، ونحن ننظرُهُ يأكلُ من ذلك كآحاد النَّاس، ورمقناه التِّسعةَ أيامٍ لم يتوضَّأ.

وأخبرني خادمُهُ الشيخُ عبدُ الباسط الطلحاوي رحمه الله: إنَّه كان آخر عمره يتوضَّأ كلَّ اثني عشر يوماً وضوءاً واحداً، رضي الله عنه، فاعلم ذلك.

(٢١١) أخذَ علينا العهودُ أن لا نمكِّنَ أحداً من إخواننا يُقيمون ميزان عقلهم ونقلهم على أربابِ الأحوالِ من الأولياءِ والمجاذيب وغيرهم، ولو رأوهم قد أخرجوا الصلاة عن وقتها جملةً واحدةً، وذلك لسرعةِ العطبِ لمن أنكرَ عليهم، وكثرةِ سلبهم لمن قلَّ أدبُه معهم.

وقد حكي أنَّ سيِّدي محمد بن هارون[2] مرَّ على صبيٍّ قرَّاد، وهو جالسٌ يفلي ثيابه، وهو مادٌّ رجليه، فقال في نفسه: هذا قليلُ الأدب، يمرُّ مثلي عليه ولا يضمُّ رجليه.

---

(١) البسيسة: طعام حلو، ويقال لها المفروكة، من خبز وسمن. انظر معجم تيمور ١٧٤/٢

(٢) محمد بن هارون السنهوري صوفي كبير، وصاحب كشف وكرامات.

فسُلبَ في الحالِ من جميع علومه ومعارفه، فما رُدَّ عليه ذلك إلاَّ بعد كذا وكذا شهرٍ، وهو دائرٌ في البلد، فلا يجده، ثم وجده، فأرسلَهُ إلى شيخته، فقال له: قلْ لها ردِّي عليَّ علمي. فردَّته عليه، فاستغفرَ وتابَ[1]، فاعلم ذلك.

(٢١٢) **أُخذَ علينا العهودُ أن نأتيَ الرُّخصَ في بعض الأوقات إظهاراً للضعف، وتحصيلاً منَّا لمَقام محبَّةِ الله عزَّ وجلَّ** في قوله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُحبُّ أن تُؤتى رُخصُه، كما يُحبُّ أن تُؤتى عزائمُه»[2]. لكن مع مراعاةِ شروطِ الرخصة، وهو حصولُ المشقَّة، ولا نتكلَّفُ لما لا نقدرُ عليه إلاَّ بمشقةٍ شديدة، ولا ننزلُ إلى الرُّخص مع القدرة على فعلِ الأعلى بسهولةٍ في العادة، ونترك المكروهات كأنها حرام، ونفعلُ السُّننَ كأنَّها واجبة، فإنَّ كلَّ ماً مالَ إلى الاحتياط لا حرجَ على من يتدين به، إنَّما المذمومُ أن يأمرَ به النَّاس، ويُضيِّقَ عليهم، والشارعُ قد وسَّعَ عليهم، فاعلم ذلك.

(٢١٣) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا نمكِّنَ أحداً من إخواننا الذين هم تحت العهد والتربية أن يتصدَّرَ لوعظ النَّاس في المساجد وغيرها،** لأنَّ تمكيننا لهم من ذلك من أعلى طبقات الغشِّ له، وفي الصحيح «من غشنا، فليس منَّا»[3].

وكلُّ شيخٍ تركَ تلميذَه يعظُ النَّاسَ، فقد تعرَّضَ لبراءةِ رسولِ الله ﷺ منه، فافهم، فإنَّ الوعظَ رياسةٌ، ومن لم يَكمل سلوكُه، ولم تمتْ له نفسٌ، لا يَنبغي له أن يعظ.

ومحكُّ وصوله إلى موتِ نفسه أن يصيرَ بحيث لو جلسَ في بيت الحَشيشِ

---

(١) كذا الخبر في الأصل، به حذف مخلٌ، وكأنه يعتمد على شهرة القصة، والخبر في طبقات الشعراني ٣/٢ أنه بعد سلبه، بحث عنه حتى وجده في رميلة مصر، فلمّا نظر القرّادُ الكبير إليه قال له: مثلك يخطر في خاطره أن له مقاماً أو قدراً؟ هذا الصبيُّ سلبك حالك، فله أن يمدّ رجليه بحضرتك لكونه أقرب إلى الله منك. فقال: التوبة، فأرسله إلى سنهور إلى الحائط التي كان ماداً رجليه عندها، وقال له: نادِ السحلية التي هناك في الشق، وقل لها: إن قزمان طاب خاطره عليَّ، فردّي عليَّ حالي فخرجت، ونفخت في وجهه، فردّ الله عليه حاله.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه ٦٩/٢ (٣٥٤)، والطبراني في الكبير (١١٨٨٠)، وأبو نعيم في الحلية ٢٧٦/٨.

(٣) رواه مسلم (١٠١)، والترمذي (١٣١٥)، وأبو داود (٣٤٥٢)، وابن ماجه (٢٢٢٤).

والبُوظة[1] مع أهل تلك الكتبة، لا يجد في قلبه تأثيراً ولا خجلاً من النَّاس الذين يمرُّون عليه، وإذا دخلَ محفلاً و لم يفسحْ له أحدٌ لم يتغيَّر، ولو جمعوا له غسالة أيدي الجعيدية[2]، والصِّغار، والعبيد، وقدَّموها له، أكلها بانشراحِ نفسٍ، ويرى نفسَه دونَ كلِّ جليسٍ من المسلمين، فإذا حكَّ نفسَه بهذا المحك، فهناك يجوزُ له التصدُّرُ لوعظ النَّاس.

وأمَّا من خرجَ من المحكِّ نحاساً، كالذي يُزهِّد النَّاس، وهو مكبٌّ على جيَفِ الدُّنيا كالكلب، ويُزاحمُ على وظائفِ ضعفاء الفقهاء، ويكتب له قصَّةً في حصول وظيفةٍ فيها رغيفٌ كلَّ يومٍ أو درهم، أو يزاحمُ النَّاسَ على شيءٍ من فضولِ الدُّنيا، فهذا يُشبه الدجاجلة، فإنَّ الدَّجلَ هو التمويه بالباطل، نسأل الله اللطف.

(٢١٤) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نزدري العلماء إذا لم يعملوا بعلمهم؛ بل نكرمُهم لكونهم حملةَ الشَّريعة، ونفسُ العلم صفةٌ يستحقّون بها المدحَ، وأمَّا كونُهم لم يعملوا فذلك إلى الله الذي لم يقسمْ لهم عملاً، فتركُ العملِ نقصُ رتبةٍ لا غير، فمِنَ النَّاسِ من قسمَ الله له علماً وعملاً، ومنهم مَنْ قسمَ له علماً بلا عملٍ، ومنهم من قسمَ له عملاً بلا علم، والحجةُ قائمةٌ على جميعِهم؛ على الجاهلِ من حيثُ جهله، وعلى العالِمِ من حيث علمه.

ولكنْ إذا رأينا فقيهاً مال إلى نُصحنا، قلنا له: علمُ الإنسانِ حجَّةٌ عليه، إذا لم يعمل به، فكيف تطلبُ الزِّيادةَ، وأنت لم تعمل بالقليل؟ وإن رأيناه لم يَملْ إلى نصحنا كالذي دأبُهُ الجدال من غير عملٍ، وعلمه موضوعٌ في نفسِه لا في قلبه ولا روحه، فذلك واجبٌ إهمالُهُ؛ لئلا تقومَ النفس، فيردَّ الحقَّ اليقينَ، ويحرّفُ الآيات والأخبار، ويزدرينا، فيقعُ في كذا كذا كبيرة، ولو أنَّا كنَّا أهملناه لكان كبيرةً واحدة.

وقد مرَّ إبراهيمُ بنُ أدهم[3] على حجرٍ في البرية مكتوبٌ: اقلبني تعتبرْ. قال

---

(١) البُوظة: خمر يُتخذ من القمح والخبز، وأكثر من يشربها السودان.

(٢) انظر تعريفها الذي تقدم في العهد (١١٩).

(٣) إبراهيم بن أدهم التميمي البلخي أبو إسحاق: زاهد مشهور، كان أبوه من أهل الغنى في بلخ، فتفقه ورحل إلى بغداد، كان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحن، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، كان يصوم في السفر والإقامة، وينطق بالعربية الفصحى ولا يلحن، مات سنة ١٦١هـ، ودفن في حصن من بلاد الروم .

إبراهيم: فقلبتُهُ، فوجدتُ فيه مكتوباً: أنت بما تعلم لا تعمل، فكيفَ تطلبُ علمَ ما لا تعلم؟ قال إبراهيم: فمن ذلك اليوم ما تعلّمتُ شيئاً إلاَّ إن عملتُ بجميع ما أعلمه. فهذه طريقُ العارفين الذين يَطلبون العلمَ للعمل، فاعلم ذلك، والله غفورٌ رحيم.

(٢١٥) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نحجرَ على أحدٍ من عوام المسلمين، بالتزام مذهب معين** لا يتديَّنون بغيره إلاَّ إن سهلَ ذلك عليهم، فإن عسرَ عليهم أقرَّيناهم على كُلِّ فعلٍ فعلوه ما داموا في سياجٍ مجتهدٍ من المجتهدين، وذلك خوفاً من أن تلحقنا دعوةُ رسولِ الله ﷺ علينا حينئذ في قوله: «اللَّهُمَّ، من شقَّ على أُمَّتِي فاشقُقْ اللَّهُمَّ عليه»[1]. ولا أحدَ أشقُّ عليهم ممن يحكمُ ببطلان عباداتهم، ومعاملاتهم، ومناكحاتهم بأمورٍ لم تصرحْ بها الشريعةُ، ولا أجمعَ عليها الأئمة، ونأمرهم بالتزام مذهب واحد بعينه لم يأتِ ببطلانِ غيرهِ خبرٌ ولا أثرٌ، إنَّما هو من باب ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤].

فلا يجبُ التزامُ مذهبٍ معينٍ إلاَّ على الفقهاء الذين يعرفونَ نصوصَ إمامِ مذهبهم.

وأمَّا العامة فلا يصحُّ لهم ذلك، ولا يتصوَّرونه أصلاً، ولم تزلِ العامَّةُ في كلِّ عصرٍ يُصلّون ويصومون مع المسلمين، ولا أحدَ من الأئمة يتعرَّضُ لهم ببطلان عباداتهم رحمةً بهم.

وقد غلب هذا التضييق حتَّى على الوعّاظ، فقنَّطوا النَّاسَ من رحمة ربِّهم؛ بل رأيتُ بعضَهم يقول للعامَّة: جميعُ عباداتكم باطلة لعدمِ انقيادكم لمذهبٍ معين، وإذا كانت عبادتُكم باطلة، فكأنَّكُم لم تُصلُّوا، وإذا لم تصلُّوا، فأنتم من حطبِ جهنم، فشقَّ ذلك على النِّساء والعوام، فلولا أنّي تداركتهُم لهلكوا من اليأس، وهذا التضييق كلُّه من ظُلمة الباطن، وأكلِ الحرام والشبهات.

وقد رأيتُ بعضَ الوعّاظ اجتمعَ بشخصٍ من أكابر الدولة، وأخذَ مالاً ليُفرِّقَهُ على علماء البلد وفقرائها، فبعضُ النَّاس ردَّ ولم يأخذْ، فصار يقول: إنَّما ردَّ من ردَّ لقلّة دينه، وظلمةِ باطنه، فإنَّ مالَ الأمير حلال. ويحرِّجُ على من تورَّعَ تمهيداً لنفسه هو؛ لانهماكِهِ على ماله وأوساخِهِ، فمثلُ هذا كيف يَصلحُ أن يكون واعظاً؟ وبتقديرِ أن

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٨) عن عبد الرحمن المهري.

يكون حلالاً صِرفاً، وردَّه إنسانٌ، فهل يسوّغُ بالشرع الاعتراضُ عليه؟ فاعلم، ووسِّعْ يا أخي على الأُمَّة، وضيّقْ على نفسك إن كنتَ رجلاً، والله يتولّى هُداك.

(٢١٦) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُمكّنَ أحداً من إخواننا الفقهاءِ يُنكر على من ابتدعَ شيئاً على وجه القربة إلى الله تعالى،** فإنَّ كلَّ ما ابتُدعَ على هذا الوجه مَعدودٌ من توابعِ الشريعة، وليس ببدعة، بل هو من الشَّريعة، فإنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «من سَنَّ سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجرُ من عمل بها»(١). فأباحَ لعُلماء أُمَّته أن يَبتدعوا كلَّ ما رأوه حسناً، وجعلَ لهم الأجرَ بابتداعهم، وأثابَ من عَملَ بذلك، كما حكم رسولُ الله ﷺ لحكيمِ بنِ حزام بالخيرِ حين سألَهُ عن فعل أمورٍ كانَ تَبرَّر فيها في الجاهلية؛ من صدقة، وعتقٍ، وصلةِ رحمٍ، وكرمٍ، فقال له: «أسلمتَ على ما أسلفتَ من خير»(٢). فسمّى ﷺ ذلك الفعلَ الذي ابتدعَهُ حكيمٌ في الجاهلية خيراً، وأَخبره أنَّ الله تعالى جازاه به خيراً.

فقد علمتَ يا أخي أنَّ **كلَّ من كانَ على مكارمِ الأخلاق فهو شرعٌ من ربِّه،** وإن لم يعلمْ هو ذلك، فللأمّة أن يسنُّوا ما شاؤوا، ولكن فيما لا يُخالف شرعاً مشروعاً، هذا حظهم من التشريع. فإن لم تُفهم الشَّريعةُ هكذا فما فُهمتْ، والله واسعٌ حليم.

(٢١٧) **أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نخوضَ قطُّ في أحوال أهلِ البرزخ، وما بعده إلاَّ بما وردَ فقط،** إذ ليسَ للعقل مجالٌ في ذلك، بل ولا لأهل الكشف، وذلك كالخوضِ في أنَّ ثوابَ القراءةِ يصلُ إلى الميِّتِ أم لا؟ وهل هو مُعذَّبٌ أو مُنعَّم؟ وهل مات على الإسلام أو خُتم له بسوءٍ عند طلوع روحه؟ ونحو ذلك.

وإذا رأى أحدٌ من أهلِ الكشف شيئاً، فالواجبُ كتمُهُ عن العامة لحديث: «لولا أن تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعَكُم عذابَ القبر»(٣). وكلُّ ما رجَّحَ الشَّارعُ كتمَهُ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير.

(٢) رواه البخاري ٢٢٦/٥ في الصلح، و٦٣/٥ في الجهاد، ومسلم (١٠٠٩) في الزكاة عن حكيم بن حزام.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ١١٤/٣، وأبو يعلى (٣٧٢٧).

فالأدبُ سترُهُ.

وكان سيِّدي عليُّ الخوَّاص يقول لكلِّ من سأله عن مقامٍ، أو عن شيءٍ من أحوال البرزخ: سوف يتَّضحُ لك الأمرُ في الآخرة، واللهُ عزيزٌ حكيم.

(٢١٨) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نخوضَ في معاصي الأنبياء، وخطياهم التي أضيفتْ إليهم، وعُوتبوا من أجلها، فإنَّ مقامَهم لا يَذوقُهُ أكملُ الأولياء، فكيف بمن هو غارقٌ في شهوةِ بطنِه وفرجه لا يبرح؟ فإنَّ غايةَ درجاتِ الولاية بدايةُ درجات النبوة، فكيفَ يليقُ بمثلنا أن يتجرَّأَ على مقام النَّبوة، ويحملَ حالَ أصفياء الله وأكابرِ حضرته على حالِ صغار حضرة الشياطين الذين تلعبُ بهم المردةُ؟!

وملخَّصُ القول: إنَّ أحوالَ الأنبياء منافيةٌ لصفاتنا معنًى وجسماً، وما ثَمَّ إلاَّ الأسامي.

وكان الشيخُ أبو مدين التلمساني رضي الله عنه يقول: كانت معصيةُ آدم عليه السلام في غيبِ الله تعالى من عين المنَّة لا من عينِ النقمة، لِمَا حصلَ له بسببِها من الخيرِ والبركة، ولو كنتُ مكانَهُ لأكلتُ الشَّجرةَ كلَّها.

وكان سيِّدي الشيخُ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: ما أنزل اللهُ آدم عليه السلام إلى الأرض إلاَّ ليرفعَ له الدرجات؛ فإنَّ الأنبياءَ عليهم السلام لا يُنقلون قطُّ إلى حالٍ إلاَّ لأعلى منها؛ لدوامِ ترقِّيهم وعصمتهم، ولكن تارةً يكونُ ترقِّيهم بالقرب والتَّخصيص، وتارةً بالذُّلِّ والمسكنة، وهذه في التَّحقيق أتمُّ ممَّا قبلها؛ لأنَّها صفةُ كُمَّلِ العبيدِ، فحصل لآدم بذلك عُبوديتان؛ عبودةُ التعريف السابق، وعبودةُ التَّكليفِ اللاحقِ، فعظمتْ بذلك منَّةُ الله تعالى عليه.

وقد أوضحنا الكلامَ على عذرِ آدم عليه السلام في أكله من الشجرة في كتابنا المسمى «فرائد القلائد في علم العقائد» والله أعلم.

(٢١٩) أُخِذَ علينا العهودُ أن لا نُمكِّنَ أصحابَنا من الاشتغالِ بعلم الكلام على مصطلح أهله، فإنَّ العقائد الصحيحة هي ما ثبتَ عند العبد من أصل فطرته، وذلك هو الذي يموتُ العبدُ عليه، ويُبعثُ عليه، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾

[الروم: ٣٠] يعني لا يَعلمونَ أنَّ الدِّين القيِّمَ هو الذي عندهم بالفطرة، إنَّما يقولون القيِّمُ هو المُكتسب بشهودهم زيادته في بعض الأوقات، والحقُّ أن آخرَ ما يصل إليه العبدُ عند طلوع روحه هو مقامه في الإيمان لا يتعدَّاه، فمن نظرَ للزيادة قال: إنَّه يزيد وينقص، ومن نظرَ لإيمان الفطرة قال: لا يزيد ولا ينقص، ومن نظر إلى الوجهين أقرَّ المقامين، فاعلم ذلك، والله واسعٌ عليم.

(٢٢٠) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكِّنُ أحداً في مجلسنا يجر قافيةَ مَنْ ظلمه، ويذكرُ لنا عُجرَه وبُجرَه، إلاَّ إن كنَّا قادرين على تخليصه منه، وأتمَّ نظراً من الناظم، فهناك يجوز لنا الإصغاءُ إلى كلامه، وأما إذا كنَّا عاجزين عن تخليص حقِّه أو كان الظالمُ له بزعمه أتمَّ نظراً منَّا، كأكابر العُلماء، منعناهُ، أو سدّينا آذاننا عن سماعه، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٢٢١) أُخذَ علينا العهودُ أن يكونَ معظمُ اشتغالنا في الأمور التي تنفعُ إخواننا من المسلمين في دينهم ودنياهم، ونُقدِّمُ ذلك على الخيرِ القاصرِ نفعُهُ على خاصَّة أنفسنا، ثم بعد نفعِ إخواننا لا يكونُ عندنا أهمُ من صقلِ مِرآة قلوبنا؛ لأنَّ كلَّ من انجلتْ مرآةُ قلبه صارَ قلبُه مرآةً للوجود، يُخبره عما مضى، وعمَّا هو آتٍ، ويُغنيه عن مُطالعة كتب جميع النَّاس.

وكان سيِّدي الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه يقول: نحن لا ننظرُ في كلامِ غيرنا لنستفيد منه ما لم يكن عندنا، وإنَّما ننظرُ فيه لنعرفَ ما منَّ الله به علينا.

وكان سيِّدي أبو السعود بن أبي العشائر[1] يقول: لا يكملُ الفقيرُ حتَّى يصيرَ كتابُهُ قلبَه، ومادامَ يحتاجُ إلى مُطالعةٍ في كلام غيره، فهو مُحتاجٌ إلى صقل المِرآة، فاعلم ذلك، والله غفورٌ رحيم.

---

(١) أبو السعود بن أبي العشائر بن شعبان شيخ الخرقة السعودية بالقاهرة، أصله من قرية واسط، وبها نشأ ولازم العبادة. كان الملك الظاهر يعظّمه وينزل إليه، ويحترمه ويقعد على ركبتيه بين يديه كالعبد المملوك. وكان من أوسع الأولياء دائرة في السلوك، توفي سنة ٦٤٤هـ ودفن بالقرافة في سفح المقطم.

(٢٢٢) أخذَ علينا العهودُ أن نكرمَ النَّاسَ على قدر ما هم عليه من التواضع، فأحقُّ النَّاس بأكثرِ الإكرام والبشاشةِ أكثرُهم تواضعاً لله تعالى ولخلقه، واللهُ عزيزٌ حكيم.

(٢٢٣) أخذَ علينا العهودُ أن لا ننتصرَ قطُّ لمريد ظُلم، بل نأمرُه بالصبر، ونعلِّمُه أنَّ ذلك امتحانٌ من الله تعالى له، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُم أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] فجعل صدقَ الصبرِ في طريق (جعلهم أئمة يهتدي النَّاسُ بهم)، فمن انتصرَ لمريدٍ فقد جهلِ أماراتِ الطريق، وسعى في غلظ حجاب المُريد.

وقد جرت سُنَّةُ اللهُ تعالى مع خواصِّ عباده وأصفيائه أن يُسلِّطَ عليهم الأذى من النَّاس في مُبتدئ أمرهم، حتَّى لا يَركنوا لسواه، ويتخلَّصوا من شركِ الوسائط، ثم تكونُ الدولةُ لهم آخراً، وكان ذلك من الحقِّ لهم جرياً على سنن الأخلاق الإلهية، فإنَّه تعالى قد قضى في سابق علمه على قومٍ بالشقاء حتَّى رموه بالبهتان والزُّور، وجعلوا له صاحبةً وولداً، ويدُه مغلولةٌ، كلُّ ذلك تحملاً عن عباده، وفتحاً لباب التأسّي به، حتَّى إذا ضاق ذرعُ النبيِّ أو الولي من كلامٍ قيل فيه، نادته هواتفُ الحقِّ تعالى: قد تكلَّموا في حقّي قبلك، ولولا لطفي بك لجعلتُكَ مِمَّن يتكلَّمُ فيَّ وفي عبادي، فاشكرني إذا جعلتُ لك أُسوةً بي وبأنبيائي: كنوح، وإبراهيم، ولوط، ويوسف، وموسى، ومحمد ﷺ وعليهم أجمعين، فكلُّهم أُوذوا أشدَّ الأذى، وأُخرجوا من ديارهم، وبعضُهم قُتلوا بغيرِ حقٍّ.

وكذلك قد استقرَّ بنا وقائعُ كلِّ من قامَ بحقٍّ من العلماء والفقراء لا بدَّ له في ابتداء أمره من الأذى والإخراج من الأوطان، أمرٌ مستقر، فعُلمَ أنَّه لا يليقُ بالشيخ والمُريد إلاَّ السُّرورِ بالأذى؛ لأنَّه علامةُ فتحِه، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٢٢٤) أخذَ علينا العهودُ أن نحذرَ مِمَّن يُحسنُ إلينا أكثرَ مِمَّن يُسيء؛ لأنَّ من أحسنَ إلينا فقد أدخلنا في رقِّه، فجرحَ كمالَ عبوديتنا، بخلافِ من لم يُحسنْ إلينا، وأمَّا من أساءَ علينا فقد أحسنَ إلينا كلَّ الإحسان؛ لسعيه لنا في كمالِ عبوديتنا، ولو لم يقصدْ هو ذلك.

وكان الشيخ أبو يزيد البسطامي لا يُقيم إلاَّ في مواضعِ الإنكارِ عليه والأذى له، فسُئل عن ذلك، فقال: إنَّما أفعلُ ذلك لتتمَّ عبوديتي لي.

فإنَّ الاعتقادَ في العبدِ بنقص كمالهِ لشروعهِ في صورة منازعةَ الحقِّ تعالى في رتب الكمال، فاعلمْ ذلك، واللهُ عزيزٌ حكيم.

(٢٢٥) **أخذَ علينا العهودُ أن نسكتَ عند مدحِ النَّاس لنا عن نحوِ قولنا**: نحن أقلُّ النَّاس، أو نحن أفسقُ النَّاس. فإنَّ قولنا ذلك مَعدودٌ من تَلبيساتِ النفس، كأنَّها تُريد تتبرَّأَ ممَّا ظنَّه النَّاس فيها من الفرح بالمدحِ حين السكوت، ولو كانتْ سكتتْ، وأوهمتِ النَّاسَ أنَّها تحبُّ المدح واستغفرت، لكانَ أحسنَ، هذا أمرٌ واجبٌ فعله مادام أحدُنا تحت سُلطان نفسه، فإن صارتْ نفسُنا تحت سُلطاننا فنحن بالخيارين؛ الجواب والسكوت.

وقد حُكي أن شخصاً كان يَسبُّ الإمام علياً رضي الله عنه، ويقع فيه، فمدحَهُ يوماً بحضرة ملأٍ من النَّاس، فقال الإمام عليٌّ لذلك المادح: أنا دونَ ما تقول، وفوقَ ما في نفسِك، فاعلم ذلك.

(٢٢٦) **أُخذَ علينا العهودُ إذا خرجنا إلى مكانٍ بعيد، لا نرجعُ منه في العادة** إلاَّ في خمس درج[1] فأكثر، أن نقولَ قبل خروجنا: اللَّهُمَّ، إن كان في علمكَ أنَّ أحداً من إخواننا أو غيرِهم، يأتينا في هذه الغيبة لحاجة أو سلامٍ، فعوِّقه عن الخروجِ حتَّى نرجع، وإن كان خرجَ عوِّقنا له حتَّى يأتي، «واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه»[2]، فاعلم ذلك.

(٢٢٧) **أُخذَ علينا العهودُ أن نتحمَّلَ عن أصحابنا الكلفَ التي تَنوبنا في الدُّنيا**، ولا نظهر قطُّ احتياجَنا لشيءٍ بحضرهم؛ لئلا يُسارعوا لفعلِ تلك الحاجةِ من غير تحريرِ نيَّة، إظهاراً للنخوة بحضرةِ النَّاس، وقد كان رسولُ الله ﷺ يُخفي حاجتَهُ عن خوَّاص أصحابه، ويشدُّ الحجرَ على بطنه تحت الثياب. قال أنسٌ رضي الله عنه:

---

(١) الدرجة تعادل أربع دقائق، أي في عشرين دقيقة.

(٢) رواه أحمد في المسند ٢/٥٠٠، وإسناده صحيح.

ما كنَّا نعرفُ الجوعَ من رسولِ الله ﷺ إلاَّ باصفرارِ الوجه[1].

فعُلِمَ من ذلك أنَّه لا يَنبغي لفقيرٍ لا مالَ له أن يَعملَ مولداً، أو طهوراً، أو أُسبوعاً، أو وليمةً، ولا أن يعزم على أحدٍ من الأكابر، لئلا يجوّنَ[2] إخوانَه في المساعدة والنقوط للمدَّاحين، ويقولوا: ما بقيَ إلاَّ سدنا المسألة[3].

وربّما يقولون فيما بينهم: سيِّدي الشيخ، بلغنا أنَّه يُريد يعملُ مولداً، وما نعرفُ أيش نساعدُه به، ونخافُ أن نتخلَّفَ عن الحضور، فيعتبُ علينا الشيخُ وزبانيتُه، فيحضرُ أحدُهم كالمكره، ويخرجُ النقوط في الملأ، ليقال وربَّما يُحوِّشُ العتامنة[4] والقشاقيش، تكثيراً للشلش[5]، ويثقلُ عليه أن يُعطي جميعَ ما يُريد يُعطيه للمدَّاحِ خفيةً، بحيث لا يدري الشيخُ ولا الزَّبانيةُ، فإذا أَعطى على هذه النيَّة، فهو غير مثاب؛ لأنَّه نفاقٌ ليقال، وقد قيل، ثم لا يُبارك للآخذ فيما يأخذه.

وليحذرِ الشيخُ أن يمكِّنَ زبانيتَه بأن يدعو أميرَ المؤمنين، أو أحداً من الأكابر إلى وليمة، أو عرسٍ، أو طهورٍ، فإنَّ ذلك سوءُ أدبٍ معه، ومن أين لأمثالنا مِن أولاد الفلاحين والزياتين أن يَرى نفسَهُ يستحقُّ أن يدعوَ إلى بيته أحداً من الفقهاء، أو المُقدَّمين للوالي، فضلاً عن أميرِ المؤمنين، فالعاقلُ من عرفَ نفسَهُ، والسلام.

(٢٢٨) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نمنع أحداً من تلامذتنا أن يزور أحداً من أقراننا ومشايخ عصرنا، إلاَّ إن علمنا من طريقِ الكشف التامِّ الذي لا يدخلُهُ محوٌ أنَّ فتحَهم لا يكونُ إلاَّ على يدنا، فنمنعُهم من الاجتماع بغيرنا، تقريباً للطريق عليهم. وأمَّا إذا لم نعلمْ أنَّ فتحَهم على يدنا، فلا ينبغي لنا منعهم.

وقد حُكي أنَّ سهلَ بنَ عبد الله التُّستري[6] رضي الله عنه منعَ تلميذاً له أن يجتمعَ

---

(١) لم أجده في المصادر التي بين يدي.

(٢) تقدم شرح التجوّن في العهد (١٢٦).

(٣) كذا في الأصل.

(٤) العتامنة: جمع عثماني. ضرب من النقود. انظر التصوف الإسلامي ١/ ٣٨١.

(٥) كذا في الأصل. في التصوف الإسلامي ١/ ٤٦٥: تكثيراً للفعل.

(٦) سهل التُّستري (٢٠٠-٢٨٣هـ) أحد أئمة الصوفية، وعلمائهم، والمتكلمين في علوم الإخلاص والرياضات وعيوب النفس.

بواحدٍ من أقرانه، فقالَ له بعضُ الفقراء: لِمَ منعتَهُ؟ دعِ الفقراءَ يلقح بعضُهم بعضاً، وكلُّ شيخٍ كان أقوى صنارةً جذبَ ذلك المُريدَ بالخاصِّية، كما يجذبُ حجرَ المغناطيسِ الحديدَ. فقال سهلٌ رضي الله عنه: إنَّما منعتُهُ لأنَّ كشفي أعطاني أن فتحَهُ لا يكون إلاَّ على يدي، فقرَّبْتُ عليه الطريق. فقيل له: أو تَعرفُ ذلك يا سيِّدي؟ فقال: نعم أعرف تلامذتي من يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وأعرفُ من كان هناك عن يميني، ومن كان عن شمالي، ولم أزل أُربِّيهم في الأصلاب، وأنا في الأَصلابِ حتَّى وصلوا إليَّ.

وبلغنا أن سيِّدي حاتماً خدم سيِّدي أبا السعودِ ابن أبي العشائر عشرَ سنين، وهو يسألُهُ أن يأخذ عليه العهد. فيقول: لستَ من أولادي. فقال له يوماً: فأنا من أولاد مَنْ؟ فقال: من أولاد أخي أبي العباس البصير[1] ببلادِ المغرب. فقال: يا سيِّدي أأسافرُ له؟ فقال: لا، هو يأتي إليكَ. فلمَّا وصلَ سيِّدي أبو العباس إلى ساحل بولاق بمصر، أرسلَهُ، فلمَّا رآه قال: جزى اللهُ أخي أبا العباس عنِّي خيراً في حفظكَ لي، رضي الله عنه.

وكذلك بلغنا أيضاً عن سيِّدي تاجِ العارفين أبي الوفا[2]، أنَّه أرادَ أن يأخذَ العهدَ على فقير من غير كشف أنَّه من أولاده، فأبى الفقير، وقال: قبلَ أن تأخذ العهد عليَّ، أقرأْ ما بجبهتي، إن كنتُ من أولادك، فخذْ عليَّ العهد، وإلاَّ فاتركني لوالدي. فنظر سيِّدي تاجُ العارفين إلى جبهة الفقير، ثم غُشي عليه، فلمَّا أفاقَ قال: وجدت على جبهته داغ[3]: أحمد ابن الرفاعي. فقيل له: وما أحمدُ ابن الرفاعي؟ فقال: رجلٌ من العجم، سيظهرُ من قريبٍ، ويحيرُ النَّاسُ في أمره. فمات سيِّدي تاجُ العارفين، وعاش ذلك الفقيرُ إلى أن ظهرَ أمرُ سيِّدي أحمد، فسافرَ إليه، وأخذ عنه، وحكى له

---

(١) أحمد بن محمد ابن غزالة، أبو العباس البصير: صوفي عارف، أصله من المغرب، ثم قطن مصر، وكان له كشف تام وقبول. الكواكب الدرية ٢/٣٣٦.

(٢) محمد بن محمد تاج الدين إمام المسلِّكين، وشيخ المريدين، تاب في مجلسٍ له كثير من الرجال، وكانت طريقته أن من تاب يحلق رأسه، مات حوالي سنة ٥٠١. الطبقات الصغرى للمناوي صفحة ١٩١.

(٣) داغ بالفارسية: الوصم، العلامة التي تعلم على بدن الإنسان أو الحيوان بالحديد المحمى. المعجم الذهبي.

القصةَ، فقال: رحمَ الله أخي تاجَ العارفين ما كان أَتمَّ اطلاعه.

وكذلك بلغنا أن سيِّدي أبا العباس المُرسي عملَ عصيدةَ سيِّدي ياقوتِ العرشي[1] بإسكندرية أيَّام الصيف، فقالوا له: إنَّ العصيدةَ إنَّما تُعمل في أيَّام الشتاء. فقال: هذه عصيدة أخيكم ياقوت، ولدَ الليلةَ في بلاد الحبشة.

وحُكي أنَّ سيِّدي الشيخ عبد الرَّحيم القناوي[2] أرادَ أخذَ العهد على مُريدٍ من جماعةِ سيِّدي أبي العباس البصير، بعد موت سيِّدي أبي العباس، وكان سيِّدي عبدُ الرَّحيم جالساً في محراب زاويته، فخرجتْ يدُ سيِّدي أبي العباس من الحائط، فقبضتْ على يده، ومنعتْهُ الأخذ، فقال سيِّدي عبدُ الرَّحيم: رحمَ الله أخي أبي العباس يَغارُ على أولاده حيًّا وميتاً.

وبلغنا أن سيِّدي محمد بن هارون بسنهور المدينة كان يقومُ لوالد سيِّدي إبراهيم وهو في صُلبه، فيقولُ النَّاس: لِمَ تقومُ لهذا الرجل، وهو لا يَستحقُّ القيام من مثلك؟ فيقول: في ظهره وليٌّ من أولادي اسمه إبراهيم رضي الله عنه.

وحكى لي شيخنا سيِّدي عليٌّ الخوَّاص رحمه الله: أنَّ سيِّدي إبراهيم المتبولي كان يقول: وظيفةُ خدمةِ الحجرةِ النبوية من بعدي لشخصٍ يظهر ببلاد الشرقية، يُقال له محمد بن عنان رضي الله عنه.

هذا ما عليه الجماعة من الصُّوفية ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وأمَّا سيِّدي الشيخُ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه فكان يقول لأصحابه: لا آمرُكُم بالتقيِّدِ على صحبتي، ولكنْ إن وجدتُّم مَنهلاً أعذبَ من منهلنا فدونكم. رضي الله عنهم أجمعين.

(٢٢٩) أُخذَ علينا العهودُ أن نُخالطَ الفقراء والمساكين وأصحاب الأمراض،

وذلك ليُذكِّرونا بأحوالهم قدرَ ما علينا من النِّعمِ الجسام، وهذا الأمرُ قد أغفلَهُ غالبُ

---

(١) ياقوت العرشي الحبشي أجل تلاميذ أبي العباس المُرسي، سمي بالعرشي لأنه كان ينظر إلى العرش، أو لأنه يسمع أذان حملة العرش. له كرامات ومكاشفات، مات سنة ٧٣٢هـ. الكواكب الدرية ٣/١٠٤.

(٢) عبد الرحيم بن أحمد السبتي الأصل، قدم من المغرب، وأقام بمكة سبع سنين ثم قطن قنا من صعيد مصر حتى مات، جمع الله له بين الحقيقة والشريعة. قال عنه المنذري: كان أوحد زمانه، أحد الزهاد المشهورين، من أعيان الصالحين مات سنة ٥٩٢هـ. الكواكب الدرية ٢/٢٦٣.

فقراء زماننا، حتَّى صاروا أكثرَ غفلةً عن الله عزَّ وجلَّ من أكابرِ التجَّار، وأقلَّ شُكراً من ضعفاء العوام؛ فإنَّ غالبَهم من حين يَصيرُ لزاويته معلوماً[1]، أو مسموحاً يَستندُ إليه، وينسى صفةَ الافتقارِ إلى الله تعالى، ولو أنَّهم بقوا على حكم التجريد، لم يُحجبوا عن ربِّهم، ومن هنا قال رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ، اجعلْ رزقَ آلِ محمد قُوتاً»[2].

وقال: «يا عائشة، إيَّاكِ ومجالسةَ الأغنياء، ولا تستخلقي ثوباً حتَّى ترقِّعيه»[3].

وقيل للجنيد: لَمَ جمعتَ عندَك هؤلاء الفقراء؟ فقال: لينبِّهوني بفقرهم إليَّ في التربيةِ وغيرِها على افتقاري إلى الله تعالى.

وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينَ﴾ [التوبة: ٦٠]. فمن لم يكنْ بصفةِ الفقرِ على الدوام، حُرِمَ من صدقاتِ الحقِّ التي لا تنقطع عن عبادِهِ في ليلٍ أو نهار، والله أعلم.

(٢٣٠) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نُجيبَ من دعانا لمحفل يجتمع فيه علماء البلاد، وتجارُها، ومُباشروها كالختوم التي تُعملُ في جامعِ الأزهر حين يَختمُ العلماءُ الدُّروسَ، إلاّ بنيَّة صالحة، فإن **في ذلك جملةً من الدَّساسِ الباطنة منها**: إظهارُ العلمِ دون العمل.

ومنها: أنَّه يُعجبُ بعمله إذا سترَهُ اللهُ في أجوبةِ المسائلِ والمشكلات.

ومنها: أنَّه لا يقومُ إلاَّ وقلبُه مُظلمٌ لا نورَ فيه، لأنَّ ما كان فيه قذَفَهُ إلى خارج، وليس ذلك من فعلِ العلماء والسلفِ الصالحين.

ثم لا يخلو إمَّا أن يكونَ مع صاحبِ الختم علمٌ ليس عند الأكابر من العلماء الذين يحضرون، أم لا؛ فإن كان معه علمٌ نشرَهُ في ذلك المحفل عليهم، فقد أطفأَ نورَهم، وقوّى نورَ نفسه، وذلك مذمومٌ، وإن لم يكن معه علمٌ زائد، وإنَّما هو ليستفيد، فما هكذا صفةُ من يستفيدُ، يجلسُ في الصدرِ، والعلماءُ بين يديه.

هذا مع ما يحصلُ في تلك الختومِ من تحريك الحسدِ في بواطن الحاضرين، وعدمُ انقيادِ بعضِهم لبعضٍ، وكلُّ واحدٍ يُريدُ أن يَعلو أهلَ المجلسِ كلَّهم، فلا يصلُ إلى ذلك.

---

(١) المعلوم: المرتب الذي يعطى في الشهر. معجم تيمور ٥/٣٠٧.

(٢) رواه البخاري ١١/٢٥٠ في الرقاق، ومسلم (١٠٥٥)، والترمذي (٢٣٦٢).

والقوتُ: ما يقوم بالإنسان من الطعام.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٤/٣١٢.

ثم لا بُدَّ إن سدَّدَهُ اللهُ أن يقولوا: ما هو إلاّ جمعٌ من كلامِ النَّاس، فلا يجعلونَ له مقاماً ولا رتبةً، وإنْ لم يُسدَّدُ وغلطَ، أو لحنَ صارَ بينهم كأنَّه خري على نفسه، لأنَّ غالبهم إنَّما يحضرُ مُنتقداً عليه، لا مُستفيداً. فاعلم ذلك، واللهُ غفورٌ رحيم.

(٢٣١) **أخذَ علينا العهودُ أن لا نرى نفوسَنا على قدمِ أحدٍ من أشياخنا**، فضلاً عن أقدامِ أحدٍ من أهل السلسلة الماضين؛ لأن في رؤيتنا ذلك ازدراءً بمقامِ الأشياخِ، فهذا يقعُ فيه كثيرٌ من القاصرين، فيحكي سلسلةَ أهلِ الطريق، ويقولون: أخذَ الطريقَ فلانٌ عن فلانٍ، وفلان عن فلان إلى أن انتهت إلى الفقير، فيظنُّ المسكينُ أنَّهم كانوا على مثلِ حاله هو.

وقد قال الشِّبليُّ رضي الله عنه: دخلتُ مرَّةً على الجُنيد، وأنا فرحان بتوالي الطاعات الظاهرة، فقال لي: يا أبا بكر، إنْ خطر في بالك من الجمعةِ إلى الجمعة غيرُ الله تعالى، فلا تَعُدْ تأتينا، فإنه لا يَجيءُ منك شيءٌ. هذا حالُ الشبلي في حال كونه تلميذاً لا رجلاً، فقسْ حالَه أيامَ إرادته على حالك أنت أيامَ كمالكَ، تعرفْ تخلّفَكَ عن درجة الرجال.

وكان الجُنيد رضي الله عنه يقول: إنَّ علمَ التصوّفِ قد طُويَ بساطُ علمه من سنين، وإنَّما يتكلَّمُ النَّاسُ اليومَ في حواشيه، فانظرْ يا أخي مقدارَ ما بينك وبين قولِهِ هذا من السنين.

ومن هنا كان أستاذي العارفُ بالله تعالى محمدُ الشِّناوي يقول إذا لقَّنَ مريداً: إنَّما أُلقِّنُكَ يا ولدي تشبيهاً بالمُتشبِّهين بالمتشبهين بالمتشبهين بأهلِ الطريق، فكان يُعجبني ذلك منه.

وقد رآني أخي أفضلُ الدين رحمه الله وأنا أقولُ لبعضِ الفقراء: لا بدَّ لك من قراءةِ عقائدِ أهلِ السنة والجماعة، وإلاَّ يُخاف عليك الزندقة. فقال رضي الله عنه: وأنتَ في حفلة، واللهِ لو وجد أحدُنا في قلبِهِ ما كان يعلمُهُ الزنادقةُ من العلومِ الشرعية، لادَّعى أحدُنا الولايةَ الكبرى. انتهى.

فعُلِمَ أنَّه من ادَّعى أنَّه خليفةُ شيخه، ولم يكن مثلَهُ في سائرِ الصفات، فقد أزرى بشيخِهِ بين النَّاس، ويقولون في المثل السائر: من لم يرَ الشيخَ، فلينظرْ إلى جماعته،

يُحِطْ به علماً، والله غفورٌ رحيم.

(٢٣٢) أخذَ علينا العهودُ أن نقولَ لمن رأينا عنده دعوى تُوقِّفُه عن الترقّي إلى درجاتِ العارفين: يا أخي، نحن لم نشمَّ فيك رائحةً من صفاتِ أهل الطريق، فننصحُهُ، ولو تكدَّرَ ونكون أولى به من نفسِهِ وأشفقَ عليه منها عليه.

وقد رأى سيِّدي إبراهيم المتبولي فقيراً عندَه، كثيرَ العمل، ناقصَ الدرجة، والنَّاسُ يَشكرونه، ويتبرَّكون به، فقال: يا غمَّةٌ قد تلفت، وأنت تشعر، ومن قال إنَّكَ من الفقراء. فقال: يا سيِّدي، التوبةَ. قال: نعم. ولكن أسسْ أساساً غيرَ ذلك، فإن أساسَكَ الأولَ قد تهدَّمَ. فقال: ما هو الذي أُأَسِّسُ عليه الآن؟ قال: الفقرُ، والإفلاسُ، وعدمُ رؤيتك لحسنِ حالك. ففعل ذلك، وبرعَ حتَّى صارَ من أكابر الأولياء.

وكذلك بلغنا أنَّ شخصاً اشتهرَ بالصَّلاحِ على أيام سيِّدي الشيخ عبدُ القادر الجيلي، فمضى إليه سيِّدي عبدُ القادر، فرآه ناقصَ الاستعداد، فقال: يا أخي، إنّي لم أشمَّ فيك رائحةً من صفات. فقال له الشخص: صدقتَ. ثم إنَّ سيِّدي عبدَ القادر أخذَ عليه العهدَ، وربَّاه حتَّى صارَ من الرجال، رضي الله عنهم أجمعين.

(٢٣٣) أخذَ علينا العهودُ أن لا نجلسَ قطٌّ للوعظِ إلاَّ بعد قولنا: دستور[١] يا رسول الله، في النيابة عنك في نُصحِ أُمَّتِك، وتنبيههم على ما يخلُّونَ به من أوامرك ونواهيك. ثم نرى نفوسَنا أقلَّ من جميعِ من حضرنا من السُّوقةِ والعوام، ثم لا نكشفُ لأحدٍ من أهلِ المجلسِ عورةً بذكر الصفات البخسة المشهورة عن أحد من الحاضرين، إنَّما نذكرُ الكلامَ عامًّا للمُتكلِّمِ والسامع، فاعلم ذلك، واللهُ عليمٌ حكيم.

(٢٣٤) أخذَ علينا العهودُ أن نهربَ من طريق الناموس[٢] جهدنا، لما نعلمُ من الآفاتِ التي تتولَّدُ من ذلك، مع التعرّض للنفي من تلك الأرضِ، والإخراج من الأوطانِ، فإنَّ الفقيرَ إذا عُقدَ له الناموسُ، ربَّما يكبرُ في عيون المعتقدين من الفقراءِ والتجّار والمباشرين، فينجرُّ ذلك إلى أعوانِ السُّلطان، فيسمعونَ له، ويُطيعون دون

(١) طلب الإذن بأدب.

(٢) الناموس صاحب سر الرجل، وقيل صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر.

السلطان، فيأمرُ السُّلطانُ، بنفيه، كما وقعَ للشيخ أُويس بالشامِ، ولسيِّدي عليٍّ الكازواني[1] بناحية حماه، فنفاه السُّلطانُ ابنُ عثمان إلى ناحية رودس، ومكثَ فيها سنين، حتَّى شفعوا فيه، فردُّوه بشرطِ أن لا يكونَ له ناموسٌ ولا جماعة يلفون عليه.

ثم إن سَلِمَ الفقيرُ ممّا ذكرناه كلِّه، وظنّوا فيه الصلاحَ، وبالغوا في اعتقاده، أرموا عليه حملاتِهم حتَّى قتلوه، لظنِّهم أنَّ ربَّه يسمعُ منه، لا سيما إن قبِلَ منهم الهدايا وغيره.

(٢٣٥) أخذَ علينا العهودُ أن لا نُعاني الخلوة المشهورة بين الصوفية؛ لأنَّ أصلَها إنَّما هو لعدمِ شريعةٍ بين أظهرنا نمشي عليها، وقد وضحتْ طريقُ الشريعة، حتَّى عرفَها الخاصُّ والعامُّ، ولذلك لم يَختلِ رسولُ الله ﷺ إلاَّ قبل نزولِ الوحي عليه، فلمَّا نزلَ الوحيُ عليه، ترك الخلوة.

فالمُختلي في هذا الزمانِ كالمُستضيء بمصباحٍ في النَّهار الوضَّاح، وإن شككتَ في قولي هذا، فامتحنْ أصحابَ الخلوات والرِّياضات في علمهم بالشريعة، تجدْهم جاهلين بها مع كثرةِ انتشارها بين أظهرهم، فكيف يطلبون علمَ ما بَطَنَ؟

وبتقديرِ جوازها في هذا الزَّمان، فإنَّ لها شروطاً لا تُوجد الآن عند أشياخهم، فضلاً عن تلامذتهم، فما اختلى الحكماءُ الأقدمون إلاَّ زمناً من الفتراتِ حيث لا شرعَ يَمشونَ عليه، لتقدحَ لهم الخلوةُ قانوناً يَمشون عليه، وتأمل إن قدر أحدهم يقدحُ بفكره، ويأتي بشريعةٍ مثل القرآن و«البخاري» و«مسلم»، فأنا كاذبٌ وليقدر المختلي في نفسِه لو كان في زمن رسول الله ﷺ، ماذا كان يفعلُ بعد سماعِه أحاديثَ رسول الله ﷺ، فليفعل ذلك الآن، والله واسعٌ عليم.

(٢٣٦) أخذَ علينا العهودُ أن لا نُمكِّن أحداً من المُريدين يحاكي بنا في تقريرنا للتلامذة؛ لأن المُريدين إنّما ينقلون كلامَنا بحروفه من غيرِ تحققٍ بمعناه، فيكون ذلك

---

(١) علي بن أحمد الكازواني، أبو الحسن الحموي تفقه ثم انعزل عن الناس، له رسائل وكلام في الطريق عال، أقام بحلب فحصلت فتنة، قُتل على إثرها قاضي العسكر، وقيل: كان ذلك بإشارة منه، فنُفي إلى رودس ثم أُذن له، فأقام بمكة حتى توفي هناك سنة ٩٥٥هـ. الكواكب الدرية ٣/٤١٢.

فتنةً عليهم، .وربَّما ادَّعوا مُساواتنا في الرُّتبة، فيُعدمون النفعُ بنا، ومن هنا وجب الامتحانُ للمُريدين؛ لتظهر رتبتُهم، ومتى لم نمتحنْهُم وسلّمنا لهم، فقد غشيناهم.

وقد جعل الله تعالى دون حضرته ثلاثَ خنادق، لا يدخلُ أحدٌ الحضرةَ الإلهية حتَّى يُجاوزها:

الخندق الأول: أن يزهدَ في الدُّنيا بأسرها، حتَّى يصيرَ عنده الذَّهبُ كالزبل سواء.

الخندق الثاني: أن يزهدَ في الآخرة وجميعَ أعمالها، أي يعملَ الأعمال الصالحة امتثالاً لأمرِ الله فقط، لا طلباً للثواب، ويتساوى عنده جميعُ ما أقامَهُ الله فيه من حيثُ الرِّضا بالتقدير دون الكسب، حتَّى لو أقامَهُ في بيعِ الحشيش مثلاً ليلاً ونهاراً، يجبُ عليه الرضا عن ربِّه؛ لأنَّه يجبُ على كلِّ عبدٍ الرضا بالقضاء لا بالمقضي.

الخندق الثالث: لا يفرَّ من البلايا والمحن.

فإن صحَّ لمريدٍ مجاوزةُ هذه الخنادق فقد أُهِّل للكمال.

وكان سيِّدي إبراهيمُ المتبولي رضي الله عنه يقول: لَمَّا خلقَ الله تعالى الخلائقَ، تسارعوا بين يديه، فقال: من أنتم؟ – وهو أعلم – فقالوا: عبيدُكَ ومحبُّوك. فقال تعالى: انظروا ما تقولون، فإنَّ المحبَّ لا يصرفُهُ صارفٌ، ولا تردُّهُ السيوفُ والمتالف. فقالوا: امتحنَّا بما شئت. فخلقَ لهم الدُّنيا، ففرَّ إليها منهم تسعةُ أعشارهم، وبقي العُشرُ، فقال للعُشر: من أنتم؟ فقالوا: عبيدُك وأحبَّاؤك. فقال: انظروا ما تقولون، فإنَّ المُحبَّ لا يصرفُهُ صارفٌ، ولا تردُّه السيوفُ والمتالف، وقد نظرتم أصحابَكم كيف ذهبوا إلى الدُّنيا. فقالوا: امتحنَّا بما شئتَ، فخلقَ لهم الجنَّةَ، وزيَّنها في أعينهم، فذهبَ إليهما تسعةُ أعشارِ العشر، ثم نظرَ إلى عُشرِ العُشر، وقال: من أنتم؟ قالوا: أحباؤك. فقال: انظروا ما تَقولون، وقد رأيتم أصحابَكم. فقالوا: امتحنَّا بما شئتَ. فضربهم بنوعٍ من البلاء، فثبتوا، وهو الذي ثبَّتَهم، فقال: أنتم عَبيدي حقًّا، لا إلى الدُّنيا فررتم، ولا إلى الجنَّةِ فررتم، ولا من البلاءِ فررتم، ثم اشهدوا يا ملائكتي أنّي قد رضيتُهم لحضرتي. انتهى، فاعلم ذلك.

(٢٣٧) أُخِذَ علينا العهودُ إذا دخلنا على وليٍّ من أولياء الله تعالى أو أميرٍ من الأكابر أن لا نزيد على حالنا الذي كنَّا عليه في الطريق من الإطراقِ والخشوع، فإنَّ

ذلك معدودٌ من النِّفاق، فمن دامَ على حاله قبلَ الدُّخول، كان أقوى في استعداده، والله غفورٌ رحيم.

(٢٣٨) **أُخِذَ علينا العهودُ إذا تكلَّمنا على إخواننا الفقراء أن نرسلَ الكلام بحسب الحاضرين وغيرهم**، ولا نقيِّدُ على الحاضرين، فإنَّه ما من مجلسٍ وإلاّ وفيه من يقبلُ التخلُّقَ بأخلاق الكُمَّلِ من إنسٍ، وجنٍ، وملائكة، سواءٌ شعرنا بهم أم لا نشعر.

وبعيدٌ أن يتكلَّمَ أحدٌ منَّا بكلامٍ يعمُّ مراتبَ الحاضرين؛ لأنَّ ذلك خاصٌّ بكلامِ من أُوتي جوامعَ الكلم، والله أعلم.

(٢٣٩) **أُخذَ علينا العهودُ أن لا ننهمكَ في محبَّة إخواننا المُقبلين علينا**، والمعتقدين لنا، فإنَّ ذلك يأخذُ من قلبنا جانباً، وكذلك لا نُمكِّنُ تلميذاً أن يدخل في محبَّتنا في وسط قلبه أدباً مع الحقِّ تعالى، وإيثاراً لجنابه، فإنَّه لا يُحبُّ أن يرى في قلبِ عبده المؤمن غيرَ محبَّته تعالى.

فنجعل محبَّةَ الله تعالى في وسطِ القلب، ومحبَّةَ رسولِ الله ﷺ على الهامش، ويليها محبَّةُ شيخنا، ثم أصحابِهُ، ثم أصحابِنا، ثم أولادنا وهكذا، والله غنيٌّ حميد.

(٢٤٠) **أُخذَ علينا العهودُ إذا أعطانا الله تعالى مَدداً وأفاضَ علينا أن نمدَّ به كلَّ من كان له قسمٌ في شيءٍ منه**، وإذا جاءنا شخصٌ يُريد التربيةَ والأدب، ورأينا أنَّه في صحبة شيخٍ غيرنا، وجبَ علينا نُصحُه، ولا نتركُ النُّصحَ أدباً مع مَنْ صحبَهُ قبلنا، فإنَّ الله تعالى قد أمرَ كلَّ إنسان أن ينفق مما أتاه الله ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ٢٠] ومنتهى الطُّرقِ واحد، وإنِ استأذنَ بقلبه شيخَ ذلك المنصوح، وأن يكون نائباً عنه في نُصحِ مُريده فلا بأس، والله أعلم.

(٢٤١) **أُخذَ علينا العهودُ أن نبسط لمن تعرَّفَ بنا من أبناء الدُّنيا بساطَ محبَّة الفقراء، ومحبَّة ذكر الله تعالى في مجالسهم صباحاً ومساءً**، فإن وافقونا على ذلك فهم من أصحابنا؛ لأنَّهم شربوا مَشربنا، وإن لم يُوافقونا على أورادنا، واشتغلوا عن مجالسِ ذكرِ الله، وسماعِ كلامِ الصالحين وآدابهم، فلنا أن نُجانبَهم بالقالب دون القلب زجراً

لهم، وبياناً لمعرفة الطريق، ولكن قد صاروا من معارفنا لا من أصحابنا الخواص.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] ويدخلُ في الصلاة سائرُ ما يُقرِّبُ إلى الله تعالى، وفي الزكاة سائرُ ما يُطهِّرُ قلوبَنا وجوارحنا من الأقوال والأفعال، والله حكيمٌ عليم.

(٢٤٢) أخذَ علينا العهودُ أن لا نغضبَ على أحدٍ من إخواننا إذا أكثرَ المخالفةَ لما نأمره به، مادامتْ قابليتُه ثابتةً؛ لأنَّ المانعَ له عن الموافقةِ لنا إمَّا عارضُ الطبع أو عارضُ المباينة للمَحلَّيْنِ اللذين نحن وإيَّاه فيهما، فنتأدَّبُ معه، وندعُهُ في خلافه؛ فإنَّه امرؤٌ محكومٌ عليه بما زُيِّنَ له، كما أنَّنا كذلك محكومٌ علينا بما زُيِّنَ لنا، هذا في كلِّ ما كان من باب الاجتهاد.

وأمَّا ما جاءَ صريحاً في السُّنَّة أو أعطاه الكشف، فنأمرُهُ بفعله، ولا نرجعُ عنه أبداً، كالجهادِ في سبيل الله عزَّ وجلَّ.

وبالجملةِ فمن كُشِفَ له عن أهل القبضتَيْنِ[(١)]، دعا أهلَ قبضةِ السعادةِ من بابها، وعرفَ من سبقَ له الشقاءُ، ومن سبقَ له السعادة، والسلام.

(٢٤٣) أخذَ علينا العهودُ إذا حصلَ لنا عند الحاكم من محتسب، وقاضٍ، وكاشف، وشيخ عرب، ومقدَّمِ والي، وأمير شكار[(٢)]، وصاحب حملة الوزر[(٣)]، ونحوهم، أن لا نتخلَّفَ عن نُصرة المظلومين، وتفريجِ كُربهم، فإنَّ الله تعالى إنَّما يُعطي العبدَ الجاهَ لأجلِ إقامة العدلِ في الوجود.

واعلم يا أخي، أنَّ السُّوقةَ الآن، والمُتسبِّبين، والمتعيِّشين والفلاحين صاروا في هذا

---

(١) روى عبد الله بن وهب القرشي في كتابه «القدر» صفحة ٩٤ (١٥) عن عبد الله بن عمرو قال: إن الله عزّ وجل لما خلق آدم عليه الصلاة والسلام نفضه نفض المزود، فأخرج من ظهره ذريته أمثال النغف، فقبضهم قبضتين، ثم ألقاهما، ثم قبضهما فقال: فريق في الجنة وفريق في السعير. وانظر تفسير ابن كثير ٤/١٠٨.

(٢) أمير شكار: لقب للذي يتحدث عن الجوارح من الطيور وغيرها، وسائر أمور الصيد. وشِكار بالكسر معناه الصيد بالفارسية. معجم الألفاظ التاريخية.

(٣) في (أ): الوزير.

الزمان غرباءَ، لا ناصرَ لهم من النَّاس عند الحكام، ولا واسطةَ خيرٍ، ولا صديق، ولا حميم، ولو بَذَلوا لهم جميع الأموال؛ لأنَّ قلوبَ غالبِ الحكَّام مصروفةٌ عن مصالح الرعية، ﴿لِيَقْضِيَ اللهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً﴾ [الأنفال: ٤٢].

وكثيراً ما يأخذُ الأعوانُ منهم البرطيل، ولا يعبؤون بهم، ولا يقضونَ لهم حاجةً، ولا يُفرِّجون لهم كربة، وإن طلبوا منهم عَوْدَ الفُلوسِ التي أعطوهم برطيلاً، لا يَصلون إليها، ويقولون: تلك الفلوسُ راحت. ويدخلُ المظلومُ إلى بيتِ الحاكم لينصفَهُ من خصمه، فيجدَ قلوبَ جماعةِ الحاكم وحاشيته كلّها فارغةً من الاهتمام بحاجته، فيصيرُ لائذاً في البلد، وغصته في قلبه لا تنفرجُ إلاّ بالتنفُّس، والتأوّه، والزفير.

وسألتُ شيخنا سيِّدي علي الخوَّاص رضي الله عنه عن سببِ انحلالِ القلوب من بعضها في هذا الزمان. فقال: سببُهُ رفعُ الأشياء التي كان يقعُ بها التآليف والمحبَّة، من البرِّ والهدايا والصدقات، والخيرات، وفي الحديث: «جُبلتِ القلوبُ على حبِّ من أحسنَ إليها»[1]. انتهى.

وقد رفعَ الحقُّ تعالى أسبابَ التآليف كما ترى من الأرض، وصارَ الأمرُ روايات وأخباراً، كأنَّه لم يسمع، ولم يشهد، ولم يكن له أثرٌ، وصارَ الجارُ، أو الصاحبُ لا ينظرُ من جاره وصاحبه مرقةً، ولا خرقةً، ولا لقمةً إلى أن يموت، فكيف بغير الجارِ وغير الصاحب؟! فإن وقعَ من صاحبٍ أو جارٍ في هذه الأيام هديةٌ، أو افتقادٌ فهو من غلطات الزمان.

وأخبرني والدي سيِّدي خضرُ رحمه الله قال: ما أظنُّ أنَّني قطُّ اشتريتُ لي شاشاً ولا جوخةً، ولا قميصاً، ولا نعلاً، ولا زيتاً، ولا صابوناً، ولا قمحاً، ولا شعيراً، ولا سكراً، ولا عسلاً، ولا ضحيةً، ولا حلاوةً، ولا منديلَ حريرٍ للمرأة، ولا خُفًّا، ولا إزاراً، ولا شيئاً مما يحتاجُ الحيُّ إليه، إنّما يأتينا ذلك وغيرُه من هدايا الأصحاب.

وأخبرني أنّه كان له بمصرَ مئةُ صاحبٍ من تجّارِ البهار، وقال: كلُّ واحدٍ كانت هداياه تَكفيني العامَ كلَّه.

---

(١) تقدم تخريجه في آخر العهد (٥).

وأخبرني أنَّه لا يُحصي الذهبَ الذي كان يأخذُهُ من أولاد الجيعان[١]، وقال لي: أقلُّ عطاءِ الواحدِ لي في الشهر خمس[٢] دنانير.

وأخبرني أنَّه حجَّ مع خوند الخاص بكية[٣]، فأنفقَ على الفقراء من مالها في طريقِ الحجاز ثلاثينَ ألفَ دينار بغيرِ إذنها، فلمَّا أخبرَها، فرحت بذلك، وقالت: جزاكَ اللهُ عنَّا خيراً - ولو تصدَّقتَ الآن عن أميرٍ من ماله بدينار لأعمى، لثقلَ عليه - ولَمَّا وصلَ إلى مكة هاداهُ تُجَّارُ مكَّة بالقماش، فباع منه بعشرةِ آلاف دينار في مكَّة، وجاء إلى مصرَ ببعضه فباعه بألفي دينار.

وأخبرني بأمورٍ صارتْ عند السامعين كالكذب، وعاش مئةَ سنة إلاّ أربع شهور.

فعلم أنَّه **لما عدِمَ النَّاسُ الإحسانَ من بعضهم بعضاً، تفرَّقتْ قلوبُهم**، فلو أرادوا يجمعونَهَا على محبَّةِ أحد، لا تُجيبهم، ومن هنا تقطَّع البلاء، ونزلَ على الخلقِ حتَّى عمَّهم، فإنَّه لا ينزل قطُّ على قومٍ قلوبهم مجتمعةٌ على الخيرِ والمحبَّة، بل يصيرُ البلاءُ واقفاً بين السماء والأرض ولو مئةَ عام، حتَّى يجدَ تنافراً بين النَّاس وتقاطعاً، فينزلُ من تلك الفرجة على من شاء الله تعالى، فالأمرُ مرتبطٌ بعضُه ببعض من الحضرات الإلهية إلى السُّلطان إلى نوَّابهم على اختلافهم في الطبقات إلى جنديِّ القُرى إلى غفيرِ الحارة إلى صبيان المَكْس، وما بقي للنَّاس إلاّ تجرعُ مراراتِ الصبر.

وفي المثل: قالوا للذي وقع في بئرٍ: اصبر حتَّى نفتِّشَ لك على حبلٍ. قال: أنا صابر غصب.

وقد أخبرني سيِّدي علي الخوَّاص رحمه الله في سنة إحدى وأربعين وتسع مئة أنَّ الخلقَ قد صاروا كالسَّمكِ الذي كان في بركة الماء، فنشفَ عنه، فالحرادى[٤] والكلاب تفسخة بالنهار، والذئاب والثعالب تفسخة بالليل، وما بقي يرجِّي عودَ

---

(١) بنو الجيعان من أرباب الديوان بمصر. الكواكب السائرة ١/٣١.

(٢) كذا في الأصول.

(٣) في (أ) الخاص مكية. والخوند تعني بالفارسية السيدة.

(٤) في (ب): فالجرادين. وفي هامشه: وفي نسخة: الحدادي، وفي (ج): الحدادي. والحرذون (وفي العامية الحردون، وجمعها حرادى وحرادين) جنس عظاء من فصيلة الحرذونيات، أنواعه عديدة تتميز بقباحة أشكالها، موطنها البلاد الحارة، قوتها الحشرات والهوام.

الماء الذي هو كنايةٌ عن الرحمة، حتَّى ينغمروا فيه، فلا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم.

(٢٤٤) **أُخِذَ علينا العهودُ إذا عملنا مشايخَ على مُجاورين أو خرقة الفقراء، أن لا نُخصِّصَ نفسنا عمَّن عملنا مشايخَ عليهم بشيءٍ** سواءٌ أكانوا على ما يفتحُ الله تعالى به عليهم، أو لهم وقفٌ يأكلون من ريعه.

وعلينا أن نعظَ إخواننا ونُزهِّدُهم في الدُّنيا ما أمكن، ونُعلِّمُهم أنّه ما أحبَّ أحدٌ الدُّنيا إلاّ سقطَ من عين رعاية الله عزَّ وجلَّ، وصارَ مهيناً في ملكوتِ السموات والأرض، فإذا أجابوا لطرحِ الدُّنيا، والخروجِ من إمساكها، فلنكنْ نحن إماماً لهم في الترك، وإلاّ فإذا رأى الفقراءُ شيخَهم يزاحمُ على الدُّنيا، ويخاصمُ عليها، ويُسافرُ في طلب تحصيلها كيفَ يجيبونَه إلى تركها؟! هذا من عكس الموضوع.

ويجبُ علينا أن نُعلِّمَهم أنَّ كلَّ لقمةٍ نزلت في جوف أحدهم من صدقاتِ النَّاس وأوساخهم تسترقُّهم لأصحابها، وإذا استرقُّوا لأصحابِ تلك اللقمة، صارتْ خدمتُهم لأصحابها واجبةً، ولزوم طاعتهم فرضاً، قياساً على عبيد الرقِّ سواء، وإذا لم يَخدموهم، وخرجوا عن طاعتهم صاروا آبقين، والآبقُ لا يُرفعُ له إلى السماءِ عملٌ ما لم يدخل تحت طاعة سيده.

ونُعَلِّمهم أيضاً أنَّ **الواجبَ على الفقراء أن يَبنوا أمورَهم كلَّها على التخفيف،** فلا ينبغي لهم أن يُمسكوا من المأكولِ إلاَّ ما لا بُدَّ لهم منه في قيام بنيتهم، ولا يُمسكوا من الملبوس إلاّ ما لا بُدَّ لهم منه في سترِ عورهم كالجبب والبُشوت(١).

ونأمرهم بلبس السوادِ في ثيابهم وعمائمهم حتَّى لا يَحتاجوا في غسلها إلى صابون ونحوه.

ونأمرهم باجتناب الجوخ، والمفريات(٢)، والأصواف الرفيعة، ونحو ذلك، ونقول لهم: إنَّ الفقراء إذا لبسوا ملابسَ أبناء الدُّنيا وكثَّروا العلائقَ، احتاجوا إلى الاشتغالِ

---

(١) البِشت: نوع من الثياب يستعمل في الريف، وهو كالعباءة إلاّ أنه قصير ودون الركبة، ويتخذ من الصوف للتدفئة، ولقصره لا يعوقهم في أشغالهم. معجم تيمور ١٧٩/٢.

(٢) الفريات: كأنها جمع الفرو. وفي (أ) المغربات، وفي (ج): المضربات.

بالحرفِ والتجارات حتَّى يحصلَ لهم ما يَشتروا به تلك الملابس والعلائق، وإذا كثرتْ علائقُهم صاروا من أبناء الدُّنيا، فكأنَّهم ما خرجوا من حبِّها؛ بل هم أسوأُ حالاً ممَّن لم يدخل في صحبة الفقراء؛ لأنَّ حكمَ الإنسان قبل صحبة الفقراءِ كالحديد، وبعد مُفارقتهم كالنصف الزغل[1].

وبالجملة فكلُّ فقيرٍ جلس في زاويةٍ للاشتغال بالقرآن والذِّكر، وكان في خلوتهِ أو بيته من المتاع أكثرَ ممَّا يحمله الماشي إلى البلاد البعيدة، فهو خارجٌ عن طريق الفقر.

ويجبُ علينا أن نتَّفقَ نحن والفقراء الذين تحت حكمنا على **ردِّ كلِّ شيءٍ جاءنا من الزكوات والصدقات**، ونقولُ للمُزكِّي بحقٍّ وصدقٍ: إخراجُك الزكاة علينا لا تُسقط الواجبَ عنك، حتَّى لا يعودَ إلينا ثاني مرَّةٍ بالصدقات والأوساخ، وحتَّى يُريحنا من تفرقة وسخِ ذنوبِ النَّاس؛ فإنَّ من يقولُ لفقيرٍ: خذ زكاتي. كمن يقول له: خذ غائطي، وبولي، ودمي، ومخاطي، وصناني، وبصاقي كُلَّه، وفرّقه على النَّاس، ولطِّخْ به بدنَكَ وقلبك وثيابك، أو كمن يقول: اجلسْ يا سيِّدي الشيخ حتَّى أخرى على وجهك، وأبول، وأمخط، وأبصق عليك.

وقد أشارَ إلى هذا رسول الله ﷺ في قوله: «إنَّ الصدقةَ أوساخُ النَّاس، وغسالةُ ذنوبهم»[2]. والوسخُ يشملُ الغائطَ فما دونه، ولكنه ﷺ كان يكني عن القبيح ما أمكن.

ويزيد الوسخُ في القبحِ بحسب كسبِ المتصدِّق، فإن كان يُرابي ويغشُّ في البيع والشراء، فحُكمه كالخراء، وإن كان لا يفعلُ ذلك، ولكنَّه يبيعُ على المكاسين، والظَّلمة، والقضاة الذين يأخذون الرِّشوة فحكمُهُ كالبول، وقس على ذلك، وآخرُ المراتب البصاق.

وحُكي أنَّ الحاكم بأمر الله[3] لَمَّا عَمَّرَ جامعه بمصر، وجد مع الفعلاء رجلاً

---

(١) النصف هو النصف درهم، والزغل المزيف. معجم تيمور ٢/١٣٦.

(٢) روى مالك في الموطأ ٢/١٠٠١ (١٨٢٠) عن عبد الله بن الأرقم قال: إنما الصدقة أوساخ الناس يغسلونها عنهم.

(٣) منصور بن نزار الحاكم بأمر الله العبيديُّ الفاطمي (٣٧٥-٤١١هـ) متأله، غريب الأطوار، من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر، باشر أعمال الدولة وعمره إحدى عشرة سنة، وأعلن عن تأليهه سنة ٤٠٧هـ.

صالحاً، كان رآه في كنز يُصلّي على أتلال الذهب، فلمَّا رأى الحاكمَ دخلَ، خرجَ هو، فعرفه، فقال له: الذي يدخلُ ذلك المكان يحتاجُ إلى أن يجعلَ نفسَه فاعلاً، ويُزاحمَ الفعلاءَ في نصفين فضَّة؟! فقال: نعم، يحتاج. فقال له الحاكمُ: كيف؟ فقال: لأنَّه لا يَنبغي لمؤمنٍ إلاّ أن يأكلَ من كدِّ يمينه وعرقِ جبينه، وإنَّ تلك الكنوزَ أموالٌ حصلتْ من كسبِ النَّصارى فلا أحبُّ أن آكلَ منه. انتهى.

ورأيتُ شخصاً جاء إلى سيِّدي عليٍّ الخوَّاص بدراهمٍ حين وجدَهُ رَمداً بالعينين، وهو يضفرُ الخوصَ مع الرَّمدِ، فقال: يا سيِّدي، خذ هذه الدراهم، وريِّحْ نفسَك شوية. فردَّها وقال: يا أخي، إنَّ نفسي لا تطيب أن آكلَ من كسبي بيدي، فكيف آكلُ من كسب غيري؟! فقال: يا سيِّدي، مثلُكَ لا يغشُّ في صنعته، فمن أين تأتي لك الشُّبهة؟ فقال: صحيح ما ثمَّ غشٌ إن شاء الله، ولكن إذا بعتُ لا يتيسَّرُ لي أن أبيعَ إلاّ على مَنْ لم يتحرَّزْ عن شيءٍ من الحرامِ من التجار والقضاة وغيرهم، فأين التاجرُ الذي يقفُ عليه مكّاسٌ يشتري منه ظهراً[1] من الحرير، يقول: ما أبيعك.وأين الفقيه أو الزَّيات الذي يُعطيه المكَّاسُ أو القاضي شيئاً فيردُّه؟ فقال: يا سيِّدي، هذا أمرٌ ما كان لي على بال. رحمه الله.

واعلم يا أخي، أنَّه **يقبحُ على شيخ الفقراء أن يأخذَ شيئاً من معلومِ الفقراء** الذين يَصطادُ بهم الدُّنيا، ليتوسَّعَ به في نفقة بيته، أو يعمل له به مضربة[2]، أو صوفاً، أو جوخةً، أو شاشاً رفيعاً، أو بساطاً، أو كساءً، أو يبني له به بيتاً، أو يبيِّضُ به خلوةً، أو يكسو به أولاده، أو يُحلِّي به بناته، أو يشتري له حماراً أو بغلاً أو فرساً، أو يزرعُ به شيئاً على اسمه واسم أولاده دون الفقراء، فإنَّ ذلك كلَّه ممحقةٌ للبركة في رزقه، ولو صارَ له كلَّ يومٍ مئةُ نصفٍ وأكثر، فهو مكشوفُ الحالِ، ضيِّقُ الرزق.

وكذلك يقبحُ أيضاً على مَن عملَ شيخاً **أن يقبلَ مسموحاً لو عرض عليه**، وسئل فيه، فكيفَ به إذا سافرَ لأجله إلى بلاد الروم والعجم؟ وكيف ينبغي له أن يُزاحمُ أعوانَ الوزير على جيفِ الدُّنيا وسُحتها، ويقول لهم: اتركوها، لآخذها أنا،

---

(١) الظهر: الدابة التي تحمل الأثقال. أي حمل دابة من الحرير.

(٢) المضربة: فراش النوم، مرتبة السرير أي النوم. معجم تيمور ٥/٣٣٦.

لأنّي شيخٌ من الصالحين؟! وكان الأولى أن يقول: أنا من الطالحين. على مُصطلح قاعدة الشريعة.

ومن أقبحِ القبيح أن يخصَّ نفسَه بذلك المسموح، ويتولّى أمرَه، ولو أنّه كان فرَّقَهُ علَى غيره، لكان أخفَّ إثماً عليه، ليوزَّع حسابُه على الآكلين في الآخرة، هذا لو كان حلالاً لم يدخل في طريق حصوله تلبيسٌ ولا نَصْبٌ[1]، فكيف ولا بدَّ من النَّصبِ فيه على اسم فقراء الزاوية، والعميان، والمساكين؟ كما تقدَّم أوائل «العهود»[2].

ولولا النَّصْبُ لما سمحوا له بأربعين نصفاً كلَّ يوم؛ لأنَّها جامكيّة[3] أميرٍ عندهم يسافر بالتجار ومصالح النَّاس والمسلمين، فبالله يا سيِّدي الشيخ، أَيش نَفْعُكَ أنت في هذا الوجود؟.

وليعلم سيِّدي الشيخ، أنَّ محبَّته لحلال الدُّنيا يستحقُّ بها العزل عن المشيخة على طائفة الفقراء، فكيف بمحبَّته لحرامها؟! وهذا الأمر قد حدثَ في المُتشبّهين بالفقراء في هذا الزمان، ولم يبلغنا قطُّ عن أحدٍ من أشياخ الطريق أنّه سافرَ في طلب الدُّنيا أبداً.

ثمَّ من أقبحِ ما يُسمع قولُ من جاء من موضعٍ بعيدٍ يتبرَّك بسيِّدي الشيخ: سيِّدي الشيخ، [فيقولون: سافر. فيقول:] سافرَ إلى أين؟ فيقولُ فقراءُ الزاوية: سافرَ إلى اصطنبول. فيقول لهم: لأجلِ أيش؟ فيقولون: يسعى على مسموحٍ. فيقول: في هذا البردِ والشتاء والثلج؟! فيقولون: فأيش يعمل هذا؟! وهو يجد في بلدِه الخبزَ، والجبنَ، والجُببَ، والعمائم، والأصواف، والشاشات، والجوخَ، والنساء الجميلات، والمراكبَ الحسنة، والخيولَ المُسوّمة، كما هو مُشاهد في زاويا فقراء مصر.

ويجب على ناظرِ[4] وقفِ الفقراء إذا أرادَ حمايةَ الوقف من الظلمة، أن لا يخصَّ نفسَه بشيء، وأن لا يُقدِّمَ في العطاء صالح الرُّتبة[5]، ويدعُ الفقراء والمساكين، فإن خصَّ نفسَه أو قدَّمَ غير الأحوجِ، ذهبتِ الحماية، واحتاج إلى برطيل الحكام.

---

(١) النَّصْب: الحيلة والحذاء. المعجم الوسيط.

(٢) انظر العهد (٦).

(٣) الجامكِيّة: دخيلة تركية: الأجر والراتب. متن اللغة.

(٤) الناظر: من يتولى إدارة أمرٍ. مولّد. متن اللغة.

(٥) في (أ): مالح الرقبة.

ويجبُ على شيخ المجاورين أن يُعلِّمَ المجاورين بالأسباب التي تُسرعُ بالأرزاق، والتي تُبطئ بها، ويقول لهم: إنَّ الحقَّ تعالى ما ضمنَ تيسيرَ الرِّزقِ إلاّ لمن أقبلَ على خدمةِ ربِّه ليلاً ونهاراً، وأمَّا المُعرضُ عن خدمته، فإنَّه يَكِلُهُ إلى نفسه، فيتعبُ في تحصيله، حتَّى يهلكَ في طلبه، ويقول لهم: إن طلبتم أن أصطاد لكم كثيراً، ويحصلَ لكم على يدي الصدقاتُ وغيرها، فاشتغلوا بالله، وإلاّ فلا أقدرُ أصطاد لكم شيئاً.

ويجب عليه أيضاً أن يكون كافياً للمُجاورين عنده في جميع العلوم التي تقرِّبهم إلى ربِّهم، كعلمِ فرائضِ دينهم، وآداب شريعة نبيهم، والسلف الصالحين، ولا يَحوجهم إلى الخروجِ ليتعلَّموا من غيره، فإنَّ ذلك فضولٌ في مشيخته عليهم، وسببٌ لإتلاف أحوالهم، لاختلافِ المشارب عليهم، كما يورثُ[1] اختلافُ الأطعمة الأمراضَ التي يعجزُ الطبيب عن دوائها.

وليعلم أنَّه إذا كان جاهلاً بالكتابِ والسُّنة، فكلمتُهُ على الفقراء قاصرةٌ، لا سيما إن كان المجاورون أعرفَ منه بالشريعة، وأكثرَ حفظاً للقرآن، فإنَّ كلمتَهُ لا تُسمع بالكلِّية، ولو كان صالحاً في نفس الأمر، فصلاحُه غيرُ مشهودٍ، فلا تكملُ مشيختُهُ عليهم إلاّ إذا كان أعرفَ منهم بطريق القال، وبطريق الحال، والسلام.

وإذا وقعَ على يده قسمةُ دنيا، فليحذرْ أن يخصَّ أحداً منهم بشيءٍ زائد إلاّ أن تكونَ حاجتُه ظاهرةً للفقراء بحيث يرقُّون كلُّهم لحاله، ويَحنُّون عليه، وليحذرْ أن يأخذَ مع الفقراء قسماً له، أو لولده فيكون كأحدهم في دناءةِ المروءة، وتذهبُ رياسته عليهم؛ بل يُفرِّقُ كلَّ ما دخلَ على الفقراء، ولا يلحسُ منه لحسةً، ولا يأخذُ منه فِلساً، فهناك يعظمُ في أعينهم، هذا شرطُ الشيخِ والفقراءِ الصادقين، وأمَّا غيرُ الصادقين فلا كلامَ لنا معهم؛ لأنَّهم قومٌ ينصبُ بعضُهم لبعضٍ باتفاقٍ بينهم.

ويجبُ عليه إذا رأى من المجاورين مزاحمةً على الدُّنيا ولو بالباطنِ أن يَحكي لهم حكاياتِ الصالحين والزهاد، الذين يدَّعونَ أنَّهم مُنتسبون إلى طريقهم، ويذكرُ لهم ما كانوا عليه من رفضِ الدُّنيا وشهواتها اختياراً لا اضطراراً، ويُعلمهم أنَّ الفقراءَ ما تميَّزوا عن أبناءِ الدُّنيا إلاَّ بزهدهم فيها اختياراً، وإلاّ إذا تركوها اضطراراً فهم وأبناءُ

---

(١) في (أ) و(ب): يؤثر.

الدُّنيا على حدٍّ سواء.

وقد شاهدتُ بعيني السُّلطان طُومان باي[1] بمصر المحروسة يُقبِّلُ قعر رجل سيِّدي محمد بن عنان المدفون بجامع المقسم بخطِّ باب البحر، فتأمَّل تجد لو كان هذا الشيخُ محبًّا للدُّنيا أو يَقبَلُها إذا عُرِضت عليه، ما استحقَّ أن يُقبِّلَ ملكُ مصر رجله.

وإذا طلب[2] الشيخُ تخصيصَ أحدٍ بشيءٍ لاستحقاقه وزيادةِ فاقته، فليكنْ ذلك سرًّا؛ لأنَّ طبعَ البشرِ كامنٌ في الحسدِ، والكَراهة، والتميز، ولو لم يظهرْ ذلك على الفقراء، حتَّى أنَّ من الصحابةِ من تكدَّرَ من رسولِ الله ﷺ حين زادَ غيرَه عليه في العطاء، وقال لرسول الله ﷺ: إنَّ هذه قسمة ما أُريدَ بها وجهُ الله[3]. فإذا كان هذا يقعُ من الصحابةِ، فكيف حالُ غالبِ إخوان الشيخ اليوم، ممّن دينُه موضوعٌ على طرفِ ظفر رجله، أدنى شيءٍ يُسقطه، وقلبُه ليلاً ونهاراً مكبٌّ على تحصيلِ الدُّنيا، لا يَشبع ولا يقنع؟

فليعذرِ الشيخُ الفقراءَ في تنكُّرِ قلوبهم من بعضهم بعضاً إذا دخلتْ عليهم الدُّنيا، فإنَّ ذلك أمرٌ قهريٌّ على أمثالهم. قال رسولُ الله ﷺ: «ما دخلتِ الدُّنيا بين قومٍ إلاّ ألقى اللهُ بينهم العداوةَ والبغضاء»[4]. يعني شاؤوا أم أبوا، لكن لا يَخفى أنَّ المرادَ بهؤلاء القوم الذين أشارَ إليهم رسولُ الله ﷺ إنّما هم أبناءُ الدُّنيا، وإلاّ فالأنبياءُ والأولياء لا يقعُ بينهم عداوةٌ بدخولها عليهم، كما هو مُشاهدٌ، فافهم؛ لأنَّها عندهم كالزِّبل، وما رأينا قطُّ أحداً قتل أخاه على إرْدَبٍّ زبلٍ أبداً.

وإنّما أخرجنا الأنبياءَ والأولياء من ذلك لأنَّ الدُّنيا مأخوذةٌ من الدَّناءة، والقربِ من مقامِ الطينة، والأنبياءُ خرجوا إلى مقامِ الروحية، والأرواحُ لا ميلَ عندها للشهوات لعدم ذوقها لها.

---

(١) طُومان باي بن قانصوه من ملوك الجراكسة بمصر والشام، تسلطن سنة ٩٠٦، وساءت سيرته بعد توليه السلطة، واضطربت حاله، وقتل بعد ثلاثة أشهر وعشرة أيام، قال ابن إياس: كان مهيباً، وافر العقل، إلا أنه سفاك للدماء ظالم.

(٢) جاء في الهامش: مطلب: في عدم اجتماع الدُّنيا. والمحبة بين أخوين في الدنيا ضرورة.

(٣) ذكره الحاكم في المستدرك ١/١٢٥.

(٤) رواه البزار في المسند ١/٤٤٠ عن عمر بن الخطاب.

ويؤيِّدُ ذلك قولُه ﷺ: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثاً، ولو أن له ثالثاً لابتغى رابعاً، ولا يملأُ عينَ ابنِ آدم إلاّ التراب»(١). إذ المُراد بابن آدم من اقتصرَ على ظاهر الدُّنيا، ووقف عندها، إذ الأدمُ هو الجلد، فكأنَّه ﷺ جعل الحكم مقصوراً على مُحبِّ الدُّنيا، وإلاّ فالأنبياء والأولياء لا يبغون أن يكونَ عندهم دينارٌ واحد بقرينة قوله ﷺ: «ما يَسرُّني أنَّ عندي مثلَ أُحدٍ ذهباً، تمضي عليه ثلاثةُ أيام وعندي منه درهمٌ واحد، إلاّ درهماً أُرصدُه لدين»(٢). وقد عرضَ الحقُّ تعالى عليه ﷺ أن يُسيِّرَ معه جبالَ تهامة ذهباً وفضةً وزمرّداً، فقال: «لا يا ربِّ، أجوع يوماً وأشبع يوماً...»(٣) الحديث، فافهم.

ويجب على الشيخِ أن لا يغفلَ عن مراعاةِ الفقراءِ القاطنين في الزاوية، فإنَّهم غَنَمُهُ، ويردَّهم عن مراتعِ الهلكة ليلاً ونهاراً، وليضربْ من لم يرتدَّ منهم عمَّا يُؤذيه إلاّ بالضرب، ويهشّ على من يكتفي بالهشِّ.

ويقدِّمُ لهم مقدمةً إذا أراد يُفرِّقَ عليهم فتوحاً، لكي ينتبهوا لكذبهم في دعواهم أنَّهم تركوا محبَّةَ الدُّنيا، فيقول لهم: كانَ رسول الله ﷺ يُكثرُ العطاءَ لقومٍ، ويقول: «الذي أَمنعُ أحبُّ إليَّ من الذي أُعطي، وإنّما أُعطي العطاءَ الكثيرَ لقومٍ أتألَّفُهم للإيمان، وأُقلِّلُ العطاءَ لقومٍ لمَا أعلمُ من قوَّة إيمانهم، وقلَّة جزعهم»(٤). فأيُّكم أيُّها الفقراء أقوى إيماناً حتَّى أُعطي حصَّتَهُ لأخيه، أو أقلِّلَ له العطاء؟ فإذا سكتوا، فقل لهم: أيُّكم أَضعفُ يقيناً بالله، وأقلُّ إيماناً به، وأقلُّ ديناً حتَّى أُعطيَهُ أكثرَ؟ فكلٌّ من شَهِدَ على نفسه بشيءٍ من فعاله بما يليق به، ولعلَّ يفتضحُ في المجلس كذا وكذا

---

(١) رواه البخاري ١١/٢١٧، ومسلم (١٠٤٨)، والترمذي (٢٣٣٨).

(٢) رواه البخاري ٣/٢١٨ في الزكاة، ومسلم (٩٩٢).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية ٨/١٣٣، والبيهقي في شعب الإيمان ٧/٣١٠.

(٤) روى البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعا...﴾ (٧٠٩٧) عن عمرو بن تغلب قال: أتى النبي ﷺ مال، فأعطى قوماً ومنع آخرين، فبلغه أنهم عتبوا، فقال: «إني أعطي الرجل، وأدع الرجل، والذي أدع أحبُّ إليّ من الذي أعطي، أعطي أقواماً لما في قلوبهم من الجزع والهلع، وأَكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير، منهم عمرو بن تغلب». فقال عمرو: ما أحب أن لي بكلمة من حمر النعم.

واحداً، أوكلُّهم، وكان ينبغي لهم أن يَحموا الخِرقةَ، ويقولَ كلٌّ واحد: نصيبي لأخي. فإذا صارَ المال كلُّه كذلك، فليقسِّم بينهم من غيرِ بغضٍ أو حسدٍ، فإن ثمَّ من النِّفاقِ ما هو محمودٌ في مواطن، مثل المُداراة عن العرض.

وليَعلم الفقراءُ أنَّهم لا يصحُّ لهم أن يترقُّوا إلى الأدب مع الله تعالى إلاّ إن تأدَّبوا مع شيخهم؛ لأنَّه رتبةٌ دون الحقّ، يتمرَّنُ المريدون به، مع معاملتهم مع ربِّهم، فإذا صحَّ لهم الأدبُ مع شيخهم، صحَّ لهم الأدبُ مع ربِّهم، وإلاّ فلا، فمن رضي بحرمان شيخه له الدُّنيا مثلاً، وانشرحَ بذلك صدرُه، ترقّى إلى مقام الرضا بحرمان الحقِّ تعالى، وانشرحَ صدرُه بكلِّ مُقدّرٍ يجريه الحقُّ تعالى عليه، ومن لم يرض عن شيخه إذا حرمَهُ، لم يرضَ عن ربِّه كذلكَ. فتأمَّل فإنَّها ميزانٌ تطيش على الذرِّ.

ويجب على الشيخ أن يوطِّنَ نفسَه إذا قسم بين كلابِ الدُّنيا جيفَها على سماع هبهبتهم عليه، وعضِّهم له، وخربشتهم، وتنجيستهم، ومخالطتهم، ونسبتهم له[1] للخيانة، وإنَّه لا بدَّ أن يكونَ خبَّأَ عنهم منها شيئاً، فإنَّهم لا يَقيسونه إلاّ على أنفسهم، وهم لو كانوا هم القاسمين لسرقوا منها من وراءِ إخوانهم.

وليعلم الشيخُ أنَّ الكلابَ لا تزدحم قطُّ إلاّ على من بين يديه جيفةٌ، وإلاّ فلا تقفُ قطُّ عليه، ولو كانَ بين يديه قنطارٌ من المسكِ والعنبر، فإنَّ الشيخَ الذي لا بدَّ من جهته، ولا يأتي على يده شيءٌ، لا يزدحمُ عليه كلبٌ، ولا يكثر من مجالسته.

وتأمَّل الشيخَ أيام ضيق يده قَبلَ مسموحِه، ووقفه، ورزقته لا يكون له إلاّ بعضُ أصحابٍ، فإذا فزعت له الخلائقُ، وتردَّدت له الأمراء والملوك، تزاحمتِ النقباء على بابه، فإذا قال لهم الشيخ: امضوا إلى بيوتكم. يقولون: يا سيِّدي، واللهِ ما بقينا نقدرُ على مفارقتك من المحبَّة. مع أنَّ صفاته الصالحة قد أخذتْ في النَّقصِ من حيث اشتهر، فلو كان النُّقباءُ صادقين في أنَّ محبَّتهم للشيخ لله، لكانَ الأمرُ بالعكس، وازدحموا عليه قبلَ اتساعِ الدُّنيا عليه، فإذا اتَّسعت، هربوا منه.

فإنْ أردتَ أيُّها الشيخُ محبَّةَ الفقراءِ لك أشدَّ المحبَّة، فأكثرْ لهم من صيد الدُّنيا، ولو بالنصْبِ والحيل، وذلِّ النفس على الأبواب، والسفرِ إلى القُرى والبلاد، فإنَّك إذا فعلتَ

(١) من هنا حتى قوله في نهاية العهد (٢٤٨) مخروم من نسخة (ب).

ذلك أحبُّوك أكثر من محبَّتهم لك إذا علَّمتهم الآداب التي تُوصلهم إلى حضرة ربِّهم.

وقد تناظرَ كلبُ السوقِ مع كلبِ الصيد، فقال كلبُ السُّوق: أنا كلبٌ وأنت كلب، فلماذا يُقرِّبونكَ ويُجلسونك على فرشهم، وأنا كلَّما رأَوني طردوني وأَخرجوني إلى المزابل؟ فقال كلب الصيد: الفرقُ بيني وبينك واضحٌ؛ لأنِّي أصطادُ لهم، وأنت تصطادُ لنفسك. انتهى، فافهم، وتدبر.

ويجب على الشيخِ أن يمنعَ من المجاورةِ عنده كلَّ من لا يحضرُ مع الفقراءِ في أورادهم؛ لأنَّ إقامَته في الزاوية تُفسدُ أحوالَهم، ويتشبَّهُ به غالبُهم في الكسل، وليكنِ الشيخُ أولَ حاضرٍ للمجلس تقويةً لعزمهم، وإنْ لم يكن الحضورُ له لازماً فهو من سُنَّة الأشياخ الذين لهم أتباع، وذلك لأنَّ غالبَ القلوبِ قد ماتت في هذا الزمان، ولذلك لا تكادُ تحضرُ قلوبُهم في الذكر إلاّ عند قربِ الفراغِ منه؛ لكثرةِ تشتت قلوبِهم في أودية الغفلات والشهوات، وما جعلَ الأشياخُ هذه المجالس إلاّ ليقوى بعضُ الفقراء ببعض، فإنَّ منهم من يُصبحُ كسلان، ومنهم من يُصبح نشيطاً، ولو انفردوا ربَّما كسلَ النشيطُ ذلك اليوم.

وقد جاءَ فقيرٌ إلى سيِّدي مدين يجاور، فحضرَ أياماً مع الفقراء، ثم انقطعَ، فأرسل إليه الشيخ: لِمَ لم تحضر مع الفقراء في مجلس الذكر؟ فقال: أنا قلبي حيٌّ. فأمرَ الشيخُ بإخراجِهِ من الزاوية، وقال: هذا يُتلفُ الفقراء، ويُصيِّرُ كلَّ واحدٍ يدَّعي أنَّ قلبه حيٌّ، ويتركونَ شعار الزاوية. رضي الله عنه.

وينبغي للشيخ الناظرِ على زاوية الفقراء أن لا يُمكِّنَ من يُريدُ الاشتغالَ بغيرِ طريقته أن يجاور عنده؛ لأنَّه يُتلفُ عليه الزاوية بكثرةِ الجدال له، وقوله: هذا لا يجوز، وهذا حرام، برأيه وفهمه، ونحو ذلك، فإنَّ حياة بيوت الله تعالى إنَّما هو بتلاوةِ القرآن، وذكرِ الله عزَّ وجلَّ لا غير، ولو كان في الزاوية ألفُ نحويٍّ، أو ألفُ أُصولي، أو فرضي، أو قاضٍ، فهي ميتةٌ لا روحَ فيها، ولو جلس فيها ثلاثةٌ من الفقراء، يذكرون الله، أو يقرؤون القرآنَ، لرأيتَ حيطانَ الزاوية والجيرانَ تطربُ، وترقصُ فرحاً، فضلاً عن النَّاس المقيمين أو المارّين، وذلك لأنَّ ذكرَ الله وكلامَه روحانيتُهُ قوية، تحيي كلَّ من كان تجاهها، ولا كذلك كلامُ العلماء، لأنَّ روحانيتَهُ ضعيفةٌ، لا

تكاد تُحيي نفسَ قارئها فضلاً عن سامعه.

وقد أخبرني شيخُنا رضي الله عنه: إنَّ العلمَ قد ارتفعَ مكثُهُ من القلوبِ من سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة، وقال: جميعُ من يتكلَّمُ اليومَ إنّما هو بلسانه لا بقلبه، ومصداقُ ذلك أنَّ المُدرّسَ من الفقهاء لا يقدرُ على التدريسِ كلَّ يومٍ إلاّ إن طالعَ ذلك الدرسَ قبل أن يجيءَ، أو يتكلَّمَ من الكرّاس، فصار العلمُ في أفواههم لا في قلوبهم، وكلَّ سنةٍ يعيدون قرأتهُ فقط، ولو كان العلم موضوعاً في قلوبِهم لاستغنوا عن مُطالعة الكتبِ من أول سنة.

قال الشافعيُّ رضي الله عنه: ما سمعتُ شيئاً قطُّ ونسيتُه.

وكذلك وقع للنَّوويِّ[1] رحمه الله، اشتغلَ بالمطالعة نحو سنتين، ثم صار يتكلَّمُ ويؤلِّفُ من ذلك الرأس المال إلى أن مات رحمه الله.

ويجب على الشيخِ أن لا يتكدَّرَ من الفقراء القاطنين عنده، إذا رأى منهم قلَّةَ اعتراف له بالفضلِ والتربية، فإنَّ هذا زمانٌ ما بقي أهلُه يحتملون إقامة الميزان عليهم كما تقدَّمَ بيانه[2] في عهد الامتحان في الإيمان والصحبة.

فليعاملِ الشيخُ ربَّه، وليعتقد أنَّ عدمَ اعترافهم بنعمته عليهم أوفرُ لأجرِه، فربَّما لو قابلوه بالخدمةِ والشُّكر ذهبَ أجره، وليعلمْ أنَّ الأمورَ كلَّها قد صارت على وجه الختام، وهو في دهليز القيامة.

وليتأمَّلِ الأشياخَ الذين ماتوا، والذين في عصره، يُلقِّنُ كلُّ واحدٍ منهم الألفَ، والعشرةَ آلاف وأكثر، ولا يُفتحُ على شخصٍ منهم سوى بشقشقةِ اللسان، وقوله: أخذت عن سيِّدي فلان، وبعده عن فلان، وبعده عن فلان لا غير.

وقد صار الشيخُ يُطعمُ جماعتَه ويكسوهم من حيث كانوا أطفالاً وأيتاماً إلى أن يَصيروا رجالاً حفّاظاً لألفاظ القرآن والعلم، ويزوِّجُهم، فلا يحفظُ أحدٌ منهم له حرمةً، ولا يتذكَّرُ له جميلاً، ويقولون: ما أطعمنا إلاّ الله، نفاقاً لا شهوداً، وربَّما

---

(١) هو يحيى بن شرف بن مري الحوراني النووي، أبو زكريا محيي الدين (٦٣١-٦٧٦هـ) علامة بالفقه والحديث، مولده ووفاته في قرية نوى جنوب دمشق، وله من الكتب: تهذيب الأسماء واللغات، ومنهاج الطالبين، المنهاج في شرح صحيح مسلم، الأذكار، رياض الصالحين، والمجموع، وغيرها كثير.

(٢) انظر أوائل هذا العهد.

ماتَ شيخُهم عن أطفالٍ قاصرين، فلا يفتقدُهم أحدٌ منهم بحسنةٍ من حسنات الدُّنيا، كما هو مشاهد.

وقد رأيتُ شخصاً اشتكى سيِّدي سليمان الخُضيري[1] إلى المفتشِ، وقال له: أدَّعي على هذا الرجل أنَّه أكلَ معلومَ الفقراء في الزاوية. فقال له المفتشُ: لك عند الشيخ زمان؟ فقال: نحو عشر سنين، ولقَّنني الذكر، وأخلاني. فقال له المفتشُ: أفٍّ عليك. ثم إنَّ القضيةَ أسفرتْ على أنَّه ليس من جهة الشيخ شيء[2] لخرابِ البلاد.

وقد حكى لي سيِّدي عليٌّ الخوَّاص رحمه الله: إنَّه أدركَ الحراميةَ، وقطاعَ الطريق على أيام السُّلطان قايتباي على قدمٍ أعظمَ من مُسلِّكي هذا الزمان، فقلت له: كيف؟ فقال: لحفظهم العيش، وتذكّرهم الجميل، وترى الفقيرَ من هؤلاء يأكلُ من عندك الإرْدَبَّ والأرادبَ من الخبز، وتغضبُ عليه، فيصيرُ يمزِّقُ في عرضك، كأنَّه قطُّ ما رآك.

قال: وقد رأيت حموراً كبيرَ المَنْسِرِ[3] دخلَ على شخصٍ من التجَّارِ ليلاً، وصحبتُهُ تسعةُ رجالٍ، ففتحَ التاجرُ عينه، فإذا هو بهم في البيت، فقالوا: لا تخفْ يا خواجا، الصبيان يطلبون الغذاء لا غير. فقال: أبشروا، وأخرجَ لهم عشرةَ آلاف دينار، كلّ واحدٍ ألف دينار. فقالوا له: عدّاكَ العيب. ثم إنَّ شخصاً منهم أخذَ حُقَّ[4] الملح، وكانَ من فضَّةٍ، فوضعه في عُبِّه، ثم إنَّه خطرَ له أن يفكّهُ لينظرَ ما فيه، ففتحه، فإذا هو ملحٌ، فذاقه، فقال حمور[5]: أرجعوا ما معكم من الأموال، فإنَّ صاحبَنا قد ذاقَ من ملحه. فردّوها كلَّها إلى التاجر، وقالوا: ما بقي أحدُنا يأخذُ منك شيئاً، فصار يُساءلهم بالمال، يدخله، حتَّى أوصلَهم إلى كلِّ واحدٍ مئةَ دينار، فأبوا.

---

(١) سليمان الخضيري كان على قدم عجيب في التزهد والتعبد، سمع الحديث وتصوف، له مكاشفات كثيرة، وكرامات غزيرة، انتفع به الناس، مات حوالي سنة ٩٦٠هـ عن مئة وعشرين سنة.

(٢) في (أ): الشيخ خراب البلاد.

(٣) المَنْسِر: على وزن مسجد الجماعة من الخيل، وقيل الجيش لا يمر بشيء إلاّ اقتلعه. واشتهر المنسر في العصر المملوكي بجماعة اللصوص الذين كانوا يدخلون البلدة شاهرين السلاح إلى الأسواق الغنية، فيسلبونها وينهبونها. معجم الألفاظ التاريخية.

(٤) الحُقُّ: وعاء صغير ذو غطاء، يتخذ من عاج أو زجاج أو غيرها. المعجم الوسيط.

(٥) في (ج): حمور رحمه الله.

فقسْ حالَ هذا الحرامي على أعزِّ أصحابك الذي أكل عندك أرادب قمحٍ، ولحمٍ، وجبن، وعسلٍ، وطبيخ، تجدْه ناقصاً عن درجة اللصوص.

وقد أخبرني رضي الله عنه مراراً أنَّه أدركَ **شروطَ الحرامية**، وذكر لي منها جملةً صالحةً منها أنَّه يجبُ أن لا يخرجَ أحدٌ منهم للسَّرِقة إلاّ حتَّى يتوضَّأَ، ويُصلّي ركعتين، ثم يستغفرُ اللهَ عزَّ وجلَّ مئةَ مرة، ثم يقول: يا ستار يا ستار استرني، واسترْ كبيري وجماعتي في الدُّنيا والآخرة، ولا تُؤاخذني في أكلِ ما قسمتَهُ لي من الحرامِ، فإنَّك تعلمُ أنّي عاجزٌ عن ردِّ نفسي عنه، ولا تجعلْ لي نصيباً في مال أحد يُخرج زكاته، ولا في مالِ أحدٍ يُودعُ النَّاسُ عنده الودائعَ، ولا في مالِ من عنده مالٌ ليتيم، ولا في مالِ كريم يُقري ويضيف، ولا في مال من ماتَ لهم ميتٌ في ذلك الشهر، ولا في مالِ من ولد عنده مولودٌ، ولا في مالِ من عنده عرسٌ، ولا في مالِ النساء وثيابهن، وثياب بناتهن، ولا تقدِّرْ عليَّ بسرقة شيءٍ في حارةِ وليٍّ حيٍّ أو ميت، ولا في مالِ من ذقتُ عنده لقمةً في حينٍ من الأيام. ثم يخرجُ أحدُهم مُراقباً للهِ عزَّ وجلَّ، مستشعرَ الخوفِ منه، سائلاً أنْ لا يُهتكَهُ، فلا يزالُ كذلك حتَّى يرجع.

قال شيخنا رضي الله عنه: وسمعتُ مرَّةً حموراً يقول لأصحابه: لا يكنْ عندكم أعظمُ من الالتجاء إلى الله عزَّ وجلَّ إذا خرجتم إلى السرقة. فقد روى الطبراني[1]: أنَّ نبياً من أنبياء بني إسرائيل سُرق حمارُه، فقال: يا ربّ، حمارُ نبيِّك يُسرق، وأنت تَرى، أسألُكَ أن تُطلعني على من سرق حماري، فأوحى الله تعالى إليه أنَّه حينَ سَرَقَ حمارَكَ سألني أن أسترَ عليه، وأنا أستحي أن أفضحَهُ بعد ذلك، ولكن أُعطيكَ حماراً مكانه. انتهى.

فاعلم هذا العهد يا أخي وتدبَّرهُ إن عملتَ شيخَ زاوية، والله يتولّى هُداك.

(٢٤٥) أُخذَ علينا العهودُ إذا أعطانا الحقُّ تعالى القوَّة على تحمُّل مصائب الخلق، ودفع المظالم والبلايا عنهم، أن لا نقبل من أحدٍ في نظير ذلك هديةً، فإنَّ ذلك حرامٌ بنص الشارع.

وكان ابنُ عباس رضي الله عنهما يقول: من شفعَ شفاعةً فأُهديَ له على ذلك

---

(١) لم أجده في كتب الطبراني، ولعله في المعجم الكبير للطبراني في القسم الضائع منه.

شيءٌ فقبله، فقد أتى باباً من الكبائر[1].

وإن كان لا بدَّ لنا من الترخُّص في القبول إذا علمنا منهم طيبَ النفس، فلنقبلْ ذلك على اسمِ الفقراء لا على اسمنا، ثم لا نتصرَّفُ فيه حتَّى يحصلَ كمالُ قضاء الحاجة، فإنَّ كلَّ من أكَلَ من ذلك شيئاً قبلَ قضاءِ الحاجة، فقد عرَّضَ بدَنه للحكَّة، والجرب، والحبِّ الإفرنجي[2]، وظلمةِ القلب، ونقصِ الإيمان، والدين والدُّنيا حتَّى يذهب منه في الأدوية، ويجرعَ غصصَها أضعافَ ما أكل، وأمَّا إذا جاءَ شيءٌ على وجه الهدية من الإخوان وغيرهم، فإنَّ كان مثلَ الفواكه والأشياء التي تُفرَّقُ، فرَّقناها في بيتنا على[3] الفقراء، وإن كان يُدَّخر في العادة ادَّخرناه على نيَّة الفقراء والمساكين، وإنْ كانت القرائنُ تُعطي أنَّه خاصٌّ بنا، كالصوفِ والشاش والنعل، فلنا أن نختصَّ به، ونُخصص به من رأينا من الفقراء، والله أعلم.

(٢٤٦) **أُخذَ علينا العهودُ أن نجيب دعوة من دعانا إلى داره من الأغنياء، والأمراء**، والكبراء، والمقدَّمين، والمعلمين، ونجلس على فرشهم النفيسة، ولا يضرُّنا ذلك مع النيَّة الصالحة إن شاءَ الله تعالى.

وإذا دعانا غنيٌّ وفقير، قدَّمنا الغني على الفقير؛ لأنَّ كسرَ خاطر الغني أعظمُ من كسرِ خاطر الفقير، إذِ الغنيُّ قليلٌ من يُخالفه، فيعسر ذلك عليه أشدَّ العسر، وأمَّا الفقيرُ فلا يتأثَّرُ في الغالب، لأنَّه ألفَ كثرةَ مُخالفة الناس له في كلِّ شيءٍ يَطلبه منهم، بخلاف الأمير، فمراعاةُ الرتبِ واجبةٌ، فإن علمنا أنَّ الفقيرَ ينكسرُ خاطرُه أكثر، قدّمناه على الغنيِّ، والسلام.

---

(١) روى الطبري في التفسير ٦/٢٤٠ عن هشام بن صبيح قال: شفع مسروق لرجل في حاجة، فأهدى له جارية، فغضب غضباً شديداً، وقال: لو علمت أنك تفعل هذا ما كلمت في حاجتك، ولا أكلم فيما بقي في حاجتك، سمعت عبد الله بن مسعود يقول: من شفع شفاعة ليرد بها حقاً، أو يرفع بها ظلماً، فأهدي إليه فقبل، فهو سحت. فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، ما كنا نرى ذلك إلاّ الأخذ على الحكم. قال: الأخذ على الحكم كفر.

(٢) الحب الإفرنجي: مرض معدٍ، يقال له الزُّهري. معجم تيمور ٢/٥٤.

(٣) في (أ) و(ب): والفقراء.

(٢٤٧) أُخذَ علينا العهودُ أن نحبب العباد إلى ربِّهم، ونُحبّبُ ربَّهم إليهم ما أمكن بذكر نعمه عليهم السابغة ليلاً ونهاراً، مع تقصيرهم في خدمة ربِّهم، فإذا عرفوا تلك النِّعمَ واعترفوا بتقصيرهم رضي عنهم ربُّهم، ورضوا عنه، وأحبَّهم وأحبُّوه.

وانظر يا أخي إلى سياسة الحقِّ تعالى عباده في كونه ساقَ المطيعين إلى حضرته بإدخالهم الجنَّة، وذكرَ ما أعدَّه لهم من النعيم المقيم، وما وعدَهم بذلك إلاّ لعلمه بفتور همتِّهم، فافهم.

وانظر أيضاً إلى سياسته لمن علمَ من نفوسهم شدَّةً الإبائة[1]، بتخويفهم بالنار، وذكر ما أعدَّه لهم فيها من المقامعِ والأغلال، وإنَّما فعلَ ذلك ليرجعوا إلى بابِ مولاهم ولو كرهاً، وذلك من الحقِّ تعالى غايةُ الشفقة، فمن لم يجئ بشرابِ الليمون جاء بحطبِه، فاعلم ذلك.

(٢٤٨) أُخذَ علينا العهودُ أن نعاملَ الوجودَ كلَّه بالأدب اللائق بكلِّ فردٍ منه، فنعاملُ الحقَّ تعالى بالاعترافِ له بنعمه، وبالإكثارِ من ذكره، وعدمِ الغفلة عن ملاحظةِ شهوده، فإنَّ حاجتنا في الدُّنيا والآخرة لا تخرجُ إلاّ من عنده.

ونعاملُ الآياتِ التي في الوجود بالتفكُّرِ فيها والاعتبار بها.

ونعاملُ الرُّسلَ وورثتهم من العلماء والصالحين بالاقتداء بهم في مكارم الأخلاق، واجتناب سفسافها.

ونعاملُ الملائكةَ بدوامِ الطهارة الظاهرة والباطنة، وعدم الروائحِ الكريهة الحادثة من الأكل والشرب، أو من الأفعال والأقوال الردية؛ فإنَّ الملائكةَ تتاذّي بما ذكرنا كثيراً، وكما أنَّهم لا يُؤذونا كذلك ينبغي أن لا نُؤذيهم، ولا نُملي عليهم إلاّ خيراً ، فإن لم يتيسَّرْ لنا ذلك فعلينا بكثرةِ الاستغفار، وذكر الله تعالى عقبه.

ونعاملُ سفهاءَ الناسِ بالحلم، ولنحذر أن نُعاملَهم بالمقابلة، فإنَّ ذلك ممَّا يُقوّي ذخيرة الأذى لنا ولهم، ويسلسله، ثم يجرّنا إلى أن نبقي سفهاءَ مثلَهم من حيث المقابلة.

ونعاملُ الجهلاء بالسياسة ولين القول.

ونعاملُ شرارَ الناس ببشاشةِ الوجه، ولو كان قلبُنا يلعنُهم، ونكثرُ من البرِّ والإحسان

---

(١) في (ج): الإجابة.

إليهم بالهبات والهدايا ما استطعنا، فلعلنا نُكفى شرَّهم إن شاء الله تعالى، ويحصلُ لنا ثوابُ منعهم عن الإثم بالوقوع في عرضنا، ومنع السامعين لهم من سماعِ غيبتنا، وتنقيصِ عرضنا، وكشفِ عورتنا، فإنَّ أحبَّ عبادِ الله إلى الله أشفقُهم على إخوانه أن يقعوا في شيءٍ ينقصُ دينَهم.

ونعاملُ أهلَ الكشف من الأولياء بالتَّسليم والتصديق في كلِّ ما يُخبرونا به في حقِّهم، أو حقِّ الوجود كما مرَّ أوائل هذه «العهود»[1]؛ لأنَّه تعالى ما أعطاهم الكشفَ حتَّى سُمُّوا عنده صادقين من كثرة صدقهم.

ونعاملُ إخواننا المنتسبين إلى صحبتنا بالتفتيش عن أحوالهم الناقصة، والأخذِ عليهم في جميعِ حركاتهم المذمومة نصحاً لهم، فإنَّا مسؤولون عنهم.

ونعاملُ أولادَنا بالإحسان إليهم، وزوجتَنا بحُسنِ الخُلق، والتنزُّلِ لعقلها جهدَنا، كما كان يفعلُ رسول الله ﷺ.

ونعاملُ المال بالإنفاق في سبيل الله حتَّى يُفارقَنا وهو شاهدٌ لنا لا علينا، ولا يصحُّ لنا ذلك إلاّ بأن نُنفقَهُ بانشراح صدرٍ، فإنَّ المتكرِّهَ للإنفاقِ في نفسه ناقصُ الإيمان، لا ثوابَ له، بل هو إلى الإثم أقرب.

ونُعامل الناصحَ لنا من سائرِ الناسِ بالقبولِ والإصغاء، وإن كان من أراذلِ الناس، وإن نَصحنا بأمرٍ قد ترقّينا عن شهدوه، والوقوعِ فيه، فنقول له: جزاك الله خيراً. لأنَّه نصحَ بما وصلَ إليه علمه[2]، ولا نقول له: نحن ترقّينا عن ذلك.

ونعاملُ الأسماءَ الإلهية كلَّها بالتخلُّقِ بما أذنَ لنا أن نتخلَّقَ بمعناه كالرحيم، والقدّوس، والسَّلام، والمؤمن، ونحو ذلك، لا كالمتكبِّر، والمُتعالِ، ونحو ذلك، والله أعلم.

(٢٤٩) أُخذَ علينا العهودُ أن لا نمكّنَ أحداً من إخواننا ينكر شيئاً ابتدعه المسلمون على جهة القربة إلى الله تعالى، ورأوه حسناً، كما مرَّ تقريره مراراً في هذه «العهود»[3]، لا سيّما ما كان متعلّقاً بالله عزَّ وجلَّ أو رسولِه، كقولِ الناسِ

---

(١) انظر العهد الأول.

(٢) هنا ينتهي الخرم الذي بدأ في العهد (٢٤٤) صفحة (٢٤٨).

(٣) انظر العهد (١٤٨) والعهد (٢١٦).

أمامَ الجنازة: لا إله إلاّ الله، محمدٌ رسول الله. أو قراءة أحد القرآنَ أمامها، ونحو ذلك، فمن حرَّمَ ذلك فهو قاصرٌ عن فهم الشريعة، لأنَّه ما كلُّ ما لم يَكنْ على عهد رسول الله ﷺ يكون مذموماً.

وقد رجَّحَ النوويُّ أنَّ الكلام خلافُ الأولى فقط[١].

واعلم أنَّه لو فُتحَ هذا البابُ لردَّتْ أقوالُ المجتهدين في جميع ما استحبُّوه من المحاسن، ولا قائل به.

وقد فتحَ رسولُ الله ﷺ لعلماءِ أُمَّته هذا الباب، وأباحَ لهم أن يسنُّوا كلَّ شيءٍ استحسنوه، ويُلحقوه بشريعة رسول الله ﷺ بقوله ﷺ: «من سنَّ سُنَّةً حسنةً فله أجرُها وأجر من عمل بها»[٢]. وكلمةُ لا إله إلاّ الله محمدٌ رسولُ الله أكبرُ الحسنات، فكيفَ يُمنعُ منها؟

وتأمَّل أحوالَ غالبِ الخلقِ الآن في الجنازة، تجدْهم مشغولين بحكايات الدُّنيا، لم يعتبروا بالميت، وقلبُهم غافلٌ عن جميع ما وقعَ له، بل رأيتُ منهم من يضحكُ، وإذا تعارضَ عندنا مثلُ ذلك، وكونُ ذلك لم يكن في عهد رسول الله ﷺ قدَّمنا ذكرَ الله عزَّ وجلَّ، بل كلُّ حديثِ لغوٍ أولى من حديثِ أبناء الدُّنيا في الجنازة، فلو صاحَ كلُّ مَنْ في الجنازة بلا إله إلاّ الله فلا اعتراضَ، ولم يأتنا في ذلك شيءٌ عن رسولِ الله ﷺ، ولو كان منهياً عن ذكرِ الله تعالى في الجنازةِ، لبلغنا ولو في حديثٍ، كما بلغنا في

---

(١) قال النووي في المجموع ٥/٢٨٢: المستحب خفض الصوت في السير بالجنازة ومعها، فلا يشتغلوا بشيء غير الفكر فيما هي لاقية وصائرة إليه، وفي حاصل الحياة، وأن هذا آخرها، ولابدّ منه... قال ذكره الحسن، وسعيد بن جبير، وإسحاق قول القائل خلف الجنازة: استغفروا الله له. وبه قال الأوزاعي. قال ابن المنذر: ونحن نكره من ذلك ما كرهوا.

وقال النووي أيضاً في روضة الطالبين ٢/١١٦: ويكره اللغط في المشي معها، والحديث في أمور الدنيا؛ بل المستحب الفكر في الموت وما بعده، وفناء الدنيا، ونحو ذلك.

وكذا قاله النووي أيضاً في كتابه الأذكار: في أذكار المرض والموت، باب ما يقوله الماشي مع الجنازة.

قال الخطيب الشربيني في مغني المحتاج ١/٣٥٩: وما يفعله جهلة القراء بالتمطيط وإخراج الكلام عن موضعه فحرام يجب إنكاره.

(٢) تقدم تخريجه في العهد (٢١٦).

قراءةِ القرآنِ في الركوع، فافهم.

وَشيءٌ سَكتَ عنه الشارعُ أوائلَ الإسلام وضبطه، لا يمنعُ منه أواخرَ الزمان.

وبالجملة فلا يتجرَّأُ على أمرِ الناسِ بتركِ قول: لا إله إلاّ الله في الجنازة إلاّ مَنْ هو في حجاب عن عظمة الله عزَّ وجلَّ، إلاّ أن يجدَ في ذلك حديثاً يمنعُ من ذلك.

(٢٥٠) **أخذَ علينا العهودُ إذا تلونا القرآن أن نتدَّبرَ معناه**، فإذا قرأنا البقرةَ مثلاً، فأول ما نصحنا الحقُّ تبارك وتعالى به قوله: ﴿لاَ تُفْسدُوا في الأَرْضِ﴾ [١١] ﴿آمنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ [١٣] ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [٢١] ﴿لاَ تَجْعَلُوا لله أَنْدَاداً﴾ [٢٢] ﴿اتَّقُوا النَّارَ﴾ [٢٤] ﴿اوفُوا بعَهْدي﴾ [٤٠] ﴿اذْكُرُوا نعْمَتي﴾ [٤٠] ﴿آمنُوا بمَا أَنزَلْتُ﴾ [٤١] ﴿وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافرٍ به﴾ [٤١] ﴿وَلاَ تَشْتَرُوا بآيَاتي ثَمَناً قَليلاً وَإِيَّاي فَاتَّقُونَ﴾ [٤١] ﴿وَلاَ تَلْبسُوا الحَقَّ بالبَاطلِ﴾ [٤٢] ﴿وَاسْتَعينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلاَة﴾ [٤٥] ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ [٤٨]... وهكذا.

فقفْ عند كلِّ خطاب، ولا تنتقلْ لما بعده حتَّى تتدبَّرَ حكمةَ ما جاء له، فإن عملتَ يا فقيه على ذلك انفتحَ لك كثيرٌ من الآداب الإلهية والأسرار، وزهدتَ في الدُّنيا، وفي خبزِ الصغار وخميسهم[1] وقراقيشهم[2]، وصرتَ كلَّما فتحَ اللهُ عليك بشيءٍ من خبزِ الصغار، والخوانق[3]، تأكلُ منه بالمعروف، وما فضلَ تدفعُهُ للفقراء والمساكين.

وقد حدثَ في هذا الزمانِ بيعُ خبزِ الصِّغار، والخوانق، والقَرافة[4] من طائفة الفقهاء، حتّى وجدوا عند فقيه بالقرب من جامع طولون كان يقرأُ القرآنَ بالعشر روايات ما لا له صورةٌ عند أكابرِ التجار اليوم، فأخذَهُ ناظرُ الخواص[5]، وكان غالبُهُ من بيعِ الخبزِ، وخميس الصغار، فلا حولَ ولا قوَّة إلاّ بالله العلي العظيم.

(٢٥١) **أُخِذَ علينا العهودُ أن نُحسن ظنَّنا في الله عزَّ وجلَّ ونأمرُ بذلك سائر**

---

(١) الخميس: ما يأخذه الأطفال من نقود كل يوم خميس.

(٢) القراقيش: جمع قرقوشة: نوع من الخبز الصغير يُقدَّد. معجم تيمور ٥/١١٦.

(٣) جاء في الهامش: الخوانق: جمع خانقاه.

(٤) القَرافة: مقبرة أهل مصر.

(٥) ناظر الخواص: هو الذي ينظر في الأموال الخاصة بالسلطان.

المسلمين، وبهذا العهد يكون ختام «العهود» إن شاء الله تعالى.

واعلم يا أخي، أنَّ حسنَ الظنِّ بالله عزَّ وجلَّ هو محطُّ رحالِ الأوَّلين والآخرين، وقد حثَّ الحقُّ تعالى على حُسن الظنِّ به فقال في الحديث القدسي: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظنَّ بي خيراً»[1]. وفي ذلك بُشرى من الله عزَّ وجلَّ عظيمةٌ؛ لأنَّ في الظنِّ نوعاً من الترجيحِ إلى جانب العلمِ الشامل للخيرِ والشر، ولكنَّ الحقَّ تعالى ما وقفَ هنا؛ لأنَّ رحمتَهُ سبقتْ غضبَهُ، بل قال مُعلِّماً لعباده: «فليظنَّ بي خيراً». بصيغة الأمرِ، فكلُّ من لم يظنَّ بالله تعالى خيراً فقد عصى الله عزَّ وجلَّ، وجهلَ ما يقتضيه الكرمُ الإلهي يوم القيامة، حتَّى تقول الملائكة: «ما بقي لغضب ربِّنا موضع».

فإن قيل: إنَّ العلماءَ يقولون: إنَّ تغليبَ جانبِ الرجاء وحُسنِ الظنِّ لا يُؤمرُ به العبدُ إلاّ إذا كان مُحتضراً، وإلاّ فالخوف له أولى. قلنا: والوفاةُ حاضرةٌ عند العبد في كلِّ نَفَسٍ من أنفاسه، وليس هو على يقينٍ من الحياة نَفَساً واحداً، فالعاقلُ من أَحسنَ ظنَّه بربِّه في كلِّ نَفَسٍ من أنفاسه، لاحتمالِ أن يكونَ كلُّ نَفَسٍ هو آخر العمر، فلا يجوزُ لأحد سوءُ الظنِّ بربِّه نَفَساً واحداً، لاحتمال أن تخرجَ روحُه على تلك الحالة، فيلقى اللهَ تعالى وهو ظانٌّ به السُّوءَ، فيجني ثمرةَ ذلك من أنواع العقوبات، والخزي في البرزخِ ويوم القيامة، فما عادَ على العبدِ إلاّ سوءُ ظنِّه بربِّه لا غير.

فإن ظننتَ يا أخي بربِّك خيراً، فإنَّك تُشاهدُ من كرمِ الله عزَّ وجلَّ ما لم يَخطرُ على بالك قطُّ.

إن ظننتَ به تعالى أنَّه لا يُضيِّعُكَ في الدُّنيا، ولا يَكِلُكَ إلى نفسكَ طرفةَ عينٍ، فَعَل.

وإن ظننتَ أنَّه تعالى يُوفِّي عنك حقوقَ العبادِ ولا يُؤاخذُكَ بحقوقه، فعل.

وإن ظننتَ أنَّه تعالى يُميتُكَ على التوحيد، فعل.

وإن ظننتَ به أنَّه لا يُشهدُكَ أهوالَ القيامة، فعل.

وإن ظننتَ أنَّه لا يُحاسبُكَ ولا يَسألُكَ عن شيءٍ، فعل.

وإن ظننتَ أنَّه يثبِّتُ قدميك على الصرطِ حتَّى لا تقعَ في النار، فعل.

---

(١) رواه بإسناد صحيح أحمد في المسند ٣/٤٩١، والطبراني في الكبير ٢٢ (٢١٠)، وابن حبان ٢/٤٠١ بلفظ: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما يشاء». و رواه ابن عدي في الكامل في ترجمة معروف ابن عبد الله الخياط ٦/٣٢٦ بلفظ: «أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما أحب».

وإن ظننت أنَّه تعالى يُدخلكَ الجنَّةَ، ويُعطيك فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أُذُنٌ سمعت، ولا خَطر على قلب بشر، فعل.

وليكن هذا آخر العهود والمواثيق.

❁ ❁ ❁

وقد تمَّتْ بعون الله الملك المعبود الذي هو بكلِّ لسانٍ وغيره من إنسان وغيره محمود، ولكلِّ خيرٍ في الدُّنيا والآخرة مُؤمَّلٌ مَقصود، سبحانه وتعالى لا ربَّ لنا سواه، ولا نعبدُ إلاَّ إيَّاه، والصلاة والسلام على خيرِ الأنام، وموضحِ شرائعِ الإسلام، محمدٍ وآلهِ وتابعِ من والاه.

صورةِ ما وجد على أصل المؤلف من إجازات السادة العلماء بمصر المحروسة أعاد الله تعالى علينا وعلى المسلمين من بركاهم في الدُّنيا والآخرة آمين

الأولى

إجازة العالم العلاّمة شيخ الإسلام الشيخ **شهاب الدين الفتوحي الحنبلي**(١) وهي قوله:

الحمدُ لله الوفيِّ بما وعد، المُنعمِ على من يشاء بالعيشِ الرَّغَدْ، المليء بتوفية المواثيق والعهود، المتفضِّل على كلِّ موجود، باللُّطف والبرِّ والجود، الذي خصَّ من شاء من العباد بأسرار المعاني، ونوَّر بصائرَهم فبلغوا مقاصدهم بما أتوا به من حُسن المباني، وكشفَ عنهم الحجبَ والسُّتور، فقالوا: ﴿الحَمْدُ للهِ الَّذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، وحين أَقبلوا على حضرته مُخلصين، قال لهم: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٤٦] والصلاة والسلام على من هو قُطبُ دائرة الأوائل والأواخر، المَبعوثُ من أشرفِ القبائل وأَطيب العناصر، وعلى آلهِ وأصحابه الذين انتصروا للدين فكانوا خير ناصر، صلاةً وسلاماً دائمين ما تشرَّفت بذكره وذكرهم المنابر، وبعد:

---

(١) أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار (٨٦٢-٩٤٩) عالم متواضع، طارح للتكلف، ومشيخته تزيد على مئة وثلاثين شيخاً وشيخة، أخذ عنه العلم جماعة، أكرهه الغوري على القضاء، ثم ترك القضاء في الدولة العثمانية، وأقبل على العلم بنهم كبير، وكان ينكر على الصوفية، ثم اعتقدهم على يد الشيخ علي الخواص، وفتح عليه، وصار له كشف عظيم. وأقبل على العبادة آخر عمره، وصار كأنه لم يشتغل بعلم قط، مع أنه انتهت إليه الرئاسة في تحقيق نقول المذهب، وفي علم السند في الحديث، وفي علم الطب والمعقولات، حتى غدا قاضي قضاة الحنابلة، وهو آخر مشايخ الإسلام من أولاد العرب انقراضاً. له مؤلفات. الطبقات الصغرى للشعراني ٧٧، الكواكب السائرة ١١٢/٢، شذارات الذهب ٢٧٦/٨، مختصر طبقات الحنابلة للشطي ٨٢، ٨٣.

فقد اطَّلعتُ على هذا البحر العجَّاج، المُتلاطم الأمواج، فسَبَحْتُ فيه وابتهجت بنفائس دُرَرِه غاية الابتهاج، وغصتُهُ فظفرتُ بجواهر فوائده التي نالها محتاج، ووردتُهُ ورودَ ظمآن أتى إليه من بعد فجاج، وتأمَّلتُهُ المرَّة بعد المرَّة، فإذا تحت كلِّ ذرة منه دُرَّة، ورأيته قد اشتملَ من الفوائد على أدناها وأقصاها، فـ﴿لاَ يُغَادِر صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩] كيف لا وهو من بحور عشرة، يُدركُ ذلك من تأمَّله وتدبرَّه، وبالجملة فهو مؤلفٌ فريد في فنه وصنفه، ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ﴾ [فصلت: ٤٢] لا يقدحُ في معانيه إلاّ جاهلٌ معاند، أو مائلٌ عن طريق الحقِّ لأجل غرضه الفاسد، فسبحانَ من ذللَّ لمؤلفه كلَّ صعب شرود، وألانَ لمصنِّفه الألفاظ الرشيقة كما ليَّنَ الحديدَ لداود، مع كونها مطابقةً لمقتضى الحال، مشتملةً على البلاغة على ما هو كالسحر الحلال، وصدقَ فيه المثلُ السائر: كم تركَ الأولُ للآخر، فجزاه الله خيراً فيما صنع، وأثابه الثوابَ الجزلَ على ما وضع، وأقامه للعلوم يُبديها ويُظهرها، وللفوائد يُخرجها وينشرها، متَّع الله الوجودَ بوجوده، وأفاض عليه سحائبَ كرمِهِ وجوده، وغمرَهُ في فضله ورحمته، ونفعني والمسلمين ببركته، وختم لي وله بالحسنى، وبوَّأني وإيَّاه المحلَّ الأسنى، إنَّه غفورٌ رحيم، جوادٌ كريم.

وكتبه فقيرُ رحمته العليِّ، أحمدُ بن عبد العزيز الفتوحي الحنبلي، الشهير بابن النجار، أجاره اللهُ من عذابِ النار، وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين.

الإجازة الثانية

للشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ شهاب الدين الرَّملي الأنصاري الشافعي(١):

الحمد لله الذي تعزّز في أزليَّته بعزِّ كبريائه، وتوحَّد في صمديته بدوام بقائه، ونوَّر بمعرفته قلوبَ أوليائه، وطيَّب أسرار القاصدين إليه من طيب ثنائه، وسكَّن حُرقَ الخائفين بحُسن رجائه، ونعَّم أرواح المحبّين في رياض معاني أسمائه، وأسبغَ على الكافَّة جزيل عطائه، ظهرت شواهدُ وجوده فدليل توحيده في ضيائه، فالعُلوي والسُّفلي، والعرش والكرسي، والجنيِّ والإنسيِّ في دائرة الافتقار إلى تدبيره وإبقائه، له الجلال والجمال، والثناءُ والكمال، الذي قصرتْ جميعُ الألبابِ من الأوَّلين والآخرين عن إحصائه، فالصامتُ ناطقٌ من حيث الدِّلالة، والناطقُ صامتٌ وإن بالغَ في المقالة، فإنَّ للعقل حدًّا يقف عند انتهائه؛ فرَّطَ المُعطِّلُ فما اهتدى، وأوَّلَ المُشبِّهُ واعتدى، فهلكا في قفارِ الجهلِ وبيدائه، والعارفُ أشرقَ قلبُه بمعرفة الله، وأطرقَ سرُّه لهيبة الله فتسربَلَ بحيائه، فسبحانَ من تقرَّبَ برأفتِه ورحمته إلى قلوب أوليائه وأحبائه، وتعرَّف إلى أحبابه بمحاسنِ صفاته، فانبسطوا لذكرِه ودعائه، أحمدَهُ حمدَ مُعترف بالعجز عن عدد آلائه، منتظر زوائدَ برِّه ونعمائه، مستجير به من بُعده وإقصائه، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحدَهُ لا شريك له، شهادةً تتضمَّنُ الحسنى لقائلها يوم لقائه، ووعده بزيادة النظرِ إليه وهو أحقُّ بوفائه، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً ﷺ عبدُهُ ورسوله خاتمُ أنبيائه، وسيِّدُ أصفيائه، المخصوص بالمقامِ المحمود، في اليوم المشهود، فجميع الأنبياءِ تحت لوائه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه وخلفائه، وعلى من اقتفى أثرَهم إلى

---

(١) أحمد بن حمزة شهاب الدين الرملي – من رملة المنوفية بمصر – خاتمة المحققين بمصر والحجاز والشام، كان ورعاً زاهداً عالماً صالحاً حسن الاعتقاد، انتهت إليه الرياسة في العلوم الشرعية، وعاش حتى صار علماء الشافعية بمصر كلُّهم تلامذته، كان معظماً من جميع علماء مصر، ومن خصائصه أن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري أذن له أن يصلح في مؤلفاته في حياته وبعد مماته، أحبَّ الشعرانيَّ وعاده في مرضه، ودعا له حتى شفي، ومات الرملي سنة ٩٥٧هـ. قال الشعراني: وما رأيت في عمري جنازة اجتمع فيها خلائق مثل جنازته، ومن كتبه: «فتح الجواد بشرح منظومة ابن العماد» في المعفوّات، و«الفتاوى» جمعه ابنه شمس الدين محمد. الطبقات الصغرى للشعراني صفحة ٦٦، الكواكب السائرة ٢/١١٩، الأعلام ١/١٢٠.

يوم القيامة ففازَ باقتفائه، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم لقائه، وبعد:

فقد وقفتُ على هذا المؤلَّفِ العجيب، والمُفردِ الغريب، والبديعِ الشريف، والمجموعِ الحسن الظريف، المُشتملِ على الألفاظ الرائقة، والمعاني المُتناسقة، فجزى الله مؤلِّفَهُ خيرا، وأجزل له مثوبة وأجرى، فلقد بذلَ في نُصحِ سالك طريق القوم الغاية، وفي إرشادِه إلى أمانةِ نفسه وترقِّيه النهاية، فاللهُ تعالى يُكثر النفعَ بوجوده، ويُعاملني أنا وإيَّاه في الدَّارين بفضله وجوده.

وكتبه العبدُ الفقير، المعترفُ بالذنب والتقصير، الراجي عفو ربِّه الكريم، أحمد بن أحمد بن حمزة الرَّملي الأنصاري الشافعي غفر الله له ولوالديه ومشايخه وجميع المسلمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين، وصلى الله على سيدنا مُحمد وآله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

الثالثة

للشيخ الإمام العلامة الشيخ **ناصرِ الدين اللُّقاني المالكي**[1]:

الحمد لله الذي أفاض على قلوب أصفيائه عوارفَ المعارف، وفجَّر من قلوبهم عيونَ الحِكَمِ واللطائف، ورصَّع بنفائس جواهرها صفائحَ الصحائف، وكشف عن بصائرهم حُجُبَ الأسقام، فتجلَّتْ لهم حقائقُ الأسرار، ونطقت ألسنتُهم بما أدهشَ العقولَ وحيَّر الأفكار، والصلاةُ والسلام على سيدنا محمد مُظهرِ المعارف الربانية، والحقائقِ اللدنية، قطب دائرة الوجود، وممدِّ كلِّ ممد وممدود، وعلى آله وأصحابه والتابعين، صلاةً وسلاماً دائمين إلى يوم الدين، وبعد:

فقد وقفتُ على هذا المُصنَّفِ الشريف، والأسلوبِ اللطيف، المُشتملِ على حقائق ورقائق، ونكت لطيفة ودقائق، حقيقةً بأن تُكتبَ بماء الذهب، بل بسواد العيون، وأن تُشترى بنفائس الأرواح لا بنقد العيون، لما فيها من الحِكَمِ وآداب السلوك، وخُلاصةِ الإخلاصِ المُذْهِبِ للأوهام والشكوك، وكفى هذا المُصنَّفُ شرفاً أنَّ لسانَ حاله وبيانه، ناطقٌ بعلوِّ قدره وشانه، بحيث أنَّ الناظرَ في تلك «العهود»، يُمزِّقُ مألوفَ نفسه المعهود، وما هي إلاّ منحٌ ربانيّة، ومواهبُ قدسيَّة، خصَّ بها الكريمُ الوهَّاب، عبدَه الأوَّاب، حشرنا الله في زمرته، ونَفعني في الدارين ببركته، وأفاض علينا من مَدَدِه، وعمَّ قلوبَنا بودِّه، والصلاة على نبيه وعبده، وآله وصحبه وجنده، قال ذلك وكتبه الفقيرُ الحقيرُ ناصر بن حسن اللُّقاني المالكي، غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين[2].

---

(١) محمد بن حسن بن علي بن عبد الرحمن اللقاني المالكي (٨٧٣–٩٥٨) الإمام العلامة المجمع على جلالته، الورع الزاهد. انتهت إليه الرئاسة بعد أخيه شمس الدين في العلم والعمل والتحقيق، جاءته الأسئلة من بلاد المغرب واليمن والشام والروم. وكان من أعظم الناس اعتقاداً في طائفة القوم، ولما دسَّ بعض الحسدة على كتاب الشعراني «العهود» وغيره مسائلَ خارجه عن ظاهر الشرع، أجاب عن الشعراني على تقدير صحتها بأحسن جواب، ولما اجتمع به الشعراني وأخبره بأنها مدسوسة عليه، وأطلعه على النسخة التي عليها خطه، فرح بذلك أشد الفرح. ومن آثاره: «البسملة»، و«شرح مختصر المنتهى»، و«شرح منظومة ابن رشد». الطبقات الصغرى للشعراني ٨١، معجم المؤلفين ٣/٢٢٦.

(٢) جاء في المطبوع صفحة ٣٧١ بعد هذا ما نصُّه:

الرابعة

للشيخ الإمامِ العالم العلامة الشيخ شهاب الدين الحنفي الشهير بابن الشَّلبي(١):

الحمد لله الذي أودعَ قلوبَ أوليائه ظرائفَ الحكم، وأنارها بأنوار معرفته، وأزاح عنها كثائف أستار الظُّلَمَ، غمسهم في البحر المورود للحقائق، فنطقوا بما يُدهشُ العقولَ من الرقائق، وأخذَ عليهم المواثيقَ والعهود، فلم ينقضوها فدامَ لهم الشهود، وألبسهم من ملابس المعارف وقارا، ورفعَ لهم من حُجب جلالِ عظمته أستارا، وأَجلسهم على بساط أُنسه، وتجلّى لهم في حضرةِ قُدسه، فخلعوا فيه عذارا، هاموا في حُبِّه فتراهم مُطلَقين وهم أُسارى، وتاهوا في تيه ملكوتيته فهم في تحقيق معرفته حيارى، أُديرتْ عليهم زجاجاتُ المناجاة فتراهم سكارى، وما هم بسكارى، وهبَّتْ عليهم عند الوصول نسماتُ القبول أَسحارا، فلذا كانت علومُهم عن فيضِ الوهاب لا عن كشفِ كُتُبٍ وتعب الاكتساب، فسبحانَ المُتفضِّل المنان، الوهَّاب لمن شاءِ ما شاء في سائرِ الأزمان.

أحمدُه على ما وهب من أفضاله، وأشكره على جزيلِ نواله، وأشهد أن لا إله إلاّ

= «الحمد لله ربِّ العالمين، العبد مسطِّرُها يُقبّل أقدام سيدي الشيخ المشار أعلاه، نفعنا الله تعالى بعلومه وبركاته، وينهى أنّ ما نسب إلى العبد من الرجوع عما كتبته بخطي على كتبكم الكريمة باطلِ باطل باطل. ووالله، ما رجعتُ عن ذلك، ولا عزمتُ عليه، ولا اعتقدت في كلامكم شيئاً من الباطل، وأنا معتقد صحة مقالكم، ناوٍ على ذلك، وادّين الله تعالى بالاعتقاد في صحة صلاحكم وولايتكم، والقصد أنكم لا تصدّقوا ما بلغكم. وحسبنا الله ونعم الوكيل. وكتبه الفقير الحقير محمد المدعو ناصر الدين اللقاني. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وسبب كتابة الشيخ اللقاني ما أشاعَهُ بعضُ الحسدة بأنّ الشيخ رجعَ عن كتابته افتراءً على الشيخ، فالله تعالى يرضى عن الشيخ، ويعامل هذا الحاسد بالعفو عنه، آمين. كتبه عبد الوهاب عفا الله عنه».

(١) أحمد بن محمد بن أحمد بن يونس السعودي المصري، الفقيه الحنفي النحوي الإمام المحدث، رأس فقهاء زمنه ومحدثيه، كان له بعلم الحديث اعتناء كبير، محتاطاً فيه، له سهم في الفقه والفرائض، وافر الاطلاع سريع الفهم، له من المؤلفات: «اتحاف الرواة بمسلسل القضاة» و«درر الفوائد» في النحو و«مناسك الحج» و«الرقائق في شرح كنز الدقائق» في فروع الفقه الحنفي، وفتاوى جمعها ابنه. توفي بمصر. خلاصة الأثر ١/٢٨٣، معجم المؤلفين ١/٢٥٠.

الله الذي عمَّر بجوده الكائنات، وعمَّر بسرِّه العارفين، فأفاضوا على المُريدين نفائسَ الكرامات، وأشهد أنَّ سيدنا محمداً عبدُه ورسولُه بحرُ المعارف، ومنبعُ الشرائعِ والعلوم واللطائف، صلاةً أبدية تليق بقدس كماله الأقدس، وتصلح لكبيرِ مقامِ جلاله الأنفس، ورضي الله عن آله وأصحابه سيوفِ الحقِّ، وعيون الحقائق، وعقودِ سلك الطرق، ونجوم سلوك الطرائق، وعلىالتابعين لهم بإحسانٍ، وعلى العلماء والصالحين في كلِّ زمان.

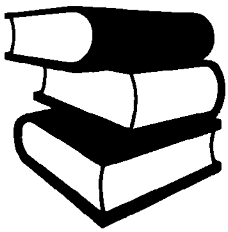
أما بعد، فقد وقفتُ على هذا الكتاب، الذي هو تحفةُ المُريدِ وروضةُ الأحباب، فإذا البحرُ يعبُّ عبابُه، والمشرعُ الذي يَطيبُ لأهلِ الطريقِ شرابُه، فوردتْ ماءَ فضله الصافي، وتردَّيتُ برداء محاسنِه الضافي، فالله تعالى يُبقي مؤلفه إماماً، يصطفُّ خلفه المريدون فيؤمهم بنوافل فضائله وبرِّه، ولا برحَ جِيدُ الزمان حالياً بجوده، والناس ناطقون بحمده وشكره.

قال ذلك وكتبه، الفقيرُ الكسيرُ، المحبُّ له على الحقيقة، سائلاً من فضلِ الله أن يكونَ في الآخرة رفيقَه، أحمد بن يونس الحنفي الشهير بابن الشلبي، أعطاه الله سؤله، وبلَّغَهُ في الدارين مأموله، وما ذلك على الله بعزيز، وغفرَ له ولوالديه ولمشايخه وإخوانه والمسلمين حامداً مُصلياً على أشرف خلقه سيِّدنا محمدٍ وآله وصحبه والتابعين أجمعين ومسلماً.

تم بحمد الله

فهرس الفهارس:

فهرس الآيات القرآنية



فهرس الأحاديث

فهرس الأعلام

فهرس الأقوام

فهرس الأماكن

فهرس الكتب

فهرس الأيام

فهرس الأمثال

فهرس المصطلحات والأشياء(*)

(*) اعتمد على رقم الصفحة لا العهد في هذا الفهرس.

فهرس الحيوان(*)

(*) اعتمد على رقم الصفحة لا العهد في هذا الفهرس.

فهرس الأشعار

صدر البيت	القافية	البحر	القائل	العدد	العهد
من نال مني أو علقت بذمته	منته	الكامل	الشافعي	٢	١٥٣
فأوردها ما الموت أيسر بعضه	مريحتي	الطويل	ابن الفارض	١، ٢	٨٤، ١٨٧
يا معشر العلماء يا ملح البلد	فسدْ	الكامل	مالك بن دينار	١	٥٥
إذا المرء أفشى سره لصديقه	أحمقُ	الطويل	الشافعي	٢	١١٣
ويطرب من لم يدرها عند ذكرها	نعمُ	الطويل	ابن الفارض	٧	١٣١
ومن يجعل الطرقات أطناب بيته	ظلومُ	الطويل	أبو زيد	١	١٧٥
تركنا البحار الزاخرات وراءنا	توجهنا	الطويل	-	١	١٤٧

يوم طهوري يا ما رأيت			ابن سودون	٤	٤١

فهرس العهود

أُخِذَ علينا العهد

٢٤- أن لا نتأدب مع من هو تحت حكمنا وتربيتنا.
٢٥- أن لا نمكن أحداً من إخواننا يتداوى بإشارة حكيم يهودي أو نصراني.
٢٦- أنْ نلزم الأدب مع أصحاب النوبة.
٢٧- أن لا نعود مريضاً إلا إن علمنا أننا نقدر على تخفيف المرض.
٢٨- أن نمكن أصحابنا من فتح باب التعصب لشيخ دون شيخ.
٢٩- أن لا نمكن إخواننا يسأل عن تفسير آية أو حديث.
٣٠- أن لا نرجع إلى محبة الدنيا وأوناسها بعد أن خرجنا من محبتها.
٣١- أن لا نظهر لمن أمددناه بمدد أن ذلك المدد بواسطتنا.
٣٢- إن فتح على أخينا بفتوحٍ أن لا نمكنه من الخروج عن حرفته
٣٣- أن لا نخرج من حد المناصحة بالاستدراج إلى حد المكاشفة بالعيوب.
٣٤- أن نتعفف عن أطعمة الناس جهدنا.
٣٥- أن لا نكرم بالأدب والمعارف التي تفضل الحق علينا إلا
٣٦- أن نكون تبعاً لإخواننا الأحياء والأموات.
٣٧- أن نخلص التوحيد لله في الأفعال والأقوال.
٣٨- أن لا ندع شيئاً من محابٍّ الدنيا في قلوبنا.
٣٩- أن لا نتأول على الله كلامه، أو كلام رسله، أو كلام كمّل العارفين.
٤٠- أن ننظر للذي علينا من الأدب والحقوق، ولا ننظر للذي لنا.
٤١- أن لا نغتر بصفاء حالنا مع الحق تعالى وشهود كمالنا.
٤٢- أن نحفظ الأمانة التي أسرت إلينا من الحق تعالى.
٤٣- أن لا نجادل من فضّله الله علينا.
٤٤- أن لا نأكل من أطعمة المتهورين في كسبهم المتفاخرين بالدنيا.
٤٥- أن نتعلم الأدب من ذوي البيوت إذا فقدنا الأشياخ.
٤٦- أن لا نجالس المجاذيب، ولا نطلب منهم الدعاء.
٤٧- أن نستشير إخواننا في كل أمر نفعله.
٤٨- أن نكثر من الاستغفار والندم على ما فات.
٤٩- أن لا نمكن أصحابنا من مجالس القيل والقال.

٥٠- أن نلازم البيوت ونقلّ الحركة والأسفار أيام الفتن.
٥١- أن ننفّر أنفسنا من صاحبنا إذا صاحب أحداً من الأشرار.
٥٢- أن نتفقد ما في دارنا من الدواب والحشرات ولا نغفل عن مصالحهم.
٥٣- أن نبادر بالنصح لإخواننا، ولا ننتظر وقتاً آخر.
٥٤- إذا رأينا أحداً في ضيق، ألاّ نقول: لا يستحق ذلك، ففي ذلك...
٥٥- أن لا نتميز عن إخواننا الفقراء والعلماء بخلق غريب.
٥٦- أن نحسن بمجاورة نعم الله، بمعرفة مقدارها.
٥٧- أن لا نمكن الحرام من الدخول على عيالنا.
٥٨- أن نبه إخواننا المباشرين والتجار ألا يصحبوا الفقراء إلا قربة لله.
٥٩- أن نواسي بالدنيا وبالملق كل من تحرك علينا بالأذى.
٦٠- أن نرفق على المعسر، رجاء أن يقيض الله لنا من يرفق بنا.
٦١- أن نلين الكلام لمن له علينا دين، ولمن لنا عليه دين.
٦٢- أن نتصدق كل يوم بما أمكن.
٦٣- أن لا نتصدق بالأشياء الكثيرة.
٦٤- أن نبدأ في اصطناع كل معروف بالأمور التي تدوم.
٦٥- إذا أعطينا أحداً شيئاً أن نسقط عنه المكافأة.
٦٦- إذا أعطينا شيئاً لأكابر دار عليهم الزمان، نعطيهم خفية.
٦٧- إذا زرنا فقيراً حياً أو ميتاً أن نقدم بين يدي نجوانا صدقة.
٦٨- إذا زرنا المسجد الحرام أو مسجد المدينة أو بيت المقدس أن نعظمها.
٦٩- أن ننبه إخواننا من التجار وغيرهم على أحوال الزمان.
٧٠- أن نأمر إخواننا التجار أن يعطوا الغفير غفارته بطيبة نفس.
٧١- أن لا نطلب من الخلق مكافأة على فعل معروف.
٧٢- أن لا نقبل رهناً ممن أخذ منا سلعة.
٧٣- أن نداري كل من كان لنا عنده دين، ولا بينة لنا عليه.
٧٤- أن لا نزور إخواننا بعيالنا.
٧٥- إذا شاورنا فقيراً في شيء ألا نزين له الكلام.

٧٦- أن لا نمكّن إخواننا التجار أن يثبوا على السلع.
٧٧- أن لا نمكن التجار في تخليص مال الموسر عند معسر.
٧٨- أن نعظم ولاة أمورنا من القضاة والوزراء.
٧٩- أن لا نتصدى لتلقين الذكر وفي البلد من هو أعرف منا.
٨٠- أن لا نأخذ العهد على من هو أكبر منا سناً.
٨١- أن نقرب كل واحد من الإخوان بقدر ما نحن عنده.
٨٢- أن لا نصحب أمداً على وجه التربية، وعليه حق لآدمي.
٨٣- أن نزور إخواننا المسلمين ولو عراة.
٨٤- أن لا نحتجب عن حاجة أحد من المسلمين.
٨٥- أن نطمّع العباد في رحمة الله ولا نقنطهم منها.
٨٦- أن لا ننام ولا نصبح حتى نساعد أصحاب النوبة.
٨٧- أن نشارك أصحاب الهموم في البلايا النازلة عليهم.
٨٨- أن نداري كل طائفة رأينا بينهم العداوة والبغضاء.
٨٩- أن لا نرى نفوسنا قامت بذرة من واجب حقوق الله تعالى.
٩٠- أن نزجر كل من مدحنا في ملأ.
٩١- أن لا نصادم بأنفسنا أحداً في حال قيام نفسه.
٩٢- أن لا نعترض على الأولياء الذين يعمرون المساجد.
٩٣- أن لا نمكن إخواننا من السعي على وظيفة.
٩٤- أن نعذر كل من قامت عنده شبهة، ما لم تهدم شيئاً من أصول الدين.
٩٥- أن لا نبيت على دينار ولا درهم ليلة واحدة.
٩٦- أن لا نتوجه إلى الله في ظالم بمجرد شكوى من أحد.
٩٧- أن لا نكاتب الولاة في إسقاط شيء ينقص مال السلطان.
٩٨- أن لا نمكن إخواننا من الخوض في ذات الله تعالى.
٩٩- أن نكون على أنفسنا بالذم، ولا نجيب عنها.
١٠٠- أن لا نفتح باب المشي إلى الولائم والموالد.
١٠١- أن لا نطلب على أعمالنا ثواباً.

١٠٢- أن لا ننازع قلوبنا شيئاً من تقديرات ربنا علينا.
١٠٣- أن لا نتخلف عن شفاعة إذا دعينا إليها.
١٠٤- أن نرضى عن ربنا إذا قلل علينا الدنيا، وضيق علينا الرزق.
١٠٥- أن لا ندعي مرتبة كمال الإيمان والدين.
١٠٦- أن لا نستعمل طبيباً من غير الملة المحمدية.
١٠٧- إذا ضرب أحدنا زوجته ألا يجامعها في يومها.
١٠٨- أن لا نمكن أحداً من أصحابنا يؤذي أحداً من أهل الذمة.
١٠٩- أن نذهب إلى صلاة الصبح والعشاء من غير سراج.
١١٠- أن نكرم كل ضيف ورد علينا.
١١١- أن نتخلق بالرحمة جهدنا، لكن لا نبالغ في الرحمة بالكلية.
١١٢- أن لا نتقدم على قوم في أمورٍ هم يكرهون تقدمنا.
١١٣- أن لا نفشي سراً من أسرار الحق أو أحد من الخلق.
١١٤- أن نسعى في فكاك رقبتنا من النار.
١١٥- أن نسمع كلام العلماء، ولا نقول: لا نعمل به حتى يعملوا.
١١٦- أن لا نبغض أحداً من الأنصار.
١١٧- أن لا نمكن إخوتنا يعترض على السلطان في تولية قاضٍ.
١١٨- أن لا ننام تحت لحاف واحد مع أحد الناس.
١١٩- أن نلبس ما عندنا من الثياب عند قدوم الوفد والأكابر.
١٢٠- أن نغتسل لكل يوم جمعة.
١٢١- أن لا نكثر من النوم.
١٢٢- أن لا نمكن أصحابنا أن يتهاون في تعاطي أسباب الدنيا.
١٢٣- أن نشرع بتزويج البكر إذا بلغت.
١٢٤- أن لا نمكن إخواننا يشهد على بنته بأن ما عندها من جهازها...
١٢٥- أن لا نكلف الرجل ما لا يطيق إذا تزوّج.
١٢٦- أن لا نسعى لأحد في تولية حسبة.
١٢٧- أن لا نمكن أصحابنا يدخول على فقير أو عالم إلا منكسراً.

١٢٨- أن لا نقدم على أنفسنا أحداً في الدعاء.

١٢٩- أن لا ننصح من علمنا عنده عناداً في الدين.

١٣٠- أن ننصح لله وللرسول ولأئمة المسلمين وعامتهم.

١٣١- أن نعظم الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

١٣٢- أن لا نمكن إخواننا يبحث في معنى المتشابه.

١٣٣- أن لا نمتنع من تزكية مسلم يأمر بالمعروف.

١٣٤- أن لا نمكن أصحابنا يصغي لمن يحط على أحد من الأولياء.

١٣٥- أن نعلم عيالنا الآداب الشرعية والعرفية.

١٣٦- أن لا نقرأ حديث رسول الله ﷺ حتى نقدم بين يدي قراءته صدقة.

١٣٧- أن لا نشرد في إزالة المنكر.

١٣٨- أن لا نأمن على أنفسنا من تبريها من الكمالات.

١٣٩- أن لا نأمن مكر الله واستدباره.

١٤٠- أن لا نجعل لنا مع الله اختياراً ولا صحة أحوال.

١٤١- أن نشكر الله على المنع كما نشكره على العطاء.

١٤٢- أن لا نتمنى على الحق أن يعطينا ما فضل به بعضنا على بعض.

١٤٣- أن ننظر إلى كل شيء في الوجود بعين التعظيم والاعتبار.

١٤٤- أن لا نغتر بملاطفات الحق تعالى لنا، وقبول شفاعاتنا.

١٤٥- أن لا ننظر لنا خلقاً محموداً إلا على وجه الشكر لله.

١٤٦- أن لا نتكلم بما كشف لنا وقوعه في هذا الوجود.

١٤٧- أن لا نمكن أصحابنا من مطالعة كتب الشيخ محيي الدين.

١٤٨- أن لا نقر إخواننا على الإنكار على طريق أحد من الفقراء.

١٤٩- أن لا يمضي يوم وليلة حتى نذكر الله باسم الجلالة.

١٥٠- أن نكف بصرنا وبصيرتنا أن تطمح إلى النظر إلى عورة.

١٥١- أن لا نكثر من مجالسة الأكابر.

١٥٢- أن لا نمكن تلامذتنا أن يعتقدوا فينا أننا أعرف أهل زماننا.

١٥٣- أن لا نكره أحداً من المسلمين لحظ نفس.

١٥٤- أن نجيب عن إخواننا في غيبتهم ونحمل أحوالهم على أكمل الأحوال.
١٥٥- أن لا نسيء الظن بأحد من المسلمين.
١٥٦- أن لا نستكبر على من استكبر علينا.
١٥٧- أن لا نرى نفوسنا أحق بما عندنا من مال وثياب.
١٥٨- أن نخلص الصحبة لله عز وجل.
١٥٩- أن لا نزهد في الدنيا لنعيم الترك.
١٦٠- أن ننبه إخواننا على إحضار قلوبهم مع الله عند كل طعام وشراب.
١٦١- أن لا نقرب من الأمراء والأكابر إلا لضرورة.
١٦٢- أن نقوم لحملة القرآن والعلم.
١٦٣- أن لا نحتقر شيئاً من الفتن، ولا نأمن على نفوسنا.
١٦٤- أن نساوي بين المسلمين في التوقير والحرمة.
١٦٥- أن لا نمكن إخواننا الذين هم تحت العهد والتربية من النظر إلى...
١٦٦- أن نعتذر للمؤمنين إذا وقعنا في شيء يوجب الاعتذار رفقاً بهم.
١٦٧- أن نجهر بأعمالنا الصالحة في كل موطن يقتدى بنا فيه.
١٦٨- أن لا نبدأ إخواننا بالصلح إذا غضب بغير حق.
١٦٩- أن لا نقبل هدية ممن نعلم أن تلك الهدية عظيمة عنده.
١٧٠- أن لا نقبل من أحد صدقة لنفرقها على الفقراء.
١٧١- أن لا نقبل من أحد مالاً لنفرقه على الفقراء.
١٧٢- أن لا ندخل في حملة من ليس عنده كمال اعتقال.
١٧٣- أن نسر بجميع صدقاتنا المندوبة وهدايانا المحبوبة.
١٧٤- أن لا نوسع على عيالنا وأنفسنا كل الوسع.
١٧٥- أن لا نتكلف لضيف.
١٧٦- أن لا نتكدر من الولاة والحكام إذا ردوا شفاعتنا.
١٧٧- أن لا نتكدر ممن ترك صحبتنا وصحب غيرنا.
١٧٨- أن نعفو ونصفح عن جميع الأمة المحمدية.
١٧٩- أن نقضي حوائج الخلق في هذا الزمان بالقلب.

١٨٠- أن نميل إلى الضعف في سائر أحوالنا.
١٨١- أن نلح بالاستغاثة عند حلول البلاء.
١٨٢- أن لا نستعمل أسماء السهروردي والبوني.
١٨٣- أن لا نغفل عما يداخل باطننا من الحرام والشبهات.
١٨٤- أن لا ندعو على من ظلمنا بسبب ظلمه.
١٨٥- أن نرفق بالمسيئين من هذه الأمة المحمدية.
١٨٦- أن نبادر إلى صلاة الجماعات ونوافل العبادات.
١٨٧- أن نداوي نفوسنا ونحسن إليها ما أمكن.
١٨٨- أن لا ننذر نذراً، ولا نقيد أنفسنا بورد معين.
١٨٩- أن لا نؤدب أحداً من أولادنا وإخواننا بقطع رزقه.
١٩٠- أن نبدأ في رفع حوائجنا كلها أولاً إلى الله.
١٩١- أن نجتمع بكل واعظ برزقي زماننا.
١٩٢- أن لا نؤثر أحداً على أنفسنا عند قوة شحها.
١٩٣- أن نكرم الناس على حسب نفعهم في الكون.
١٩٤- أن لا نتعشق لوارد من الواردات.
١٩٥- أن لا نتسلسل في الاشتغال بمخالفة النفس في كل خاطر.
١٩٦- إذا بلغنا الأربعين سنة أن نطوي الفراش ونقبل على أعمال الآخرة.
١٩٧- أن لا نرى نفوسنا على أحد من تلامذتنا.
١٩٨- أن لا نمشي في المسجد بناسومة وحلفاية.
١٩٩- أن لا نجلس في المسجد إلا ونحن في غاية الحياء والخجل.
٢٠٠- أن لا نشتغل بالرد على أحد من أهل الفرق الإسلامية.
٢٠١- أن لا نتكدر ممن رد علينا ذوقنا وفهمنا.
٢٠٢- أن لا نظهر لنا منقبة ولا كرامة التي خصنا الحق بها إلا بنية صالحة.
٢٠٣- أن لا نقر إخواننا الذين تحت التربية أن يحتج بالإرادة.
٢٠٤- أن ندر مع الزمان، ولا نزدري من رفعه الله.
٢٠٥- أن لا نتقدم لصلاة جنازة إلا إذا كنا نعلم أنه قد غفر لنا.

٢٠٦- أن لا نسأل الله أمراً إلا مع التفويض إليه.
٢٠٧- أن ننظر إلى النعم والمحن بوجهين ظاهراً وباطناً.
٢٠٨- أن لا نظهر التخلق بأسماء العظمة والكبرياء.
٢٠٩- أن نكبر بإخواننا إذا اجتمعنا بأحد من الأمراء.
٢١٠- أن لا نزيد في الأكل والشرب على السنة المحمدية.
٢١١- أن لا نمكن إخواننا يقيمون ميزان عقلهم ونقلهم على أرباب....
٢١٢- أن نأتي الرخص في بعض الأوقات إظهاراً للضعف.
٢١٣- أن لا نمكن الذين ه تحت العهد والتربية أن يتصدر للواعظ.
٢١٤- أن لا نزدري العلماء إذا لم يعملوا بعلمهم.
٢١٥- أن لا نحجر على أحد من العوام بالتزام مذهب معين.
٢١٦- أن لا نمكن أحداً من الفقهاء أن ينكر على من ابتدع شيئاً على...
٢١٧- أن لا نخوض في أحوال أهل البرزخ وما بعده.
٢١٨- أن لا نخوض في معاصي الأنبياء وخطيئاتهم.
٢١٩- أن لا نمكن أصحابنا من الاشتغال بعلم الكلام.
٢٢٠- أن لا نمكن أحداً في مجلسنا يجر قافية من ظلمة.
٢٢١- أن يكون معظم اشتغالنا في الأمور التي تنفع المسلمين.
٢٢٢- أن نكرم الناس على قدر ما هم عليه من التواضع.
٢٢٣- أن لا ننتصر لمريد ظلم، بل نأمره بالصبر.
٢٢٤- أن نحذر ممن يحسن إلينا أكثر ممن يسيء.
٢٢٥- أن نسكت عند مدح الناس لنا عن نحو قولنا نحن أقل الناس.
٢٢٦- إذا خرجنا إلى مكان بعيد أن نقول قبل خروجنا.
٢٢٧- أن نتحمل عن أصحابنا الكلف التي تنوبنا في الدنيا.
٢٢٨- أن لا نمنع تلامذتنا من زيارة أحدٍ من أقراننا.
٢٢٩- أن نخالط الفقراء والمساكين وأصحاب الأمراض.
٢٣٠- أن لا نجيب من دعانا لمحفلٍ يجتمع به العلماء والتجار.
٢٣١- أن لا نرى نفوسنا على قدم أحدٍ من أشياخنا.

٢٣٢- أن نقول لمن وجدنا عنده دعوى: لم نشم فيك رائحة أهل الطريق.

٢٣٣- أن لا نجلس للوعظ حتى نقول: دستور.

٢٣٤- أن نهرب من طريق الناموس جهدنا.

٢٣٥- أن لا نعاني الخلوة المشهورة بين الصوفية.

٢٣٦- أن لا نمكن مريد يحاكي بنا في تقريره للتلامذة.

٢٣٧- إذا دخلنا على ولي أو أمير ألا نزيد على حالنا.

٢٣٨- إذا تكلمنا على الفقراء أن نرسل الكلام بحسب الحاضرين.

٢٣٩- أن لا ننهمك في محبة إخواننا المقبلين علينا.

٢٤٠- إذا أعطانا الله مدداً أن نمد به كل من كان له قسم.

٢٤١- أن نبسط لمن تعرف بنا من أبناء الدنيا بساط المحبة محبة الفقراء.

٢٤٢- أن لا نغضب على إخواننا إذا أكثروا مخالفة ما نأمرهم به.

٢٤٣- إذا حصل لنا عند الحاكم أن لا نتخلف عن نصرة المظلومين.

٢٤٤- إذا عملنا مشايخ على مجاورين أو خرقة الفقراء ألا نخصص نفسنا.

٢٤٥- إذا أعطانا الحق القوة على تحمل المصائب، ألا نقبل هدية.

٢٤٦- أن نجيب دعوة كل من دعانا إلى داره.

٢٤٧- أن نحبب العباد إلى ربهم، ونحبب ربهم إليهم.

٢٤٨- أن نعامل الوجود كله بالأدب اللائق بكل فرد.

٢٤٩- أن لا نمكن إخواننا ينكروا شيئاً ابتدعه المسلمون تقرباً.

٢٥٠- إذا تلونا القرآن أن نتدبر معناه.

٢٥١- أن نحسن ظننا بالله تعالى ونأمر به المسلمين.

تمت

جريدة المصادر والمراجع

- إحياء علوم الدين: أبو حامد الغزالي. المكتبة التجارية الكبرى بمصر.
- الأدب المفرد: الإمام البخاري، مصورة دار البشائر الإسلامية.
- الأذكار: يحيى بن شرف النووي: باعتناء محمد أديب الجادر. دار البشائر ١٩٩٥م.
- إرغام أولياء الشيطان بذكر مناقب أولياء الرحمن: عبد الرؤوف المناوي. تحقيق محمد أديب الجادر. دار صادر. بيروت.
- أسباب النزول: الآمدي. تحقيق أيمن صالح شعبان. دار الحديث القاهرة.
- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٢٣هـ.
- الأعلام قاموس تراجم: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- تاج العروس: الزبيدي، المطبعة الخيرية بمصر، ١٣٠٦هـ.
- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد، سنة ١٣٤٩هـ-١٩٣١م.
- تاريخ عمر بن الخطاب: ابن الجوزي، تقديم وتعليق: أسامة الرفاعي. دار إحياء علوم الحديث.
- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير. دار المعرفة، بيروت.
- تكملة المعاجم العربية: رينهارت دوزي وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ: ابن الأثير، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط دمشق ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.
- جامع كرامات الأولياء: يوسف النبهاني، دار الكتب العربية الكبرى بمصر.
- الجواهر والدرر مما استفاده الشعراني من شيخه سيدي علي الخواص، المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الخطط المقريزية (المواعظ والاعتبار): أحمد بن علي المقريزي، مطبعة النيل ١٣٢٤هـ.

- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد المحبي، مصورة دار صادر.
- در الحبب في تاريخ حلب: محمد الحنبلي، تحقيق محمود الفاخوري ويحيى عبارة، منشورات وزارة الثقافة بدمشق سنة ١٩٧٢.
- ديوان الإمام الشافعي: صنعة سليمان البوطي، دار إقرأ، دمشق ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ديوان عمر بن الفارض، دار صادر، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م. بيروت.
- ذخائر التراث العربي الإسلامي: عبد الجبار عبد الرحمن. ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- سنن الترمذي: تحقيق أحمد محمد شاكر وأساتذة، دار إحياء التراث العربي.
- سنن أبي داود: تحقيق عزت الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.
- السنن الكبرى: البيهقي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية-الهند، ١٣٥٤هـ.
- سنن ابن ماجه: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
- سنن النسائي: اعتناء عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: عبد الحي بن العماد. مصورة دار المسيرة، بيروت ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- شعب الإيمان: أحمد البيهقي، تحقيق محمد السيد زغلول، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الشعراني إمام التصوف في عصره: د.توفيق الطويل، دار إحياء الكتب العربية.
- الشعراني والتصوف الإسلامي: طه عبد الباقي سرور. مكتبة الخانجي.
- صحيح البخاري = فتح الباري.
- صحيح ابن حبان: تحقيق شعيب أرناؤوط، مؤسسة الرسالة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- صحيح مسلم: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

- طبقات الأولياء: ابن الملقن، تحقيق نور الدين شريبة. مكتبة الخانجي، القاهرة.
- طبقات الشافعية الكبرى: عبد الوهاب السبكي، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود محمد الطناحي، مطبعة الخانجي.
- الطبقات الصغرى: الشعراني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا. مكتبة القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- الطبقات الصغرى للمناوي = إرغام أولياء الشيطان.
- الطبقات الكبرى للشعراني = لواقح الأنوار.
- الطبقات الكبرى للمناوي = الكواكب الدرية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مصورة دار الفكر دمشق.
- فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي، تحقيق د.إحسان عباس. دار صادر.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير: عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية، مصر.
- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، وضعه محمد رمزي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤م.
- القدر: عبد الله بن وهب القرشي، تحقيق عبد العزيز العيثم، دار سلطان مكة المكرمة ١٤٠٠هـ.
- الكامل في ضعفاء الرجال: عبد الله بن عدي، تحقيق سهيل زكار. دار الفكر بدمشق ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- كشف الخفا ومزيل الالتباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: إسماعيل العجلوني، مكتبة القدسي ١٣٥١هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد.
- الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية، الطبقات الكبرى: عبد الرؤوف المناوي، تحقيق محمد أديب الجادر. دار صادر ١٩٩٨. بيروت.

- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: نجم الدين الغزي، تحقيق جبرائيل سليمان جبور. دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، الطبقات الكبرى: الشعراني، دار الفكر، دمشق.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: علي بن أبي بكر الهيثمي، مكتبة القدسي ١٣٥٢هـ مصر.
- المجموع شرح المهذب: محيي الدين النووي، دار الفكر.
- مختصر طبقات الحنابلة: محمد جميل الشطي، دمشق، ١٣٣٩هـ.
- المستدرك على الصحيحين: الحاكم، مطبعة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن ١٣٣٧هـ.
- مسند الإمام أحمد. المكتب الإسلامي ودار صادر، بيروت.
- مسند أبي يعلى: أحمد بن علي بن المثنى. تحقيق حسين سليم أسد. دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م. دمشق.
- مسند البزار: أحمد بن عمرو، تحقيق د.محفوظ الرحمن زين الله. مؤسسة علوم القرآن، مكتبة العلوم والحكم، بيروت، المدينة ١٤٠٩هـ.
- مسند الحميدي: عبد الله بن الزبير، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- معجم الألفاظ التاريخية: محمد أحمد دهمان، دار الفكر، دمشق ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- المعجم الأوسط: سليمان الطبراني، تحقيق محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر ودار بيروت، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- معجم تيمور في الألفاظ العامية، أحمد تيمور، دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- المعجم الكبير: سليمان الطبراني، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي، وزارة

الأوقاف والشؤون الدينية العراق.
- معجم متن اللغة: أحمد رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٧٧هـ-١٩٥٨م.
- المعجم المدرسي: محمد خير أبو حرب، وزارة التربية، دمشق، ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: دوزي، ترجمة أكرم فاضل، وزارة الإعلام، العراق، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، المكتبة العربية بدمشق، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
- الموسوعة العربية الميسرة: بإشراف شفيق غربال، مؤسسة فرانكلين، ١٩٦٥م.
- الموطأ: الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٠هـ-١٩٥١م.
- مؤلفات ابن عربي، تاريخها وتصنيفها: عثمان يحيى، ترجمة د.أحمد محمد الطيب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠١.
- النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ- ١٩٦٣م.
- نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول: الحكيم الترمذي، دار صادر، ١٨٧٥.
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا، مكتبة المثنى، بغداد.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: أحمد بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر.

الفهارس العامة